سلسلة
أبحاث ودراسات
٣

مبادئ في فكر الدعوة الإسلامية

محمد غسان الجبان
الجنيدي الحسيني

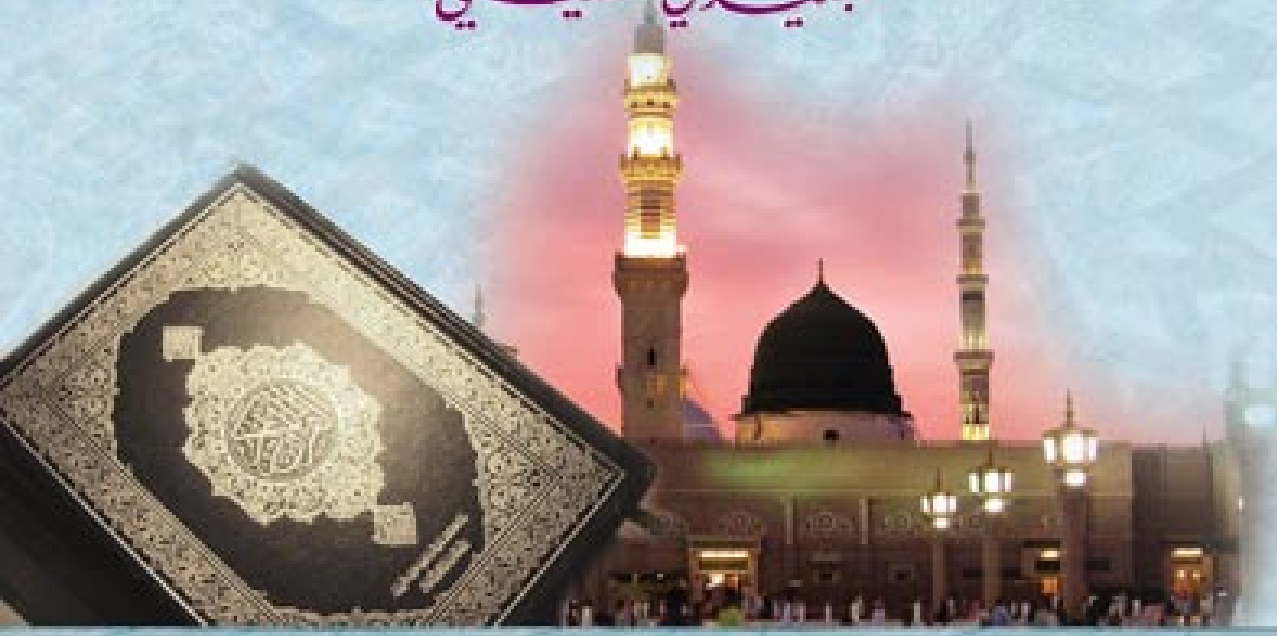

سلسلة

دراسات وأبحاث

(٣)

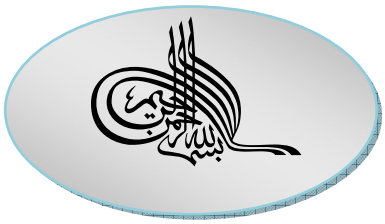

مبـادئ في فكـر الدعـوة الإسلامية

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

سورية - دمشق

الإهداء

إلى الدعاة الربانيين ...

- الراحمين الذين يرحمون الناس ...
- الذين يرفضون التطرف والتعصب، ويعملون باعتدال وتوسط ..
- الـذين يوحـدون ولا يفرقـون ، ويُبـشرون ولا يُنفـرون ، ويُيـسرون ولا يُعسرون.
- الـذين يأخـذون مـن الماضـي مـا يـنفعهم في حاضـرهم .. ويعملـون في حاضرهم ما يساهم في بناء مستقبلهم المشرق ..
- الذين لهم بصيرة نافذة، يستشرفون المستقبل، ويتدبرون العواقب ..
- الـذين ينفتحـون علـى عـصرهم، فيجلبـون المـصالح للأمـة ويـدرؤون عنها المفاسد ..
- أصحاب النفوس المزكاة، والقلوب الطاهرة، والعقول النيرة ...

أهدي هذا الكتاب

المؤلف

مُقَدِّمَة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أحمدك ربي حمداً يليق بكمالك وجلالك، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، يوافي نعمك ويكافئ مزيدك، سبحانك ربي لا أُحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك، والصلاة والسلام على إمام الدعاة وقدوتهم حبيبنا وقائدنا ومعلمنا سيدنا محمد ﷺ، الذي أمره ربه ﷻ بالدعوة والتبليغ، فقال: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾[سورة النحل:١٢٥]

وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [سورة المائدة].

وعلى آله وصحبه أجمعين.. ورضي الله تعالى عن الدعاة المبلغين من أمته، الذين قال تعالى بحقهم: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ ﴾ [سورة الأحزاب].

وبعد:

* إن من أهم خصائص رسالة النبي ﷺ، أن الدعوة إليها وإقناع الناس بها، وتبنيها سلوكاً وعملاً والتزاماً ودعوة، ونشرها في كل أنحاء الأرض، كل ذلك جزء لا يتجزأ من أهدافها الكبرى في بناء عالم متحضر يسوده الإيمان والأمن والسلام والرخاء والرحمة والأخوة الإنسانية..

وألفاظ الدعوة إلى الله، والدعوة إلى سبيل الله، والدعوة إلى الإسلام، والدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصيحة، والبلاغ، والتبليغ، كلها ألفاظ تختص بموضوع الدعوة.

* وتتعلق أهمية الدعوة إلى الرسالة الإسلامية، بمقصد مهم من مقاصد الإسلام، وهو وصول البلاغ المبين إلى الناس كافة، حيث إن التكليف والحساب والثواب والعقاب لا يمكن تحقيقها جميعاً إلا بعد دعوة الناس وتبليغهم رسالة الله تعالى.

إذ كيف يحاسب الله تعالى الناس على أمر لم يَبْلغهم؟!..

وكيف يكلف الله تعالى البشر بأمر لم يصل إليهم ولم يعرفوه؟!..

وكيف تقام أحكام الدين في مجتمع لم يبلِّغه أحد أحكام هذا الدين؟!..

والله تعالى هو العادل الحكيم الرحيم.

يقول الله تعالى: ﴿ ...فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ ﴾ [سورة الرعد]، فالدعوة والبلاغ المبين أولاً، والحساب ثانياً.

ويقول الله تعالى: ﴿ ...وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ [سورة الإسراء] ، فالذين لم تبلغهم الدعوة ليسوا بمكلفين، والله تعالى لا يعذبهم بكفرهم إلا بعد البلاغ وقيام الحجة عليهم بالرسول أو الدعوة؛ لأن الله تعالى منزَّه عن الظلم.

والتبليغ: هو الدعوة إلى الرسالة الإسلامية مجملة ومفصَّلة، بالبيان الواضح المدعوم بالأدلة المقنعة.

يقول تعالى: ﴿ ...وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ ﴾ [سورة النور] ،

وهـذا يـشير إلى وجـوب الـدعوة والتبليـغ، كمـا يـشير إلى حريـة الإنـسان في الاعتقاد والإيمان، وتحمُّل تبعات اختياره؛ لأنه لا إكراه في الدين.

* وحتى يثبت التكليف لابدَّ من الدعوة والبلاغ وقيام الحجة، وهذه مهمة الدعاة إلى الإسلام...

وحتى يتحقق وعد الله تعالى بإظهار الإسلام على الدِّين كله، لا بدَّ من القيام بواجب الدعوة إلى الله تعالى، فرسالة النبي ﷺ رسالة دعوية في جوهرها.

وبما أن الله تعالى كلَّف النبي ﷺ بتبليغ الرسالة للناس كافة بقوله: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [سورة سبأ] فمن الذي سيبلِّغ الرسالة للناس في مشارق الأرض ومغاربها بعد النبي ﷺ ؟!!.. وهل يُعقل أن يُترك هؤلاء الناس بلا تبليغ ثم يحاسبون؟!!..

إذاً... لا بدَّ من وجود الدُّعاة المبلغين في كل زمان ومكان، وتتحمَّل الأمة الإسلامية بحكَّامها وعلمائها وأغنيائها (رجالاً ونساءً) وكل من له صلة بهذا الأمر المسؤولية بتهيئة وإعداد الدعاة المبلغين بالمستوى المطلوب والأعداد الكافية، وإن لم تفعل الأمة فما بلغت الرسالة وتتحمَّل المسؤولية بين يدي الله تعالى.

* لذلك فإن الله تعالى أمر رسوله محمداً ﷺ وأتباعه من الدعاة الصادقين بنشر الرسالة الإسلامية، وتبليغها إلى الناس، وبيان عقيدتها وأحكامها وأخلاقها على بصيرة وعلم وفهم. قال تعالى: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [سورة يوسف].

والدعاة إلى الله تعالى هم روح الأمة ومستقبلها، بهم تحيا وتنهض، وبهم

تقوى ويشتدُّ عودها، وبهم تجدد شبابها وحيويتها.. هذا إن قاموا بواجباتهم، وأحسنوا الأداء، وحققوا الأهداف..أما إذا قصَّروا وتخلَّفوا فإنها تتخلَّف بتقصيرهم، وإذا انحرفوا فستُبتلى بهم...

*** وقد قلت في مقدمة كتاب الوصايا [1]: إنه لا يصلح للدعوة إلى الله تعالى إلا الدعاة المخلصون الربانيون...**

إن الدعاة الصادقين أصحابَ الإنجازات الكبيرة في تاريخ الدعوة، هم الذين أوتوا قلوباً منوَّرة مؤثرة حيَّة تتسع للحلم والصبر والتحمُّل..، وبصيرة نافذة تستشرف المستقبل وتتدبر العواقب، وألسنة متصلة بالقلوب تنطق بالحكمة وقوة البيان والبرهان فيستقر كلامهم في القلوب، يقتنع الناس بكمال أخلاقهم واستقامتهم قبل أن يقتنعوا بقوة حجتهم، تجلس إليهم وأنت قادم من عالم غريب عن قيمهم وطبائعهم، فيسري فيك نور دافئ يستقر في جنانك، وتنزل السكينة في قلبك وتسكن لهذا جوارحك، فتأنس بمجالستهم وترتاح لصحبتهم، فتقوم من مجلسهم إنساناً آخر غير الذي كنت، تشع من قلبك وعقلك أنوار الإيمان، وتتفجر في وجودك طاقة إيمانية لا تهدأ، تدفعك للدعوة إلى الله تعالى كما يَدْعون، وتنطق بالحكمة كما ينطقون، وتنطبع فيك أخلاقهم ومزاياهم وربانيتهم..، فتُعرف بهم..

إنهم أحباب الله وخاصته من خلقه، ممن اجتباهم الله تعالى واختارهم للدعوة إليه..، إنهم صنف عجيب من الناس، لا يهدأ لهم بال، ولا تفتر لهم عزيمة، في تبليغ رسالة الله تعالى، يخشونه ولا يخشون معه أحداً..

(١) كتاب الوصايا (للدعاة) ، للمؤلف.

يُـؤَثِّرون ولا يتَـأَثَّرون، ويَـصْبِغُون ولا ينـصبغون، يُعطـون ولا يأخـذون، يَمنحـون ولا يـسألون النـاس أجـراً.. مـستقيمون.. ورعـون ..ذاكـرون.. عاشقون لربهم.. قلوبهم حيَّة بالله تعالى، تفيض بالحياة على من حولها من موتى القلوب فتحيا بالله تعالى..، يواصلون العمل بالليل والنهار، وهم من خـشية ربهـم مـشفقون، وقلـوبهم وجلـة أنهـم إلـى ربهـم راجعـون، مطمئنـةٌ قلـوبهم بـذكر الله، وتتجـافى جنـوبهم عـن المـضاجع يـدعون ربهـم خوفـاً وطمعاً، يأنس بهم الليل وبه يأنسون، أصواتهم معروفة في عالم الملكوت.

يبعثـون روح الإسـلام فـي النـاس فتـصحو الأمـة مـن رقـدتها، وتـسري الحياة في عروقها، وتخضر أوراق مجدها، وتظهر ثمرات قوتها وكرامتها..

إنهم الربانيون من الدعاة.. وأما غيرهم فهم الأدعياء.

* ومع أن العالم يشهد في تاريخنا المعاصر صحوةً إسلاميةً مباركةً، بجهود الآلاف من الدعاة الربانيين على مدى عقود من الزمن.. إلا أنها تحتاج منا لجهود كبيرة تُبذل في اتجاهين:

الاتجاه الأول: دعم هذه الصحوة ورفدها بكل أسباب النجاح، وتنمية مواطن قوتها وتألقها، والارتقاء بمستوى أدائها.

والاتجاه الثاني: ترشيدها، وتصويبها، ومعالجة مواطن الضعف والخلل ومكامن العلل فيها.

* وقد قلت أيضاً في مقدمة كتاب المراجعات[1]: إن النجاحات يجب

(١) كتاب مراجعات في الفكر والعمل الدعوي، للمؤلف.

ألَّا تُلهينا عن إجراء مراجعات دائمة ونقد ذاتي لمسيرتنا الدعوية، وإن ضيق صدر بعض العاملين بهذا النقد الذاتي والتصويبات، أو ترحيب البعض بهذا نظرياً، ومحاربته عملياً وميدانياً، سيؤدي إلى ترسيخ الضعف والقصور في العمل الإسلامي الدعوي، وفشله في تحقيق أهدافه.

رؤية

إن عملية المراجعة والنقد الذاتي عملية بناء ونمو وتجديد..،
ورفضها ومحاربتها عملية هدم وضمور وجمود.

ويجب أن نفتح الباب لهذا الأمر على مصراعيه، وأن نُخضع أعمالنا الدعوية للبحث والدراسة والتمحيص والتقويم والإصلاح والتطوير، وندرب أبناء الدعوة على الحوار وتبادل الأفكار، ونجتهد في تحرير العقول، ونمكن لحرية التفكير واحترام الرأي الآخر، ونرسخ مفهوم الشورى في كل أعمالنا الدعوية، ونحترم القرارات الشورية **لكونها ملزمة**.

وعلينا التعامل مع الاجتهادات في مجال العمل الدعوي، بصفتها اجتهادات في الفروع، وخاضعة لقواعد السياسة الشرعية ومقاصد الشريعة، وهي قابلة للخطأ والصواب.. فلا يصح أن نكفر أحداً، ولا يصح الإنكار على المجتهد المخالف لنا في الفروع، فكل يؤخذ منه ويرد عليه إلا رسول الله ﷺ .

* إن أزمة الفكر التي يعاني منها العمل الدعوي الإسلامي، أشد خطراً من سائر أزماته، فبسببها يظهر التطرف والعنف، فنرى فئات من الشباب المسلم المتحمس ممن لا يملك مؤهلات قيادة العمل الإسلامي، وبخاصة الحكمة والجانب الفكري والعلمي..، يتزعم بعض الجماعات وينحو بها نحو التطرف والعنف مما يعرض العمل الإسلامي على نحوٍ عام للمخاطر الناجمة عن ردة فعل المعادين للإسلام، بهجومهم وحربهم على الإسلام دون تمييز،

تحت ذريعة محاربة العنف والتطرف والإرهاب. هذا الشباب المتحمس لم يستطع الاستفادةَ من الأحداث السابقة، والدروس والعبر المستفادة منها.

وبسبب أزمة الفكر التي يعاني منها العمل الإسلامي، يفشل المتطرفون في التعامل مع المسلمين وغير المسلمين..

فالتعامل مع المسلمين: يوجب عدم تكفيرهم، وعدم تفسيق المجتهد منهم المخالف في الرأي، ويوجب تحسين الظن بالمسلمين، وفتح حوارات معهم لكشف الحقيقة وإصلاح ما فسد.

والتعامل مع غير المسلمين: يوجب أن نتعامل معهم بالرحمة والرفق، وأن ندعوهم ونبين لهم حقائق الإسلام بالبرهان والدليل المقنع، وأن نصحح لهم المفاهيم الخاطئة التي حملوها عن الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن.

ويجب أن نتحلى بالصبر وقوة الإرادة بسبب مشقة المهمة وصعوبة تغيير قناعات الناس ومفاهيمهم الخاطئة، وأن نمتلك القدرة على تحمل الأذى وعدم مقابلة الإساءة بالمثل، وأن نأخذ بأيدي الناس البعيدين عن الإسلام إلى رحابه باللطف واللين والحكمة كما أخذ غيرنا بأيدينا فمَنَّ الله علينا بمعرفة الإسلام والعمل به.

وبسبب أزمة الفكر في العمل الدعوي، ظهرت فئات تتعامل بمنطق خشبي وجمود مع التراث، وتعيش منسلخةً من عصرها إلى عصر غيرها..

وبسبب أزمة الفكر هذه، ظهرت فئات قلوبها وعقولها قلوبٌ وعقولٌ غربيةٌ، ومتغربةٌ عن مجتمعاتنا وثقافتنا وقيمنا، تريدنا أن ننخلع من ديننا وقيمنا، وأن نستبدل بدمائنا دماء غربية، وبثقافتنا ثقافة غربية، آخذين بحلوها ومرها، وصحيحها وسقيمها..

* إن هذا الكتاب جهد متواضع للإسهام في دعم الصحوة الإسلامية، والارتقاء بها... من جهة، وترشيدها وتصويبها ومعالجة مواطن الضعف والخلل فيها من جهة أخرى.. وهو جهد يستند إلى خبرة مديدة فكرية وميدانيّة في العمل الدعوي الإسلامي وتربية الدعاة.. ويستند أيضاً إلى الجرأة الواجبة علينا في النقد الذاتي وإجراء المراجعات في أفكارنا وأساليبنا ووسائلنا وسلوكنا...

وهذا في اعتقادي سبيلُنا الذي يجب أن نلتزم به حتى نصحح سيرنا، ونرضي ربنا، ونحقق أهدافنا..

* وهذا الكتاب يبحث في طرائق الدعوة وقواعدها ووسائلها وأساليبها...

من دعوة الأفراد: بخصائصها وأساليبها..

إلى دعوة المجموعات: ببرامجها الروحية والأخلاقية والعلمية والعقلية والثقافية والحركية..

إلى الدعوة العامة: خطابةً وتدريساً، ومحاضرات وندوات وحوارات ومناظرات، وبرامج إعلامية عبر التلفاز وشبكات التواصل والمواقع الإلكترونية..

كما يبحث في دور التعليم العام والشرعي في الدعوة إلى الله تعالى، ودور النشاطات الفكرية كتابةً وتأليفاً، وفي ترشيد العمل الدعوي، والذود والدفاع عن الإسلام ومبادئه وقيمه في وجه أعدائه.

وكذلك دور النشاطات الثقافية في المسرح، وأدب المقالة والقصة والرواية، وتأليف الشعر والإنشاد في نشر الدعوة الإسلامية والتعريف بها، وإثارة العواطف لتنجذب إليها.

وأيضاً دور النشاطات الاجتماعية والخيرية والإغاثية..، وأثرها في تشكيل

المجتمعات الحاضنة للعمل الدعوي التي تتأثر به اعتقاداً وتأييداً، ويتأثر بها قوة ونجاحاً.

* وهذا الكتاب يبحث في طرائق الدعوة.

طريقة الحكمة: وقواعدها الدعوية، وهي طريقة لمخاطبة العقول.

وطريقة الموعظة الحسنة: وهي طريقة لمخاطبة العواطف والعقول..

وطريقة المجادلة بالتي هي أحسن: وهي طريقة تختص بالحوار والمناظرة ومغالبة الأفكار.

* وهذا الكتاب يبحث في أساليب الدعوة، من الحوار، إلى ضرب الأمثال، إلى الإقناع عن طريق الاستقراء والاستنتاج، إلى الدعوة بالقدوة والدعوة بالصحبة والملاحظة، إلى أسلوب الدعوة بالقصة والتوجيه المباشر وغير المباشر، إلى أسلوب الدعوة بالموعظة والترغيب، إلى أسلوب الدعوة بالثناء والمكافأة والهدية والخدمة وتفقد الأحوال وغيرها..

* وفي هذا الكتاب نقد ذاتي ومراجعات في الفكر والعمل الدعوي، بما يتعلق بموضوعاته..

* وهذا الكتاب جزء من سلسلة كتب تُعنى بموضوع الدعوة إلى الله تعالى، ستصدر خلال مدة قريبة بمشيئة الله تعالى، وهي:

١- مبادئ في فكر الدعوة الإسلامية.
٢- مراجعات في الفكر والعمل الدعوي الإسلامي.
٣- الوصايا. "للدعاة".

فقد غرستها منذ سنوات عديدة، فظهرت زهرتها، ونضجت ثمرتها، وأقبل خيرها، بفضل الله تعالى.

* إنني إذ أقدِّم هذه السلسلة لجيل الصحوة الإسلامية عموماً، وللدعاة إلى الله تعالى خصوصاً، أرجو من الله تبارك وتعالى أن يجعلها من العلم النافع الذي ينفعني في الدنيا والآخرة، وأن يجعل فيها بركاته، ونظرات سيدنا محمد ﷺ، وأن يكرمنا برؤية الأعمال الدعوية وقد نضجت ورشدت واشتدَّ عودها وحققت أهدافها..

وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم..

والحمد لله رب العالمين

محمَّد غسَّان الجبَّان
الجنيدي الحسيني

تمهيد

المطلب الأول: وجوب الدعوة.

المطلب الثاني: مقاصد الدعوة.

المطلب الأول: وجوب الدعوة.

- **إن الرسالة الإسلامية رسالة دعوية:**

بمعنى أن الدعوة إليها وتعريف الناس بها واجب ديني، وهو على نوعين:

١- واجب عام، عيني على كل المسلمين.

٢- واجب خاص، كفائي يقوم به علماء الأمة المتخصصون.

أولاً: الدعوة إلى الإسلام واجب عام عيني على كل المسلمين:

على المسلمين رجالهم ونسائهم حسب الاستطاعة والمعرفة، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتعريف العام بالإسلام، وجذب الناس إليه وتحبيبهم به بالقدوة الصالحة، ودعوتهم لأداء الفرائض، واجتناب المحرمات، وحثهم على حضور مجالس العلم، ومجالسة العلماء، ومصاحبة الصالحين.

- **القرآن الكريم يأمر المسلمين كافة بأداء واجب الدعوة إلى الإسلام:**

▪ يقول الله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [سورة يوسف]. فكل أتباع النبي ﷺ المتحققين باتباعه يجب أن يدعو إلى الله تعالى.

▪ ويقول الله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [سورة آل عمران]. فقد جعل الله تعالى الأمة الإسلامية في مقام الخيرية، بسبب إيمانها وأمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر، فإذا لم تقم الأمة الإسلامية بهذا الواجب، فقدت هذا المقام وهذه المكانة.

فقد روى ابن جرير الطبري عن قتادة قال: ((ذُكر لنا أن عمر بن الخطاب ﷺ قال في حجّة حجّها ورأى من الناس رِعَة سيئة[1]، فقرأ هذه ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ... ﴾ الآية. **ثم قال:** ((يا أيها الناس، من سرَّه أن يكون من تلك الأمة، فليؤدِّ شرط الله منها)).[2] وشرطها: الإيمان، ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أي الدعوة إلى الإسلام.

إضاءة

من أهم صفات الأمة الإسلامية أنها أمة الدعوة إلى الله تعالى..أمة يجتهد كل فرد فيها في تعريف الناس بالإسلام، ودلالتهم عليه، وتحبيبهم وإقناعهم به..
هل رأيت أمة كل أفرادها يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فيصنعون الأمة الفاضلة والعالم الفاضل؟!!..
إنهم المسلمون...
فأين المسلمون من هذا الواجب؟!!

■ وذم الله تعالى الذين يتركون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعل ذلك سبباً للعنة. قال تعالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [سورة المائدة].

■ وجعل الله تعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صفة من صفات المؤمنين الحقيقيين. قال تعالى: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ

(١) رعة سيئة: أي سوء ورع أو سوء أدب.
(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، (١٠٢/٧).

بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [سورة التوبة].

■ وجعل الله تعالى الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف صفة من صفات المنافقين. قال تعالى: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [سورة التوبة].

■ وجعل النهي عن المنكر سبباً للنجاة من العذاب عند نزوله. قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ ﴾ [سورة الأعراف].

● **النبي ﷺ يأمر المسلمين كافة بأداء واجب الدعوة:**

■ **يقول النبي ﷺ** داعياً إلى إنكار المنكر: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»(١).

■ **ويقول النبي ﷺ** مثنياً على من يدعو ويبلغ تعاليم الإسلام : «نَضَّرَ الله امرأً سَمِعَ منَّا شيئاً فبلَّغَهُ كما سَمِعَ فربَّ مُبلَّغٍ أوعى من سامعٍ»(٢).

■ وينبه النبي ﷺ إلى أن عماد الدين وقوامه النصيحة، **فيقول**: « الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: « لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»(٣).

(١) أخرجه مسلم في"صحيحه"برقم [٤٩] (ص/٥١).
(٢) أخرجه الترمذي في "صحيحه" برقم [٢٦٥٧] (ص/٤٣٠) وقال هذا حديث حسن صحيح.
(٣) أخرجه مسلم في"صحيحه"برقم [٥٥] (ص/٥٤).

■ **ويقول النبي** ﷺ آمراً سيدنا علي -كرم الله وجهه- بالدعوة إلى الإسلام، ومبيناً عظم ثواب هداية الناس إلى الإسلام: « ...انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ، حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلاً خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»[1]. وفي رواية لمسلم: «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً ... »[2]

■ ويحذر النبي ﷺ من ترك واجب الدعوة، **فيقول**:« وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ»[3].

■ وينبه النبي ﷺ إلى أن نجاة الأمة بالدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإذا غفلت وتركت المنكر يستشري بين الناس فالهلاك ينتظرها.. **يقول النبي** ﷺ: «مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا[4] عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنْ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا. فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ[5] نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعاً»[6].

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٣٠٠٩] (ص/٥٧٦).
(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم [٢٤٠٦] (ص/٩٨٠).
(٣) أخرجه الترمذي في "سننه" برقم [٢١٦٩](ص/٣٦٠)، وهو حسن.
(٤) استهموا :أي اقترعوا ليأخذ كل منهم سهماً أي نصيباً .
(٥) أخذوا على أيديهم : أي منعوهم من خرق السفينة.
(٦) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٢٤٧١] (ص/٤٧١).

ثانياً: الدعوة إلى الإسلام واجب خاص كفائي:

يلتزم به العلماء المتخصصون بالشريعة والفكر الإسلامي والدعوة، وذلك:

١- لبيان أحكام الإسلام.

٢- إيجاد الحلول الشرعية للأمور المستجدة في حياة المسلمين.

٣- دفع الشبهات الفكرية والعقائدية التي يبثُّها أعداء الإسلام لتخريب عقيدتهم وتوهين التزامهم الإسلامي.

٤- القيام بدعوة غير المسلمين إلى الإسلام.

٥- تقديم الرأي الإسلامي في مجالس الشورى.

٦- تقديم الدراسات اللازمة لإقامة نظام حياة إسلامية راشدة.

٧- تحصين وحماية الإسلام من الانحرافات، والتجاوزات، والإفراط، والتفريط، والاختراقات، والبدع ..

٨- أمور أخرى اجتهادية تحتاجها الأمة الإسلامية في أمورها الدينية والدنيوية.

● يؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[سورة التوبة] .

فالآية تشير إلى لزوم التخصص في المجتمع الإسلامي، فئة تتخصص بالجهاد، وفئة تتخصص بالعلوم الإسلامية وأحكام الشريعة والدعوة،وفئات تتخصص بأمور أخرى. ويستنتج من ذلك ضرورة تفرغ متخصصين لكل شأن من شؤون الأمة الإسلامية سواء على المستوى الاجتماعي أم الاقتصادي أم السياسي أم الصحي إلى آخره من الاختصاصات..

- ويقــول الله تعــالى ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [سورة آل عمران].

والدعوة إلى الخير: أي الدعوة إلى الإسلام الذي فيه صلاح أمر الناس في كل شؤونهم الدينية والدنيوية.

والأمر بالمعروف : هو الأمر بكل ما يستحسنه الدين والعقل السليم المتحرّر من أهواء النفس.

والنهي عن المنكر: هو النهي عن كل ما يستقبحه الدين والعقل السليم المتحرّر من أهواء النفس..

المطلب الثاني: مقاصد الدعوة.

١- دلالة الناس على الله تعالى، وتعريفهم به، وترسيخ محبته في قلوبهم.
٢- ربط الناس بالنبي ﷺ ، وتعريفهم به، وترسيخ محبته في قلوبهم.
٣- تعريف الناس برسالة الإسلام، وإقناعهم بها، وتبليغهم أحكامها.
٤- دعوة الناس للالتزام برسالة الإسلام سلوكاً وعملاً، ثم تبنيها ونصرتها، والدعوة إليها.
٥- جعل الإسلام منهج حياة للأمة، وإقامة المجتمع الإسلامي.
٦- الدفاع عن الرسالة والرسول وإجهاض أهداف الأعداء وافتراءاتهم.
٧- تحقيق مصالح الناس في الدنيا والآخرة، ودرء المفاسد عنهم،.. والمصلحة ما أقرَّ الإسلام بصلاحها، والمفسدة ما أقرَّ الإسلام بفسادها.
٨- معذرة إلى الله تعالى، ولعل الناس يتقون.
٩- إصلاح النفوس وتزكيتها.
١٠- نشر الرحمة في العالمين.

بسم الله ما شاء الله
لا قوة إلا بالله

الفصل الأول

طرائق الدعوة

المبحث الأول : طريقة الدعوة بالحكمة.

المبحث الثاني : طريقة الدعوة بالموعظة الحسنة

المبحث الثالث : طريقة الدعوة بالحوار والمجادلة بالتي هي أحسن.

طرائق الدعوة إلى الله تعالى

تمهيد:

يقول الله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [سورة النحل].

فطرائق الدعوة حسب الآية الكريمة، ثلاث:

١- الحكمة.

٢- الموعظة الحسنة.

٣- المجادلة بالتي هي أحسن.

يقول ابن قيم الجوزية: ((أطلق - أي الله تعالى- **الحكمة** ولم يقيدها بوصف الحسنة. إذ كلها حسنة ووصف الحسن لها ذاتي. وأما **الموعظة** فقيدها بوصف الإحسان. إذ ليس كل موعظة حسنة. وكذلك **الجدال** قد يكون بالتي هي أحسن وقد يكون بغير ذلك. وهذا يحتمل أن يرجع إلى حال المجادل وغلظته ولينه، وحدته ورفقه، فيكون مأموراً بمجادلتهم بالحال التي هي أحسن))[1].

إن الطبيعة الإنسانية مجبولة على جوانب عدة:

١- الجانب العقلي.

(١) مدارج السالكين لابن قيم الجوزية، (١/٤٤٥) .

٢- الجانب الوجداني.

٣- الجانب الروحي.

فالجانب العقلي قائم على التفكير ومحاكمة الأمور، فهو يتأثر بالبراهين والأدلة والحجج، ويكون هذا عن طريق الإقناع بالحكمة، وعن طريق المجادلة والمناظرة بالتي هي أحسن.

والجانب الوجداني قائم على العواطف والمؤثرات النفسية، فهو يتأثر بالمواعظ والرقائق والوجدانيات، ويكون هذا عن طريق الموعظة الحسنة.

والجانب الروحي عند الإنسان يتأثر بالفيوضات والمواجيد الناتجة عن مراقبة الله تعالى والشعور بمعيته وذكره وعبادته والتقرب إليه بما يحب من النوافل، وكذلك محبة الصالحين ومجالستهم وصحبتهم والاقتداء بهم..

يقول ابن عادل الدمشقي في تفسيره: ((واعلم أنه - تعالى - أمر رسول الله ﷺ أن يدعو النَّاس بأحد هذه الطرق الثلاثة، وهي: بِالْحِكْمَةِ، وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، والمجادلة بالطريق الأحسن، وذكر - تعالى - هذا الجدل في آية أخرى، فقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [سورة العنكبوت:٤٦] ولـمَّا ذكر الله تعالى هذه الطرق الثلاثة، وعطف تعالى بعضها على بعض وجب أن تكون طرقاً متغايرة))[1].

وقد خصص بعض العلماء كل طريقة من هذه الطرائق لصنف من الناس على حسب أحوالهم.

يقول ابن قيم الجوزية: ((فذكر سبحانه مراتب الدعوة، وجعلها ثلاثة

(١) تفسير اللباب لابن عادل الدمشقي، (١٢/١٨٧).

أقسام بحسب حال المدعو فإنه:

- إما أن يكون طالباً للحق، راغباً فيه، محباً له، مؤثراً له على غيره، إذا عَرَفَه فهذا يُدعى بالحكمةِ، ولا يحتاج إلى موعظةٍ ولا جدالٍ.
- وإما أن يكون مُعرضاً، مشتغلاً بضدِّ الحق، ولكن لو عَرَفه، عَرَفه وآثره واتبعه، فهذا يحتاج مع الحكمة إلى الموعظة بالترغيب والترهيب.
- وإما أن يكون معانداً معارضاً، فهذا يجادل بالتي هي أحسن))[1].

ويقول: ((وأما ما ذكره بعض المتأخرين: أن هذا إشارة إلى أنواع القياسات **فالحكمة** هي طريقة البرهان، **والمَوعِظَة الحسنَة** هي طريقة الخطابة، **والمجادلة بالتي هي أحسن** طريقة الجدل.

فالأول: بذكر المقدمات البرهانية لمن لا يرضى إلا بالبرهان ولا ينقاد إلا له، وهم خواص الناس. **والثاني**: بذكر المقدمات الخطابية التي تثير رغبة ورهبة لمن يقنع بالخطابة، وهم الجمهور. **والثالث**: بذكر المقدمات الجدلية للمعارض الذي يندفع بالجدل، وهم المخالفون))[2].

والذي أراه من خلال خبرتي العملية: أن الداعي يحتاج إلى هذه الطرائق الثلاث، ممتزجة على نحو نسبي، يزيد في إحداها، وينقص من الأخرى على حسب الحاجة، دون الفصل بينها بحدود قاطعة، وذلك على حسب حال المدعوين.

فالموعظة الحسنة بالترغيب والترهيب، لا يمكن فصلها عن الحكمة بالأسلوب والدليل والبرهان.

والمجادلة بالتي هي أحسن، تقوم أساساً على قواعد الحكمة والأدلة والبراهين.

(١) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن قيم الجوزية، (١٢٧٦/٤).
(٢) مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية، (٤٤٦/١).

المبحث الأول
طريقة الدعوة بالحكمة

المطلب الأول : تعريف الحكمة.

المطلب الثاني: من قواعد الحكمة في الدعوة.

- **القاعـــدة الأولى:** من الحكمة في الدعوة: تعليم الإيمان قبل الأحكام.
- **القاعـدة الثانيـة :** من الحكمة في الدعوة: تقديم الأصول على الفروع.
- **القاعـدة الثالثـة:** مـن الحكمـة في الـدعوة: التـوازن بـين الترغيـب والترهيب، والخوف والرجاء.
- **القاعـدة الرابعـة:** من الحكمة في الدعوة: مراعاة أحوال المدعوين.
- **القاعدة الخامسة:** من الحكمة في الدعوة: أن نكون دعاة، لا قضاة.
- **القاعـدة السادسة:** من الحكمة في الدعوة: الربانية، لا الرهبانية.
- **القاعـدة السابعة:** من الحكمة في الدعوة: العلم، لا الجهل.
- **القاعـدة الثامنـة:** من الحكمة في الدعوة: العقلانية، لا الحماقة.
- **القاعـدة التاسـعة:** من الحكمة في الدعوة: التأني، لا الاستعجال.

- **القاعـــــدة العاشـــــرة:** من الحكمة في الدعوة: التفاؤل والأمل، لا اليأس والقنوط.
- **القاعدة الحاديـة عشرة :** مـــن الحكمـــة في الـــدعوة: المـــداراة، لا
- **القاعـدة الثانيـة عـشرة :** مـن الحكمـة في الـدعوة: اللـين واللطـف والرفق، لا الفظاظة والغلظة والشدة.
- **القاعـدة الثالثـة عـشرة :** من الحكمة في الدعوة: الكلمة الطيبة، لا الخبيثة.
- **القاعـدة الرابعـة عـشرة :** من الحكمة في الدعوة: العفو والصفح، لا المحاسبة والمؤاخذة والانتقام.
- **القاعدة الخامسة عشرة :** من الحكمة في الدعوة: الحلم، لا الغضب.
- **القاعدة السادسة عشرة :** من الحكمة في الدعوة: التودد والتحبب، لا الاستعداء.
- **القاعدة السابعة عشرة :** مـــن الحكمـــة في الـــدعوة: التيـــسير، لا
- **القاعدة الثامنة عشرة :** من الحكمة في الدعوة: التبشير، لا التنفير.
- **القاعدة التاسعة عشرة :** من الحكمة في الدعوة: التواضع، لا التكبر والغرور والعجب والتفاخر.
- **القاعـدة العـشـــرون :** من الحكمة في الدعوة: الصبر، لا الجزع.

طريقة الدعوة بالحكمة

المطلب الأول: تعريف الحكمة.

الحكمة من أهم طرائق الدعوة إلى الله تعالى، بإتقانها تنجح الدعوة وتنتشر وتترسخ، وبفقدانها تفشل الدعوة وتتقلص وتضعف.

يقول ابن سعدي في تفسير قول الله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ ﴾: ((أي: ليكن دعاؤك للخلق، مسلمِهم وكافرِهم إلى سبيل ربك المستقيم المشتمل على العلم النافع والعمل الصالح أي: ﴿ بِٱلۡحِكۡمَةِ ﴾ كل أحد على حسب حاله وفهمه وقبوله وانقياده. ومن الحكمة: الدعوةُ بالعلم لا بالجهل، والبداءةُ بالأهمِّ فالأهم، وبالأقربِ إلى الأذهان والفهم، وبما يكون قبوله أتم، وبالرفق واللين..)) [1].

ويقول ابن قيم الجوزية: ((وأحسنُ ما قيل في الحكمة قولُ مجاهد ومالك : إنها معرفة الحق، والعمل به، والإصابة في القول والعمل، وهذا لا يكون إلا بفهم القرآن والفقه في شرائع الإسلام وحقائق الإيمان.

والحكمة حكمتان: علميَّة وعمليَّة..

فالعلمية: الاطلاع على بواطن الأشياء ومعرفة ارتباط الأسباب بمسبباتها خلقاً وأمراً، قدراً وشرعاً. **والعلمية** كما قال صاحب المنازل[2] :

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لابن سعدي، (ص/٤٥٢).

(٢) صاحب "منازل السائرين" : هو أبو إسماعيل، عبد الله بن محمد بن علي الهروي الحنبلي الصوفي، (المتوفى سنة: ٤٨١هـ)، وقد شرح كتابه المذكور، الإمام ابن قيم الجوزية، (المتوفى =

وهي وضع الشيء في موضعه.

قال: **وهي على ثلاث درجات:**

الدرجة الأولى : أن تعطي كل شيء حقه، ولا تعديه حدَّه، ولا تعجله عن وقته، ولا تؤخره عنه.

لما كانت الأشياء لها مراتب وحقوق تقتضيها شرعاً وقدراً، ولها حدود ونهايات تصل إليها ولا تتعدّاها، ولها أوقات لا تتقدم عنها ولا تتأخر ،كانت الحكمة مراعاة هذه الجهات الثلاثة، بأن تعطي كل مرتبة حقها الذي أحقه الله لها بشرعه وقدره، ولا تتعدى بها حدها فتكون متعدياً مخالفاً للحكمة، ولا تطلب تعجيلها عن وقتها فتخالف الحكمة، ولا تؤخرها عنه فتفوتها، وهذا حكمٌ عامٌ لجميع الأسباب مع مسبباتها شرعاً وقدراً فإضاعتها تعطيل للحكمة))[1] .

حقيقة

فالحكمة إذاً: فِعْلُ ما ينبغي، على الوجه الذي ينبغي، وفي الوقت الذي ينبغي.

الدرجة الثانية : أن تشهد نظر الله في وعده، وتعرف عدله في حكمه، وتلحظ برَّه في منعه، أي تعرف الحكمة في الوعد والوعيد. [2].

الدرجة الثالثة : أن تبلغ في استدلالك البصيرة، وفي إرشادك الحقيقة، وفي إشارتك الغاية، يريد أن تصل باستدلالك إلى أعلى درجات العلم، وهي البصيرة التي تكون نسبة العلوم فيها إلى القلب كنسبة المرئي إلى البصر، وهذه

سنة: ٧٥١هـ)، وسمّاه مدارج السالكين ، بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين.

(١) مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية، (٢/٤٧٨وما بعدها).

(٢) المصدر السابق، (٢/٤٨٠).

هي الخصيصة التي اختص بها الصحابة عن سائر الأمة، وهي أعلى درجات العلماء، قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [سورة يوسف] أي: أنا وأتباعي على بصيرة. وقيل: ومن اتبعني عطف على المرفوع بأدعو، أي: أنا أدعو إلى الله على بصيرة ومن اتبعني كذلك يدعو إلى الله على بصيرة. وعلى القولين: فالآية تدل أن أتباعه هم أهل البصائر الداعين إلى الله على بصيرة، فمن ليس منهم فليس من أتباعه على الحقيقة والموافقة، وإن كان من أتباعه على الانتساب والدعوى))[1].

المطلب الثاني: من قواعد الحكمة في الدعوة.

• القاعدة الأولى:
من الحكمة في الدعوة: تعليم الإيمان قبل الأحكام.

لأن الإيمان إذا استقر في القلب انقادت له الجوارح طائعة مسرورة لتطبيق الأحكام.. وكيف يمكن تعليم الأحكام لإنسان غير مؤمن أصلاً أو في إيمانه ضعف؟!!

فائدة

لا بدَّ من إيقاظ الإيمان أولاً في القلب، فإذا انتعشت القلوب بالإيمان الحي هان على أصحابها الاستجابة لأحكام الإسلام، بل ينتقل هؤلاء من حال الاستجابة إلى حال السرور واللذة بتطبيق الأحكام، ولما كان تطبيق الأحكام يحتاج إلى صبرٍ وجَلَدٍ وقَرَ الإيمان العميق في القلب ما يحتاجه هذا الإنسان لتحمل المشقة.

(١) المصدر السابق، (٢/٤٨١وما بعدها).

لذلك أمرنا الله تعالى بالإيمان ثم بالعمل على تطبيق الأحكام، فقال تعالى: ﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [سورة إبراهيم].

فالذين آمنوا هم الذين يقيمون الصلاة وينفقون..

وينبهنا الله تعالى إلى أن الاتعاظ بكلام الله تعالى والعمل بما أمر به من أحكام مشروطٌ بالإيمان، فيقول: ﴿ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ [سورة الطلاق:٢].

ولقد سار النبي ﷺ على هذه القاعدة فزرع الإيمان في قلوب أصحابه، وغذاها بمحبة الله ومعرفته والصلة به ومراقبته على كل حال، فلما آمنوا وحَسُنَ إيمانهم، وأحبوا ربهم، عندها بدأ يعلمهم الأحكام ويأمرهم بها.

لقد بقي الصحابة مدة ستة عشر عاماً بعد بعثة النبي ﷺ والخمر مباحة لم تحرم عليهم، فلما حبب الله تعالى إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم وكَرَّهَ إليهم الكفر والفسوق والعصيان، وامتلكوا الرشد في الفهم والعمل، أمرهم باجتنابها فتركوها ملبين مندفعين بلا تردد..

تقول السيدة عائشة –رضي الله عنها–: ((إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ –أي من القرآن الكريم– سُورَةٌ مِنْ الْمُفَصَّلِ[1]، فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الْإِسْلَامِ، نَزَلَ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ، وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ: لَا تَشْرَبُوا الْخَمْرَ.

(١) المفصَّل: هي السور المحكمة، وإنما سُميت بالمفصل لكثرة السور والفصول فيه، وسُميت بالمحكم أيضًا؛ لأن أكثره لا نسخ فيه.

لَقَالُوا: لَا نَدَعُ الْخَمْرَ أَبَداً. وَلَوْ نَزَلَ: لَا تَزْنُوا لَقَالُوا: لَا نَدَعُ الزِّنَى أَبَداً)) [1].

ولقد نبَّه سيدنا عمر ﷺ إلى أهمية هذه القاعدة، **فقال**: ((لقد عِشنا برهةً من دهرنا، وإن أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن وتنزل السورة على محمد ﷺ، فيتعلم حلالها وحرامها وما ينبغي أن يوقف عنده فيها كما تعلمون أنتم القرآن. ثم قال: لقد رأيت رجالاً يؤتى أحدهم القرآن فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته ما يدري ما أمره ولا زاجره ولا ما ينبغي أن يوقف عنده منه، ينثره نثر الدَّقَلِ [2]))[3].

سؤال

ولنا أن نتساءل بعد أن وثقنا هذه القاعدة وأكَّدناها:

ما بال بعض الدعاة الذين يذهبون للدعوة في الغرب عامة، لا يبذلون الجهد الكبير في تطبيق هذه القاعدة؟!..

لماذا يستعجلون الدعوة إلى الأصول من الأحكام بل إلى الفروع من الأحكام، ولمَّا يستقر الإيمان في القلوب، ولم تتذوق حلاوتَه الأرواح؟!!..

بل إن تعجب فعجب بحثهم وتأكيدهم على بعض الأمور المتعلقة بالمظاهر، كإعفاء اللحية، وتقصير الثوب، بل الأعجب من كل ذلك إدخال هؤلاء المدعوين في معركة البدع، ولما ينضج إيمانهم ويتعمق علمهم.. بل إدخالهم في معارك طاحنة مع فئات إسلامية أخرى كالأشعرية والصوفية تفسيقاً وتكفيراً!!..

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٤٩٩٣](ص/٩٩٣).

(٢) ينثره نثر الدَّقَلِ : أي يَرْمُونَ بِكَلِمَاتِهِ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ وَتَأَمُّلٍ كَمَا يُرْمَى الدَّقَلُ، وَهُوَ رَدِيءُ التَّمْرِ، فَإِنَّهُ لِرَدَاءَتِهِ لَا يُحْفَظُ وَيُلْقَى مَنْثُوراً.

(٣) أخرجه الحاكم في "مستدركه" برقم [١٠١](٨٣/١)، وصححه، ووافقه الذهبي.

هل هذا يتوافق مع سبيل النبي ﷺ ومن اتبعه بالدعوة إلى الله تعالى على بصيرة وحكمة؟!!..

• القاعدة الثانية:
من الحكمة في الدعوة: تقديم الأصول على الفروع.

فيجب تقديم الأصول في العقيدة على فروعها، وتقديم الأصول والفرائض في العبادات على سُننها، وسُننها على نوافلها، ونوافلها على مستحباتها. وتقديم الأصول والأركان في المعاملات على سُننها ومستحباتها، وهكذا في كل أمر من أمور الإسلام...

فمثلاً: نقدم تعليم محبة الله تعالى، والتوحيد الخالص وعدم الإشراك بالله تعالى على بحث: هل خلق الله تعالى العرش أولاً أم القلم، و هل الملائكة أفضل أو البشر؟!..

ونقدم تعليم الأركان والكليات الفقهية على الخلافيات؛ لأنها من الفروع وليست من الأصول، وهي محل خلاف بين الفقهاء.

فليس من المعقول أن نبحث مع الناس أن المصافحة بعد صلاة الجماعة بدعة!!. وأن الأذكار الجماعية بعد صلاة الجماعة بدعة!!. وأن الصلاة على النبي ﷺ بعد انتهاء الأذان بدعة!!. وأن صلاة التراويح عشرين ركعة بدعة!!..وكل ذلك موضع خلاف واجتهاد؛ فندخِلَ عموم المسلمين في نزاع وخلاف تحزبي تفسيقي، وليس في خلاف علمي هادئ بين أهل الاختصاص..

في حين نهمل أعظم واجب وهو توحيد كلمة المسلمين، وائتلاف قلوبهم، ورصُّ صفوفهم، وتمكين المودة بينهم، ليكونوا كالبنيان المرصوص في مواجهة

أعدائهم، والدفاع عن إسلامهم، وبناء مجدهم، وعزة أمتهم، ونهضة شعوبهم..

سؤال

وإنني أسأل: أيهما يستحق العناية أكثر وبذل جهد أكبر ؟!..

بيان حكم المصافحة بعد الصلاة وعدد ركعات التراويح، أم بيان حكم تخلُّف الأمة عن القيام بواجب تأمين كافة الاختصاصات العلمية والتكنولوجية والزراعية والصناعية... التي تتوقف عليها نهضة الأمة!!..

بل أقول: صلِّ التراويح ثماني ركعات، أو خذ باجتهاد سيدنا عمر بن الخطاب وصلِّها عشرين، أو اترك هذه السنة، فذلك أيسر من أن تفرق كلمة المسلمين، وتكون سبباً بنشر العداوة والبغضاء بينهم.

• القاعدة الثالثة:

من الحكمة في الدعوة: التوازن بين الترغيب والترهيب، والخوف والرجاء.

إن الداعي الحكيم يوازن بين المواعظ المبنية على الترغيب والمبنية على الترهيب، فلا يُكثر من الترهيب والتخويف فيؤدي إلى النفور، ولا يُكثر من الترغيب والرجاء فيؤدي إلى الفتور والاتكال..

وقد أمرنا النبي ﷺ أن نبشر، **فقال**: «يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا» [1].

وأفضل الأحوال أن يرغب الداعي اليائسين من قبول التوبة، فيأتيهم

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٦٩](ص/٣٩)، ومسلم في "صحيحه" برقم [١٧٣٤](ص/٧٢١)، واللفظ للبخاري.

بالآيات المشجعة على التوبة والإنابة وعدم القنوط، ويُرهب ويخوف الآمنين من مكر الله تعالى، المتَّكلين على تقصيرهم، فيحذرهم من التقصير والتفريط والتأخر بالرجوع عن الذنوب.. وهذا هو الأسلوب المتوازن الذي اعتمده القرآن الكريم.

يقول الله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [سورة الحجر].

ويقول تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾﴾ [سورة الزمر].

والناظر في مواعظ النبي ﷺ لأصحابه يجد أنها متوازنة بين الترغيب والترهيب، وبين تنمية الخوف والرجاء في نفوسهم -رضي الله عنهم-.

فكان النبي ﷺ يخوف أصحابه ويرهبهم من الظلم، **فيقول**: «إِنَّ اللَّهَ

لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ. قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [سورة هود]»[1].

ويخوفهم من قتل النفس التي حرم الله، **فيقول**: «قَتْلُ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ زَوَالِ الدُّنْيَا»[2].

ويخوفهم من إيذاء أولياء الله تعالى، **فيقول**: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيّاً فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ»[3].

وكان النبي ﷺ يرغب أصحابه وينمي الرجاء في قلوبهم، **فيقول**: «لَلَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ رَجُلٍ نَزَلَ مَنْزِلًا وَبِهِ مَهْلَكَةٌ، وَمَعَهُ رَاحِلَتُهُ عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ، فَنَامَ نَوْمَةً، فَاسْتَيْقَظَ، وَقَدْ ذَهَبَتْ رَاحِلَتُهُ، حَتَّى إِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْحَرُّ وَالْعَطَشُ أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ، قَالَ: "أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِي". فَرَجَعَ فَنَامَ نَوْمَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَإِذَا رَاحِلَتُهُ عِنْدَهُ»[4].

إضاءة

إن الله تعالى جبل نفوس الناس على الخوف والرجاء، فمن أدرك من الدعاة هذه الفطرة وتعامل معها حسب منهج الله تبارك وتعالى، استطاع أن يحقق أفضل النتائج..

وهذا أسلوبٌ ترتاح له النفوس، وتنجذب له القلوب، فتتعظ وتنصلح وتجتهد.

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٤٦٨٦](ص/٨٩٧)، ومسلم في "صحيحه" برقم [٢٥٨٣](ص/١٠٤٠)، واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه النسائي في "سننه" برقم [٣٤٣٧](٤١٧/٣)، وهو صحيح.

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٦٥٠٢](ص/١٢٤٧).

(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٦٣٠٨](ص/١٢١٣)، ومسلم في "صحيحه" برقم [٢٧٤٤](ص/١٠٨٩)، واللفظ للبخاري.

• القاعدة الرابعة:
من الحكمة في الدعوة: مراعاة أحوال المدعوين.

المدعوون هم الشريحة التي تستهدفهم الدعوة، والله تعالى شرَّع الدعوة من أجلهم، والناس مختلفون في طبائعهم ونفسياتهم واستعدادهم، وثقافاتهم وعقولهم، وأخلاقهم وأوضاعهم الاجتماعية، فليس من الحكمة أن نخاطبهم جميعاً بأسلوب واحد، لذا يجب على الدعاة مراعاة هذه الاختلافات عند توجههم بالخطاب الدعوي إلى الناس..

فليس من المعقول أن يخاطب الداعي مجتمعاً من المثقفين كما يخاطب مجتمعاً من العوام.

وليس من المعقول أن يخاطب الداعي مجتمعاً من الكهول كما يخاطب مجتمعاً من الشباب.

وليس من المعقول أن يخاطب الداعي المدعوين بموضوعات مصبوبة في قوالب خشبية لا تتغير، في كل زمان ومكان، وعلى مختلف شرائح الناس المتنوعة ومستوياتهم المختلفة.

واجب

يجب مراعاة صفات وخصائص وطباع وعقول المدعوين ومخاطبتهم على قدر عقولهم.

▪ أنواع المدعوين:

فمن المدعوين: **العاقل**، الذي يحتاج إلى خطاب عقلاني مؤيد بالدليل والبرهان والحجة، ومحاكمة الأمور ومناقشتها وتمحيصها..

ومنهم: **العاطفي**، ذو الإحساس المرهف، الذي يتأثر بشدة بالخطاب العاطفي والإيحاء النفسي.

ومنهم: **المثقف**، الذي يحتاج إلى خطاب ثقافي واسع معمق.

ومنهم: **العالم**، فليس من الحكمة أن تخاطبه بما يعلم، وبما لا يحتاج إليه.

ومنهم: **غير العالم**، فليس من الحكمة أن تخاطبه بعلوم تخصصية لا يفقه منها شيئاً.

ومنهم: **المؤمن**، فليس من الحكمة أن تدعوه إلى الإيمان بالله تعالى.

ومنهم: **الكافر**، فليس من الحكمة أن تخاطبه بأمور شكلية تتعلق باللحية والثوب والسواك، أو تحدثه عن أحكام الصلاة والحج والصيام..

ومنهم: **المُقْبلون المندفعون المجتهدون**، فليس من الحكمة أن تحثهم على الأخذ بعزائم الأمور، وعلو الهمة..

ومنهم: **المُدبرون المعرضون المقصرون**، فليس من الحكمة أن تخاطبهم بخطاب المجتهدين الملتزمين.

ومنهم الفقراء ومنهم الأغنياء..

ومنهم الطائعون ومنهم العصاة..

ومنهم الحاكمين ومنهم المحكومين..

ومنهم المسلمون ومنهم أهل الكتاب..

- **مراعاة أحوال المدعوين في القرآن الكريم:**

* لقد خاطب الله تعالى **المسلمين المجتهدين**، فقال: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [سورة السجدة].

* وخاطب **المسلمين المقصرين**، فقال: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن

رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [سورة آل عمران].

* وخاطب **العصاة المذنبين**، فقال: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [سورة الزمر].

* وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾ [سورة التحريم].

* وقال تعالى: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾ [سورة الحجر].

* وخاطب **أهل الكتاب**، فقال: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [سورة آل عمران].

* وخاطب **المنافقين** الذين استأذنوا النبي ﷺ بعدم الخروج إلى الجهاد، فقال: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ

عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ٱبۡتَغَوُاْ ٱلۡفِتۡنَةَ مِن قَبۡلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلۡأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَظَهَرَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡۖ وَإِن تُصِبۡكَ مُصِيبَةٞ يَقُولُواْ قَدۡ أَخَذۡنَآ أَمۡرَنَا مِن قَبۡلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمۡ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [سورة التوبة].

* وخاطب **المشركين**، فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ [سورة الأعراف].

* وقال تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [سورة الأحقاف].

- **مراعاة أحوال المدعوين في السنة المطهرة:**

* قام النبي ﷺ بتوزيع غنائم حنين على المؤلفة قلوبهم من ضعفاء الإيمان، بينما لم يُعط شيئاً للمجاهدين من الأنصار، فعتبوا..، فخاطبهم النبي ﷺ بما يناسب حالهم، ودعا لهم، فبكَوا حتى أَخْضَلوا لِحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله قسماً وحظاً...

قال ابن إسحاق: ((وَأَعْطَى رَسُولُ اللّهِ ﷺ الْمُؤَلّفَةَ قُلُوبُهُمْ وَكَانُوا أَشْرَافاً

مِنْ أَشْرَافِ النّاسِ يَتَأَلّفُهُمْ وَيَتَأَلّفُ بِهِمْ قَوْمَهُمْ.)) [1].

وقال ابن هشام: ((لَمّا أَعْطَى رَسُولُ اللّهِ ﷺ مَا أَعْطَى مِنْ تِلْكَ الْعَطَايَا، فِي قُرَيْشٍ وَفِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ وَلَمْ يَكُنْ فِي الْأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ، وَجَدَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ الْأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِهِمْ، حَتّى كَثُرَتْ مِنْهُمْ الْقَالَةُ [2]، حَتّى قَالَ قَائِلُهُمْ: "لَقَدْ لَقِيَ وَاَللّهِ رَسُولُ اللّهِ قَوْمَهُ" فَدَخَلَ عَلَيْهِ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ ، فَقَالَ:" يَا رَسُولَ اللّهِ إنّ هَذَا الْحَيّ مِنْ الْأَنْصَارِ قَدْ وَجَدُوا عَلَيْك فِي أَنْفُسِهِمْ لِمَا صَنَعْت فِي هَذَا الْفَيْءِ الذي أصبتَ، قسمتَ في قومك، وأعطيت عطايا عظاماً في قبائلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَكُ فِي هَذَا الْحَيّ مِنْ الْأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ." **قَالَ**: «فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ؟» قَالَ:" يَا رَسُولَ اللّهِ مَا أَنَا إلّا مِنْ قَوْمِي." **قَالَ**:« فَاجْمَعْ لِي قَوْمَك فِي هَذِهِ الْحَظِيرَةِ.» قَالَ: فَخَرَجَ سَعْدٌ فَجَمَعَ الْأَنْصَارَ فِي تِلْكَ الْحَظِيرَةِ. قَالَ: فَجَاءَ رِجَالٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ فَتَرَكَهُمْ فَدَخَلُوا، وَجَاءَ آخَرُونَ فَرَدّهُمْ. فَلَمّا اجْتَمَعُوا لَهُ أَتَاهُ سَعْدٌ فَقَالَ:" قَدْ اجْتَمَعَ لَك هَذَا الْحَيّ مِنْ الْأَنْصَارِ." فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللّهِ ﷺ فَحَمِدَ اللّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمّ **قَالَ**: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ: مَا قَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ وَجِدَةٌ[3] وَجَدْتُمُوهَا عَلَيّ فِي أَنْفُسِكُمْ؟ أَلَمْ آتِكُمْ ضُلّالاً فَهَدَاكُمُ اللّهُ، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللّهُ، وَأَعْدَاءً فَأَلّفَ اللّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟!» قَالُوا : بَلَى، اللّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنّ وَأَفْضَلُ. ثُمّ **قَالَ**: « أَلَا تُجِيبُونَنِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ؟» قَالُوا : بِمَاذَا نُجِيبُك يَا رَسُولَ اللّهِ؟ لِلّهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنّ وَالْفَضْلُ. **قَالَ** ﷺ:«أَمَا وَاَللّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَلَصُدّقْتُمْ أَتَيْتَنَا

(١) سيرة ابن هشام، (٤/٤٩٢).

(٢) القالة: الكلام الرديء.

(٣) الجِدة: العتاب.

مُكَذَّباً فَصَدّقْنَاك، وَمَخْذُولاً فَنَصَرْنَاك، وَطَرِيداً فَآوَيْنَاك، وَعَائِلًا فَآسَيْنَاك[1]. أَوَجَدْتُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِكُمْ فِي لُعَاعَةٍ[2] مِنْ الدّنْيَا تَأَلّفْت بِهَا قَوْماً لِيُسْلِمُوا. وَوَكَلْتُكُمْ إلَى إسْلَامِكُمْ، أَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النّاسُ بِالشّاةِ وَالْبَعِيرِ وَتَرْجِعُوا بِرَسُولِ اللّهِ إلَى رِحَالِكُمْ؟ فَوَالّذِي نَفْسُ مُحَمّدٍ بِيَدِهِ لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْت امْرَأً مِنْ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النّاسُ شِعْبًا وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ شِعْباً[3]، لَسَلَكْتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ. اللّهُمّ ارْحَمِ الْأَنْصَارَ، وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ. وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ.» قَالَ: فَبَكَى الْقَوْمُ حَتّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ[4]، وَقَالُوا: "رَضِينَا بِرَسُولِ اللّهِ قَسْمًا، وَحَظّاً")) [5].

* **وحاسب** النبي ﷺ أصحابه الذين تخلفوا عنه في غزوة تبوك، وهجرهم، وقاطعهم، وأمر الصحابة بهجرهم ومقاطعتهم، وأمر زوجاتهم بالامتناع عنهم.

بينما قَبِل عذر المعتذرين من المنافقين الذين تخلفوا عنه ﷺ خوفاً من القتل والموت وإيثاراً لملذّاتهم ومصالحهم الدنيوية [6].

* **وقَبِل** من أعرابي حديث العهد بالإسلام ألا يزيد على توحيد الله

(١) آسيناك : أعطيناك حتى جعلناك كأحدنا.

(٢) اللعاعة: هي بقلة خضراء ناعمة، شبه رسول الله ﷺ بها زهرة الدنيا ونعيمها.

(٣) الشِّعْب: هو الطريق بين جبلين.

(٤) أخضلوا لحاهم: أي بَلُّوها بالدموع. .

(٥) سيرة ابن هشام، (٤/٤٩٨وما بعدها).

(٦) انظر: أسلوب التربية بعقوبة الهجر والاعتزال في السنة النبوية ، في كتاب مبادئ في الفكر التربوي الإسلامي، للمؤلف.

تعالى وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان..

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ أَعْرَابِيّاً أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ:" دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ." **قَالَ**: «تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ، وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ.» قَالَ:" وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا." فَلَمَّا وَلَّى **قَالَ النَّبِيُّ** ﷺ:« مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا»(١).

بينما عاتب عتباً لطيفاً عبد الله بن عمر صاحب العزيمة في الإسلام، بسبب عدم اجتهاده في صلاة الليل، **فقال**: «نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنْ اللَّيْلِ»(٢).

* **ونبَّه** أحد الصحابة فقال له: ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ..

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَدَخَلَ رَجُلٌ، فَصَلَّى، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَرَدَّ، **وَقَالَ**: «ارْجِعْ فَصَلِّ؛ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ» فَرَجَعَ يُصَلِّي كَمَا صَلَّى، ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ **فَقَالَ**:« ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ» ثَلَاثاً، فَقَالَ:" وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أُحْسِنُ غَيْرَهُ، فَعَلِّمْنِي. **فَقَالَ**: «إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعاً، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْتَدِلَ قَائِماً، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [١٣٩٧](ص/٢٧٢).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [١١٢٢](ص/٢٢٢)، ومسلم في "صحيحه" برقم [٢٤٩٧](ص/١٠٠٥)، واللفظ للبخاري.

سَاجِداً، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِساً، وَافْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا.» [1].

بينما قبِل من رجل عجز عن حفظ فاتحة الكتاب، أن يقرأ في صلاته بدلاً عنها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله..

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي لاَ أَسْتَطِيعُ أَنْ آخُذَ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْئاً فَعَلِّمْنِي مَا يُجْزِئُنِي مِنْهُ. **قَالَ**: « قُلْ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ ». قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَمَا لِي؟ **قَالَ**: « قُلِ اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَارْزُقْنِي وَعَافِنِي وَاهْدِنِي ». فَلَمَّا قَامَ قَالَ هَكَذَا بِيَدِهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « أَمَّا هَذَا فَقَدْ مَلأَ يَدَهُ مِنَ الْخَيْرِ »[2].

* وخاطب **المشركين** بلغة تدركها عقولهم..

فعن ابن عباس–رضي الله عنهما– **قال**: ((لما نزلت ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [سورة الشعراء]. صَعِدَ النبيّ ﷺ على الصفا، فجعل **ينادي** :«يا بني فِهْرٍ ،يا بني عَدِيٍّ »– لبطون قريش – حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً[3] لينظرَ ما هو. فجاء أبو لهبٍ وقريشٌ، **فقال**:

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٧٥٧](ص/١٥٧)، ومسلم في "صحيحه" برقم [٣٩٧](ص/١٧٠)، واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه أبو داود في "سننه" برقم [٨٣٢](ص/١٠٩)، وهو حسن.

(٣) رسولاً: من يستطلع له الخبر.

« أرأيتَكُمْ[1] لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مُصَدِّقيَّ؟! ». قالوا:نعم، ما جربنا عليك إلا صدقاً!. **قال**:« فإني نذيرٌ لكم بين يَدَيْ عذابٍ شديدٍ ». فقال أبو لهب: تباً لك سائرَ اليوم، ألهذا جمعتنا. فنزلت :﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ ﴾))[2].

* بينما خاطب أهلَ الكتاب بأسلوب آخر يتصل بأنبيائهم، **فقال**: ((باسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب. من محمد النبي رسول الله إلى أُسقف نجران. أسلم ..، فإني أحمدُ إليكم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب. أما بعدُ: فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد..))[3].

إضاءة

إن خطاب الداعي مادة وأسلوباً يجب أن يراعي أحوال المدعوين وتباينهم في الجوانب النفسية والإيمانية والعقلية والعلمية والاجتماعية والأخلاقية ومدى استجابتهم، وكذلك مراعاة زمانهم ومكانهم..

- **ومن جملة مراعاة أحوال المدعوين، مراعاة احتياجاتهم:**

* فليس من الحكمة أن نخاطب المدعوين **بما هو خارج اهتماماتهم ولا يتصل بهمومهم**.. كخطيب يتحدث عن فضائل الحج ويحث الناس على أدائه، وهم فزعون من حريق هائل أتى على سكنهم وقتل أحباءهم وشردهم وهم لا يجدون غطاءً غير السماء ولا فراشاً سوى الأرض.

(١) أرأيتكم : أخبروني.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه "برقم [٤٧٧٠] (ص/٩٢٩) .

(٣) سيرة ابن كثير، (١٠١/٤).

* وليس من الحكمة أن نخاطب المدعوين **بما لا يحتاجون إليه!!**..كواعظ يتحدث عن الأدب الإسلامي في التعامل مع الخادمات في محيط من الناس الفقراء، الذين يعيشون حالة من الكفاف وكثير من العوز لحاجاتهم الضرورية التي لا يستطيعون توفيرها.

* وليس من الحكمة أن نطالب المدعوين **بما لا يستطيعون فعله!!**..كواعظ يتحدث عن ضرورة المساهمة في بناء مسجد أو مشفى خيري في وسط من الناس لا يستطيعون تحصيل لقمة عيشهم.

* وليس من الحكمة أن نخاطب الناس **بأمور لم تعد موجودة في زمانهم!!**..كمحاضر يتحدث عن أحكام الإماء..، أو يتحدث عن شبهات الفرق الضالة التي اندثرت وأكل الدهر عليها وشرب، ولا يتحدث عن الفرق الضالة المعاصرة أو الفرق السياسية المعادية للإسلام!!..

• القاعدة الخامسة:
من الحكمة في الدعوة: أن نكون دعاة، لا قضاة.

يقول الله تعالى مخاطباً نبيه محمداً ﷺ: ﴿...فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة الرعد].

ويقول تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًاۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُۗ ...﴾ [سورة الشورى: ٤٨].

فمهمة الداعي أن يبلغ الناس دين الله تعالى، ويعلمهم أحكامه، وليس عليه حسابهم ولا هداهم ولا صلاحهم،ولا إصدار الأحكام القضائية بحقهم..

والداعي إلى الله ليس وكيلاً على الناس ولا حفيظاً.. يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾﴾ [سورة الأنعام].

ويقول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾﴾ [سورة الزمر].

فليس للداعي من الأمر شيء لأنَّ الحساب على الله، فهو الذي يثيب أو يعاقب، وليس للداعي إلا البلاغ المبين، وليس له إكراه أحد على الإيمان، أو معاقبة أحد على عدم إيمانه..

رؤية

على الداعي ألا يتوقف عند أحوال المدعوين من الطاعة والمعصية، فإن الحال يتغير، ولا يعلم أحد بما يُختم للناس، فهو من علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله تعالى.

والداعي ليس برقيب يراقب أعمال الناس ويحصيها عليهم، ولا بحفيظ يحفظ عليهم أعمالهم، ولا بحسيب يحاسبهم ويجازيهم ويقرر مصيرهم..

وليس للداعي أن يوزع على الناس مصايرهم، قوم إلى الجحيم، وقوم إلى النعيم..

يخاطب الناس: أنت لن يغفر الله لك!!..

وأنت لن يُدخلك الله الجنة!!..

وأنت سيعذبك الله ويدخلك النار!!..

وأنت سينتقم الله منك!!..

وأما أنت فستدخل الجنة معي!!..

وأنت ستحشر مع النبيين!!..

وأنت سيُغفر لك!!..

ونحن نسأل هذا المتألِّي على الله تعالى والذي يوزع على الناس مصائرهم..:

هل أَوكل الله تعالى إليك مصائر الناس؟!!..

ألا تستحي من الله تعالى؟!!..

أما قالت زوجة عثمان بن مظعون بعد موته: (("طبْتَ هنيئاً لك الجنَّة، أبا السائب" فنظر إليها رسول الله ﷺ نظرة غضب، **وقال**:« وما يدريك؟» فقالت:" يا رسول الله، فارسُكَ وصاحبُكَ." **فقال رسول الله** ﷺ: «وما أدري ما يفعل بي؟! »))[1].

ومع أن مهمةَ الداعي محصورةٌ بالبلاغ المبين، فإننا نجد بعض العاملين في حقل الدعوة الإسلامية يحاكمون الناس، بل يتمادى البعض فيتجرأ فيحكم على جميع المسلمين بأنهم جاهليون وأنهم كفار مرتدون!!..ولو نطقوا بالشهادتين، ولو صام بعضهم أو صلى أو حج!!..

لأنهم – حسب زعمه – ينهجون في حياتهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، مناهج تخالف شريعة الله تعالى. وبسبب هذا يستبيح تكفيرهم وقتلهم، مع أن النبي ﷺ **يقول**: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ

(١) السيرة الحلبية، (٢/٢٩٠) .

عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ **وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ**»[1].

فكلُّ من نطق بالشهادتين "أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله" ، فهو مسلمٌ تجري بحقه أحكام المسلمين، ونحن نحكم بالظاهر، وأما السرائر فلا يعلمها إلا الله تعالى.

يقول النبي ﷺ : «ذَاكَ جِبْرِيلُ أَتَانِي فَقَالَ:" مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِكَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً دَخَلَ الْجَنَّةَ." **قُلْتُ**: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ.» **قَالَ**: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ»[2].

وعند أهل السنة والجماعة أن المسلمين الذين يزنون أو يسرقون أو ينهجون في حياتهم مناهج اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية تخالف شريعة الله تعالى من غير جحود، هم عُصاة جاهلون لا يُحكم بكفرهم واستباحة دمائهم..

وهؤلاء يحتاجون إلى دعاة لا إلى قُضاة..

يحتاجون إلى دعاة يعلمونهم ويرغبونهم وينيرون لهم دربهم ليخرجونهم من الظلمات إلى النور بإذن ربهم.

ويقول بعض المتطرفين المكفرين للمسلمين ممن نصَّبوا أنفسهم قضاة عليهم، يحاسبونهم ، ويحكمون عليهم بالكفر، وينفذون الحكم بقتلهم:

((إن الحاكم بمعنى ولي الأمر ، الذي لا يحكم بما أنزل الله، كافر بصريح

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه "برقم [٢٥] (ص/٢٨)، ومسلم في "صحيحه" برقم [٢٢](ص/٤٣)، واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه "برقم [٦٤٤٤] (ص/١٢٣٧).

قولـــه تعـــالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة المائدة] وقالوا إن الحكم في هذه الآية من المعلوم من الدين بالضرورة.

وإن حـال الحـاكم الـذي لا يحكـم بمـا أنـزل الله معـروف لـدى النـاس بالـضرورة أيـضاً، فلـزم مـن ذلـك ضـرورة أن يقطـع كـل مكلـف بكفـر ذلـك الحاكم، وأن يعتقد ذلك فيه بقلبه ويعلنه بلسانه. فمن توقف عن الحكم على ذلك الحاكم بذلك فهو قد أنكر معلوماً من الدين بالضرورة فهو كافر، ومن باب أولى من لم يتوقف، بل لم يوافق على الحكم بتكفير ذلك الحاكم. وأن من لم يحكم بتكفير ذلك الحاكم فهو بدوره لم يحكم بما أنزل الله تعالى فهو كافر، وهكذا))[1].

وقد ورد أن الصحابي الجليل عبد الله بن عباس ﷺ ((الذي ضمه رسول الله ﷺ ودعا له **قائلاً**: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وعَلِّمْهُ التَّأويلَ.» [2] والتابعي الجليل طاوس اليماني قالا: " إن الآية ليست على ظاهرها وإطلاقها، **وإن الكافر هو من حكم بغير ما أنزل الله جاحداً، وأن من أقرَّ بحكم الله وحكم في الأمر على خلافه، فهو ظالم فاسق.** " وبذلك قال السدي وعطاء وجميع فقهاء أهل السنة. وإن هذا هو المدوَّن في كتب الفقه وعلوم القرآن المتداولة بين أيدي الناس.

وإذا أضفت إلى ذلك أن تبين الجحود مما يدقُّ وتختلف فيه أوجه النظر خاصة بالنسبة لمظهر شعائر الإسلام، وضح لك عدم صواب القول، بأن

(١) دعاة لا قضاة، حسن إسماعيل الهضيبي، (ص/٢٠١).

(٢) أخرجه الحاكم في "مستدركه" برقم [٦٣٥٩](٦٥٨/٣)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

الحكم الذي قالوه من المعلوم من الدين بالضرورة وما بنَوه على ذلك من أحكام بتكفير عامة الناس.

والحق أنه من لم يظهر له وجه الحق في مسألة، أو عجز عن فهم حكم الله في موضوع، أو كان علمه دون أن يستطيع استنباط الأحكام الشرعية من مجموع الآي والأحاديث فإن واجبه أن يمسك عن القول بحكم لا يعلم صوابه من خطئه، فقد نهاه الله عن ذلك. قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [سورة الإسراء] وقال عز وجل: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [سورة الأعراف] وسبق أن ذكرنا خبر عجز عمر بن الخطاب ﷺ عن فهم آية الكلالة رغم تكرار سؤاله للرسول ﷺ وما قَدَحَ ذلك في إيمانه شيئاً[1].

تنبيه

وكان الأولى بهؤلاء القضاة المكفرين أن يلتزموا بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وسنة الخلفاء المهديين من بعده، وإجماع أهل السنة والجماعة، فلا يكفِّرون المسلمين، ولا يستبيحون دماءهم؛ لأنهم بفعلهم هذا قد وقعوا فيما نَهوا عنه، وحكموا على المسلمين بما لم يحكم الله ورسوله عليهم، فوقعوا بشر جهلهم.

(١) انظر المصدر السابق، (ص/٢٠٨وما بعدها).

● القاعدة السادسة:

من الحكمة في الدعوة: الربانية، لا الرهبانية [1]

■ يقول الله تعالى: ﴿... وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [سورة آل عمران].

كونوا **ربانيين** أي: ((علماء فقهاء عاملين بما أمر اللّه ، مطيعين له طاعة تامة لأن العلم الصحيح هو الذي يبعث على العمل ، وإن تعلم الكتاب الإلهي ودراسته يوجب الطاعة ، ويحقق وصف الرباني.)) [2]

وقال السدي: ((**الربانيون** الحكماء الفقهاء.))، وقال أبو رزين: ((علماء حكماء.)) ، وقال سعيد بن جبير: ((حكماء أتقياء.)). [3]

والمقصود بالرباني كما قال سيبويه: ((**الرباني** منسوب إلى الرب على معنى التخصيص بمعرفة الرب وبطاعته)) [4].

أي أن الربانيَّ هو: العالم العامل ، المعلم الحكيم، التقي العارف بالله تعالى..

هي صفات ست يجب أن يجتهد الداعي بكل طاقته للتحقق بها، وهو أمر صعب، بذل الكثير من المجتهدين حياتهم لتحصيله، فنجح بعضهم، وفشل بعضهم، وحصَّل بعضهم نسباً متفاوتة من هذه الصفات..

---

(١) للتوسع انظر: كتاب ذكر الله تعالى طريقك إلى السعادة والنجاح والتفوق، للمؤلف.

(٢) التفسير المنير، د.وهبه الزحيلي، (٣/٢٧٥).

(٣) تفسير الطبري، (٦/٥٤٠ وما بعدها).

(٤) تفسير الرازي، (٨/١٢٣).

وأهم هذه الصفات لتحقيق وصف الرباني: هو المعرفة بالله تعالى، وهذا يحتاج إلى ذكر كثير لله تعالى، مع المراقبة، واستشعار معية الله تعالى على كل حال ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾[سورة الحديد:٤]، ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾ [سورة طه]، ثم التقرب إلى الله تعالى بما يحب، والاجتهاد بالطاعات والعبادات، وتزكية النفس، وتخليصها من الرذائل والنقائص، وتحليتها بالفضائل والكمالات.

لقد كان النبي ﷺ ((يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ[1] يَتَحَنَّثُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِي ذوات الْعَدَدِ)) [2] حتى استعدَّت روحه الشريفة للقاء الملائكة، وتنزُّل الوحي، ثم القدرة على تحمُّل مسؤوليات الدعوة إلى الله تعالى، وتبليغ الرسالة..

وكان رسول الله ﷺ يذكر الله تعالى على كل أحيانه، تقول السيدة عائشة –رضي الله عنها–: ((كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَذْكُرُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ.)) [3]

■ وصفة **الربانية** يتم تحصيلها بالذكر الحقيقي الذي من علاماته الاستجابة للأوامر الربانية، والابتعاد عن النواهي..والذي ينعكس ويظهر واضحاً في سلوكك وأعمالك، فتعشق الحلال وتلتزمه، وتكره الحرام وتبتعد عنه..

---

(١) غار حراء: بينه وبين مكة ثلاثة أميال.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٣](ص/٢١)، ومسلم في "صحيحه " برقم [١٦٠] (ص/٨٨)، واللفظ للبخاري .

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" (ص/١٣٧)، ومسلم في "صحيحه"برقم[٣٧٣] (ص/١٦٢)، متفق عليه.

حقيقة

إن في الذكر والمراقبة والشعور بمعيَّة الله حياةً... وإن في الغفلة عن الله تعالى موت القلب وموت الصفات الربانية عند الداعي، وإذا غفل القلب عجز عن الوصول إلى مقام المعرفة بالله تعالى...

فكيف يدعو إلى الله تعالى من هو جاهل به؟!!..

وذكر الله تعالى يثمر مقامات المعرفة والقرب والحب لله تعالى، فإذا غلب على الداعي سلطان الذكر سرى فيه حب المذكور ﷻ ..، فلا ينشغل عن محبته وطاعته وتقواه، وهذه صفات الربانيين..

والذكر هو دوام حضور القلب مع الله تعالى، وطرد الغفلة، وهذا يورث التواضع والافتقار والأدب مع الله ﷻ ، وهو مفتاح وصال القلب بالله تعالى، والوصول إليه..

- **والربانية** تعني أيضاً: تحرُّق القلب شوقاً إلى الله، وحتى تصل إلى ذلك، عليك أن تحاسب نفسك ولا تتركها لهواها، وأن تأخذها بالعزائم، وعليك أن تراقب الله تعالى مع أنفاسك وسلوكك وأعمالك، لتكون موافقة لآداب وأخلاق الربانيين.
- **والربانية** تحتاج لصحبة الربانيين ومجالستهم، وملازمتهم ومحبتهم، فمن صاحبهم وأحبهم أصابته نفحات حبهم، وصدق عبوديتهم، وحسن أدبهم، وأنوار قلوبهم، ودقة ورعهم..، فهم القوم لا يشقى بهم جليسُهم، ولا يستوحش أنيسُهم..

رؤية

الدعاة الربانيون هم الذين يمتلكون العقل الراشد والحكمة، والفهم والعلم بشرع الله تعالى، والخلق الحسن، وقد تزكت نفوسهم، وطهُرت قلوبهم، وصَفَت أرواحهم، فاستقاموا على الأدب مع الله تعالى، وهم وحدهم الذين يُؤخذ عنهم ويُقتدى بهم، ويُطاعون بالمعروف، وبهؤلاء تستقيم الحياة، وتتحقق النجاحات، وتنتشر قِيَم ومبادئ الدعوة إلى الله تعالى.

إن نشر مبادئ الدعوة الإسلامية وتمكينها في قلوب الناس، وإقناعهم بها، ليحملوها بحماسة وقناعة والتزام كامل، لا يمكن أن يكون إلا على يد الربانيين من أهل الذكر والحكمة والعلم والتزكية، أما إسلام المظاهر والمصالح ، فلا يمكن أن يصل إلى قناعة الناس بعد ما لوثته أفكار وأعمال الأدعياء.

حقيقة

إن تحصيل مقام الربانية والدخول في مدرسة الذكر والأخذ بالتقوى والورع والأدب مع الله، ومراعاة نظره على كل حال، واجب حتميٌّ على كل من يريد العمل في مجال الدعوة إلى الله ..

- **إن الداعي الفاقد للروحانية والربانية** هو كالجسد الميت الذي لا روح فيه، فلا هو قادر على الحياة المتزنة التي تجمع بين الروح والمادة، ولا هو قادر على أن يعلم الناس الإسلام الرباني الحقيقي... فعمله في مجال الدعوة لا يتعدى إطار الرسوم والشكليات، ولا يقدم للناس إلا مفاهيم جامدة عن الإسلام لا روح فيها..

يقول النبي ﷺ: « مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ»[1] .

فالذاكر لله تعالى حيٌّ، والغافل عن الله تعالى ميتٌ..

والقلب الغافل ميت في قبر جسده، ثم إن الغافل يتمسك بأهوائه وشهواته، وينتقل من هوىً إلى هوىً، ومن شهوةٍ إلى شهوةٍ، ومن ظلمةٍ إلى ظلمةٍ، حتى يدركَه الغرق فيكون من الهالكين.

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٦٤٠٧](ص/١٢٣٠).

رؤية

فإذا أردت أن تكون داعياً ناجحاً فعليك أن تتخلص من الغفلة، وتدخل في مدرسة الربانيين الذاكرين، ليكون الذكر غذاءً لقلبك فلا يموت، وليكون العلم والحكمة غذاءً لعقلك فينمو، وعندها تصبح داعياً تمتلك حياة القلب والعلم والحكمة والعقل والعمل.. فتحيا وتُحيي، وتتزكَّى وتُزكِّي، وتترقَّى وتُرقي، وتقدم السعادة لكل من حولك..

وإذا أكثرت من ذكر الله تعالى، يصبح تأثيرك في الناس قوياً، وإذا اعتنيت بعلومك وحكمتك يُقبل الناس عليك، وإذا كنت قدوة حسنة بأقوالك وأعمالك وسلوكك أحبَّك الناس، وإذا كنت ذاكراً لله تعالى حقاً تصبح قدرتك على تحمل مسؤوليات الدعوة أكبر، وعلى تحمل الصعوبات ومواجهتها أعظم..؛ لأنك تتحمَّل بالله، ولأنك تواجه صعوبات الحياة ومشاكلها بالله، وتخالط الناس بالله..

وإذا لم تشتغل بذكر الله تعالى وبالتقرب إليه، ولم تكن داعياً ربانياً بحق، فلن تستطيع الثبات على الحق..

■ والدعوة إلى الله تعالى ليست مجرد فِكرٍ.. أو علم جامد.. أو خطة لمشروع تستطيع تنفيذه بمهاراتك الخاصة، إنها أكثر من ذلك بكثير.. إن الدعوة إلى الله تعالى مخاطبة للعقل والقلب.. فالعقل يخاطبه العقل العالم الحكيم، والقلب يخاطبه القلب الرباني الذاكر، وإن قراءة العلوم وحدها لا تصنع منك داعياً مؤثراً وناجحاً..

حقيقة

العلم بلا روح كمن يقدم للناس صورة الطعام والثمار.. فهي لا تُسمن ولا تغني من جوع، بل إن العلم بلا روح خطير على المعلم والمتعلم..

■ **وبالمقابل يجب ألا يكون الداعي رهبانياً..**

* **فلا رهبانيَّةَ في الإسلام..**

ولا انقطاع عن العمل والواجبات الحياتية..بل إن بناء قوة الأمة وإحياءها لتأخذ مكانتها بقوة بين الأمم من أهم واجبات الداعي الرباني.

يقول تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [سورة الأنفال].

ويقول تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [سورة التوبة].

* **ولا اعتزالَ للحياة..**

بل يجب أن نأخذ بالأسباب التي أمرنا الله تعالى بها حتى نقوم بإعمار الأرض مادة وروحاً..

* **ولا غلوَّ في الدين..**

بل الاعتدال كما أمر الله تعالى ورسوله ﷺ .

يقول النبي ﷺ: « ...وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ » [(١)].

ويقول النبي ﷺ: « ...فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»[(٢)].

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٣٩](ص/٣١).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٥٠٦٣](ص/١٠٠٥)، ومسلم في "صحيحه" برقم =

* **ولا اعتزالَ للناس..**

بل يجب على الداعي أن يعيشَ حياته باتِّزان، ويتمكَّنَ من ثقافة عصره، ويخالطَ الناس ويتعرفَ على أحوالهم، ويعالجَ مشكلاتهم، ويحييَ قلوبهم بنور الإسلام ومعرفة ربهم وخالقهم..

وعلى الداعي أن يجالسَ الناس، ويحضرَ اجتماعاتهم، ويُعلِّمَ جاهلهم، ويُساعدَ محتاجهم، ويُرشدَ شاردهم، ويدعوَهم إلى دين الله تعالى، ويعلِّمَهم أحكامه، وينشرَ فضائله..

يقول النبي ﷺ: « الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُم أَعْظَمُ أَجْراً مِنْ الَّذِي لَا يُخَالِطُهُم وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ»(١).

إضاءة

الداعي الناجح هو الذي لا ينعزل عن مجتمعه، بل يتفاعل معه إيجابياً، لإصلاحه وتغييره نحو العمل بالقيم والمبادئ الإسلامية.

• القاعدة السابعة:

من الحكمة في الدعوة: العلم، لا الجهل.

حقيقة

لا يمكن أن يقوم بالدعوة جاهل..لأن الدعوة إلى الله تعالى هي دعوة الناس إلى علوم ومعارف وأحكام ومبادئ وأفكار وقيم وأعمال دعا الله تعالى الناس ليأخذوها ويتحققوا بها ...

[١٤٠١](ص/٥٤٩)، واللفظ للبخاري.

(١) أخرجه أحمد في "مسنده" برقم [٥٠٢٢](٦٤/٩)، وهو صحيح.

وقد أنزلها تعالى على نبيه محمد ﷺ بوساطة الوحي جبريل عليه السلام، وقام النبي ﷺ بتبليغها وبيانها للناس استجابةً لأمر ربه عز وجل.

يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [سورة المائدة].

وطالب الله تعالى نبيه محمداً بأن يجتهد في طلب العلم، والزيادة منه باستمرار، فقال تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [سورة طه].

وحثَّ النبي ﷺ المسلمين على تبليغ الإسلام وبيانه للناس، **فقال**: «فَلْيُبَلِّغ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ» (١).

ويقول النبي ﷺ: «نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا شَيْئاً فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَ ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ» (٢).

ويقول النبي ﷺ: « بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً...» (٣).

■ وتحصيل العلم بالله تعالى واجبٌ، قبل التبليغ والدعوة إلى الله تعالى، فلقد خاطب الله تعالى نبيه محمداً ﷺ فقال: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [سورة محمد:١٩]. فبدأ بالعلم، فقال: فاعلم،.. والعلماء ورثة الأنبياء، فيجب أن يبدؤوا بالتعلم قبل التعليم، والدعاة المبلغين يجب أن يبدؤوا بالتعلم قبل التبليغ..قال تعالى: ﴿ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾[سورة العنكبوت].

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [١٧٤١](ص/٣٣٢).
(٢) أخرجه الترمذي في "سننه" برقم [٢٦٥٧](ص/٤٣٠)، وهو صحيح.
(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٣٤٦١](ص/٦٦٦).

وعن أبي الدرداء ﷺ قال: **قال رسول الله** ﷺ: « إنما العلمُ بالتعلُّمِ، وإنما الحلمُ بالتحلُّم، من يتحرَّ الخيّر يُعْطَه، ومن يتَّقِ الشرَّ يُوْقَه »[(١)].

■ وعلى الداعي أن يتفقه في الدين، حتى يستطيع نقله إلى الناس بأمانة.. **يقول النبي** ﷺ: «من يُرِدِ اللهُ به خيراً يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ ...» [(٢)].

■ وإذا سلك الداعي طريق التماس العلم واكتسب حقائق المعرفة بالله والإسلام، سهَّل الله له طريقاً إلى الجنة.. **يقول النبي** ﷺ : «ومنْ سلكَ طريقاً يَلْتمسُ فيه عِلْماً سهَّلَ الله له به طريقاً إلى الجنَّةِ..»[(٣)].

ثم يفتحُ الله تعالى له أبواب هدايةِ الخلقِ ودلالتِهم على الإسلام، فيقع كلامه في القلوب موقع الرضى والقبول والسرور، وتتفتَّح أبواب الهداية، فيُقبل الناس على الله تعالى أفواجاً، ويحوز الداعي من الخير والرضوان ما لا يخطر له على بال..

يقول النبي ﷺ لسيدنا علي -كرم الله وجهه-: « فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من أن يكون لك حُمْرُ النَّعَمِ » [(٤)].

بل إن النبي ﷺ يبشر الداعي بأن له أجراً متصلاً لا ينقطع، مادام الخير الذي علَّمه للناس ينتشر ويُعمل به.. **يقول الحبيب الأعظم محمد** ﷺ : «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقصُ ذلك من

(١) أخرجه الطبراني في "المعجم الأوسط" برقم [٢٦٦٣](١١٨/٣)، وهو حسن.
(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه"برقم [٧١](ص/٣٩)، ومسلم في "صحيحه"برقم [١٠٠] (ص/٣٩٩)، واللفظ للبخاري.
(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم [٢٩٦٦](ص/١٠٨٢).
(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٣٠٠٩](ص/٥٧٦)، ومسلم في "صحيحه" برقم [٢٤٠٦](ص/٩٨٠)، واللفظ لمسلم.

أجورِهم شيئاً» [1].

فعدَّادُ الحسنات عند الداعي الرباني الناجح لا يتوقف عن حصاد الزيادة لا في الليل ولا في النهار، ولا أثناء حياة الداعي ولا بعد مماته، مادام العلم الذي علَّمه ينتشر وينتفع به الناس.. **يقول النبي** ﷺ :« إذا ماتَ الإنسانُ انقطعَ عنه عملُه إلا من ثلاثةٍ: إلا من صدقةٍ جاريةٍ أو علمٍ ينتفع به أو ولدٍ صالحٍ يدعو له » [2].

- وعلى الداعي أن يتصف بالحقائق والمناهج العلمية التالية[3]:

١-الأمانة العلمية والتحقق:

يقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [سورة الإسراء].

حقيقة

الداعي إلى الله لا يَحكُم حكماً، ولا يُبرم أمراً، ولا يروي حادثة، ولا ينقل رواية، إلا بعد التحقق بعيداً عن الشك والشبهة..

٢- الاجتهاد وعدم التقليد الأعمى:

رؤية

التربية العلمية في الإسلام ترفض التقليد الأعمى، وتحرر العقول من القيود ومن كل ما يعطل الفكر، وتدعو إلى البحث العلمي وتوثيق الحقائق بالدليل عبر التحقق وإعمال العقل، وتحث على التجديد والتطوير، ونبذ الجهالة والخرافات والأباطيل، وترك كل ما لا يصلح ولا يصحّ...

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم [٢٦٧٤](ص/١٠٧٤).

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم [١٦٣١](ص/٦٧٠).

(٣) انظر: التربية العلمية في الإسلام، في كتاب مبادئ في الفكر التربوي الإسلامي، للمؤلف.

٣- قبول الحوار والخضوع للحقيقة وعدم التعنت:

فالداعي لا يتعنّت بل يخضع للحقيقة على خلاف الكافرين، كما أنه يقبل الحوار ويُطالب بالدليل..

• القاعدة الثامنة:

من الحكمة في الدعوة: العقلانية.لا الحماقة.[1]

لا ينجح في الدعوة إلى الله تعالى أحمق، **ولا يكون الداعي الرباني إلا عاقلاً ، بل متميزاً بعقله وحكمته..**

إنَّ القرآن الكريم أعطى للعقل رؤية واضحة لكل ما يحيط به، وكذلك العلاقة المركبّة بين الأشياء، وبين ما يظهر منها وما يخفى، وبين ارتباط الأسباب بالمسببات، والقوانين الإلهية التي تتحكَّم في الوجود، والتي تدل على عظمة الصنعة الإلهيَّة، وعظمة الصانع ﷻ.

حقيقة

العقل لا يحقق ما يُرجى منه إن لم يكن ساجداً في محراب الإيمان بالله تعالى، ليكون عقلاً نافعاً، لا عقلاً خبيثاً مؤذياً...

- **والعقل مناط التكليف في الإسلام.**

فإذا فقد العقل فلا تكليف لفقدان شرطه..

"يقول سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ: ((أَصْلُ الرَّجُلِ عَقْلُهُ، وَحَسَبُهُ دِينُهُ، وَمُرُوءَتُهُ خُلُقُهُ.)) وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: ((مَا اسْتَوْدَعَ اللَّهُ أَحَداً عَقْلاً إلا

(١) انظر: التربية العقلية في الإسلام، في كتاب مبادئ في الفكر التربوي الإسلامي، للمؤلف.

اسْتَنْقَذَهُ[١] بِهِ يَوْماً مَا))"[٢].

وقيل لابن المبارك: ما خير ما أُعطيَ الرجل؟ قال: غريزةُ عقلٍ. قال: فإن لم يكن؟ قال: أدبٌ حسنٌ. قال: فإن لم يكن؟ قال: فأخٌ صالح يستشيره. قال: فإن لم يكن؟ قال: صمتٌ طويل.قيل: فإن لم يكن؟ قال: موتٌ عاجلٌ [٣].

- **ورفعة العقل عند الداعي أهم من رفعة المال والنسب..**

يقول الشاعر إبراهيم بن حسان:

يَزِينُ الْفَتَى فِي النَّاسِ صِحَّةُ عَقْلِهِ وَإِنْ كَانَ مَحْظُوراً عَلَيْهِ مَكَاسِبُهْ[٤]
يَشِينُ الْفَتَى فِي النَّاسِ قِلَّةُ عَقْلِهِ وَإِنْ كَرُمَتْ أَعْرَاقُهُ[٥] وَمَنَاسِبُهْ[٦]
يَعِيشُ الْفَتَى بِالْعَقْلِ فِي النَّاسِ إِنَّهُ عَلَى الْعَقْلِ يَجْرِي عِلْمُهُ وَتَجَارِبُهْ
وَأَفْضَلُ قَسْمِ[٧] اللَّهِ لِلْمَرْءِ عَقْلُهُ فَلَيْسَ مِنْ الأَشْيَاءِ شَيءٌ يُقَارِبُهْ
إِذَا أَكْمَلَ الرَّحْمَنُ لِلْمَرْءِ عَقْلَهُ فَقَدْ كَمُلَتْ أَخْلاَقُهُ وَمَآرِبُهْ[٨]

- **والعقل قسمان : غريزي ومكتسب..**

وعلى الداعي تنمية مواهبه العقلية الغريزية بالاكتساب، من خلال

(١) استنقذه: أنجاه.
(٢) أدب الدنيا والدين، للماوردي، (ص/١٧)
(٣) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، للإمام البستي،(ص/١٨).
(٤) محظوراً عليه مكاسبه: أي قليل المال والمتاع.
(٥) الأعراق: جمع عرق، أي أصل المرء.
(٦) المناسب: جمع نسب.
(٧) القسْم: هو العطاء.
(٨) أدب الدنيا والدين، للماوردي، (ص/١٧وما بعدها)

التدريب والتجريب وتجميع الخبرات ومجالسة العقلاء والأخذ عنهم.. لذلك قالوا: ((والعاقل يقيس ما لم يرَ من الدنيا بما قد رأى، ويضيف ما لم يسمعْ منها إلى ما قد سمع، وما لم يُصِبْ منها إلى ما قد أصاب، وما بقي من عمره بما فني، وما لم ينلْ منها بما قد أوتي..)) [1]

حقيقة **كل شيء ينقص بكثرة الاستعمال، إلا العقل فإنه يزيد..**

ويُقال: ((كل شيء محتاج إلى العقل، والعقل محتاج إلى التجارب.)) [2]

- **وغذاء العقل الحكمة.**

يقول ابن حبان: ((فالواجب على العاقل: أن يكون بما أحيا عقلَه من الحكمة أكلَفَ[3] منه بما أحيا جسده من القوت؛ لأن قوتَ الأجساد المطاعمُ، وقوتَ العقل الحكمُ، فكما أن الأجساد تموت عند فقد الطعام والشراب، وكذلك العقول إذا فقدت قُوْتَهَا من الحكمة ماتت))[4].

- **وينمو العقل بمجالسة العلماء.**

يقول ابن حبان: ((مجالسة العقلاء لا تخلو من أحد معنيين: إما تذكر الحالة التي يحتاج العاقل إلى الانتباه لها، أو الإفادة بالشيء الخطير الذي يحتاج الجاهل إلى معرفتها... والذي يزداد به العاقل من نماء عقله هو التقرب من

(١) المصدر السابق، (ص/٢٦).

(٢) عيون الأخبار، لابن قتيبة الدينوري، (٣٢/٤)

(٣) أكلف أي: أشد كلفاً، والكلف : المحبة.

(٤) روضة العقلاء، للبستي، (ص/١٩)

أشكاله، والتباعد من أضداده))[1].

ويقول محمد بن أبي مالك الغزي: قال سمعت أبي يقول: ((جالسوا الأَلِبَّاءَ[2] أصدقاء كانوا أو أعداء، فإن العقول تلقح[3] العقول))[4].

ويقول محمد بن إسحاق الوشَّاء: ((وليس شيء أسرّ إلى ذي اللبِّ، ولا أحسن موقعاً في القلبِ، من محادثة العقلاء، ومجالسة الأدباء. فإنّ ذلك مما تتفتَّقُ به الأذهانُ، وينفسحُ به الجَنَانُ، ويزيد في اللبِّ، ويحيا به القلبُ، كما قال بعض الشعراء:

وما بقيت من اللذات إلا محادثةُ الرجال ذوي العقول
وقد كنا نَعُدُّهُمُ قليلاً فقد صاروا أقلّ من القليل)) [5]

• القاعدة التاسعة:

من الحكمة في الدعوة: التأني، لا الاستعجال.

■ إنَّ من أهم مشكلات الدعوة وآفاتها، آفة الاستعجال وعدم التأني..

لقد دفع العمل الدعوي الإسلامي أثماناً باهظة وتكلفة عظيمة بسبب استعجال بعض العاملين في الحقل الإسلامي، لما كانوا يتمنونه للإسلام من

(١) المصدر السابق، (ص/٢٦).
(٢) الألباء: جمع لبيب، وذو اللب أي: ذو العقل.
(٣) أي: تفيدها وتنورها.
(٤) روضة العقلاء، للبستي،(ص/٢٦).
(٥)كتاب الموشى، لمحمد بن إسحاق بن يحيى الوشاء،(٧/١).

نجاحات على المستويات السياسية والاجتماعية وغيرها..

لقد فرحوا ببعض ظواهر الصحوة الإسلامية على مدى عقود، فدفعهم ذلك للاستعجال بولادة الجنين في أشهره الأولى قبل نضجه، فلم يحافظوا على الجنين ومات المولود!!..

وقد قيل:((مَنْ اسْتَعْجَلَ الشَّيْءَ قَبْلَ أَوَانِهِ عُوقِبَ بِحِرْمَانِهِ.)) (١).

وما زال البعض يكرِّر هذا الخطأ الفادح مرات ومرات، ولم يتعلم من تجاربه وتجارب غيره..

يقول الله تعالى: ﴿ ...وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾ ﴾ [سورة الإسراء]. ويقول تعالى: ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ ﴾ [سورة الأنبياء:٣٧].

حقيقة

إن طلبَ الثمار قبل نضجها يُضيعها، فتخسر الأصل ولا تحصل على الثمرة..

إن بعض الدعاة يستعجل في كل شيء، يريد أن يتحوَّل الناس بين عشية وضحاها إلى مسلمين بررة صادقين مقربين إلى الله تعالى. ولو كانت هذه الأمنية ممكنة لكان رسول الله ﷺ أولى الناس بها، ولكنه لم يستطع تشكيل النواة الأولى الصلبة للدولة الإسلامية إلا بعد ثلاث وعشرين سنة، إلى حين توفَّاه الله ﷻ .

ويريد بعض الدعاة أن تتخلَّصَ بعض المجتمعات الإسلامية من أمراضها المستعصية، ويريدون إقامة الخلافة الإسلامية المثالية، ويريدون أَسْلَمَةَ العالم

(١) الأشباه والنظائر، لابن نجيم، القاعدة الخامسة عشرة، (ص/١٥٩)، والأشباه والنظائر، للسيوطي، القاعدة الثلاثون، (١/١٥٢).

كله بين عشية وضحاها.. إنهم لا يصبرون، ولا يتأنون، ولا يتعاملون مع القضايا بحكمة، ولا يأخذون بالأسباب.. ولا يفعلون ما ينبغي، في الوقت الذي ينبغي، وعلى الشكل الذي ينبغي.. وهذه مبادئ أساسية لتحقيق النجاح، فكيف يتحقق النجاح بفقدها؟!!..

إنَّ نصرَ الله قريبٌ إذا نفذنا شروطه.. ولكنهم قوم يستعجلون!!..

يقول تعالى: ﴿ ...حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [سورة البقرة].

ويقول النبي ﷺ: «وَاللَّهِ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرُ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»[1]

■ إنَّ العجلة عاقبتُها وخيمةٌ، وتدلُّ على أن صاحبها لا يتصف بالحكمة، ولا يملك قوة الإرادة التي تضبط انفعالاته ومشتهياته وأمانيه..

يقول النبي ﷺ: «الأَنَاةُ مِنَ اللهِ وَالعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ»[2].

ويقول ابن قيم الجوزية: ((لا حكمةَ لجاهلٍ ولا طائشٍ ولا عجولٍ.))[3]

ويقول ابن حبان البستي: ((العَجِلُ يقول قبل أن يعلم، ويجيب قبل أن يفهم، ويَحْمَدُ قبل أن يجرب، ويذم بعد ما يحمَد، يعزم قبل أن يفكر، ويمضي قبل أن يعزم. والعَجِلُ تصحبه الندامة، وتعتزله السلامة، وكانت العرب تكني

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٦٩٤٣](ص/١٣٢٥).
(٢) أخرجه الترمذي في "صحيحه" برقم [٢٠١٢](ص/٣٣٥)، وهو حسن.
(٣) مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية، (٢/٤٨٠).

العجلة أم الندامات))[1].

حقيقة

إن الله تعالى لا يعجل لعجلتنا، وله ﷻ في الحياة سُننٌ وقوانينُ لا بدَّ أن تمضيَ، وتأخذَ وقتها وحقها، ولكل أمرٍ أجلٌ مسمى، ولله تعالى حِكَمٌ تغيب عن الناس ولا يدركونها.. فيجب على الداعي مراعاتها والخضوع لها، والالتزام بسنن الله وقوانينه في الكون..

- وعلى الداعي **ألا يستعجل جنْيَ ثمرات الدعوة قبل نضجها..**

إن الدعوةَ إلى الله تعالى مهمةٌ عظيمةٌ، دونها جميع المهام أهمية، إنها مهمة بناء الإنسان الفاضل العالم الحكيم المتميز..، ومن وراء ذلك بناء المجتمع الذي يتصف بهذه الصفات..

فكم يحتاجُ هذا الأمر من التأني؟!..

وكم يحتاجُ من الصبر؟!..

وكم يحتاجُ من الوقت؟!..

وكم يحتاجُ من العلم والحكمة والخبرة والموهبة؟!..

إن هذا الأمر، عظيم بذاته..عظيم بأهدافه..عظيم بوسائله..فلا تستعجلوا..

- وعلى الداعي **ألا يستعجلَ الانغماس والتوغل في أعمال الدعوة قبل استكمال العلوم والخبرات والمعارف اللازمة لها..**

(١) روضة العقلاء، لابن حبان البستي، (ص/١٩٤).

كم من الدعاة يستعجلون بطلب العلم، ثم يقصرون فلا يستكملونه!!..

والله تعالى نبه نبيه محمداً ﷺ ألا يستعجلَ بنزول القرآن من قبل أن يُقضى إليه تمامه وبيانه، وأمره بطلب زيادة العلم.. يقول تعالى: ﴿ ... وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [سورة طه].

■ وعلى الداعي **ألا يستعجلَ في مشاريعه**؛ لأنَّ العجلة توقعه في الأخطاء التي تفضي إلى الإخفاق، وتعرضه للتخلف عوضاً عن السَّبق. كم من الدعاة بدؤوا مشاريع للدعوة فاستعجلوا.. فأخفقوا.. ولم يتمّوها.؟!!.

■ وعلى الداعي **ألا يستعجلَ في تبنِّي ما يصل إليه من أمور سلبية**، وعليه أن يتحقق منها قبل أن يحكم عليها.. فلا يجوز البتَّة أن يصدق كل ما يسمع؛ لأن بعض ما يسمع ليس بصحيح، فإذا اتخذ مواقف مستنداً إلى إشاعات أو أمور غير صحيحة، أوقع نفسه بمفسدة كبيرة، يترتب عليها خراب الأعمال، أو الفشل الذريع،أو ظلمٌ وعدوان على بريء.. فيندم لاستعجاله.. ولكن بعد فوات الأوان..

يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [سورة الحجرات].

■ وعلى الداعي **ألا يستعجلَ في تبنِّي كل ما يصل إليه من أمور إيجابية**، وعليه أن يتحقق من صحتها قبل أن يحكم عليها أو يبني عليها، فلا يقرِّب مثلاً من لا يستحق التقريب، ولا يمدح من لا يستحق المديح، فيوقعَ نفسه بالحرجِ وعدمِ المصداقية عند الناس.

■ وعلى الداعي **ألا يستعجلَ في الجواب إلا بعد التفكير والبحث**، فليس المهم أن تتكلم، ولكن المهم أن تتكلم صواباً بما ينفع الناس.. ومن

الحكمة أن يستمع الداعي للآراء والأفكار، ثم يجعل كلامه آخر الكلام، فيدقق، ويحقق، ويصوب، ويُقَعِّد..

- وعلى الداعي **أن يكون متأنِّياً، وأن يُحْكِمَ الأمورَ، ويضعَها في مواضعها**، ومن فعل ذلك كان حظّه الصواب، ومن كان على الصواب كان حليفه النجاح والفلاح..

إضاءة

على الداعي ألا يستعجلَ في اتخاذ القرارات التي تحتاج إلى دراسة إلا بعد دراستها، وتدبُّر عواقبها.. إن عدم تدبُّر عواقب التصرفات التي صدرت عن بعض الدعاة أدَّى إلى عواقب كارثيَّة على الدعوة وشبابها، وما زال بعض الدعاة يكررون أخطاءهم الفادحة في هذا الموضوع الخطير..

فالداعي **إذا أراد أمراً تدبرَ عاقبته أولاً**..، فإن كان خيراً تبنَّاه، وإن كان شراً تركه، ولا يأبه البتة لكلام الناس والعامة، وعليه ألا يتأثَّر بالضغوط النفسية والعاطفية.. فالحق أحقُّ أن يتَّبع.. وعندما يعزم على الأمر بعد تدبر عاقبته،عليه أن يجمع إلى جانب رأيه رأي الخبراء والمستشارين..

- وعلى الداعي أن يسلك سُلَّمَ اتخاذ القرارات الناجحة..

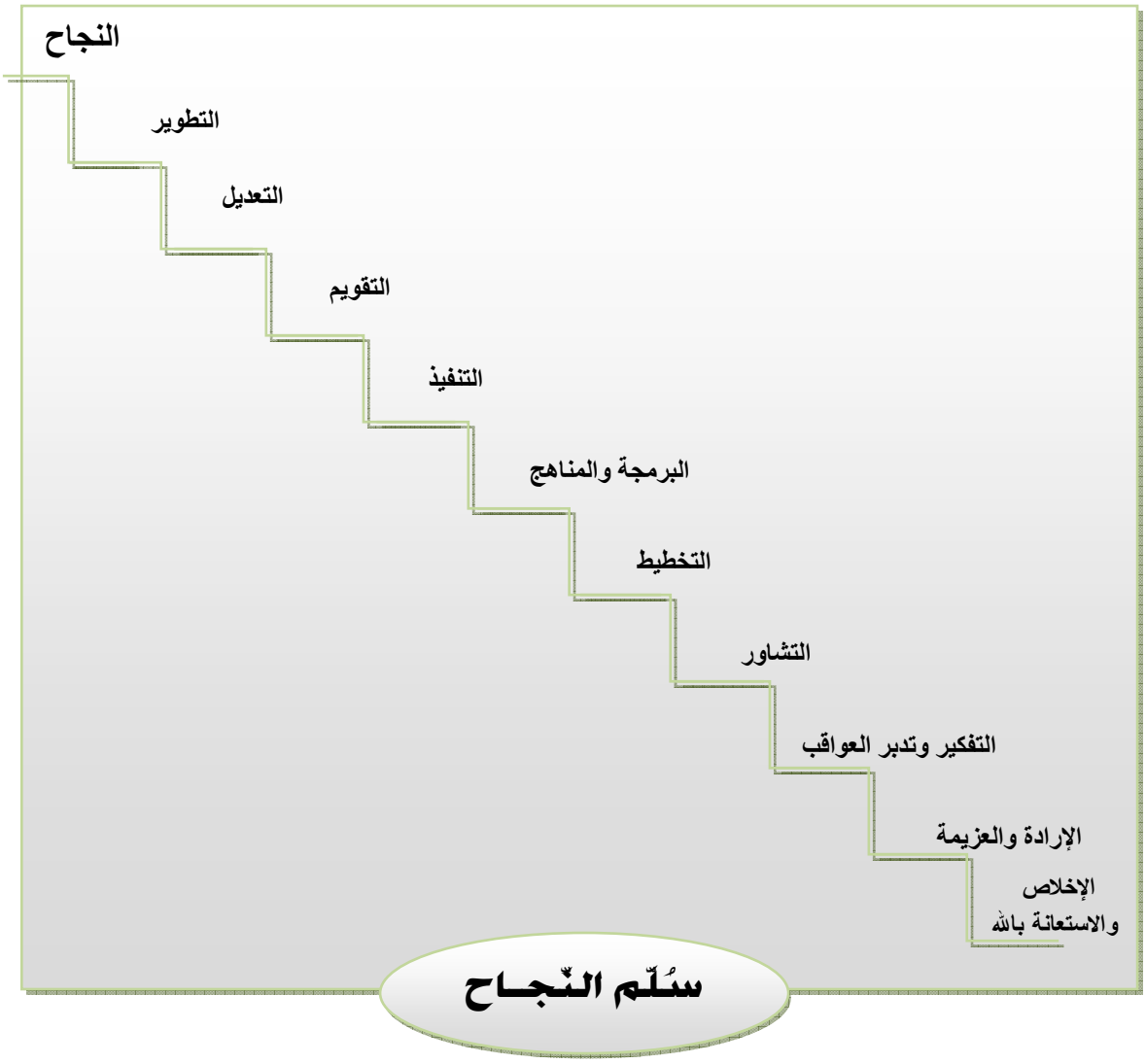

وهكذا يستطيع الداعي القضاء على مرض الاستعجال المذموم..

- **الفرق بين المسارعة والمبادرة المحمودة والعجلة المذمومة:**

يقول ابن قيم الجوزية: ((**المبادرة**: انتهاز الفرصة في وقتها، ولا يتركها حتى إذا فاتت طلبها، فهو لا يطلب الأمور في أدبارها، ولا قبل وقتها، بل إذا حضر وقتها بادر إليها ووثب عليها وثوبَ الأسد على فريسته. فهو بمنزلة من يبادر إلى أخذ الثمرة وقت كمال نضجها وإدراكها. و**العجلةُ**: طلب أخذ الشيء قبل وقته. فهو لشدة حرصه عليه بمنزلة من يأخذ الثمرة قبل أوان إدراكها كلها. **فالمبادرة** وسط بين خلقين مذمومين، أحدهما: **التفريط والإضاعة**. والثاني: **الاستعجال قبل الوقت**. ولهذا كانت العجلة من الشيطان، فإنها خفَّة وطيش وحدَّة في العبد، تمنعه من التثبت والوقار والحلم، وتوجب له وضع الأشياء في غير مواضعها، وتجلب عليه أنواعاً من الشرور، وتمنعه أنواعاَ من الخير. وهي قرين الندامة، فقل من استعجل إلا ندم ،كما أن الكسل قرين الفوت والإضاعة.))[1]

فالكسل والتباطؤ عن إدراك المحامد أمر **مذموم**...

والاستعجال والطيش والرعونة في إدراكها كذلك أمر **مذموم**..

والأناة والتؤدة في إدراكها بأوقاتها وبشروطها **أمر محمود**... وهي حكمة وفضيلة بين تلك النقيصتين..

- **وهناك أمور تقتضي الاستعجال والمسارعة وعدم التأخير، ومنها:**

* التوبة والاستغفار من الذنوب..

(١) الروح، لابن قيم الجوزية، (ص/٢٥٨).

* الإنفاق في سبيل الله تعالى..

* الأخلاق الحسنة والإحسان إلى الناس..

يقول الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾ [سورة آل عمران].

بل إن المسارعةَ بكل الخيرات أمرٌ محمودٌ.. فقد أثنى الله تعالى على زكريا عليه السلام وأهله، فقال: ﴿...إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾ [سورة الأنبياء].

وأثنى تعالى على المؤمنين الصادقين، فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ٦١﴾ [سورة المؤمنون].

ويقول النبي ﷺ: «التؤدةُ في كلِّ شيءٍ خيرٌ إلا في عَمَلِ الآخرةِ»(١).

• القاعدة العاشرة:

من الحكمة في الدعوة: التفاؤل والأمل، لا اليأس والقنوط.

إن اليأس في الدعوة من أخطر الأمراض التي تصيب الدعاة، وتقضي على جهودهم التي بذلوها على مدى سنوات عديدة، إنه المرض العضال الذي عدَّه العلماء **من الكبائر**، لما ورد فيه من الوعيد الشديد..

قال تعالى: ﴿...إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٧﴾ [سورة يوسف].

(١) أخرجه الحاكم في "المستدرك" برقم [٢١٣](١/١٢٢)، وهو صحيح.

وقال تعالى: ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [سورة الحجر].

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: ((أكبر الكبائر: الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله))[1].

وقد عدَّ العَلائِيُّ في قواعده الكبائر المنصوص عليها بعد تتبُّعها من النصوص، فأبلغها خمساً وعشرين..وعدَّ منها: "اليأس من روح الله" [2].

وقد نبَّه الله تعالى إلى أن صفة اليأس والقنوط من صفات الإنسان غير المؤمن..

قال تعالى: ﴿ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ [سورة فصلت].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ ﴾ [سورة الإسراء].

حقيقة

اليأس والإيمان لا يجتمعان في قلب المؤمن.. فما بالك بالداعي إلى الله تعالى؟!..

- **على الداعي إلى الله تعالى ألا ييأسَ من عدم استجابة الناس لدعوته، أو تثاقلهم عن الإقبال عليها..**

فاليأس والوهن والإحباط يجب ألا يعرف إلى قلب الداعي سبيلاً؛ لأنه يعلم أن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء..

(١) أخرجه الطبراني في"المعجم الكبير" برقم [٨٧٨٤](١٧١/٩).
(٢) انظر: سبل السلام للصنعاني، (٢٠٥/٤).

وطبائع الناس مختلفة، فمنهم من يستجيب للداعي، ويُقبل على الدعوة، وينخرط فيها، ويندرج في مساراتها، ومنهم من يدبر عن الدعوة ، ولا تزيده الدعوة إلا فراراً، كما قال تعالى على لسان سيدنا نوح عليه السلام: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ ﴾ [سورة نوح].

وما بين هذين النموذجين من الناس تدرجات وأنواع..

والدعوة إلى الله تعالى واجبٌ مستمرٌ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبٌ متواصلٌ، لا يقبل التوقف ولا الانقطاع، **وهذا يؤكد حرمة اليأس من دعوة الخلق إلى الحق** جل جلاله، ووجوب دعوة الناس إلى الإسلام حتى يقضي الله ما يشاء في هداية من يشاء.

فالداعي مسؤول أن يدعو إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، وأما الهداية فهي بيد الله تعالى، وعلى الداعي أن يدعو بلا كلل أو ملل ولا ضعف ولا وهن ولا فتور..، فما عليه إلا البلاغ، وعلى الله الحساب..

قال تعالى: ﴿ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾ ﴾ [سورة العنكبوت].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [سورة القصص].

والداعي إلى الله تعالى لا ييأس في دعوته أبداً؛ لأن اليأس من صفات الكافرين..قال تعالى: ﴿ ...إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [سورة يوسف].

حقيقة

إن طريق الدعوة إلى الله طريق الربانيين من أهل العزائم، الأقوياء والواثقين والمتفائلين...
ولا مكان فيه للضعفاء والمترددين والفاترين والواهنين واليائسين..

يقول الشاعر:

يا صاحبَ الهمِّ إن الهمَّ منفرجٌ ... أبشر بخيرٍ فإنَّ الفارج الله
اليأس يقطع أحيانا بصاحبه ... لا تيأسن فإن الصانع الله
الله يُحدث بعد العسر ميسرةً ... لا تجزعنَّ فإن المانع الله
إذا ابتليت فثق بالله وارض به ... إن الذي يكشف البلوى هو الله
إذا قضى الله فاستسلم لقدرته ... فما ترى حيلة فيما قضى الله
والله مالكَ غيرَ الله من أحدٍ ... فحسبك الله في كلٍ لك الله [1]

■ **وعلى الداعي ألا ييأسَ من الناس الذين تضعف نفوسُهم عن تحمُّل الواجبات، وتَكْسَل أمام المهمات، وتخشى المخاطر، وتُحجم أمام الصعاب..**

بل عليه أن يعالجها باستثارة مكامن خشيتها ومحبتها لله تعالى، وتشجيعها على كسب الأجر والثواب، وتحصيل رضاء الله تعالى..كما يشدها للخيرات المرجوة والإنجازات التي تنعكس سعادة على حياة الناس في الدنيا قبل الآخرة..

(١) زاد المسلم والداعية من الشعر والبيان، (١/١٠٩).

حقيقة

إن الداعي الرباني لا ييأس؛ لأن الدعوة وأهدافها ملأت عليه حياته بكل ألوانها وتقلباتها..في صحته ومرضه..ويسره وعسره.. ونشاطه ومكرهه..ورخائه وشدته..

- **وعلى الداعي ألا ييأسَ من النجاح وتحقيق الأهداف..**

فولادة الجنين لا تكون إلا بعد مرحلة الحمل ومصاعبه وأوجاعه، ثم تأتي مرحلة الولادة وآلامها التي لا تُطاق، وبعدها يأتي الفرج.. ويحل الفرح.. فتلك سنة الله تعالى في خلقه..

قال تعالى: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾ [سورة الأحزاب].

وقال تعالى: ﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ ﴾ [سورة الإسراء].

رؤية

لا بد أن تَمُرَّ الدعوة في مراحل من الشدائد والصعوبات والإحباطات، ويطوِّق الضيق عنق الداعي وصدره، فإذا استنفدت الجهود والطاقات المخلصة، جاء الفرج والفرح بنصر الله تعالى..

يقول تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [سورة يوسف].

ومهما ضاقت حيلة الداعي، وقلَّت وسيلته، وبلغ قلبه حنجرته، فلن يلْقى ما لَقِيَ الرسل الكرام في دعوة أقوامهم من الصعوبات والإعراض والمحاربة، وما نزل بهم من البأساء والضراء والزلزلة..

يقول تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [سورة البقرة].

فالنصر مع الشدَّة، والفرج مع الكرب، ولن يغلب عسرٌ يسرين.

يقول الإمام الشافعي:

ولربَّ نـــازلة يضيـــق بها الفـــتى ذرعاً وعنـــد الله منـها المخـــرج
ضـاقت فلمـا استحكمت حلقاتها فرجت وكنـت أظـن أنهـا لا تفـرج

- **وعلى الداعي ألا ييأسَ من رَوْحِ الله، بل عليه أن ييأسَ مما في أيدي الناس.**

وعليه أن يتحرر من قيود الرغبة والرهبة، وأن يتخلص من ذل الطمع والشهوات.. فكم من داعٍ حُرم من مقام الدعوة بسبب الطمع بنفع دنيوي، أو طلب رضى من لا ينفع رضاه ولا يضر غضبه..

إضاءة

اليأس من المطامع ومما في أيدي الناس، هو عزٌّ للداعي ورفعة مقام، ولا يزال الداعي كريماً على الناس حتى يطمع في أموالهم، فإذا فعل استخفوا به وازدروه وتركوه.. فالداعي في خيرٍ عظيمٍ مادام الناس لا يستغنون عن عمله وفضله، ومادام هو مستغنياً عن متاعهم..

(١) ديوان الإمام الشافعي، (١/٢٩).

حقيقة

إن نجاح الدعوة إلى الإسلام مؤكد بوعد الله تعالى..﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾[سورة الصافات].

ولكن لا يتحقق النجاح بالأماني بل يتحقق بالكفاح والعمل والجهد والبذل، إن وعد الله تعالى لن يتخلف، ولكنه لن يتحقق أبداً على أيدي أناس لا يستحقونه..

▪ وعلى الداعي ألا ييأسَ بسبب كثرة الصعوبات التي تعترض طريقه..

فالدعوة إلى الله تعالى أمر ذو شأن عظيم سواء في نتائجه الدنيوية أم الأخروية، وسواء أكان على مستوى الأفراد أم على مستوى الجماعات...وكلما عظُمَت الأهداف عظمت بقدرها الصعوبات التي تعترض طريق تنفيذها..

رؤية

على الداعي ألا يُستفزَّ من قِبل أعداء الدعوة، فيستدرجوه إلى ما فيه هلاكه وهلاك الدعوة..فالصعوبات مهما عظمت لا تسوّغ للداعي الخروج عن قواعد العمل الدعوي الحكيم الذي يحقق الأهداف..

وعلى الداعي أن يقررَ خططه وخطواته وأن يقودَها بنفسه، وألا تكونَ أعماله الدعوية وخطواته صادرة عن ردود أفعال على صعوبات، أو أن تكون استجابة لتحريضات سلبية أو عاطفية خارجة عن برنامجه وخططه..

▪ وعلى الداعي إلى الله تعالى ألا ييأسَ، بل عليه اغتنام الفرص فإنها لا ترجع ولا تدوم..

فعلى الداعي اختراع الفرص والمناسبات والأساليب حتى تتحقق أهدافه، فإذا فشلت له خطة وضع خطة أخرى، وإذا لم ينجح له أسلوب استبدله

بأسلوب آخر، وإذا أخفقت له تجربة دخل في تجربة أخرى، وإذا أُغلق في وجهه باب طرق أبواباً أُخرى...

فقد كان النبي ﷺ يغتنم الفرص، ويجتهد بالاستفادة منها، ويستنفر لها، فيخصص لها جُلَّ وقته.. وكان ﷺ يترصَّد المواسم على مدار العام، مواسم الحج وأسواق عكاظ وذي المجاز..، ويسأل عن الناس وعن تجمعاتهم، ويذهب إليهم ويعمل على دعوتهم، وبقي على هذا الحال سنوات عديدة ينتظر فرصة سانحة حتى تحقق له ذلك، ففي السنة الحادية عشرة من البعثة، بدأ رسول الله ﷺ يترصد مجيء شباب المدينة إلى مواسم الحج بمكة حتى يلتقي بهم، فاجتمع بمنطقة العقبة بمنى، **بستة شباب** من يثرب، وجلس معهم وحدَّثهم عن رسالته الإسلامية، ودعاهم للإيمان به وبرسالته، واستطاع إقناعهم، فاستجابوا له وآمنوا به، فكلَّفهم بالدعوة إلى الله تعالى، ونشر الإسلام في يثرب –المدينة المنورة–، وعندما رجعوا إلى يثرب بدؤوا يحدثون الناس عن النبي ﷺ ، والمعاني والأفكار التي سمعوها منه، فانتشر خبر رسول الله ﷺ في بيوت يثرب، حتى لم يبقَ دارٌ إلا وفيها ذكر رسول الله ﷺ [1]..

وبعد مرور سنة من الدعوة أصبح عددهم **اثني عشر رجلاً وشاباً** من المهتدين فقصدوا منطقة العقبة أثناء موسم الحج للقاء النبي ﷺ فأعلن الجدد منهم إسلامهم بحضرة النبي ﷺ وبايعوه..

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه : ((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ **قَالَ** –وَحَوْلَهُ عِصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ–: « بَايِعُونِي عَلَى أَلَّا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئاً وَلَا تَسْرِقُوا وَلَا تَزْنُوا وَلَا

(١) انظر: البداية والنهاية لابن كثير (١٤٩/٣)، وسيرة ابن هشام (٤٣٨/٢).

تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ وَلَا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ وَلَا تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ. فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً ثُمَّ سَتَرَهُ اللَّهُ فَهُوَ إِلَى اللَّهِ؛ إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ، وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ.» فَبَايَعْنَاهُ عَلَى ذَلِكَ)) [1].

وسُميت هذه البيعة ببيعة العقبة الأولى..

وبعد انعقاد البيعة أرسل النبي ﷺ الصحابي الجليل مصعب بن عمير رضي الله عنه معهم ليقوم بالدعوة إلى الله تعالى في المدينة المنورة، ولينشر تعاليم الإسلام بين المسلمين، وليكون أميراً ومرجعاً لهم..

وبعد مرور سنة أخرى، أصبح عددهم **ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين**، فقصدوا منطقة العقبة أثناء موسم الحج للقاء النبي ﷺ فأرشدهم وعلمهم ودعاهم فأسلم الجدد منهم ثم دعاهم لمبايعته، فقالوا: ((يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلَامَ نُبَايِعُكَ؟! **قَالَ**:« تُبَايِعُونِي عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ، وَعَلَى النَّفَقَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَعَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَعَلَى أَنْ تَقُولُوا فِي اللَّهِ لَا تَأْخُذُكُمْ فِيهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ، وَعَلَى أَنْ تَنْصُرُونِي إِذَا قَدِمْتُ يَثْرِبَ، فَتَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَأَزْوَاجَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ، وَلَكُمُ الْجَنَّةُ.» [2]

فقاموا فبايعوه..

ثم أمَّر عليهم رسول الله ﷺ **اثني عشر نقيباً** [3] **وأميراً، وقسَّمهم إلى**

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [١٨](ص/٢٧).
(٢) أخرجه أحمد في مسنده" برقم [١٤٦٥٣](٢٢/٢٣)، وهو صحيح.
(٣) البداية والنهاية، لابن كثير، (١٦١/٣).

مجموعات، وأمرهم بنشر تعاليم الإسلام، وتوسيع قاعدة المهتدين إليه، والمؤمنين به، ليكونوا النواة الأولى لبناء دولة الإيمان والإسلام في المدينة ..

وقد حقق الله تعالى للنبي ﷺ ما خطط له، فقامت دولة الإسلام، وانتشرت دعوته حتى عمَّت الجزيرة العربية بكاملها.

إضاءة

إن الداعي الرباني لا ييأس ..ولديه قدرة على الإبداع والابتكار بما يُناسب الزمان والمكان والإمكان..

إن الداعي الحقيقي يستحيل إيقافه عن دعوته، فلديه قدرة فائقة على إيجاد البديل، ففي عقله وخياله شبكة عنكبوتية من طُرق الدعوة التي يمكن سلوكها.. فإذا ما سُدَّ في وجهه طريقٌ، اخترق السدود عبر الطرق الأخرى..ومهما غُلِّقت الأبواب وتكاثرت السدود فإن دعوة الإسلام لا تموت.

ولا يستطيع أهل الدنيا ولو اجتمعوا أن يوقفوا مسيرة الدعوة إلى الله تعالى.. فإن أُغلقت أبواب الأرض فإن أبواب السماء مفتوحة لها..

هل تصدق أن أُناساً دخلوا في الإسلام وحَسُنَ إسلامهم من دون أي جُهدٍ بشري؟!!..

هذه حقيقة متواترة.. ولو سألت هؤلاء المهتدين عن أسباب وكيفية دخولهم في الإسلام لأصابك العجب.. فقد ذكر لي أَحد الدعاة أنه سأل أحد المهتدين عن سبب هدايته.. فأجابه: أنه رأى في المنام رجلاً يلبس البياض يشعُّ النور من وجهه، يخاطبه ويقول له: لماذا لا تزورنا؟!.. فلما سأله : من أنت؟. قال له : أنا محمد رسول الله ﷺ . قال له: فاستيقظت منتبهاً ومرتعشاً لهذه الرؤيا..ولكني قلت في نفسي : من أنا حتى يدعوني إلى زيارته، وأنا رجل غارق في المعاصي بكل أنواعها؟!!. فلعلها أضغاث أحلام..

ويتابع فيقول: لكنني فوجئت بنفس الرؤيا مرة ثانية..ثم ثالثة.. فبدأت أسأل عن الإسلام وأتعرَّف عليه.. فانشرح له صدري.. وكثُرَ بكائي ووجدي لزيارة النبي ﷺ.. فقمت بزيارته.. ومضى عليَّ سنوات وأنا ملتزم بالإسلام..

إن الدعوة الإسلامية حيَّة لا تموت.. فكم من داعٍ إلى الإسلام تآمرَ عليه أعداء الإسلام فسجنوه فاستطاع أن يحوِّلَ سجنه إلى مدرسة للدعوة، وكان سبباً في هداية عدد ليس بالقليل من الناس..، وقد تكرر هذا في عدد من بلدان العالم.

إضاءة

إن تعاظم الصعوبات والتحديات في طرق الدعوة، تُوَاجه بالثبات ووضْع الخطط المناسبة وتطويرها مع تطور الأحداث، وبمرونة وإبداع يتفوق على خداع واختراع أعداء الدعوة لوسائل الحرب على الدعوة والدعاة.

يقول سيدنا علي –كرم الله وجهه–:

إذا الحادثاتُ بلغْنَ المدى وكادت لهنَّ تذوبُ المهج
وحلَّ البلاءُ وقلَّ الوفا فعند التَّناهي يكونُ الفرج [1]

ويقول الشاعر:

دع المقادير تجري في أعنتها ولا تبيتَنَّ إلا خالي البالي
ما بين غمضةِ عينٍ وانتباهَتِها يغيّرُ اللهُ من حالٍ إلى حال [2]

(١) ديوان الإمام علي بن أبي طالب ﷺ، (ص/٦٨).
(٢) زاد المسلم والداعية من الشعر والبيان، (ص/٧٩).

■ **وعلى الداعي إلى الله تعالى أن ينتقلَ وينقلَ الناس معه من اليأس إلى التفاؤل والأمل..**

فعليه الابتعاد عن تغليبِ السلبية والمشاهد السوداوية على العمل الإسلامي، وكثرةِ الحديث عن انتشار الفساد والصعوبات الكبيرة، وضراوة الأعداء، وقوتهم القاهرة، وأساليبهم الماكرة.. وعليه التزام الطرح المتزن الذي يعبر عن المشهد بكل ألوانه المشرقة والقاتمة على حد سواء، والانطلاق لزرع التفاؤل والأمل بقوة في نجاح الدعوة وتقدمها خطوة تلو خطوة، ولدينا شواهد كثيرة من الواقع الذي نعيشه، تشهد على إنجازات يحققها الدعاة يوما بعد يوم..

حقيقة

إنَّ في اليأس والقنوط موتاً..
وإنَّ في التفاؤل والأمل حياة متجددة..

يقول سيدنا علي –كرم الله وجهه–:

إذا اشتملت على اليأسِ القلوبُ ... وضاقَ بما به الصدرُ الرحيبُ
وأوطنتِ المكارهُ واطمأنَّت ... وأرست في أماكنها الخطوب
ولم تَرَ لانْكشافِ الضرِّ وجهاً ... وما أجدى بحيلتهِ الأريبُ[1]
أتاكَ على قنوطٍ منك غوثٌ ... يَمُنُّ به اللطيفُ المستجيبُ
وكلُّ الحادثاتِ وإن تناهَت ... فموصولٌ بها فرجٌ قريبُ [2]

■ **وعلى الداعي ألا ييأسَ، وعليه تحريض أجيال الدعوة..**

(١) الأريب ذو الدهاء والبصيرة بالأمور.

(٢) ديوان الإمام علي بن أبي طالب ﷺ، (ص/١٣)..

فيدفع أجيال الدعوة للتفكير الإيجابي والإبداعي؛ لإنتاج طرائق النجاح وصنعها، وتنمية روح التفاؤل والأمل والطموح بفتح الأبواب المغلقة، والانطلاق بقوة لتحقيق الأهداف المرجوَّة..

- **وعلى الداعي ألا ييأسَ، وعليه أن يمتلك الحماسة والطاقة والحيوية...**

هذه الحماسة والطاقة والحيوية التي يتميَّز بها القادة الناجحون، وذلك لمواجهة الضغوط والصِّعاب.

رؤية

حتى يستطيع الداعي تحقيقَ آماله وأهدافه، فعليه أن ينظر إلى واقع الدعوة ومستقبلها نظرة متفائلة واقعية، نظرة تعترف بالصعوبات وتحللها وتدرسها وتضع لها الحلول، وبذات الوقت تثق بالنجاح وتحقيق الأهداف..

- **وعلى الداعي ألا ييأسَ، وعليه أن يشعَّ على من حوله طاقة وحيوية...**

وابتهاجاً وسعادةً وإشراقاً، ويبثَّ فيهم الثقة والتفاؤل بمستقبل الدعوة، وألا يلتفت إلى الأبواب المغلقة، بل يركز على الأبواب المفتوحة، والطرق المعبَّدة الميسَّرة..

هكذا كان رسول الله ﷺ يشجع أصحابه، ويُلهبُهم حماسةً في نصرة دين الله، ويبشرهم بالفتح والنصر وانتشار الدعوة لتبلغَ ما بلغ الليل والنهار، وأنها ستظهر على الدين كله ولو كره الكافرون..

يقول الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ

لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [سورة التوبة].

ويقول الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [سورة الفتح].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحِبُّ الْفَأْلَ الْحَسَنَ وَيَكْرَهُ الطِّيَرَةَ[1])) [2].

• القاعدة الحادية عشرة:
من الحكمة في الدعوة: المداراة، لا المداهنة.

■ مداراة الناس من الحكمة، بشرط عدم التفريط بالدين.

فعَنْ عَائِشَةَ –رضي الله عنها– أَنَّ رَجُلاً اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا رَآهُ قَالَ:" بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ، وَبِئْسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ." فَلَمَّا جَلَسَ تَطَلَّقَ النَّبِيُّ ﷺ فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا انْطَلَقَ الرَّجُلُ، قَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ:" يَا رَسُولَ اللَّهِ، حِينَ رَأَيْتَ الرَّجُلَ قُلْتَ لَهُ كَذَا وَكَذَا، ثُمَّ تَطَلَّقْتَ فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطْتَ إِلَيْهِ." **فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ** ﷺ :«يَا عَائِشَةُ مَتَى عَهِدْتِنِي فَحَّاشاً إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ» [3].

يقول عمر بن عبد العزيز:((إني لأُجمِعُ أن أُخرجَ للمسلمين أمراً من

(١) الطيرة: هي التشاؤم.

(٢) أخرجه أحمد في "مسنده" برقم [٨٣٩٣](١٢٢/١٤)، وهو صحيح.

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه"برقم [٦٠٣٢](ص/١١٦٧)، ومسلم في "صحيحه"برقم [٢٥٩١](ص/١٠٤٣)، واللفظ للبخاري.

العدلِ، فأخافُ ألَّا تحتملَه قلوبهم فأخرج معه طمعاً من طمع الدنيا، فإن فرَّتِ القلوب من هذا سكنَت إلى هذا)) [1].

أي أنه ﷺ كان يجمع مع قراره العادل –والعدل ثقيل على بعض النفوس– شيئاً من الجوائز والمكاسب التي تُحفِّز الناس على تطبيق قرار العدل. وفي هذا مداراة من الراعي لرعيَّته.

ويقول ابن حبان البستي: ((الواجب على العاقل أن يداري الناسَ مداراة الرجلِ السابحِ في الماء الجاري، ومن ذهب إلى عشرة الناس من حيث هو، كَدَّرَ على نفسه عيشَه، ولم تَصْفُ له مودته؛ لأنَّ ودادَ الناس لا يُسْتجلبُ إلا بمساعدتهم على ما هم عليه، إلا أن يكون مأثماً، فإذا كانت حالة معصية فلا سمعَ ولا طاعةَ))[2].

ويقول عطاء بن أبي رباح : ((إني لأسمع الحديثَ من الرجل وأنا أعلمُ به فأريه كأني لا أُحسِنُ منه شيئاً))[3].

رؤية

إنَّ الداعيَ مطالب بمداراة الناس حتى يتمكَّن من تبليغهم رسالة الإسلام، والارتقاء بهم عقلياً وروحياً وأخلاقياً..

والمداراة أمر يحتاجه الداعي مع الحبيب والصديق والقريب والبعيد..، ويحتاجه مع العالم والجاهل، بسبب اختلاف طبائع الناس، فمعاشرتهم تحتاج للإغضاء، وإن لم يفعل كان إلى الفشل أقرب منه إلى النجاح، وإلى نفور الناس عنه أقرب من ودادهم.

(١) عيون الأخبار ، لابن قتيبة الدينوري،(٤/١).
(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، لمحمد بن حبان البستي، (ص/٦٥وما بعدها).
(٣) المصدر السابق، (ص/٦٧).

قال معاوية: ((لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي، ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني، ولو أن بيني وبين الناس شعرةً ما انقطعت. قيل: وكيف ذاك؟ قال: كنت إذا مدّوها خلّيتها وإذا خلّوها مددتها)). [1]

وقال الوليد لعبد الملك: ((يا أبتِ، ما السياسةُ؟ قال:" هيبة الخاصّة مع صدق مودّتها، واقتياد قلوب العامة بالإنصاف لها، واحتمال هفوات الصّنائع)) [2].

■ والداعي إلى الله تعالى يُداري الناس ولا يُداهنهم؛ لأن المداراة حدها الطاعة، وهي بذل الدنيا من أجل الدين، وأما المداهنة فهي بذل الدين من أجل الدنيا، فهي إثم ومعصية.

حقيقة

المداراة طلبُ المودَّات، واكتساب الأنصار، وإصلاح الطبائع.. ومداراة الناس والتحبب إليهم دليل على حكمة الدعاة.

■ والمداراة باب من أبواب الدفْعِ بالتي هي أحسن.

يقول الله تعالى: ﴿ ..ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ ﴾ [سورة فصلت].

ففي المداراة تقريب البعيد، أو إطفاء نار عداوة أو حسد أو حقد، أو فتح باب مودة، أو تمهيد لقبول الأفكار، أو تحسين لفُرص الإقناع..

(١) عيون الأخبار ، لابن قتيبة الدينوري، (٤/١)، وفي الأصل مَدَدتهم.

(٢) المصدر السابق،(٤/١).

• القاعدة الثانية عشرة:
من الحكمة في الدعوة: اللين واللطف، لا الفظاظة والغلظة والشدة.

إضاءة

على الداعي إلى الله تعالى أن يدعو الناس بالرفق لا بالشدة، وأن يعلِّمهم باللين لا بالعنف والفظاظة، وأن يصحبهم باللطف لا بالغلظة، وألا يتصرف معهم بطريقة تنفرهم من الدين، وألا يكلِّفهم ما لا يطيقون..

■ فقد أمر الله تعالى نبيَّه محمداً ﷺ أن يُعامل المسلمين باللين واللطْف والرفق، فقال: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[سورة آل عمران] .

فقد نزلت هذه الآيات بعد معركة أُحد، بعد أن وقع بعض الصحابة بمخالفة أمر النبي ﷺ ونتج عن ذلك خسارة المعركة، وإصابة النبي ﷺ إصابات بليغة، واستشهاد عدد من الصحابة، وقد ساءَ هذا الموقف وما أدَّى إليه من آلامٍ ونتائجَ النبيَّ ﷺ ، فطالبَه الله تعالى أن يعْفوَ عنهم، ويتجاوز عما بدَرَ منهم، وأن يرفقَ بهم، وأن يعاملَهم باللطف واللين وحُسن المعاشرة بما يتناسب مع سموِّ أخلاقه الكريمة.

■ وكان رسول الله ﷺ يأمر المسلمين أن يأخذوا بالرفق وينهى عن الشدة:

يقول النبي ﷺ : «اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ»[1].

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم [١٨٢٨](ص/٧٦٤).

ويقول النبي ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ رفيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ »[١].

ويقول النبي ﷺ: « إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ »[٢].

ومعنى (وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ): أي يُثيب عليه ما لا يُثيب على غيره. والرفق ضد الشدة.

ويقول النبي ﷺ : «إن الرِّفقَ لا يكون في شيء إلا زانَه[٣] ولا يُنزَعُ من شيء إلا شَانَهُ[٤]» [٥].

ويقول النبي ﷺ : «من يُحرَم الرفقَ يُحرَم الخيرَ»[٦].

وأمر النبي ﷺ السيدة عائشة بالرفق **فقال**: «يَا عَائِشَةُ، ارْفُقِي فَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْراً دَلَّهُمْ عَلَى بَابِ الرِّفْقِ»[٧].

ويقول النبي ﷺ :« إنما يَحْرُمُ على النار كلُّ هيِّنٍ ليِّنٍ قريبٍ سهلٍ»[٨].

- وكان النبي ﷺ يُعامل المسلمين بالرفق واللين ويلطف بهم.

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه"برقم [٦٩٢٧] (ص/١٣٢٢)، مسلم في "صحيحه"برقم [٢١٦٥](ص/٨٩٣)، واللفظ للبخاري.
(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم [٢٥٩٣] (ص/١٠٤٣).
(٣) زانه: أي زيَّنه.
(٤) شانه: أي عيَّبه.
(٥) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم [٢٥٩٤] (ص/١٠٤٣).
(٦) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم [٢٥٩٢] (ص/١٠٤٣).
(٧) أخرجه أحمد في "مسنده" برقم [٢٤٧٣٤](٤١/٢٥٥)، وهو صحيح.
(٨) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" برقم [٤٩١](٢/٢١٥)، وهو صحيح.

عن أنس بن مالك ﷺ قال: ((بينما نحن في المسجدِ مع رسول الله ﷺ إذ جاءَ أعرابي فقام يبولُ في المسجدِ فقال أصحاب رسول الله ﷺ:" مه مه " [1] قال: **قال رسول الله** ﷺ «لا تُزْرِمُوه، دعوه.» فتركوه حتى بال. ثم إن رسول الله ﷺ دعاه **فقال له**: «إن هذه المساجدَ لا تصلح لشيءٍ من هذا البولِ ولا القذرِ، إنما هي لذكرِ الله ﷻ والصلاةِ وقراءةِ القرآن» أو كما قال رسول الله ﷺ قال: فأمر رجلاً من القوم فجاءَ بدلوٍ من ماءٍ فشَنَّه عليه[2])) [3].

- وكان النبي ﷺ يُشجع المدعوين ويرفق بهم ويدعوهم إلى إصلاح ما فسد..

عن معاوية بن الحكم السلمي ﷺ قال: ((بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطَسَ رجلٌ من القومِ فقلت: يرحمك الله. فرماني القومُ بأبصارِهم، فقلت: واثُكْلَ أُمَّياه! ما شأنكم؟ تنظرون إليَّ، فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذِهم، فلما رأيتُهم يصمِّتونني لكنِّي سكتُّ. فلما صلَّى رسول الله ﷺ فبأبي هو وأمي ما رأيتُ معلماً قبلَه ولا بعدَه أحسنَ تعليماً منه فوالله ما كهرَني [4] ولا ضربَني ولا شتمَني. **قال**:« إنَّ هذه الصلاةَ لا يصلحُ فيها شيءٌ من كلامِ الناس إنما هو التسبيحُ والتكبيرُ وقراءةُ القرآن» [5].

- وكان النبي ﷺ يرفق بأصحابه عند تعليمهم فلا يُطيل عليهم ولا يُثْقلُ..

---

(١) هي كلمة زجر بمعنى: كُفَّ.

(٢) فشنَّه: أي صبَّه.

(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم [٢٨٥](ص/١٣٧).

(٤) ما كهرني: أي ما عَبَسَ بوجهي.

(٥) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم [٥٢٧](٢١٦).

عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: ((كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُنَا[1] بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْأَيَّامِ كَرَاهَةَ السَّآمَةِ[2] عَلَيْنَا)) [3].

■ وكان رسول الله ﷺ يرفق بالأمهات حتى لا يشقَّ عليهن..

فعن أَبِي قَتَادَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ **قَالَ**: « إِنِّي لَأَقُومُ فِي الصَّلَاةِ أُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فِيهَا فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِي كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ» [4].

فقه الدعوة والحياة:

أولاً: إن أسلوب الرفق واللين واللطف في الدعوة إلى الله تعالى يتمتع بالميزات التالية:

١- من أنجح أساليبها وأكثرها تأثيراً بالمدعوِّين.

٢- من أكثر أساليبها جذباً للمدعوِّين.

٣- من أكثر أساليبها أثراً في بناء علاقة طيبة،قائمة على الثقة والمحبة والمودة بين الداعي والمدعو.

٤- من أكثر أساليبها راحة وفتحاً لأسارير النفس، مما يجعل نفوس المدعوين أكثر إقبالاً على تعاليم الإسلام وتقبلاً لها.

---

(١) يتخولنا: أي يتعاهدنا على فترات.

(٢) السآمة: الملل.

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٦٨](ص/٣٩)، ومسلم في "صحيحه"برقم [٢٨٢١](ص/١١٣٤)، واللفظ للبخاري.

(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٧٠٧](ص/١٤٩)، ومسلم في "صحيحه"برقم [٤٧٠](ص/١٩٦)،واللفظ للبخاري

ثانياً: تشير الأحاديث التي وردت في موضوع الرفق إلى ما يلي:

١- كل محبٍّ حقيقي لله تعالى يجب أن يكون رفيقاً، فإن لم يكن كذلك فهو مدَّعٍ؛ لأن المحب ينطبع ويتخلَّق بما يحبه المحبوب.

٢- الرفق يشمل التعامل بكل أمور الحياة، مع الإنسان والحيوان والنبات، ومع المسلم وغير المسلم، وفي شأن الدعوة إلى الله تعالى، والنصح والتأديب والتعليم، وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي كافة التعاملات من بيع وشراء وزواج..، ومع الكبار والصغار والرجال والنساء.

٣- نصيب الداعي من الخير ومن النجاح على قدر نصيبه من الرفق، فمن حُرم الرفق واتصف بالعنف والشدَّة فقد حُرم الخير.

٤- يعطي الله تعالى على الرفق في الدنيا الثناء الحسن الجميل والنجاح والقبول..، ويعطي عليه في الآخرة من الأجر الجزيل ما لا يعطي على سواه.

٥- وفي الأحاديث إشارة إلى ضرورة إعذار الجاهل إذا بدَر منه تصرف لا يليق ولاسيما إذا كان قريب العهد بالإسلام، فقد نهى النبي ﷺ أصحابه عن أخذ الأعرابي الذي بال في المسجد بالشدَّةِ.

٦- وفيها إشارة إلى إنكار المنكر برفق عن طريق التعليم وبيان حقائق الأشياء لمن يجهلها، والتنبه عند إزالة المنكر ألَّا يؤديَ إلى منكر أكبر منه.فلو ترك النبي ﷺ أصحابه ليزجروا الأعرابي الذي يبول في المسجد، لَلوَّثَ ثيابَه، ولَتناثرت قطرات البول في المسجد فلا يمكن حصرها، وبذلك يتوسع المنكر ويزداد.

٧- وفيها التيسير لا التعسير في معالجة الأمور، فقد أمر النبي ﷺ بإزالة

النجاسة بصبِّ دلو ماء على مكان البول وانتهى الأمر، ولم يأمرهم أن ينتظروا جفاف الأرض، ولو كان ذلك مطلوباً لنبَّه إليه.

٨- وفيها إشارة إلى أن التعليم والتأديب لا يكونان إلا بالرفق، وأن المعلم يجب أن يتصف بالرفق ويُلازمه، وفي ذلك الخير والبركة والنجاح.

٩- وفيها إشارة إلى الرفق بالمأمومين بالصلاة وعدم الإطالة عليهم.

١٠- وفيها إشارة إلى الرفق بالمتعلمين وعدم الإطالة عليهم، وتزويدهم بالعلوم والمعارف على دفعات وبالتدريج.

يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ــ كرم الله وجهه ــ يوصي أحد عمَّاله: ((فاستعن بالله على ما أهمَّك، واخلُطْ الشدة بضغْثٍ من اللِّين، وارفُقْ ما كان الرِّفقُ أرفقَ، واعتزمْ بالشِدَّة حين لا يُغني عنك إلا الشِّدَّة . واخفضْ للرعيَّةِ جناحَك، وأَلِنْ لهم جانبَك، وآسِ[1] بينهم في اللحظة والنظرة والإشارة والتحية، حتى لا يطمعَ العظماءُ في حيفك، ولا ييئسَ الضعفاءُ من عدلِك)) [2].

والرفق دليل على نضج عقل الإنسان ، والعنف والشدة دليل على قلة عقله وخرقه.

قال ابن حبان البستي : ((العاقل يلزم الرفق في الأوقات، والاعتدال في الحالات؛ لأن الزيادة على المقدار في المبتغي عيب، كما أن النقصان فيما يجب من المطلب عجز، وما لم يصلحه الرفق لم يصلحه العنف، ولا دليل أمهر من

(١) آس بينهم أي شارك وسَوِّ بينهم.
(٢) نهج البلاغة، (٧٦/٣).

رفق، كما لا ظهير أوثق من العقل، ومن الرفق يكون الاحتراز، وفي الاحتراز ترجى السلامة. وفي ترك الرفق يكون الخُرْق، وفي لزوم الخُرْق تخاف الهلكة.)) [١] .

وكتب عمرو إلى معاوية يعاتبه:((أما بعد، فإن التفهم في الخير زيادة ورشد، وإنه من لا ينفعه الرفق يضره الخُرْق، ومن لا تنفعه التجارب لا يدرك المعاني – أو قال: المعالي– ولا يبلغ الرجل مبلغ الرأي حتى يغلب حلمُه جهلَه، وتصبُّرُه شهوتَه، ولا يدرك ذلك إلا بقوة الحلم.)) [٢]

وأنشد المنتصر بن بلال الأنصاري :

الرفق ممن سيلقى اليُمْن صاحبُه والخُرْق منه يكون العنفُ والزللُ[٣]

وأنشد منصور بن محمد الكريزي:

الرفق أيمن شيء أنت تتبعه والخرق أشأم شيء يقدم الرجلا

وذو التثبت من حمد إلى ظَفَر من يركب الرفق لا يستحقب الزَّللا [٤]

• القاعدة الثالثة عشرة:
من الحكمة في الدعوة: الكلمة الطيبة، لا الخبيثة.

يقول الله تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [سورة البقرة: ٨٣].

إن الله تعالى يأمر باستخدام الكلام الطيب؛ لأن القول الحسن له تأثير

(١) روضة العقلاء ، لابن حبان البستي، (ص/١٩٤).
(٢) المصدر السابق، (ص/١٩٥وما بعدها).
(٣) المصدر السابق،(ص/١٩٣).
(٤)المصدر السابق،(ص/١٩٣).

حسن فعال في النفوس، فهو لطيف تستحسنه النفوس وترتاح له.

■ **والكلمة الطيبة** يجب أن يتوفر فيها شروط، ومنها:

الأول: أن تكون خالصة لوجه الله تعالى.

الثاني: أن يستدعيها جلب مصلحة أو دفع مضرة.

الثالث: أن تُقتصر على قدر الحاجة، فلا تطويل ممل ولا اختصار مخل.

الرابع: أن تأتي في وقتها وتصيب هدفها.

الخامس: أن تكون معبرة عن علم متين، وفهم عميق، وبلفظٍ جميل.

والداعي إلى الله تعالى إذا لم يتصفْ كلامه بهذه الشروط كان كلامه ميتاً لا يُنبت خيراً ولا يدفع شراً.

■ ولقد شبه الله تعالى الكلمة الطيبة وهي كلمة التوحيد والدعوة إلى الإسلام بالشجرة الطيبة التي لا تنقطع ثمارها ولا يتوقف خيرها.

يقول الله تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾** ﴾ [سورة إبراهيم].

والإشارة إلى ثبات أصل الشجرة، يلفت الانتباه إلى أن الكلمة الطيبة تثبت في القلب والعقل والنفس فلا تُنْزَعُ ولا تضيعُ.

■ والنبي ﷺ جعل من الكلمة الطيبة صدقة يتقرب بها العبد إلى مولاه ﷻ ، **فقال**:« الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ»[1].

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٢٩٨٩](ص/٥٧٣)، ومسلم في "صحيحه" برقم [١٠٠٩](ص/٣٩٠)، وهو متفق عليه.

■ والنبي ﷺ جعل من الكلمة الطيبة وقاية من النار، **فقال**:« اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقَّةِ تَمْرَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ شِقَّةَ تَمْرَةٍ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»(١).

■ والكلمة ترجمان العقل، فإن كان صاحبها ذا حكمة، كانت طيبة صائبة حكيمة. وإن كان صاحبها ذا رعونة، كانت سيئة بذيئة جاهلة ساقطة..

■ والكلمة تعبر عن مكنونات الصدور، وما تنطوي عليه النفوس من سجايا، فإذا خرجت لا يمكن استرجاعها، ولا يُتمكَّن من رد بوائقها.

■ ومقام الدعوة والغضب لا يجتمعان، فإذا غضبت فالزم الصمت، فإنه يكفيك مؤونة الاعتذار، ويُلبسك ثوب الوقار.

■ ومقام الدعوة وبذيء الكلام لا يجتمعان. قال الأحنف بن قيس: ((ألا أُخْبِرُكُمْ بِأَدْوَئِ الدَّاءِ ؟ قَالُوا بَلَى. قَالَ: الْخُلُقُ الدَّنِيُّ وَاللِّسَانُ الْبَذِيُّ.))(٢) والبذاءة: السفاهة والفحش في المنطق، والبذاءة تقابل الحياء.

إضاءة

لذلك اعقل أيها الداعي لسانك إلا عن حق توضحه، أو باطل تدحضه، أو دعوة تنشرها، أو نعمة تذكرها، أو فضيلة تغرسها، أو حكمة تعلمها.

■ **ومقام الدعوة وسوء الخُلق لا يجتمعان.**

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: ((لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ فَاحِشاً وَلَا مُتَفَحِّشاً، **وَكَانَ يَقُولُ**: « إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقاً»(٣).

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٣٥٩٥](ص/٦٨٧)، ومسلم في "صحيحه"برقم [١٠١٦](ص/٣٩٢)،وهو متفق عليه.

(٢) أدب الدنيا والدين، للماوردي، (ص/٢٣٤)

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم [٣٥٥٩]، (ص/٦٨٢)

ويقـول النبـي ﷺ : «إيـاكم والفُحْـش، فـإنَّ الله لا يحـب الفحـش ولا التفحُّش» (١).

ويقول النبي ﷺ : «إنَّ أثقلَ ما وضع في ميزان المؤمن يوم القيامة خلقٌ حسنٌ، وإن الله يبغضُ الفاحشَ البذيء» (٢).

ويقـول النبـي ﷺ : «البـذاءُ مـن الجفـاء، والجفـاءُ في النـار، والحيـاءُ مـن الإيمان، والإيمانُ في الجنة» (٣).

ويقول النبي ﷺ : « مـا كـان الحياء في شيءٍ إلا زانَهُ، ولا كـان الفحش في شيءٍ إلا شانَهُ» (٤).

ويقـول النبـي ﷺ : « ليس المؤمن بالطعَّان ولا اللعَّان ولا الفـاحش ولا البذيء » (٥).

إضاءة

الداعي إلى الله تعالى بالكلمة الطيبة وحُسن الخلق، يكثر أحباؤه وأصفياؤه، ويقل أعداؤه، وتسهل مهامه، وتتحقق غاياته، وتتوسَّع نجاحاته، وتتساقط الحواجز أمامه، فيتجاوز صعابه.

■ والداعي إلى الله تعالى طيِّب الكلمة، وليِّن الجانب، وسهل العريكة، وطليق الوجه.

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم [٢١٦٥](ص/٨٩٤)، وابن حبان في "صحيحه"برقم[٥١٦٧] (٥٧٩/١١)، واللفظ له، وهو صحيح.
(٢) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" برقم [٥٦٩٣](٥٠٦/١٢)، وهو صحيح.
(٣) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" برقم [٥٧٠٤](٥٠٦/١٢) ، وهو صحيح.
(٤) صحيح الأدب المفرد للبخاري، برقم [٦٠١/٤٦٩](ص/٢٢٤).
(٥) أخرجه الترمذي في"سننه" برقم [١٩٧٧](ص/١٣٣)، وهو صحيح.

■ والداعي إلى الله تعالى يبتعد عن التشدق في الكلام، والتقعير والتكلف.

عن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ **قال**:« إنَّ من أحبِّكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم إليَّ وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة الثرثارون[1] والمتشدقون[2] والمتفيهقون[3]» قالوا: يا رسول الله، قد علمنا الثرثارون والمتشدقون، فما المتفيهقون؟ **قال**: «المتكبرون »[4].

ويبتعد الداعي عن استعمال الألفاظ الغريبة التي يصعب فهمها، فلا يتأتى منها هدف التربية والتعليم والتعريف بالإسلام..

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **قَالَ رَسُولُ اللَّهِ** ﷺ :«هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ» قَالَهَا ثَلَاثاً.[5]

والمتنطعون هم المبالغون في الأمور.

(١) الثرثارون هم: الذين يُكثرون من الكلام بلا فائدة..

(٢) المتشدقون هم: المتعاظمون والمتطاولون في كلامهم على الناس، ويتصنعون ويتفاخمون.

(٣) المتفيهقون: هم المتكبرون على الناس.

(٤) أخرجه الترمذي في "سننه" برقم [٢٠١٨](ص/٣٣٥)، وهو صحيح.

(٥) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم [٢٦٧٠](ص/١٠٧١).

• القاعدة الرابعة عشرة:
من الحكمة في الدعوة: العفو والصفح، لا المحاسبة والمؤاخذة والانتقام.

▪ **حقيقة العفو والصفح:**

العفو عن المسيء هو التجاوز عنه. والصفح عنه هو ترك المؤاخذة.

قال الراغب: ((الصفح ترك التثريب، وهو أبلغ من العفو، ولذلك قال: ﴿ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ ﴾ [سورة البقرة:١٠٩] وقد يعفو الإنسان ولا يصفح)) (١).

▪ **العفو والصفح في الداعي:** ركنان من الصفات اللازمة له، والتي إذا فُقدت فشل الداعي في دعوته، وفَقد القدرة على جمع المدعوين، والحفاظ عليهم وتربيتهم والترقي بهم وتبليغهم تعاليم الإسلام.

إن الخطأ من طبيعة الإنسان، وهو أمر ملازم له، ولا يوجد أحد معصوم عن الخطأ إلا الأنبياء الذين عصمهم الله تعالى.

ولما كان الأمر كذلك، فإن الداعي يتعامل مع شرائح من الناس غير منزهة من الخطأ، ويقعون في الأخطاء بنسب متفاوتة.

▪ **متى يعفو الداعي ويصفح؟!..**

يغضُّ الداعي طرفه عن الأخطاء الشائعة غير المقصودة، ويعفو ويصفح

(١) المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد الراغب، (٢٨٢/١).

عمَّن أخطأ معه وانتقص من حقوقه، وبخاصة إذا اعتذر المخطئ عما بدر منه.

وينبه الداعي عموماً إلى الأخطاء بتوجيه غير مباشر على مبدأ (ما بال أقوام) اقتداءً بالنبي ﷺ.

– ويسامح الداعي في حقوقه الشخصية ويعفو ويصفح عن المخطئين معه، عملاً بقول الله تعالى: ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [سورة آل عمران] .

– أما في الحقوق العامة الشرعية والدعوية وغيرها، فلا بد للمخطئ أن يُصلح ما أفسد، ويعتذر لصاحب الحق ويستسمح منه، وعندها يكون العفو والصفح.

– أما في حال ارتكاب المخطئ مخالفات شرعية مع إصرار عليها، فلا عفو ولا صفح، بل النصح والتنبيه والتحذير، فإذا لم يرتدع فلا بد من موقف واضح بالإنكار عليه علناً، والأخذ على يده. فعَنْ عَائِشَةَ –رضي الله عنها– قَالَتْ: ((مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئاً قَطُّ بِيَدِهِ وَلَا امْرَأَةً وَلَا خَادِماً إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ)) [1] ففي هذا الحديث الحث على العفو والحلم واحتمال الأذى، والانتصار لدين الله تعالى، [2]والأخذ على يد من ينتهك حرماته.

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم [٢٣٢٨](ص/٩٥١).
(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ، (١٥/٨٤).

■ **العفو والصفح معْلَمَان بارزان في القرآن الكريم:**

* العفو والصفح عن المخالفين في معركة أُحد:

ففي معركة أحد صَدَق الله تعالى وعده للمسلمين فانتصروا في بداية المعركة على المشركين، فلما عصى الرماة أوامر النبي ﷺ ولم ينفذوا الخطة التي أمرهم بها، وتنازعوا حول تنفيذها، وفشلوا، خسروا المعركة، واستشهد عدد من أصحاب النبي ﷺ وفي مقدِّمتهم حمزة عمُّ النبي ﷺ ، ومع كل المعاناة والنتائج الصعبة والمرارة التي تجرَّعها المسلمون بسبب الذين خالفوا النبي ﷺ، خاطب الله ﷻ العصاة المخالفين بالعفو والصفح فعفا عما بدرَ منهم..

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [سورة آل عمران] .

لقد عفا الله تعالى عنكم لِما علم من ندمكم على ما فرط منكم من عصيان أمر رسول الله ﷺ [1] وعفا عنكم تفضلاً، والله ذو فضلٍ على المؤمنين[2]..

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [سورة آل عمران] .

(١) الكشاف، للزمخشري، (١/٤٥٤).

(٢) تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، (١/١٨٤).

ولقد عفا الله تعالى عنهم لتوبتهم واعتذارهم، إن الله غفور للذنوب، حليم على العصاة، لا يُعاجل بعقوبة المسلم كي يتوبَ.

وبعد أن عفا الله تعالى عنهم أمر نبيَّه محمداً ﷺ أن يعفوَ عنهم ويستغفرَ لهم، ويعاملهم بالرحمة واللين، فقال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[سورة آل عمران].

ومع أنهم عصوا الرسول ﷺ، وتسبَّبوا بهزيمة المسلمين وألحقوا بهم أذى عظيماً، وأدخلوا الغمَّ على قلب رسول الله ﷺ، مع ذلك كله أمره الله تعالى أن يعفوَ عنهم فيما يختص به، وأن يستغفر لهم فيما لله تعالى عليهم، بل أمره أن يُشاورهم تطييباً لنفوسهم.

* وأمر الله تعالى نبيَّه محمداً ﷺ بأن يأخذ بالعفو عموماً:

فقال تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾[سورة الأعراف].

قال جعفر الصادق: ((ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاقِ من هذه الآية.))[1].

وقال الإمام القرطبي:((هذه الآية من ثلاث كلمات، تضمنت قواعد الشريعة في المأمورات والمنهيات. فقوله : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ ﴾ دخل فيه صلة القاطعين، والعفو عن المذنبين، والرفق بالمؤمنين، وغير ذلك من أخلاق

(١) تفسير اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الدمشقي، (٤٣٢/٩).

المطيعين. ودخل في قوله : ﴿ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ ﴾صلة الأرحام، وتقوى الله في الحلال والحرام، وغض الأبصار، والاستعداد لدار القرار. وفي قوله ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾الحض على التعلق بالعلم، والإعراض عن أهل الظلم، والتنزه عن منازعة السفهاء، ومساواة الجهلة الأغبياء، وغير ذلك من الأخلاق الحميدة والأفعال الرشيدة))[1].

فعلى الداعي أن يأخذ بالعفو، وأن يكون وقَّافاً عند كتاب الله، كما فعل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ حينما استأذن الحُرُّ بن قَيْس لعُيينةَ بن حصن بالدخول عليه، ((... فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ، قَالَ: هِيْ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، فَوَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الجَزْلَ[2]، وَلَا تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ، فَغَضِبَ عُمَرُ، حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الْحُرُّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾[سورة الأعراف] وَإِنَّ هَذَا مِنْ الْجَاهِلِينَ، وَاللَّهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَّافاً عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ)) [3] .

وعلى الداعي أن يأمر بالمعروف الشامل للأوامر والنواهي الشرعية.

وعلى الداعي أن يُعرض عن الجاهلين السفهاء الذين يتعرضون له بالشر والإيذاء، حفاظاً على مقام الدعوة وتنزيهاً له من كل سفه وجهل.

---

(١) تفسير الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي،(٩/٤١٨).

(٢) الجزل: أي ما تعطينا العطاء الكثير .

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٤٦٤٢](ص/٨٨٤).

* وأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يصفحَ الصفح الجميل:

يقول الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ ﴾ [سورة الحجر]
أي: أعرض يا محمد عن المشركين، واحتمل ما تلقى منهم من أذى، واحلم عليهم، وتغاض عن هفواتهم، وخالِقْهم بخلق حسن طمعاً في إسلامهم.

فكان رسول الله ﷺ يصفح صفحاً جميلاً، وهو صفح وعفو بلا عتاب، وكان يصلُ من قطعه، ويُعطي من حرمه، ويعفو عمن ظلمه، كما فعل مع أهل ثقيف.

* وأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يعفوَ ويصفحَ عن أهل الكتاب:

يقول الله تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [سورة المائدة].

أي: فاعْفُ عن مُؤمنيهم، ولا تُؤاخِذْهُم بما سلَفَ منهم، وهو وجه من وجوه تفسير الآية [1]. وهؤلاء كعبد الله بن سلام وأصحابه ممن أسلموا.

وقيل: فاعف عنهم واصفح إن تابوا وآمنوا أو عاهدوا[2]، والعفو عنهم إحسان.

(١) تفسير اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الدمشقي،(٢٥٥/٧).
(٢) تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي،(٢٥٩/١).

وقيل: فاعف عنهم واصفح ما دام بينك وبينهم عهد وهم أهل الذمة. [1]

وقال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [سورة البقرة].

والمراد بالعفو والصفح هنا ترك المقابلة والإعراض ليتم تسكين الأمور، حتى يأتيَ الله بأمره..وأمر الله تعالى هنا:

- إما مجازاتهم يوم القيامة.
- أو بلوغ الرسول وأمته مرحلة القوة.
- أو الأمر بالقتال، وعليه الجمهور. [2]
- أو دخولهم في الإسلام كما حصل من بعضهم.

* وأمر الله تعالى المسلمين أن يعفوا ويصفحوا:

- فجعل من صفات المتقين العفو عن الناس.. يقول الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [سورة آل عمران].

- وطالب الله تعالى المسلمين أن يعفوا ويصفحوا عن أخطاء الأولاد والأزواج والأهل المثبطين عن فعل الخير.. يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

(١) تفسير الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٣٨٢/٧).
(٢)تفسير اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الدمشقي، (٣٩٣/٢).

ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [سورة التغابن] والعداوة هنا تثبيطهم المسلم عن الجهاد وفعل المعروف..(فقد نزلت الآية في عوف بن مالك الأشجعي، وكان ذا أهل وولد، وكان إذا أراد الغزوَ بكَوْا إليه ورقَّقُوه، فقالوا: إلى من تدعُنا؟ فيرقُّ فيقيمُ... [1] وروى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنه وسأله رجل عن هذه الآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [سورة التغابن]، قال: هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة، وأرادوا أن يأتوا النبي ﷺ فأبى أزواجهم وأولادهم أن يَدَعُوهُم أن يأتوا رسول الله ﷺ فلما أتوا رسول الله ﷺ رأوا الناس قد فَقهوا في الدين فهمُّوا أن يعاقبوهم فأنزل الله عز وجل الآية) [2].

- وطالب الله تعالى المسلمين أن يعفوا ويصفحوا عن الإساءة إليهم:

يقول الله تعالى: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [سورة الشورى].

ويقول الله تعالى: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [سورة الشورى]

ويقول الله تعالى: ﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا

(١) تفسير الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (١٧/٢١).

(٢) أخرجه الترمذي في "سننه" برقم [٣٣١٧](ص/٥٢٥)، وقال: حديث حسن صحيح.

عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ [سورة النساء]

ويقول الله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [سورة النور].

والعَفُوُّ اسم من أسماء الله الحسنى، وقد علمنا الله تعالى العَفْوَ، بعَفْوه عن بعض الأخطاء التي يقع بها المسلمون...

فقد عفا الله تعالى عن قتل المسلمين للصيد وهم في حال الإحرام، يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ ﴾ [سورة المائدة].

وعفا الله تعالى عن كثرة سؤال المسلمين للنبي ﷺ والإلحاح عليه في المسألة، يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ﴾ [سورة المائدة].

لذلك كان النبي ﷺ **يقول**:« ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ، وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ. »[1]

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه"برقم [١٣٣٧](ص/٥٢٩).

■ **العفو والصفح معلمان بارزان في السنة النبوية:**

وعلى الداعي أن يقتديَ برسول الله ﷺ ...

* فقد كان ﷺ لا ينتقم لنفسه، ولا يُسيء إلى من أساء إليه، ولا يُعاقبه، ولا يُعاتبه، بل كان **يعفو ويصفح الصفح الجميل**.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- :((أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ الَّتِي فِي الْقُرْآنِ يا أيها النبي ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرًا ۝٨﴾ [سورة الفتح] قَالَ فِي التَّوْرَاةِ: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً، وَحِرْزاً لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ، وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا سَخَّابٍ بِالْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ بِأَنْ يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَيَفْتَحَ بِهَا أَعْيُنًا عُمْياً وَآذَاناً صُمّاً وَقُلُوباً غُلْفاً.)) (١)

وسُئلت السيدة عائشة -رضي الله عنها- عن خلق رسول الله ﷺ **فقالت**: ((لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً، ولا صخَّاباً في الأسواق، ولا يجزي بالسيئةِ السيئةَ، ولكن يعفو ويصفح)) (٢).

وقالت السيدة عائشة –رضي الله عنها–: ((يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ **فَقَالَ**: « لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ(٣)، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٤٨٣٨](ص/٩٥٠).

(٢) أخرجه الترمذي في "سننه" برقم [٢٠١٦](ص/٣٣٥)، وهو صحيح.

(٣) يوم العقبة: هو اليوم الذي وقف فيه ﷺ عند العقبة التي بمنى يدعو الناس إلى الإسلام فما =

فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ[1]، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ؛ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ. **قَالَ**: فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ، وَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ؟ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمْ الْأَخْشَبَيْنِ[2]. **فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ** ﷺ :«بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً.»))[3].

هكذا قابل رسول الله ﷺ الذين عذبوه وآذوه بالعفو والصفح والدعاء لذريَّاتهم بالهداية.

وحتى المنافقين الذين تآمروا عليه، ومكروا به، وسَعَوا بكل طاقتهم لتوهين المسلمين وهزيمتهم، وكانوا لا يرقبون في مؤمن إلّاً ولا ذمة ولا عهداً، وكانوا يلقون المسلمين بألسنة حدادٍ أشحَّة على الخير، وكانوا يفرحون إذا أصاب المسلمين مصيبة أوهزيمة، ويحزنون إذا أصابهم نعمة أوانتصار، وكانوا يسعون في

أجابوه وآذوه أذىً شديداً.

(١) قرن الثعالب: مكان على مرحلتين من مكة، وهو قرن المنازل ميقات أهل نجد، والمرحلة : هي المسافة التي يقطعها المسافر في نحوِ يومٍ بالسّير المعتاد على الإبل المحمّلة مع الاستراحة المعتادة، والمرحلة قدرها (٢٤) ميلاً هاشمياً وتساوي (٤٣.٣٥٢)كم. [انظر: المعجم الوسيط مادة رحل (٣٣٥)، المكاييل والموازين الشرعية د. علي جمعة (٣٧)].

(٢) الأخشبين: جبلان، أبو قبيس والذي يُقابله.

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه"برقم [٣٢٣١](ص/٦٢٠)، ومسلم في "صحيحه" برقم [١٧٩٥](ص/٧٤٦)، واللفظ له.

خراب مجتمع المسلمين وتمزيقه، ومسلسل مخازيهم لا ينتهي.

ومع كل هذا استغفر لهم رسول الله ﷺ !!..

وقدَّم قميصه ليُكفَّن فيه رأس النفاق عبد الله بن أُبي بن أبي سلول!!..

بل وصلَّى عليه!!..

عَن ابنِ عُمَرَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا– قَالَ: ((لَمَّا تُوُفِّيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ جَاءَ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَسَأَلَهُ أَنْ يُعْطِيَهُ قَمِيصَهُ يُكَفِّنُ فِيهِ أَبَاهُ، فَأَعْطَاهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَقَامَ عُمَرُ، فَأَخَذَ بِثَوْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، تُصَلِّي عَلَيْهِ، وَقَدْ نَهَاكَ رَبُّكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيْهِ؟!" **فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ** ﷺ: « إِنَّمَا خَيَّرَنِي اللَّهُ فَقَالَ: ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ ﴾ [سورة التوبة: ٨٠] وَسَأَزِيدُهُ عَلَى السَّبْعِينَ» قَالَ:" إِنَّهُ مُنَافِقٌ." قَالَ: فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [سورة التوبة:٨٤])) [(١)].

وحاول رجل قتل النبي ﷺ ، فلما تمكَّن النبي ﷺ منه، وأصبح تحت سيفه، طلب الرجل منه العفوَ، فعفا عنه!!.. بعد أن عاهده على ألا يُقاتل النبي ﷺ مرة أخرى، كما روى الإمام أحمد في "مسنده":

فعن جَابِر بن عَبدِ اللَّهِ–رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا– أَخْبَرَ أَنَّهُ: ((غَزَا مَعَ رَسُولِ ﷺ قِبَلَ نَجْدٍ[(٢)] فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَفَلَ مَعَهُ، فَأَدْرَكَتْهُمْ الْقَائِلَةُ فِي

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه"برقم [٤٦٧](ص/٨٩١).

(٢) ناحية نجد في غزوته غطفان.

وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ[1] فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَحْتَ سَمُرَةٍ[2]، وَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ، وَنِمْنَا نَوْمَةً، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُونَا، وَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ، **فَقَالَ**: «إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ عَلَيَّ سَيْفِي وَأَنَا نَائِمٌ فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتًا[3] فَقَالَ مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟! فَقُلْتُ: اللَّهُ ثَلَاثاً.» وَلَمْ يُعَاقِبْهُ وَجَلَسَ))[4].

وفي رواية للإمام أحمد: ((مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟! **قَالَ**: «اللَّهُ. » فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ، فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ **فَقَالَ**:« مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟!» قَالَ: كُنْ كَخَيْرِ آخِذٍ. **قَالَ**: «أَتَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» قَالَ: لَا، وَلَكِنِّي أُعَاهِدُكَ أَلَّا أُقَاتِلَكَ، وَلَا أَكُونَ مَعَ قَوْمٍ يُقَاتِلُونَكَ، فَخَلَّى سَبِيلَهُ. قَالَ فَذَهَبَ إِلَى أَصْحَابِهِ، قَالَ: قَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ))[5].

*** وكان رسول الله ﷺ يدعو المسلمين للأخذ بالعفو والصفح.**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ **قَالَ**: « مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا **بِعَفْوٍ** إِلَّا عِزًّا وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ»[6].

ففي الحديث إشارة إلى أن من عُرف بالعفو والصفح ساد وعظم في القلوب، وزاد عزه وإكرامه في الدنيا والآخرة.

---

(١) العضاه: شجرة كثيرة الشوك.

(٢) سُمَرَة: أي شجر الطلح، وهو العظيم من الأشجار التي لها شوك.

(٣) صلتاً: أي مسلولاً.

(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٢٩٠](ص/٥٥٩)، ومسلم في "صحيحه" برقم [٨٤٣](ص/٣٢٧)، واللفظ للبخاري.

(٥) أخرجه الإمام أحمد في "مسنده" برقم [١٤٩٢٩](١٩٣/٢٣)، وهو صحيح.

(٦) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم [٢٥٨٨](ص/١٠٤٢).

ويقول النبي ﷺ : «إنَّ الله عَفُوٌّ يحِبُّ العَفْوَ»[1].

• القاعدة الخامسة عشرة: من الحكمة في الدعوة: الحلم، لا الغضب.

■ يجب أن يكون الداعي إلى الله تعالى قريباً من الحلم بعيداً عن الغضب.

والحلم وسط بين الغضب والمهانة، فإذا انحرفت عن الحلم انحرفت إما للغضب والحدَّة، وإما إلى المهانة والذلَّة، ففرق بين مَن حلمه مهانة وعجز، وبين مَن حلمه اقتدار وشرف.

والحلم في الدعوة باب من أبواب النجاح، والغضب باب من أبواب الفشل..

ولا ينفع التعامل مع المدعوين إلا بكثير من الحلم وسِعة الصدر، فمن طبيعة الإنسان النقص والخطأ، ولا يُعالج هذا إلا بالأساليب الإيجابية، ومنها الاستيعاب والحلم.

■ الحلم شعار أهل الفضل والمعرفة بالله تعالى.. فكلما زاد الداعي معرفة بالله تعالى ازداد حلماً وتوسعاً بالناس. والحلم دليل المعرفة بالله، والغضب دليل الجهل وضعف الصلة بالله تعالى.

والدعاة الذاكرون لله تعالى أهل الصلة والمحبة والمراقبة، بعيدون عن الغضب؛ لأن الذكر يُلقي عليهم السكينة والطمأنينة، وهم مشغولون عن

(١) أخرجه الحاكم في "مستدركه" برقم [٨٢٣٥] (٥٣٧/٤)، وهو حسن.

الخلق، بأقدار الخالقِ وأسرارها في صواب وأخطاء الخلقِ،والدعاة أهل المعرفة يرون أفعال الخالق في الخلق لا أفعالهم.

والذكر يخفف ويُضعف من انفعالات الذاكر، ويمنحه القوة على السيطرة عليها، فلا تنفلت انفعالاته وتطيش بثورة غاضبة لا ضابط لها، بل يحلم ولا ينتصر لنفسه؛ لأن الله تعالى ينتصر له؛ (لأنَّ من عرف اللّه حق معرفته سُدَّ عليه باب الانتصار لنفسه، لاقتضاء معرفته ألا يشهد فعلاً لغير معروفه، فكيف ينتصر من الخلق مَن يرى اللّه تعالى فعالاً فيهم؟! وكيف يترك تعالى الانتصار لهم وقد ألقوا نفوسهم بين يديه وسلموا واستسلموا لما يَرِدُ منه إليهم؟! فهم في معاقل عزّه، وتحت سرادقات مجده، يصونهم من كل إلا من ذِكْرِه، ويقطعهم عن كل إلا عن حبه، فالأنبياءُ -والأولياءُ- حُمَّال أسراره ومعادن أنواره فهو يتولى انتصارهم..) [1]

■ ومن الصفات اللازمة للدعاة والمعلمين والمربين، الحلم والوقار والسكينة..

يقول ابن قيم الجوزية: ((وأما قوله: أن يكون له حلم ووقار وسكينة، فليس صاحب العلم والفتيا إلى شيء أحوج منه إلى الحلم والسكينة والوقار، فإنها كسوة علمه وجماله، وإذا فقدها كان علمه كالبدن العاري من اللباس.

وقال بعض السلف: ما قرن شيء إلى شيء أحسن من علم إلى حلم. والناس ههنا أربعة أقسام: **فخيارهم** من أوتي الحلم والعلم، **وشرارهم** من عَدِمَهما، **الثالث** من أوتي علماً بلا حلم، **الرابع** عكسُه.

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد علي بن محمد البكري الصديقي، (١٠٦/٥).

فالحلم زينة العلم وبهاؤه وجماله، وضده الطيش والعجلة والحدة والتسرع وعدم الثبات، فالحليم لا يستفزه البدوات[1]، ولا يستخفه الذين لا يعلمون، ولا يقلقه أهل الطيش والخفة والجهل، بل هو وقور ثابت ذو أناة، يملك نفسه عند ورود أوائل الأمور عليه، ولا تملكه أوائلها، وملاحظته للعواقب تمنعه من أن تستخفه دواعي الغضب والشهوة، فبالعلم تنكشف له مواقع الخير والشر والصلاح والفساد، وبالحلم يتمكن من تثبيت نفسه عند الخير فيؤثره ويصبر عليه، وعند الشر فيصبر عنه.

فالعلم يُعَرِّفُهُ رشدَه والحلم يُثَبِّتُهُ عليه، وإذا شئت أن ترى بصيراً بالخير والشر لا صبر له على هذا ولا عن هذا رأيته، وإذا شئت أن ترى صابراً على المشاق لا بصيرة له رأيته، وإذا شئت أن ترى من لا صبر له ولا بصيره رأيته، وإذا شئت أن ترى بصيراً صابراً لم تكد، فإذا رأيته فقد رأيت إمام هدى حقاً فاستمسك بغرزه، والوقار والسكينة ثمرة الحلم ونتيجته)).[2]

■ وعلى الداعي أن يُدرِّب نفسه على خُلق الحلم وغيره، إذا لم يُجبل عليه فطرةً، فإن العلم بالتعلم والحلم بالتحلم.

يقول ابن قيم الجوزية: ((كما أنه لا يزال يتكلف الحلم والوقار والسكينة والثبات حتى تصير له أخلاقاً بمنزلة الطبائع. قالوا: وقد جعل الله سبحانه في الإنسان قوة القبول والتعلم، فنقل الطبائع عن مقتضياتها غير مستحيل)).[3]

(١) قال ابن دريد: ((قولهم أبو البدوات، معناه: أبو الآراء التي تظهر له.))
انظر: تاج العروس، (١٤٧/٧٣).
(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، (٢١٨/٤).
(٣) عدة الصابرين، لابن قيم الجوزية، (١٣/١).

■ والحلم يزيد من أنصار الداعي، ويجلب له الحمد والثناء، ويوفِّر له السلامة. ((فَالْحِلْمُ مِنْ أَشْرَفِ الْأَخْلَاقِ، وَأَحَقِّهَا بِذَوِي الْأَلْبَابِ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ سَلَامَةِ الْعِرْضِ، وَرَاحَةِ الْجَسَدِ، وَاجْتِلَابِ الْحَمْدِ. وَقَدْ **قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ – كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ** – : أَوَّلُ عِوَضِ الْحَلِيمِ عَنْ حِلْمِهِ أَنَّ النَّاسَ أَنْصَارُهُ)) [1].

■ وفي الحلم رفعة لمكانة الداعي عن مجاراة السفهاء والجهَّال. ((**قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ** ﷺ لِرَجُلٍ أَسْمَعَهُ كَلَاماً: يَا هَذَا لَا تُغْرِقَنَّ فِي سَبِّنَا، وَدَعْ لِلصُّلْحِ مَوْضِعاً، فَإِنَّا لَا نُكَافِئُ مَنْ عَصَى اللَّهَ فِينَا بِأَكْثَرَ مِنْ أَنْ نُطِيعَ اللَّهَ ﷻ فِيهِ)) [2].

■ ومن رفعة مكانة الداعي أن يتحمل المكاره كما يحمل المكارم، ويغضي عن الجاهل لأن الإغضاء عن الجاهل خيرٌ من مُشاكلته. وقد قيل: في إعراضِك عن الجاهلِ صَونُ أَعْراضِك.. والحلم حجاب الآفات.

■ ولا يُعرف الداعي الحليم إلا عند الغضب..

قال عبد الله بن مسعود ﷺ: ((انظروا إلى حلم الرجل عند غضبه))[3]

وقال لقمان: ((ثلاثةٌ لا يُعرفون إلا عند ثلاث: لا يُعرف الحليم إلا عند الغضب، ولا الشجاع إلا عند الحرب، ولا الأخ إلا عند الحاجة إليه.)) [4]

وقال الشاعر:

مَنْ يَدَّعي الحلْمَ أَغْضِبْهُ لِتعْرِفَه لا يُعْرَفُ الحلْمُ إلا ساعةَ الغضَبِ.

(١) أدب الدنيا والدين، للإمام الماوردي، (ص/٢٤٣).

(٢) المصدر السابق، (ص/٢٤٣).

(٣) إحياء علوم الدين، (٣/٣٢٠).

(٤)المصدر السابق، (٣/٣٣٦).

■ وحلم الداعي يُعلي من مكانته عند الناس، ويورثه العز، والحلم دليل على قوة شخصيته، ورفعة سجاياه.

يقول الشاعر:

لا تَحْسَبَنَّ الحلْمَ منكَ مَذَلَّةً إنَّ الحليمَ هوَ الأَعَزُّ الأَمْنَعُ.

■ والحلم دليلٌ على عقل الداعي ونُضجه، وعلامةٌ على رزانته ورُشْده.

يقول الغزالي: ((اعلم أن الحلم أفضل من كظم الغيظ؛ لأن كظم الغيظ عبارة عن التحلم، أي تكلُّف الحلم، ولا يحتاج إلى كظم الغيظ إلا من هاج غيظه، ويحتاج فيه إلى مجاهدة شديدة، ولكن إذا تعود ذلك مدَّةً صار ذلك اعتياداً، فلا يهيج الغيظ، وإن هاج فلا يكون في كظمه تعبٌ، وهو الحلم الطبيعي، وهو دلالة كمال العقل، واستيلائه، وانكسار قوة الغضب، وخضوعها للعقل))[1].

ويقول النبي ﷺ : «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنَفِّذَهُ دَعَاهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى رُؤوسِ الخَلاَئِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ فِي أَيِّ الحُورِ شَاءَ» [2].

ويقول النبي ﷺ : «ما مِنْ جُرْعَةٍ أعظَمُ أجراً عندَ اللهِ مِنْ جُرْعَةِ غَيْظٍ كَظَمَها عبْدٌ ابتغاءَ وجْهِ اللهِ» [3].

قال سليمان بن داود -عليهما السلام-: ((يا بنيَّ، إيَّاكَ وكثرةَ الغضبِ، فإنَّ

(١) المصدر السابق، (٣/٣٣٣).

(٢) أخرجه الترمذي في "سننه" برقم [٢٠٢١](ص/٣٣٦)، وهو حسن.

(٣) أخرجه ابن ماجه في "سننه" برقم [٤١٨٩](ص/٤٥٢)، وهو صحيح.

كثرةَ الغضبِ تستخفُّ فؤادَ الرجلِ الحليمِ.))[1] والمقصود بالفؤاد هنا: العقلُ.

■ والغضب دليل على حُمْقِ الرجل وجهلِه.

قال بعضهم: ((رأسُ الحمقِ الحدَّة، وقائدُه الغضب، ومَن رضيَ بالجهلِ استغنى عن الحلم، والحلمُ زينٌ ومنفعةٌ، والجهلُ شينٌ ومضرَّةٌ، والسكوتُ عن جوابِ الأحمقِ جوابُه)) [2] .

■ لقد وصف الله تعالى ذاته العليَّة بالحلم في مواضع عدة في القرآن الكريم. ففي أربعة مواضع قرَنَ فيها مغفرته بحلمه. فقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾[3] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾[4].

وفي موضع واحد قرنَ فيه غناه بحلمه. فقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴾[5].

وفي موضعين قرن فيه علمه بحلمه. فقال تعالى:﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾[6] ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ [7].

وفي موضع واحد قرن فيه شكره بحلمه. فقال تعالى:﴿ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾[8].

(١) إحياء علوم الدين، (٣/٣١٩).
(٢) المصدر السابق، (٣/٣٢٠).
(٣) سورة البقرة [الآية:٢٢٥]،سورة المائدة [الآية: ١٠١].
(٤) سورة آل عمران [الآية: ١٥٥].
(٥) سورة البقرة [الآية: ٢٦٣].
(٦) سورة النساء [الآية: ١٢].
(٧) سورة الحج [الآية ٥٩].
(٨) سورة التغابن [الآية: ١٨].

■ وأثنى على أنبيائه عليهم السلام، فوصفهم بالحلم.

فأثنى على نبيه **إبراهيم** عليه السلام فوصفه بالحليم فقال تعالى: ﴿ ...إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾ [سورة التوبة]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ ﴾ [سورة هود].

وأثنى الله تعالى على نبيه **إسماعيل** عليه السلام حينما بشَّر والده إبراهيم عليه السلام بولادته، فقال: ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ [سورة الصافات].

ويقول تعالى في سورة فصلت: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ﴾ أي لا تستوي الحسنات فهي درجات، ولا السيئات فهي درجات. ولا تستوي الحسنة على نحوٍ عام مع السيئة.

﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ أي بالحسنة التي هي أحسن.

﴿ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ صديقٌ قريبٌ.

﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ﴾ على مخالفة النفس وهواها، وكظم غيظهم وغضبهم.

﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ من الكمالات والأخلاق، ومنها الحلم.

■ ولقد كان إمامُ الدعاة سيدُنا محمدٌ ﷺ أكثرَ الناس حلماً، وتوسعاً بالناس، وإغضاءً عن الجاهلين، ودفعاً للسيئات بالتي هي أحسن.

وكان لطيفاً ودوداً قريباً من النفس، محبوباً عند الخلق، حسن المعشر..

وكان لا يغضب إلا أن تُنتهك حُرمات الله تعالى، فيغضب لله، ولا يغضب لنفسه..

يقول أنس بن مالك رضي الله عنه قَالَ: ((كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ

نَجْرَانِيٌّ[1] غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ ﷺ[2] قَدْ أَثَّرَتْ بِهِ حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ. ثُمَّ قَالَ: مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ. فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ، فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ.)) [3]

((وفيه دلالة على قوة حلمه، وشدة صبره على الأذى في النفس والمال، والتجاوز عن جفاء من يريد تألفه على الإسلام، وليتأسَّ به الولاة –والدعاة والمربون– بعده في خلقه الجميل من الصفح والإغضاء والدفع بالتي هي أحسن)) [4].

تنبيه انظر إلى عظيم حلمه ﷺ، وكيف دفعَ جهْل الجاهل بالحلم والصبر.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَقْسِمُ ذَاتَ يَوْمٍ قِسْما ، فَقَالَ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ –رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ–: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اعْدِلْ. **قَالَ**:« وَيْلَكَ مَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ» فَقَالَ عُمَرُ: ائْذَنْ لِي فَلْأَضْرِبْ عُنُقَهُ. قَالَ:« لَا» [5]

لقد كان رسول الله ﷺ أحلم الناس وأكثرهم احتمالاً وأبعدهم عن الغضب، وكان يجمع مع هذا صلابةً في الدين، وانتصاراً للحق، وهذا من

(١) برد نجراني: هو نوع من الثياب منسوب إلى نجران وهي بلد من اليمن.

(٢) صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ ﷺ:صفح كل شيء وجهه وناحيته، والعاتق ما بين المنكب والعنق.

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٣١٤٩] (ص/٦٠٣)، ومسلم في "صحيحه" برقم [١٠٥٧] (ص/٤٠٤)، واللفظ للبخاري.

(٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني الحنفي، (٢٣٦/٢٢).

(٥) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٦١٦٣] (ص/١١٨٨)، ومسلم في "صحيحه" برقم [١٠٦٤] (ص/٤٠٩)، واللفظ للبخاري.

كماله ﷺ فهو لا يحلم عن ضعفٍ وعجزٍ بل عن قوة وقدرة، ولا ينتقم لنفسه بل لله تعالى.

تقول السيدة عائشة –رضي الله عنها– في وصف النبي ﷺ: ((وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ قَطُّ –أي مما يتعلق بحقه الشخصي– إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ –وانتهاكها بارتكاب ما حرَّم الله تعالى– فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ بِهَا)) [1] فهو ينتصر لدين الله تعالى ولا ينتصر لنفسه.

وعن عائشة –رضي الله عنها– قالت: ((إِنَّ قُرَيْشاً أَهَمَّتْهُمُ الْمَرْأَةُ الْمَخْزُومِيَّةُ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: مَنْ يُكَلِّمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَكَلَّمَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ **فَقَالَ**:« أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ » ثُمَّ قَامَ فَخَطَبَ، **قَالَ**: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا ضَلَّ مَنْ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ الضَّعِيفُ فِيهِم أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ. وَايْمُ اللَّهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ ﷺ سَرَقَتْ لَقَطَعَ مُحَمَّدٌ يَدَهَا)) [2].

- **والغضب**: يُخرج الإنسان عن اعتداله إلى الانفعال الشديد الذي ينتج عنه سلوك باطل، وأفعال مذمومة، وحقد وبُغض وكراهية، وظلم وعدوان، وغير ذلك من القبائح.

وعلاجه: أن يلتفت عن الخلق إلى الخالق ، وعن الفعل إلى الفعَّال،

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٦١٢٦] (ص/١١٨١)، ومسلم في "صحيحه" برقم [٢٣٢٧] (ص/٩٥٠)، واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٦٧٨٨] (ص/١٢٩٥)، ومسلم في "صحيحه" برقم [١٦٨٨] (ص/٧٠١)، متفق عليه.

والإكثار من ذكر الله تعالى، والالتجاء إليه عند هجمة الغضب...

فهذا رسول الله ﷺ ينصح رجلاً أصابه الغضب أن يلتجئ إلى الله، ويستعيذ بالله تعالى ليذهب غضبه. **فقال** : «إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ – أي من الغضب–، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»[1].

ويُقدم النبي ﷺ حلولاً أخرى لمعالجة هجمات الغضب، **فيقول** ﷺ:« إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع»[2] **ويقول** ﷺ :«إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْكُتْ »[3].

ولا يستطيع الداعي السيطرة على غضبه إلا إذا روضَ نفسه بالتقوى، وخالف هواها وقهر شهوتها، وقادها بزمام الشريعة، وأدَّبها وهذَّبها، وسلك بها في مدارج السالكين إلى الله تعالى، واقتدى في سائر أحواله برسول الله ﷺ.

وإذا كان رسول الله ﷺ يُوصي عموم المسلمين بالابتعاد عن الغضب، فأحرى بالدعاة أن يكونوا أسبق لتنفيذ وصيَّته ﷺ .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: ((أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ: مُرْنِي بِأَمْرٍ وَلَا تُكْثِرْ عَلَيَّ حَتَّى أَعْقِلَهُ. **قَالَ**:« لَا تَغْضَبْ» فَأَعَادَ عَلَيْهِ، فَأَعَادَ عَلَيْهِ، **قَالَ**:« لَا تَغْضَبْ»))[4].

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٦١١٥] (ص/١١٨٠)، ومسلم في "صحيحه" برقم [٢٦١٠] (ص/١٠٤٩)، متفق عليه.

(٢) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" برقم [٥٦٨٨] (٥٠١/١٢)، وهو صحيح.

(٣) أخرجه أحمد في "مسنده" برقم [٢١٣٦] (٣٩/٤)، وهو صحيح لغيره.

(٤) أخرجه أحمد في "مسنده" برقم [٨٧٤٤] (٣٥٧/١٤)، وهو صحيح.

وفي الحديث دليل عظيم على مفسدة الغضب وما ينتج عنه، لأنه جماع الشر كله، ويؤدي إلى إصابة الإنسان الغضوب بالأمراض النفسية والعضوية، فالغضب الشديد صنف من الجنون المحدود، يُعطل عقل الإنسان في لحظات طغيانه، فيجعله لا يملك السيطرة على نفسه.

حقيقة

لا يمكن للداعي أن ينجح في دعوته إذا كان مُصاباً بمرض الغضب، فالدعوة والغضب لا يجتمعان أبداً؛ لأن الغضب يُولِّد العداوة والبغضاء والأحقاد والنزاعات بين الداعي والناس...

■ وينبه النبي ﷺ إلى أن قوة الإنسان الحقيقية تظهر عندما يمتلك القدرة على السيطرة على غضبه وانفعالاته، ويتصرف على نحو حكيم بحيث لا يخرج عن الحق ولا يخوض بالباطل.. **يقول النبي** ﷺ : «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ[1]، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ» [2].

■ وإذا اشتد غضب الإنسان فإنه يفقد القدرة على التركيز، ولعلك تخاطبه فلا يسمعُ، وإذا سمع لا يفهم المقصود. فهاهو أبو مسعود البدري رضي الله عنه من أصحاب رسول الله ﷺ يقول: ((كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَاماً لِي بِالسَّوْطِ فَسَمِعْتُ صَوْتاً مِنْ خَلْفِي اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ **فَلَمْ أَفْهَمِ الصَّوْتَ مِنْ الْغَضَبِ**. قَالَ: فَلَمَّا دَنَا مِنِّي إِذَا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَإِذَا هُوَ **يَقُولُ**: «اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ

(١) الصُّرَعَة: أي الذي يصرع الناس بقوته ويكثر ذلك منه .

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٦١١٤] (ص/١١٨٠)، ومسلم في "صحيحه" برقم [٢٦٠٩] (ص/١٠٤٩)، واللفظ للبخاري.

اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ» قَالَ: فَأَلْقَيْتُ السَّوْطَ مِنْ يَدِي. **فَقَالَ**:« اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ أَنَّ اللَّهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى هَذَا الْغُلَامِ» قَالَ: فَقُلْتُ لَا أَضْرِبُ مَمْلُوكًا بَعْدَهُ أَبَداً)) وفي رواية: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللَّهِ. **فَقَالَ** :« أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَلَفَحَتْكَ النَّارُ أَوْ لَمَسَّتْكَ النَّارُ »[1].

■ والداعي يقهر غضبه بما يرجوه من ثواب الله تعالى وتحصيل رضاه، وبما يعلم من أن ثورة الغضب تورثه المذلة والندم والسقوط من أعين الناس. قال بعضهم: ((إياك والغضب، فإنه يصيرك إلى ذلة الاعتذار.)) [2]

■ والغضب ينفِّر الناس من الداعي، فينفضُّوا من حوله؛ لأن الدعوة تحتاج إلى المودة والمحبة وحسن الخلق وحسن المعاشرة والثقة بين الداعي والمدعو.

■ ولا دعوة إلى الله تعالى بلا حلم، والحلم يحبه الله تعالى. **قال النبي** ﷺ للأشَجِّ، أشجِّ عبد القيس: «إنَّ فيك خصلتين يحبهما الله: الحِلمُ والأناةُ » [3].

■ وما نجح من نجح من الدعاة والمربين إلا لاتِّصافهم بصفة الحلم، وهي من أظهر صفات الصحابة والسلف الصالح.

((فقد كان عون بن عبد الله إذا عصاه غلامه قال ما أشبهك بمولاك، مولاك يعصي مولاه، وأنت تعصي مولاك، فأغضبه يوماً فقال: إنما تريد أن أضربك اذهب فأنت حر)) [4].

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم [١٦٥٩] (ص/٦٨٣).
(٢) إحياء علوم الدين، للغزالي، (٣/٣٢٠).
(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه"برقم [١٧] (ص/٤١).
(٤) إحياء علوم الدين، للغزالي، (٣/٣١٩).

((وعن الحسن في قوله تعالى ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾﴾ [سورة الفرقان] قال: حلماء إن جُهل عليهم لم يجهلوا)) [(١)].

((وقال معاوية لعمرو بن الأهتم: أيُّ الرجال أشجع؟ قال: من رد جهله بحلمه. قال: أي الرجال أسخى؟ قال: من بذل دنياه لصلاح دينه)) [(٢)].

• القاعدة السادسة عشرة:

من الحكمة في الدعوة: التودد والتحبب، لا الاستعداء.

ومن الحكمة في الدعوة أن تلقى أخاك بالبِشر والترحيب، وأن تقابله بوجه مبتسم طَلِق، وأن تكلمه بكلام فيه التأنيس، وأن تُثني عليه وتبشره بالخير، وأن تزرع فيه الثقة بنفسه، والأمل بمستقبله، والرجاء بسعادته، والأمان والأمن بدنياه وآخرته، وأن تتودد وتتحبب إليه.. والتودد والتحبب للناس دليلٌ على وفرة عقل وعلم الداعي وحكمته..

يقول ميمون بن مهران: ((التودُّدُ إلى الناسِ نِصْفُ العقلِ)) [(٣)] .

ويقال: ((التودُّدُ زَيْن العلمِ)) [(٤)].

- **والأعمال والصفات التي تساعد على التودد والتحبب متعددة، ومنها:**

أولها: المصافحة بحرارة تزيد من المودة والمحبة.

(١) المصدر السابق، (٣/٣٣٤).

(٢) المصدر السابق، (٣/٣٣٥).

(٣) روضة العقلاء، لابن حبان البستي، (ص/٦١).

(٤) عيون الأخبار، لابن قتيبة الدينوري، (٣/٢٠٦).

إذا لقيت أخاك عليك أن تقابله وتصافحه بحرارة، وإذا كان قادماً من سفر عليك أن تعانقه وتقبله وترحب به وتطمئن على أحواله، وهذا ما كان يفعله النبي ﷺ مع أصحابه رضي الله عنهم.

عَنْ عَائِشَةَ –رضي الله عنها– قَالَتْ : ((قَدِمَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ الْمَدِينَةَ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ فِي بَيْتِي فَأَتَاهُ فَقَرَعَ البَابَ، فَقَامَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ عُرْيَاناً [1] يَجُرُّ ثَوْبَهُ ، وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُهُ عُرْيَاناً قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ، فَاعْتَنَقَهُ وَقَبَّلَهُ)) [2].

وكان النبي ﷺ يرغِّبُ المسلمين بأن يتحبَّب بعضُهم إلى بعضٍ بالمصافحة القلبية والجسدية، وليس بالمصافحة الشكلية، التي درجَ عليها أكثر الناس بقصد المجاملة وتأمين المصالح..، ففي المصافحة الصادقة مغفرةٌ للذنوب وتقربٌ إلى الله تعالى، وهذا ما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ.

عَنْ قَتَادَةَ ﷺ قَالَ: ((قُلْتُ لِأَنَسٍ ﷺ أَكَانَتْ الْمُصَافَحَةُ فِي أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ؟! قَالَ: نَعَمْ)) [3].

عن أنس ﷺ قال: ((كان أصحاب النبي ﷺ إذا تلاقوا تصافحوا، وإذا قدموا من سفر تعانقوا)) [4].

---

(١) عرياناً يجر ثوبه: أي يجر رداءه من كمال فرحه بقدومه – أي بقدوم زيد– حيث سقط رداءه عن عاتقه فكان ما فوق سرَّته عرياناً. قال الطيبي: هذا هو الوجه لما يُشمَ من سياق كلامها، رائحة الفرح والاستبشار بقدومه وتعجيله للقائه بحيث لم يتمكن من تمام التردي بالرداء حتى جرَّه. انظر: تحفة الأحوذي، للمباركفوري، (٤٣٤/٧).

(٢) أخرجه الترمذي في "سننه" برقم [٢٧٣٢](ص/٤٤١)، وقال حسن غريب.

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٦٢٦٣](ص/١٢٠٦).

(٤) أخرجه الطبراني في "المعجم الأوسط" برقم [٩٧](٣٧/١)، وهو صحيح.

وعن كَعْب بْن مَالِكٍ ﷺ: ((دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَامَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ يُهَرْوِلُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّأَنِي)) [(١)].

وعن البراء ﷺ قال: **قال رسول الله** ﷺ:« ما مِن مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غُفِرَ لهما قبل أن يفترقا. »[(٢)]

وعن حذيفة بن اليمان ﷺ **عن النبي** ﷺ **قال**: «إنَّ المؤمنَ إذا لقيَ المؤمنَ فسلَّم عليه، وأخذَ بيده، فصافحَه، تناثرت خطاياهما كما يتناثرُ ورقُ الشجرِ»[(٣)].

ومن المستحب ومما يزيد في التودد والتحبب: أن تكون المصافحة بكلتا اليدين، وذلك بأن يتصافحا باليد اليمنى، ويضع كل واحد منهما كف يساره فوق ظهر يمين كف أخيه.. فعن عبدِ الله بنِ مَسْعُودٍ ﷺ قال: ((عَلَّمَنِي رَسُولُ ﷺ وَكَفِّي بَيْنَ كَفَّيْهِ التَّشَهُّدَ كَمَا يُعَلِّمُنِي السُّورَةَ مِنْ الْقُرْآنِ)) [(٤)].

وبهذه الصفة كانت مصافحة الصحابة والتابعين.. فقد ذكر البخاري في باب الأخذ باليدين قوله: ((وَصَافَحَ حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ ابْنَ الْمُبَارَكِ.)) بِيَدَيْهِ. [(٥)]

ومن المستحب ومما يزيد في التودد والتحبب: عدم نزع اليد حتى الفراغ من السلام والكلام..

فقد كان النبي ﷺ ((إذا لقيَ الرجلَ لا ينزعُ يدَه حتى يكونَ هو الذي

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" باب المصافحة، بدون رقم، (ص/١٢٠٦).
(٢) أخرجه أبو داود في "سننه" برقم [٥٢١٢](ص/٥٦٠)،وهو صحيح.
(٣) أخرجه الطبراني في "المعجم الأوسط" برقم [٢٤٥](٨٤/١)،وهو صحيح.
(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٦٢٦٥](ص/١٢٠٦).
(٥) شرح صحيح البخاري، لابن بطال، (٤٥/٩).

ينزعُ يدَه، ولا يصرفُ وجهَه عن وجهِه حتى يكونَ هو الذي يصرفُهُ))[1].

ومن المستحب ومما يزيد في التودد والتحبب: أن تسابق إلى مصافحة أخيك، وأن تكون الأحسن بِشْراً وبشاشة وطلاقة وجه، مع حرارة الإقبال واللطف في الحديث، والصدق في النية، بأن يكون كل ذلك خالصاً لوجه الله تعالى..، وليس لغرض دنيوي ولا لمصلحة شخصية..

يقول ابن قيم الجوزية: ((ما من فعلةٍ وإن صغرت إلا ينشر لها ديوانان: لِمَ... وكيف...؟

أي: لِمَ فعلت؟... وكيف فعلت؟...

فالأول: سؤال عن علَّةِ الفعل وباعثِه وداعيه:

هل هو حظ عاجل من حظوظ العامل، وغرض من أغراض الدنيا، في محبة المدح من الناس، أو خوف ذمهم، أو استجلاب محبوب عاجل، أو دفع مكروه آجل؟!... أم الباعث على الفعل القيام بحق العبودية، وطلب التودد والتقرب إلى الرب سبحانه وتعالى وابتغاء الوسيلة إليه؟!..

ومحل هذا السؤال: أنه هل كان عليك أن تفعل هذا الفعل لمولاك، أم فعلته لحظك وهواك؟!!..)) [2].

وثانيها: التبسم والبشاشة تزيد من المودة والمحبة.

عليك أن تقابلَ إخوانك بالبشاشة والابتسام؛ لأن ذلك يزيد المودة والمحبة في القلوب...، بل إن النبي ﷺ جعل مقابلة الناس بالابتسامة وطلاقة الوجه

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر، (٥٦/١١).

(٢) إغاثة اللهفان، لابن قيم الجوزية، (٨/١).

صدقة، وعملاً صالحاً يتقرب به العبد إلى ربه ﷻ ..

فعن أبي ذر ﷺ قال: **قال رسول الله** ﷺ : «تبسمُك في وجه أخيك صدقةٌ» [(١)].

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ: **قَالَ لِي النَّبِي** ﷺ:« لاَ تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئاً وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلقٍ »[(٢)].

وعن جابر ﷺ قال: **قال رسول الله** ﷺ: «كلُّ معروفٍ صدقةٌ، إنَّ من المعروفِ أن تلقى أخاك بوجهٍ طلقٍ، وأن تفرغَ من دلوِك في إناءِ أخيك». [(٣)]

وعليك ألَّا تصرفَ وجهك عن أخيك، ففي هذا تكبُّر واستعلاء يمقته الله تعالى، وهذا يؤذي الناس في نفوسهم فينفرون عنك..

ولقد نهى الله تعالى على لسان لقمان الحكيم في نصيحته لولده عن تصعير الخد للناس، فقال: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ ﴾ [سورة لقمان]. أي لا تُمِلْهُ عنهم، ولا تولِّهم صفحةَ وجهك كما يفعل المتكبرون الذين يرفعون أنوفهم ولا يُقبلون بوجوههم ببشاشة على من أقبل عليهم، بل يلتفتون عنهم ازدراءً بهم وتشوفاً... ومثل هؤلاء أيضاً من يتكلم الناس معهم، فلا يعيرونهم انتباههم، ولا يكترثون بما يقولون إعراضاً واستخفافاً وتكبراً..

(١) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" برقم [٤٧٤](١٢٢/٢)، وهو صحيح.
(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم [٢٦٢٦](ص/١٠٥٤).
(٣) صحيح الأدب المفرد للبخاري، برقم [٣٠٤/٢٣٣](ص/١٢٨)، وهو حسن

لقد كان النبي ﷺ يُقبل بوجهه على الناس، ويستمع إليهم ويُصغي، ولو كان المتكلم طفلاً صغيراً..

حقيقة

إن إقبالك بوجهك على أخيك بابتسامة وبشاشة، يُذهب الضغائن، ويزيد في المودة والمحبة، وكما مر معنا، كان رسول الله ﷺ لا يصرف وجهه عن الرجل حتى يكون هو الذي يصرفه.

والتبسم والبشاشة تطفئُ نار العداوة والبغضاء..

يقول ابن حبان: ((البشاشة إدام العلماء، وسجية الحكماء؛ لأنَّ البشر يطفئ نار المعاندة ويحرق هيجان المباغضة)) [1]

والتبسم والبشاشة والكلمة الطيبة تحببك إلى الناس، وعكس ذلك يجلب العداوة والبغضاء..

عن هشام بن عروة عن أبيه قال: ((أُخْبِرتُ أنه مكتوب في الحكمة: يا بنيَّ، ليكن وجهُك بسطاً، ولتكن كلمتُك طيبةً، تكن أحبَّ إلى الناس من أن تعطيَهم العطاء)) [2].

ويقول الأبرش:

أخو البشرِ محبوبٌ على حُسْنِ بِشرِهِ ولن يعدم البغضاءَ مَن كان عابساً[3]

((وأحسن ما تألَّفَ به الناسُ قلوبَ أخلائِهم، ونَفَوا به الضِّغْنَ عن قلوبِ أعدائِهم، البشرُ بهم عند حضورهم، والتفقدُ لأمورهم، وحسنُ البشاشة،

(١) روضة العقلاء، لابن حبان البستي، (ص/٧٠).
(٢) المصدر السابق، (ص/٧٠).
(٣) المصدر السابق، (ص/٧٠).

فذلك يثبِّتُ المحبةَ والإخاءَ)) [1].

وقال المنصور: ((إذا أحببْتَ المَحْمَدَةَ من الناسِ بلا مؤونةٍ، فالقَهُم بِبِشْرٍ حَسَنٍ)) [2].

ويقول أبو علي العنزي:

((الْقَ بالبِشْرِ مَنْ لقيتَ من النا سِ جميعاً، ولاقهم بالطَّلاقْ
تَجْنِ منهم به جنيَّ ثمار طيب طعمه، لذيذ المذاقْ
ودَعْ التيهَ والعبوسَ عن النا سِ، فإنَّ العبوسَ رأسُ الحماقْ
كلما شئْتَ أنْ تُعادي عادَيْ تَ صديقاً، وقد تَعِزُّ الصداقْ)) [3]

وثالثها: حسن الخلق يزيد من المودة والمحبة.

يقول ابن حبان: ((الواجبُ على العاقلِ أنْ يتحبَّبَ إلى الناسِ بلزومِ حُسْنِ الخُلُقِ، وتركِ سوءِ الخُلُقِ)) [4].

ويقول: ((حُسْنُ الخُلقِ بذرَ اكتسابَ المحبةِ، كما أن سوءَ الخلقِ بذرَ استجلابَ البغضةِ، ومن حَسُنَ خُلقُهُ صانَ عرضَهُ، ومن ساءَ خلقُهُ هتكَ عرضَهُ؛ لأن سوءَ الخلقِ يورثُ الضغائنَ، والضغائنُ إذا تمكَّنت في القلوبِ أَوْرثتِ العداوةَ)) [5].

(١) انظر: كتاب الموشى، لأبي الطيب محمد بن إسحاق الوشاء، (٩/١).
(٢) المصدر السابق، (١٠/١).
(٣) المصدر السابق، (١٠/١).
(٤) روضة العقلاء، لابن حبان البستي، (ص/٦٠).
(٥) المصدر السابق، (ص/٦١).

وسئل الحسن ﷺ عن حُسن الخلق، فقال: ((الكرم، والبذلة، والتودد إلى الناس))[1].

ومن حسن الخلق: طلاقة الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى..

والمودة الحقيقية تكون باللسان والقلب، وفي الحضور والغياب على حد سواء..

يقول محمد بن يزيد النحوي:

((وليس أخي مَنْ ودَّني رأْيَ عينه ولكنْ أخي مَنْ ودَّني وهو غائبُ)) [2]

ومما يعمِّق المودة بين الداعي وإخوانه: المدافعة عنهم في غيبتهم عند تعرضهم لظلم الظالمين، وحقد الحاقدين، وحسد الحاسدين...

رابعها: الإحسان إلى الإخوان، وخدمتهم، وقضاء حوائجهم يزيد من المودة والمحبة.

وهذا من أهم ما يحبب الإخوان بالداعي، ويقربهم إليه، ويملؤهم مودةً له.. وهذا ما كان يفعله رسول الله ﷺ مع أصحابه...

فكان ﷺ يستجيب لهم ويقضي حوائجهم.. فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى ﷺ قال: ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ الذِّكْرَ، وَيُقِلُّ اللَّغْوَ، وَيُطِيلُ الصَّلاَةَ، وَيُقَصِّرُ

(١) الموشى، للوشاء، (١/١٠).

(٢) المصدر السابق، (١/٩).

الْخُطْبَةَ، وَلاَ يَأْنَفُ أَنْ يَمْشِيَ مَعَ الأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ فَيَقْضِيَ لَهُ حاجته)) [1].

وكان ﷺ يستقبلهم ويطعمهم ويكرمهم ويؤثرهم على نفسه، ويصطنع لهم المعروف، ويحسن إليهم، **فيقول**: «إن الله كتب الإحسانَ على كلِّ شيءٍ...» [2].

حقيقة إن الإنسان بطبيعته يحبُّ من أحسن إليه، ويكره ويُبغض من أساء إليه.

يقول أبو الفتح علي بن محمد بن الحسين البستي المتوفى سنة(٤٠٠هـ) –رحمه الله–:

((أحسنْ إلى الناسِ تستعبدْ قلوبَهم فطالما استعبدَ الإنسانَ إحسانُ
وكنْ على الدهرِ معواناً لذي أملٍ يرجو نداكَ فإنَّ الحرَّ مِعْوانُ
أحسن إذا كان إمكان ومقدرة فلن يدوم على الإحسان إمكان)) [3]

ولقد وجَّهنا النبي ﷺ إلى الإحسان إلى الناس ومساعدتهم، وجعل ذلك باباً من أبواب التقرب إلى الله تعالى..

يقول النبي ﷺ: « تبسمُك في وجه أخيك صدقةٌ لك، وأمرُك بالمعروف ونهيُك عن المنكر صدقةٌ، وإرشادُك الرجل في أرض الضلالة لك صدقةٌ، وبصرُك للرجل الرديء البصر لك صدقةٌ، وإماطتُك الحجرَ والشوكةَ والعظمَ

(١) أخرجه النسائي في "سننه" برقم [١٧٢٨](٢/٢٨٠)، وهو صحيح.
(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم [١٩٥٥](ص/٨٠٩).
(٣) من قصيدة عنوان الحكم، لأبي الفتح البستي.

عن الطريق لك صدقةٌ، وإفراغُك من دلوك في دلوِ أخيك لك صدقةٌ »[1].

وخدمة الإخوان ومساعدتهم وقضاء حوائجهم أمور يحبها الله تعالى ورسوله.. **يقول النبي** ﷺ: « من نفَّس عن مؤمنٍ كربةً من كرب الدنيا نفَّس الله عنه كربةً من كرب يوم القيامة، ومن يسَّر على معسرٍ يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عونِ العبدِ ما كان العبدُ في عونِ أخيه...»[2].

وخدمة الإخوان تكون ببذل المال والجاه، وقضاء حوائجهم..والله تعالى يُجازي الإنسان من جنس عمله.. فإن أعان أُعينَ... وإن سَتَر سُتر... وإن يَسَّر يُسِّر له... ومن كان في حاجة أخيه كان الله تعالى في حاجته..

إضاءة

الداعي إلى الله تعالى يستقصي حاجات إخوانه، ويسعى في قضائها، ويخدمهم بكل طاقاته، ويُحسن إليهم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً..

فقد كان رسول الله ﷺ يحسن لأصحابه، يساعد فقيرهم، ويرحم ضعيفهم، ويفرج عن مكروبهم، ويُيسر على معسرهم، ويوصل النفع إليهم، ويكف الأذى عنهم، ويستجلب لهم المصالح، ويدرأُ عنهم المفاسد، ويسير بهم سيراً حسناً..

يقول ابن حبان: ((ومن أعظم ما يُتَوَسَّلُ به إلى الناس ويُسْتَجْلِبُ به محبتهم: البذلُ لهم مما يملك المرء من حطام هذه الدنيا، واحتمالُه ما يكون

(١) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" برقم [٥٢٩](٢/٢٨٧)، وهو صحيح.
(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم [٢٦٩٩](ص/١٠٨٢).

منهم من الأذى))[1].

وقد قيل: ((أولُ المروءةِ: طلاقةُ الوجهِ، والثاني: التوددُ –أي للناس–، والثالث: قضاءُ الحوائجِ))[2].

وخامسها: الاهتمام بالإخوان وبأحوالهم يزيد من المودة والمحبة.

على الداعي إلى الله تعالى أن يهتم بإخوانه، وبأحوالهم، وبأفراحهم، وبأتراحهم..يشاركهم أفراحهم، ويكون جزءاً فاعلاً معهم، فيفرح لفرحهم، ويسر لسرورهم، ويكون إلى جانبهم فيما يحتاجون إليه من مساعدة على المستوى المادي والمعنوي.. وبنفس الطريقة يشاركهم في أتراحهم وأحزانهم.. وكل هذا يزيد من المحبة والمودة بين الداعي وإخوانه.

لقد كان النبي ﷺ يهتم بأصحابه، فيعود مرضاهم، ويتألم لألمهم، ويشعر بمشاعرهم..

فقد عاد النبيُّ ﷺ سعدَ بن عبادة ومعه عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود –رضي الله عنهم–، فلما رأى النبي ﷺ سيدنا سعداً بكى، فلما رأى القومُ بكاءَ رسول الله ﷺ بكَوا، **فقال** ﷺ: «ألا تسمعون؟ إن الله لا يعذبُ بدمع العين ولا بحزن القلب، ولكن يعذبُ بهذا–وأشار إلى لسانه– أو يرحمُ، وإن الميت يعذَبُ ببكاء أهله عليه»[3]، هكذا يعلِّمك رسول الله ﷺ، إذا ذهبتَ لعيادة أخ في الله، فخذ معك عدداً من الإخوة، فهذا يشعره بالمواساة، وباهتمام أكبر.

(١) روضة العقلاء، لابن حبان البستي، (ص/٦٤).

(٢) عيون الأخبار، لابن قتيبة الدينوري، (٣/٧٢).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه"برقم [١٣٠٤] (ص/٢٥٤).

وكان النبي ﷺ يتفقد أصحابه، فإذا غاب أحد منهم سأل عنه..

عن أنس رضي الله عنه قال: ((كان ﷺ إذا فَقَدَ الرَّجُلَ من إخوانه ثلاثة أيام سأل عنه، فإن كان غائباً دعا له، وإن كان شاهداً زاره، وإن كان مريضاً عاده.))[1].

يقول ابن حبان: ((وأيسر ما يكون في قضاء الحوائج استحقاق الثناء، والإخوان يُعْرَفُون عند الحوائج، كما أن الأهل تُخْتَبَرُ عند الفقر؛ لأن كل الناس في الرخاء أصدقاء، وشر الإخوان الخاذل لإخوانه عند الشدة والحاجة.))[2].

رؤية

إن المحاضرات والدروس والمواعظ وحدها لا تصنع دعوة إلى الله تعالى... إن المشاركة الوجدانية من قِبل الداعي في كل ما يتعلق بشؤون إخوانه مشفوعة بالإخلاص والاستعانة بالله تعالى... هي التي يُعوَّل عليها في نجاح الدعوة الإسلامية وانتشارها...

وسادسها: الهدية والتكريم والمكافأة على المعروف يزيد من المودة والمحبة..

* إن أبلغ ما يلخص هذا الموضوع ويشير إلى أهميته في كسب مودة ومحبة الناس للداعي إلى الله تعالى، حثُّ النبي ﷺ على تقديم الهدية والإثابة

(١) المطالب العالية، لابن حجر العسقلاني، برقم [٢٤٧٤] (١١/١٢٠).
(٢) روضة العقلاء، لابن حبان البستي، (ص/٢٢١).

عليها، حيث **قال**: «تهادوا تحابوا» [1] فالهدية تزيد في المودة والمحبة، وتقرب بين القلوب، وتفتح أسارير النفس، لتَقَبُّل التوجيه والمواعظ والنصائح.

* والهدية تُذهب وَغَرَ الصدور والضغينة، وتصفي الأرواح مما شابها من اختلاف وتنافر وتباعد..

يقول النبي ﷺ: «تَهَادوْا، فَإِنَّ الْهَدِيَّةَ تُذْهِبُ وَغَرَ الصَّدْرِ » [2].

* وكان النبي ﷺ يهدي ويقبل الهدية.، ويثيب عليها..

فعَنْ عَائِشَةَ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قَالَتْ: ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَيُثِيبُ عَلَيْهَا)) [3] .

وعَنْ أَنَسٍ ﷺ : ((أَنَّ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ كَانَ اسْمُهُ زَاهِراً كَانَ يُهْدِي لِلنَّبِيِّ ﷺ الْهَدِيَّةَ مِنَ الْبَادِيَةِ، فَيُجَهِّزُهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ. **فَقَالَ النَّبِيُّ** ﷺ:« إِنَّ زَاهِراً بَادِيَتُنَا وَنَحْنُ حَاضِرُوهُ» وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحِبُّهُ، وَكَانَ رَجُلاً دَمِيماً، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَوْماً وَهُوَ يَبِيعُ مَتَاعَهُ، فَاحْتَضَنَهُ مِنْ خَلْفِهِ، وَهُوَ لَا يُبْصِرُهُ، فَقَالَ الرَّجُلُ: أَرْسِلْنِي. مَنْ هَذَا؟! فَالْتَفَتَ، فَعَرَفَ النَّبِيَّ ﷺ فَجَعَلَ لَا يَأْلُو مَا أَلْصَقَ ظَهْرَهُ بِصَدْرِ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ عَرَفَهُ، وَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ **يَقُولُ**: «مَنْ يَشْتَرِي الْعَبْدَ؟» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِذًا وَاللَّهِ تَجِدُنِي كَاسِداً. **فَقَالَ النَّبِيُّ** ﷺ : «لَكِنْ عِنْدَ اللَّهِ لَسْتَ بِكَاسِدٍ -أَوْ قَالَ- لَكِنْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَ غَالٍ »[4].

(١) صحيح الأدب المفرد للبخاري،برقم [٥٩٤/٤٦٢](ص/٢٢١)، وهو حسن.
(٢) أخرجه أحمد في "مسنده" برقم [٩٢٥٠](١٤١/١٥)،وهو حسن.
(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٢٥٨٥](ص/٤٨٩).
(٤) أخرجه أحمد في "مسنده" برقم [١٢٦٤٨](٩٠/٢٠)، وهو صحيح.

* وعلى الداعي أن يكافئ من أسدى إليه معروفاً، ففي ذلك زيادة المودة والمحبة بينهما... فقد كان النبي ﷺ يكافئ على الهدية بأكثر منها، ويطلب مكافأة صاحب المعروف بما يتناسب مع معروفه.. **يقول النبي** ﷺ: « من استعاذ بالله فأعيذُوهُ[1] ومن سأل بالله فأعطوه، ومن أتى إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا، فادعوا له، حتى يُعلم أن قد كافأتموه »[2].

* وكان النبي ﷺ يدعو إلى قبول الهدية مهما كانت متواضعة وعدم ردها... **يقول النبي** ﷺ: « أجيبوا الداعي، ولا تردُّوا الهدية، ولا تضربوا المسلمين»[3].

إضاءة

على الداعي ألا يستخفَّ بتقديم الهدية حسب الإمكان إلى إخوانه، وعليه ألا ينظر إلى تواضع الهدية، بل عليه النظر إلى أثرها في قلب من أُهديت إليه، فبالمحبة والمودة تعظم قيمة الأشياء مهما صغرت، وبالكراهية والعداوة تصغر قيمة الأشياء مهما عظمت.

يقول الكريزي:

((إنَّ الهديةَ حلوةٌ كالسحرِ تختلبُ[4] القلوبا
تدني البعيدَ من الهوى حتى تُصيّره قريبا
وتُعيد مضطغن[5] العدا وةِ بعد بغضتهِ حبيبا

(١) أي: من استعاذ بالله مستجيراً بكم من أذاكم، أو أذى غيركم، أو متوسلاً بالله تعالى، فأعيذوه وارفعوا عنه الأذى، واجعلوه في حصنكم. .

(٢) صحيح الأدب المفرد للبخاري، برقم [٢١٦/١٥٨](ص/٩٨).

(٣) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" برقم [٣٦٠٥](٤١٨/١٢)، وهو صحيح.

(٤) تختلب أي تخدع.

(٥) المضطغن هو المصر على الحقد، المترقب للدوائر.

تنفي السخيمةَ[1] من ذوي الشحناء وتمتحقُ الذنوبا)) [2]

ويقول الأبرش:

((هدايا الناسِ بعضهمُ لبعض تولِّد في قلوبهمُ الوصالا
وتزرعُ في الضميرِ هوىً وودا وتكسوك المهابةَ والجلالا
مصايدُ للقلوبِ بغير لَغْب[3] وتمنحك المحبةَ والجمالا))[4]

وسابعها: الثناء على الأخ المدعو فإنه يزيد من المودة والمحبة.[5]

والثناء يُدخل السرور على نفس الأخ، فتنفتح أسارير نفسه لقبول التوجيهات التي تأتيه لاحقاً فيتقبَّلها قَبولاً حسناً، وتنزل على قلبه ونفسه منزل الاستحسان والرضى، وبذلك يكون أكثر استعداداً لتقبُّل النصائح والتوجيهات..

فائدة

على الداعي أن يكون آلفاً ومألوفاً، فإذا تحقق له ذلك، انتصر بالألفة على أعاديه وحاسديه، فسلمت منهم فتوحه ونعمته ودعوته، وصفت أيامه، ونجحت أعماله، وجمع شمله، وامتنعت ذلته..

ولابدَّ للألفة من **تجانس** روحي وعقلي وقلبي بين المتآلفين.. **يقول النبي** ﷺ:

(١) السخيمة هي الحقد.
(٢) روضة العقلاء، لابن حبان البستي، (ص/٢١٨).
(٣) اللغب: هو التعب.
(٤) المصدر السابق، (ص/ ٢١٨ وما بعدها).
(٥) انظر: أسلوب التربية بالثناء، في كتاب مبادئ في الفكر التربوي الإسلامي، للمؤلف.

« الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ» [(١)].

ولابدَّ للألفة من **تواصل** ولقاءات وزيارات..

ولابدَّ للألفة من **المؤانسة** والمجالسة فيما يرضي الله تعالى..

ولابدَّ للألفة من **الصفاء** والإخلاص في الصحبة..

ولابدَّ للألفة من **المودة** ثم **المحبة**...

قَالَ عَلِيٌّ -كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ- لِابنِهِ الحسنِ: ((يَا بُنَيَّ الْغَرِيبُ مَنْ لَيْسَ لَهُ حَبِيبٌ)) [(٢)].

* ومن عقل الداعي وخلقه وحكمته أن يؤلف القلوب على المحبة والمودة، وهذا يحتاج إلى صلة قوية بالله تعالى، واستمدادٍ من عونه وفضله، لأن الجهود البشرية تعجز عن تحقيق ذلك بكل طاقاتها..

يقول تعالى: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [سورة الأنفال].

وهذه الألفة لا يقدر عليها إلا الله ﷻ، فلزم استمدادها منه، بقوة الذكر والمراقبة والصلة..

* ومن ناحية أخرى يجب على الداعي أن يحذر من التودد إلى الفساق والمنافقين والأعداء الحاقدين على الدين، مهما كانت الذرائع والأسباب، فأمثال هؤلاء يُنصحون بالتوبة مما هم فيه، فإذا تابوا وأصلحوا قابلهم بالتودد

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٣٣٣٦](ص/٦٣٦).
(٢) أدب الدنيا والدين، للماوردي، (ص/١٥٨).

والمحبة، وإذا لم يغادروا فسقهم ونفاقهم أو حقدهم وعداوتهم، فلا يمكن أن يكون بينه وبينهم مودة على الإطلاق، ولو كانوا أقرب الناس إليه..

يقول الله تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [سورة المجادلة].

ويقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾ ﴾ [سورة الممتحنة].

ويقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [سورة هود].

ويقول الله تعالى مخاطباً نبيه محمداً ﷺ: ﴿ ...فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [سورة الأنعام].

ويقول النبي ﷺ: « أَوْثَقُ عُرَى الإِسْلامِ : الْوَلايَةُ فِي اللهِ ، وَالْحُبُّ فِي اللهِ، وَالْبُغْضُ فِي اللهِ »[1].

(١) أخرجه الطبراني في "المعجم الصغير" برقم [٦٤٢](١/٣٧٢)، وهو صحيح.

• القاعدة السابعة عشرة:

من الحكمة في الدعوة: التيسير، لا التعسير:

الدعاة مطالبون بالتيسير على الناس حتى يجذبوهم إلى الإسلام ويحببوهم به، والإسلام قائمٌ على اليسر والتخفيف والتوسعة على الناس ورفع الحرج عنهم، والإسلام لا غلوَّ فيه ولا تفريط، بل هو وسطٌ بينهما وتيسير، والتيسير ورفع الحرج عن الناس مقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية.

• القرآن الكريم يدعو إلى التيسير وعدم التعسير في الدين:

يقول الله تعالى: ﴿ ...هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ... ﴾ [سورة الحج:٧٨].

ويقول الله تعالى: ﴿ ...يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ... ﴾ [سورة البقرة:١٨٥].

ويقول الله تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [سورة النساء].

ويقول الله تعالى: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ ﴾ [سورة الشرح].

وجميع هذه الآيات توضِّح مقصداً مهماً من مقاصد الإسلام، ألا وهو التيسير على الناس، ودفع التكاليف الشاقة عنهم،والتخفيف عنهم..

فالإسلام دين يسرٍ وليس دين عسرٍ، فلا يكلِّف المسلمين فوق طاقتهم، بل تكاليفه يسيرة ضمن وسع الإنسان وطاقته وقدرته..

- **السنة النبوية تدعو إلى التيسير وعدم التعسير في الدين:**

■ لقد كان رسول الله ﷺ ييسِّر على الناس أمورَ دينهم، ويتجنَّب إعناتهم، فوصفه ربه ﷻ فقال: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [سورة التوبة].

انظر إلى هذا التعبير القرآني: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ [سورة التوبة]، كم هو تعبير شديد الشفافية، كم هو معبر عن عمق الوشائج والرباط بينك وبين رسول الله ﷺ، صلة لا تنقطع، كما لا تنقطع الصلة بينك وبين نفسك، تدخل إلى البيت أو تخرج منه ورسول الله ﷺ معك، يعلمك ويرشدك، في بيعك، في شرائك، في زواجك، مع أولادك، رسول الله معك في حربك في سلمك، رسول الله معك في كل شؤونك، رسول الله معك في تعاليمه وروحانيته...

لماذا؟ ﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾ [سورة التوبة]، لأنه عزيز عليه مشقَّتكم، لأنه منكم، لأنه من أنفسكم، يخاف عليكم سوء العاقبة، يخاف عليكم أن تقعوا في المشقَّة أو في العذاب، مشقَّة الدنيا أو عذاب الآخرة.

وهو حريص عليكم وعلى هدايتكم وعلى سعادتكم في الدنيا وفي الدار الآخرة، لا يسوقكم إلى المهالك، ولم يأتكم برسالة تحمِّلكم ما لا تطيقون.

■ ويؤكد النبي ﷺ أنه بُعث بالحنيفية السمحة، فهو يدعو إلى إسلام كله سماحة ؛ لا تشدد فيه ولا تضييق على الناس..

يقول النبي ﷺ : « بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ»[(١)].

يقول ابن قيم الجوزية: ((أي: بالمِلَّة، فهي حنيفيَّة في التوحيد، سمحَةٌ في العمل. وقد وسَّع الله سبحانه وتعالى على عباده غايةَ التَّوسِعة في دينه، ورِزقْه، وعفوه، ومغفرتِهِ، وبسط عليهم التوبةَ ما دامت الروحُ في الجسد، وفتح لهم باباً لها لا يُغْلِقُهُ عنهم إلى أن تَطْلُعَ الشمسُ مِن مَغربها، وجعلَ لكلِّ سيئة كفارةً تُكفرها من توبة، أو صدقة، أو حسنة ماحية، أو مُصيبة مُكَفِّرة، وجَعل بكل ما حرَّم عليهم عِوضاً مِن الحلال أنفعَ لهم منه، وأطيَبَ، وألذَّ، فيقومُ مقامه لِيستغنى العبدُ عن الحرام، ويسعه الحلال، فلا يَضيقُ عنه، وجعل لِكل عُسْرٍ يمتحنُهم به يُسراً قبله، ويُسراً بعده، "فلن يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسرَيْنِ" فإذَا كان هذا شأنه سبحانه مع عباده، فكيف يُكلِّفُهم ما لا يسعهم فضلاً عما لا يُطيقونه ولا يقدِرُونَ عليه))[(٢)].

وعن ابن عَباس رضي الله عنهما قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : ((أَيُّ الْأَدْيَانِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟)) **قَالَ**: «الحنيفية السَّمْحَةُ»[(٣)].

■ وما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً..

عَنْ عَائِشَةَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا– أَنَّهَا قَالَت: ((مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْماً، فَإِنْ كَانَ إِثْماً كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ،

(١) أخرجه أحمد في "مسنده" برقم [٢٢٢٩١](٦٢٤/٣٦)، وهو صحيح.
(٢) زاد المعاد، لابن قيم الجوزية، (٩/٣).
(٣) أخرجه أحمد في "مسنده" برقم [٢١٠٧](١٦/٤)، وهو صحيح لغيره.

وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ بِهَا))[1].

فعلى العلماء والدعاة أن ييسِّروا على الناس، فإذا عرضت لهم مسألة وتساوت الأدلة بلا ترجيح، وكان تنفيذ أحدها صعباً والآخر سهلاً يسيراً، فعليهم أن يأخذوا بالأسهل الميسر وهو الأقرب لروح الشريعة المطهرة.

- ويؤكد النبي ﷺ أن خير ما يتمسك به المسلم في دينه أيسره..

يقول النبي ﷺ : « إِنَّ خَيْرَ دِينِكُمْ أَيْسَرُهُ إِنَّ خَيْرَ دِينِكُمْ أَيْسَرُهُ»[2].

ولذلك أمر النبي ﷺ المسلمين أن يجتهدوا بالعمل بقدر طاقتهم من غير عنت ومشقة، وأن يُقبلوا على الله تعالى مستبشرين بالقبول والرضى، فلا نجاة ولا جنَّة إلا بالعمل مشفوعاً برحمة الله تعالى وعفوه.

عَنْ عَائِشَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، فَإِنَّهُ لَا يُدْخِلُ أَحَداً الْجَنَّةَ عَمَلُهُ» قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! **قَالَ**: « وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِمَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ»[3].

((قوله ﷺ: « سَدِّدُوا » أي: الزموا السداد، وهو الصواب. وقال أهل اللغة: السداد هو التوسط في العمل. وقوله ﷺ: « وَقَارِبُوا » أي: إن لم تستطيعوا الأخذ بالأكمل، فاعملوا بما يقرب منه.

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٢٥٦٠](ص/٦٨٢)، ومسلم في "صحيحه" برقم [٢٣٢٧](ص/٩٥١)، واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه أحمد في "مسنده" برقم [١٥٩٦٣](٢٥/٢٨٤)، وهو حسن.

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٦٤٦٧](ص/١٢٤١)، ومسلم في "صحيحه" برقم [٢٨١٨](ص/١١٣٣)، واللفظ للبخاري.

وقوله ﷺ: « وَأَبْشِرُوا » أي: أبشروا بالثواب على العمل الدائم وإن قلَّ، والمراد تبشير من عجز عن العمل بالأكمل، بأن العجز إن لم يكن من صنيعه لا يستلزم نقص أجره))[1].

- **السنة النبوية تنهى عن التشدد في الدين.**

▪ نهى النبي ﷺ عن التشدد والغلو في الدين، وحذَّر بأنه سبب هلاك بعض الأمم السابقة.

يقول النبي ﷺ: « وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالْغُلُوِّ فِي الدِّينِ»[2] فالغلو في الدين مذموم والتشديد فيه غير محمود...

والاعتدال حسنة بين سيئتين: الأولى:الغلو وهو مجازوة القصد، والثانية: التقصير.

وعَن الأَحنَفِ بنِ قَيس عن عبدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ» قَالَهَا ثَلَاثاً.[3] والمتنطعون: الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم.

وعَنْ أَبِي بَرزَةَ الْأَسلَمِيِّ قَالَ: ((خَرَجْتُ يَوْماً أَمْشِي فَإِذَا بِالنَّبِيِّ ﷺ مُتَوَجِّهاً فَظَنَنْتُهُ يُرِيدُ حَاجَةً، فَجَعَلْتُ أَخْنَسُ عَنْهُ[4] وَأُعَارِضُهُ، فَرَآنِي فَأَشَارَ إِلَيَّ فَأَتَيْتُهُ، فَأَخَذَ بِيَدِي، فَانْطَلَقْنَا نَمْشِي جَمِيعاً، فَإِذَا نَحْنُ بِرَجُلٍ يُصَلِّي يُكْثِرُ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ، **فَقَالَ النَّبِيُّ** ﷺ: « أَتُرَاهُ مُرَائِياً؟» فَقُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَأَرْسَلَ يَدِي، ثُمَّ طَبَّقَ بَيْنَ كَفَّيْهِ فَجَمَعَهُمَا، وَجَعَلَ يَرْفَعُهُمَا بِحِيَالِ مَنْكِبَيْهِ وَيَضَعُهُمَا، **وَيَقُولُ**: «عَلَيْكُمْ

(١) انظر: فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، (١/٩٥).

(٢) أخرجه أحمد في "مسنده" برقم [١٨٥١](٣/٣٥٠)، وهو صحيح.

(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم [٢٦٧٠](ص/١٠٧١)

(٤) أي: أغيب وأختفي.

هَدْياً قَاصِداً» ثَلَاثَ مراتٍ « فَإِنَّهُ مَنْ يُشَادَّ الدِّينَ يَغْلِبْهُ»[1] .

■ ويؤكد النبي ﷺ على أن دين الإسلام دين اليسر، وأن الذين يتشددون سيغلبهم يسر الدين.

عن أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه **عَن النَّبِيِّ** ﷺ **قَالَ**: « إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبشِرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنْ الدُّلْجَةِ»[2] .

فالدِّين لا يُؤخذ بالشدَّة والغلو والمغالبة، فمن تشدد في الدين غلبه وقطعه. وفي الحديث حضٌّ من النبي ﷺ على الرفق بالعمل بالدين، وفيه بشارة بالأجر والثواب عليه.

■ والإسلام ينهى عن التشديد وتعذيب النفس.

فقد رأى رسول الله ﷺ رجلاً يمشي، قيل له: إنه نذر أن يحجَّ ماشياً، **فقال**: «إِنَّ اللَّهَ عَنْ تَعْذِيبِ هَذَا نَفْسَهُ لَغَنِيٌّ»[3].

■ والتشديد والغلو ليس من سنة النبي ﷺ .

فعن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رضي الله عنه **قال**: ((جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنْ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ؟! قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا

(١) أخرجه أحمد في "مسنده" برقم [١٩٧٨٦](٣١/٣٣)، وهو صحيح.
(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٣٩] (ص/ ٣١).
(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [١٨٦٥](ص/٣٥٤)، ومسلم في "صحيحه" برقم [١٦٤٢](ص/٦٧٤)، متفق عليه.

أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَداً. وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ. وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَداً. فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ **فَقَالَ**: «أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»[1].

والحديث (دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمَشْرُوعَ هُوَ الِاقْتِصَادُ فِي الْعِبَادَاتِ دُونَ الِانْهِمَاكِ وَالْإِضْرَارِ بِالنَّفْسِ، وَهَجْرِ الْمَأْلُوفَاتِ كُلِّهَا، وَأَنَّ هَذِهِ الْمِلَّةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ مَبْنِيَّةٌ شَرِيعَتُهَا عَلَى الِاقْتِصَادِ وَالتَّسْهِيلِ وَالتَّيْسِيرِ وَعَدَمِ التَّعْسِيرِ ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ قَالَ الطَّبَرِيُّ: فِي الْحَدِيثِ الرَّدُّ عَلَى مَنْ مَنَعَ اسْتِعْمَالَ الْحَلَالِ مِنْ الطَّيِّبَاتِ مَأْكَلاً وَمَلْبَساً)[2].

- ولذلك أمرنا الله تعالى أن نعمل ونجتهد قدر الاستطاعة..

يقول الله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [سورة التغابن].

ويقول النبي ﷺ :« ...وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ »[3].

قال ابن السبكي : ((الميسور لا يسقط بالمعسور، وهي من أشهر القواعد المستنبطة من قوله ﷺ « ...وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ »[4].

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٥٠٦٣](ص/١٠٠٥)، ومسلم في "صحيحه" برقم [١٤٠١](ص/٥٤٩).

(٢) سبل السلام، للصنعاني (٢٣٦/٣).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٧٢٨٨](ص/١٣٨٩)، ومسلم في "صحيحه" برقم [١٣٣٧](ص/٥٢٩).

(٤) الأشباه والنظائر، لابن السبكي (١٧٢/١).

قال النووي: ((هذا من جوامع الكلم وقواعد الإسلام، ويدخل فيه كثير من الأحكام كالصلاة لمن عجز عن ركن منها أو شرط فيأتي بالمقدور، وكذا الوضوء، وستر العورة، وحفظ بعض الفاتحة، وإخراج بعض زكاة الفطر لمن لم يقدر على الكل..))[1].

■ ونهى رسول الله ﷺ عن التشديد والغلو زيادة على الدين، فهو رهبانية مبتدعة لم يكتبها الله تعالى ..

يقول النبي ﷺ : «...لَا تُشَدِّدُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَيُشَدَّدَ عَلَيْكُمْ فَإِنَّ قَوْماً شَدَّدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَتِلْكَ بَقَايَاهُمْ فِي الصَّوَامِعِ وَالدِّيَارِ ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ ﴾..»[2].

■ وأمر النبي ﷺ أن يعملَ المسلم بالنوافل بقدر نشاطه، فإذا أصابه التعب فعليه أن يستريح ولا يرهق نفسه.

عَن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رضي الله عنه **قَالَ**: ((دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَإِذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ، **فَقَالَ**:« مَا هَذَا الْحَبْلُ؟» قَالُوا: هَذَا حَبْلٌ لِزَيْنَبَ، فَإِذَا فَتَرَتْ[3] تَعَلَّقَتْ. فَقَالَ النَّبِيُّ: «ﷺ لَا حُلُّوهُ لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ»))[4].

وعَن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما– قَالَ: ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ فَرَأَى زِحَاماً وَرَجُلاً قَدْ ظُلِّلَ عَلَيْهِ، **فَقَالَ**:« مَا هَذَا ؟» فَقَالُوا:

(١) انظر : نيل الأوطار ، للشوكاني، (٢٧٧/٨)

(٢) أخرجه أبو داود في "سننه" برقم [٤٩٠٤](ص/٥٣٢)، وهو حديث يرقى إلى الحسن.

(٣) فترت : أي كسلت عن القيام في الصلاة..

(٤) أخرجه البخاري في " صحيحه" برقم [١١٥٠](ص/٢٢٧)، ومسلم في "صحيحه" برقم [٢١٩](ص/٣٠٨)، واللفظ للبخاري.

صَائِمٌ. **فَقَالَ**: « لَيْسَ مِنْ الْبِرِّ الصَّوْمُ فِي السَّفَرِ»))[1].

لذلك طالَب النبي ﷺ المسلمين بعدم التشدد في العبادة حتى لا تصبح العبادة عبئاً ثقيلاً على النفس، فإن العبادة لا تؤدي الهدف منها إذا أعْنتَ المتعبد نفسه وشدَّد عليها..، وربما ينقطع عن العمل من كثرة التشدد فلا يُكمل الطريق إلى الله تعالى.

- **الدعاة مأمورون بالأخذ بالتيسير وترك التعسير:**

  - أمر النبي ﷺ الدعاة والمربين والمعلمين بالتيسير على الناس وعدم التشديد.

فقد أوصى ﷺ أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل عندما أرسلهما إلى اليمن بالتبشير والتيسير على الناس..

فعن سَعِيدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَهُ-أي بعث أبا موسى الأشعري- وَمُعَاذاً إِلَى الْيَمَنِ **فَقَالَ لَهُمَا**: «بَشِّرَا وَيَسِّرَا وَعَلِّمَا وَلَا تُنَفِّرَا» وَأُرَاهُ **قَالَ**: «وَتَطَاوَعَا» [2].

وأمر المسلمين بشكل عام بالتيسير وعدم التنفير، **فقال**: « يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا» [3] وفي رواية: «يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا وَسَكِّنُوا[4]

(١) أخرجه البخاري في" صحيحه" برقم [١٩٤٦](ص/٣٦٩)، ومسلم في "صحيحه" برقم [١١١٥](ص/٤٣٢)، واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٣٠٣٧](ص/٥٨١)،ومسلم في "صحيحه" برقم [١٧٣٣](ص/٨٣١)، واللفظ لمسلم.

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٦٩](ص/٣٩)،ومسلم في "صحيحه" برقم [١٧٣٤](ص/٧٢١)، واللفظ للبخاري.

(٤) وسكِّنوا: من السكينة والطمأنينة.

وَلَا تُنَفِّرُوا»[1].

وفي هذه الأحاديث: ((الأمر بالتبشير بفضل الله، وعظيم ثوابه، وجزيل عطائه، وسعة رحمته، والنهي عن التنفير بذكر التخويف وأنواع الوعيد محضة من غير ضمّها إلى التبشير. وفيه تأليف من قَرُبَ إسلامه، وترك التشديد عليهم، وكذلك من قارب البلوغ من الصبيان، ومن بلغ، ومن تاب من المعاصي كلهم، يتلطف بهم ويُدرجون في أنواع الطاعة قليلاً قليلاً. وقد كانت أمور الإسلام في التكليف على التدريج، فمتى يُسِّر على الداخل في الطاعة أو المريد للدخول فيها سهلت عليه، وكانت عاقبته غالباً التزيُّدَ منها، ومتى عسرت عليه أو شكَّ ألَّا يدخل فيها وإن دخل أو شك ألَّا يدوم أو لا يستحليها. وفيه أمر الولاة بالرفق واتفاق المتشاركين في ولاية ونحوها وهذا من المهمَّات فإن غالب المصالح لا يتم إلا بالاتفاق ومتى حصل الاختلاف فات. وفيه وصية الإمام الولاة وإن كانوا أهل فضل وصلاح كمعاذ وأبي موسى فإن الذكرى تنفع المؤمنين))[2].

وفيها إشارة مهمة للدعاة وهي أن الدعوة لا تؤثر بالمدعوين عن طريق التعنيف، بل يلزم لها السكينة، وأن يشعر المدعو بالطمأنينة، وذلك أدعى لانشراح صدره لتعاليم الإسلام، وقبوله لها بيسر وسهولة.

■ وعن أبي هريرة ﷺ قال: ((قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَبَالَ فِي الْمَسْجِدِ، فَتَنَاوَلَهُ النَّاسُ، **فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ** ﷺ : «دَعُوهُ، وَهَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلاً مِنْ مَاءٍ أَوْ

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٦١٢٥](ص/١١٨٥)،ومسلم في "صحيحه" برقم [١٧٣٤](ص/٧٢١)، واللفظ لمسلم.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، (٤١/١٢).

ذَنُوباً مِنْ مَاءٍ[1]، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ»[2] وفي رواية لمسلم: «لَا تُزْرِمُوهُ[3]دَعُوهُ»[4].

وفي الحديث توجيه للدعاة للأخذ بالرفق والتيسير، للوصول إلى مبتغاهم في جذب الناس إلى دين الله تعالى، وفيه اللطفُ بتعليم الجاهل وعدم تعنيفه، وفيه دفع أعظم المضرَّتين بأخفهما؛ لأنه لو قطع عليه بوله لأضرَّ به (بصحته)[5]، ويمكن أن يصيب البول ثيابه ومواضع أخرى في المسجد، فيزداد الضرر.

■ والدعاة هم الذين يتولون مسؤولية الدعوة إلى الله والتعريف بالإسلام وتعاليم أحكامه، وهم بذلك من جملة الولاة الذين أمرهم النبي ﷺ بالتيسير، وحذرهم مع كل الذين يَلَون شأناً من شؤون المسلمين أن يشقوا عليهم.

يقول النبي ﷺ: « اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ» [6].

- **الأحكام الشرعية في الإسلام قائمة على التيسير:**

على الدعاة التيسير على الناس في العمل بالشريعة والالتزام بها، فالشريعة الإسلامية تُيسِّر العمل بالتكاليف الشرعية، وتُيسِّر إدراك معرفة أحكامها وأهدافها، وتأمر المكلفين بالتيسير على أنفسهم وعلى غيرهم.

(١) السَّجل والذَّنوب بمعنى واحد وهِيَ الدَّلو الْمُمْتَلِئَةُ مَاءً.
(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٢٢٠](ص/٦٥).
(٣) الإرزام: هو القطع.
(٤) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم [٢٨٥](ص/١٣٧).
(٥) انظر : سبل السلام للصنعاني، (١/٥٧).
(٦) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم [١٨٢٨](ص/٧٦٤).

فالدين يسرٌ ولو كان الدين عسراً فكيف يستطيع الناس فهمه وتطبيق أحكامه؟!..وكيف يحاسبهم الله تعالى على أمر عسير لا يستطيعون العمل به؟!..

لذلك فإن تكاليف الشريعة ميسرة ضمن طاقة الإنسان ووسعه بعيداً عن المشقة والحرج..

يقول الله تعالى :﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٦].

ويقول الله تعالى : ﴿ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٢].

ويقول الله تعالى :﴿ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [سورة البقرة: ٢٣٣].

فالإسلام لم يكلف الناس بما لا يطاق، وهو مما يمتنع التكليف به شرعاً، بل كلفهم بما يقدرون عليه، ونهاهم عن التكلف والتنطع والتشدد..

يقول النبي ﷺ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ خُذُوا مِنْ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا وَإِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ مَا دَامَ وَإِنْ قَلَّ»(١).

ويقول النبي ﷺ : « وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبْلُغُوا »(٢) أي: عليكم الاقتصاد في السير بالأعمال ولا تُبالغوا فلا تَبلغوا.

والإسلام جلب التيسير ودفع المشقة على الناس، ومن هنا جاءت القاعدة الفقهية المشهورة (**المشقة تجلب التيسير**) وهي من أمهات قواعد الفقه الإسلامي، يحتاج إليها الداعي والمربي والمجتهد والمفتي كثيراً. وقد قال

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٥٨٦١](ص/١١٤٤).
(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٦٤٦٣](ص/١٢٤٠).

السيوطي: ((هذه القاعدة يرجع إليها غالب أبواب الفقه))[1].

ومثلها قاعدة (**إذا ضاق الأمر اتسع**) غير أن هاتين القاعدتين مقيدتان بقاعدة أخرى، هي أن (**الميسور لا يسقط بالمعسور**)[2].

وهناك أيضاً قاعدة (**الضرورات تبيح المحظورات**) ويتفرّع عنها قاعدة (**الضرورات تقدر بقدرها**).

ولذلك كان النبي ﷺ لا يشقُّ على المسلمين، ولا يعسر عليهم، وقد وردت عبارة: «**لولا أن أشق على أمتي**» في أحاديث عديدة، وذلك دفعاً منه للمشقة، وجلباً للتيسير على الناس.

وكان ﷺ يبتعد عن كل فعل أو أمر يوقعهم بالمشقة، لذلك **كان يقول**: « **لولا أن أشقَّ على المؤمنين** –وفي رواية: على أمتي– لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة»[3]، وفي رواية: «مع كل وضوء»[4].

وكان ﷺ يقول: «...والذي نفس محمد في يده **لولا أن أشقَّ على المؤمنين** ما قعدت خلف سرية تغزو في سبيل الله، ولكن لا أجد سعةً فأحملهم، ولا يجدون سعةً فيتبعوني، ولا تطيب أنفسهم أن يقعدوا بعدي»[5].

وكان ﷺ يقول :« **لولا أن أشقَّ على أمتي** لأَخَّرت العشاء إلى ثلث

(١) الأشباه والنظائر، السيوطي، (١/٨٠).
(٢) انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية، (١٤/٢٣٤).
(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه"برقم [٢٥٢] (ص/ ١٢٧).
(٤) أخرجه النسائي في "سننه الكبرى" برقم [٣٠٣١] (٣/٢٩١)، وهو صحيح.
(٥) أخرجه مسلم في "صحيحه"برقم [١٨٧٦] (ص/٧٨٢).

الليل أو شطر الليل»[1].

وكان النبي ﷺ يترك العمل وهو يحب أن يعمل به، مخافة أن يُفرض على الناس فيشق عليهم ذلك.[2]

عن عروة أن عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- أَخْبَرَتْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ لَيْلَةً مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ فَصَلَّى فِي الْمَسْجِدِ، وَصَلَّى رِجَالٌ بِصَلَاتِهِ، فَأَصْبَحَ النَّاسُ فَتَحَدَّثُوا، فَاجْتَمَعَ أَكْثَرُ مِنْهُم، فَصَلَّى فَصَلَّوْا مَعَهُ، فَأَصْبَحَ النَّاسُ فَتَحَدَّثُوا، فَكَثُرَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ مِنْ اللَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَصَلَّى فَصَلَّوْا بِصَلَاتِهِ، فَلَمَّا كَانَتْ اللَّيْلَةُ الرَّابِعَةُ عَجَزَ الْمَسْجِدُ عَنْ أَهْلِهِ، حَتَّى خَرَجَ لِصَلَاةِ الصُّبْحِ، فَلَمَّا قَضَى الْفَجْرَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَتَشَهَّدَ، **ثُمَّ قَالَ**: « أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ لَمْ يَخْفَ عَلَيَّ مَكَانُكُمْ وَلَكِنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفْتَرَضَ عَلَيْكُمْ فَتَعْجِزُوا عَنْهَا» فَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ[3].

وفي الحديث دليل على صحة صلاة قيام الليل والتهجد جماعة.

وكان النبي ﷺ يأمر بتأخير صلاة الظهر في أيام الحر الشديد، حتى لا يشقَّ عليهم.

يقول النبي ﷺ : «إِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ فَأَبْرِدُوا بِالصَّلَاةِ...» [4]

---

(١) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" برقم [١٥٣٩] (٤/٤٠٦)،وهو صحيح.

(٢) انظر: الموافقات للشاطبي ، (٤/٤٢٣).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم[٢٠١٢] (ص/٣٨٠)، ومسلم في "صحيحه" برقم [٧٦١](ص/٣٠٠)، واللفظ للبخاري.

(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٥٣٦](ص/١٢٢)، ومسلم في "صحيحه" برقم =

وفي رواية أخرى للبخاري عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ ﷺ قَالَ: ((كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ فَأَرَادَ الْمُؤَذِّنُ أَنْ يُؤَذِّنَ لِلظُّهْرِ **فَقَالَ النَّبِيُّ** ﷺ : «أَبْرِدْ » **ثُمَّ** أَرَادَ أَنْ يُؤَذِّنَ **فَقَالَ لَهُ** : «أَبْرِدْ» حَتَّى رَأَيْنَا فَيْءَ التُّلُولِ. **فَقَالَ النَّبِيُّ** ﷺ :«إِنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ فَإِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ فَأَبْرِدُوا بِالصَّلَاةِ[1]»[2].

- **ولذلك دفعاً للمشقة وجلباً للتيسير** :

– رخَّص الشرع بإسقاط الجمعة عن أصحاب الأعذار، والجهاد عن الأعمى والأعرج ومقطوع اليد، والصلاة عن الحائض والنفساء.

– ورخَّص بتأخير الصلاة في حق النائم والناسي وأدائها عند تذكرها.

– ورخَّص بإباحة التلفظ بكلمة الكفر لمن أُكره على ذلك.

– ورخَّص بأكل الميتة للمضطر لخوف الهلاك على نفسه من الجوع.[3]

– ورخص بالتيمم لمن لا يجد الماء، ورفع الإثم عن النسيان والخطأ غير المقصود **لقول النبي** ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ قَدْ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ، وَالنِّسْيَانَ، وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ» [4].

- **ويسَّر الإسلام على المريض:**

فأجاز له التيمم في حال عجزه عن الوضوء أو الغسل، أو خوفه على

---

[٦١٥](ص/٢٤٤)، متفق عليه.

(١) أبردوا بالصلاة: أي انتظروا حتى تظهر الأفياء وتخف شدة الحر، وتتم صلاة الظهر في وقتها بعد تأخير قليل.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٥٣٣](ص/٥٣٢)، ومسلم في "صحيحه" برقم [٦١٥](ص/٢٤٤)، متفق عليه.

(٣) انظر: قواعد الأحكام ، للشيخ عز الدين بن عبد السلام، (٦/٢).

(٤) أخرجه ابن ماجه في" سننه " برقم [٢٠٤٣](ص/٢٢١)، وهو صحيح.

نفسه من زيادة المرض، والمسح على الجبيرة، وأداء الصلاة قاعداً أو مضطجعاً أو مومئاً إذا عجز عن القيام للصلاة.

يقول النبي ﷺ للمريض: « صَلِّ قَائِماً فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِداً فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ»[1] .

وأجاز للمريض التخلف عن صلاة الجمعة والجماعة في حال عدم الاستطاعة، ويسر على الشيخ الهرم؛ فأجازه بإخراج الفدية بدلاً عن الصيام إذا عجز عن أدائه، وأجاز للمريض الإنابة في رمي الجمار في مناسك الحج.

- **ويسر الإسلام على المسافر:**

فرخص له القصر في الصلاة، والفطر في رمضان، والجمع بين الصلاتين على خلاف بين الفقهاء، والمسح على الخفين بشروط، وغير ذلك..

كما رخص الإسلام بأمور أخرى كثيرة يصعب حصرها في هذا الموضع، ويمكن الرجوع إليها في كتب الفقه المتخصصة[2].

- **ويسر الإسلام على الداخلين حديثاً في الإسلام:**

– ومن ذلك سقوط العبادات وسائر حقوق الله تعالى السابقة على الإسلام، فلا يُطالب بقضائها، ولئلا تكون مشقة القضاء حائلاً بينهم وبين الإسلام[3].

– ومن ذلك أن الداخل في الإسلام يُعذر بالجهل بالتحريم، ويكون

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [١١١٧](ص/٢٢١).

(٢) انظر: الأشباه والنظائر، للسيوطي، أسباب التخفيف، (١٩٢/٢وما بعدها).

(٣) انظر: الفروق، للقرافي، الفرق السبعون والمائة، (٩٨٢/٣).

ذلك شبهة تمنع ثبوت الحدود [1].

– ومن ذلك عدم وجوب الاغتسال على من أسلم حديثاً، فقد أسلم أناس كثيرون على عهد النبي ﷺ ولم يأمرهم بالاغتسال، وثبت أنه طلب ذلك من بعضهم، ولكن يُفضل الاغتسال ليُطَهِّرَ جسمه كما طَهَّرَ روحه وقلبه بالدخول إلى الإسلام، ولا نأمره بوجوب الختان فور إسلامه بل ننتظر حتى يتمكن الإسلام من قلبه ثم يُختتن.

– ومن ذلك التيسير عليهم بإعطاء الزكاة للمؤلفة قلوبهم من الذين أسلموا حديثاً، وهم ضعفاء النية في الإسلام؛ ليقوى إسلامهم أو ممن لهم نظراء من الكفار الذين لهم نية حسنة في الإسلام فإذا أُعطوا رُجِيَ إسلام نظائرهم[2].

– ومن ذلك التيسير عليهم بقراءة أذكار بدلاً عن الفاتحة في الصلاة لمن لا يُحسن قراءة الفاتحة. عن عبد الله بن أبي أوفى قال :جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال:" إني لا أستطيع أن آخذ من القرآن شيئاً **فعلمني ما يجزئني منه** " **فقال** ﷺ :« قل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم» قال: يا رسول الله هذا لله ﷻ فما لي ؟ **قال**: « قل اللهم ارحمني وارزقني وعافني واهدني » فلما قام قال هكذا بيده **فقال رسول الله** ﷺ :« أما هذا فقد ملأ يده من الخير» [3] . فهذا الحديث دليل على التيسير وأن هذه الأذكار قائمة مقام القراءة للفاتحة وغيرها لمن لا يُحسن ذلك[4].

(١) انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية، (٢٣٣/١٤).

(٢) انظر : المغني لابن قدامة (٣١٩/٧)، وانظر: الفقه الإسلامي وأدلته، (٢٩٩/٣).

(٣) أخرجه أبو داود في "سننه" برقم [٨٣٢](ص/١٠٩)، وهو حسن.

(٤) انظر: سبل السلام للصنعاني (٣٥٧/١).

■ **ويسر الإسلام على الحجاج:**

فأسقط الحج عن غير المستطيع ، وأبدل بعض الواجبات بالكفارات عند قيام الأعذار. فقد كان رسول الله ﷺ يُسأل عن بعض أفعال الحج مما ليس تأخيره بواجب[1]، **فيقول**: «افعلْ ولا حرج» .

فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ –رضي الله عنهما – أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَقَفَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ بِمِنًى لِلنَّاسِ يَسْأَلُونَهُ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ:" لَمْ أَشْعُرْ[2] فَحَلَقْتُ قَبْلَ أَنْ أَذْبَحَ" **فَقَالَ**:«اذْبَحْ وَلَا حَرَجَ» فَجَاءَ آخَرُ فَقَالَ:" لَمْ أَشْعُرْ فَنَحَرْتُ قَبْلَ أَنْ أَرْمِيَ" **قَالَ** :«ارْمِ وَلَا حَرَجَ» فَمَا سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ شَيْءٍ قُدِّمَ وَلَا أُخِّرَ إِلَّا **قَالَ** :«افْعَلْ وَلَا حَرَجَ»[3] .

فهذا الحديث يدل على التيسير بجواز تقديم بعض هذه الأمور أو تأخيرها، وأنه لا حرج ولا ضيق ولا إثم على من فعل[4].

وهناك أحكام أخرى كثيرة فيها تيسير وتخفيف عن الناس، ولجميع هذه الأحكام التي ذكرتُ وغيرها شروط، وفيها آراء متعددة للفقهاء يُرجع إليها في مصادرها.

■ **ويسر الإسلام على المسلمين في مختلف المعاملات:**

– أمر النبي ﷺ بالتيسير على الراغبين في الزواج، وعدم المغالاة والتشدد في المهور. **يقول النبي** ﷺ: «إِنَّ مِنْ يُمْنِ الْمَرْأَةِ تَيْسِيرَ خِطْبَتِهَا وَتَيْسِيرَ صَدَاقِهَا

(١) انظر: الموافقات للشاطبي (٣/٣٢٣).

(٢) لم أشعر : أي لم أفطن ولم أعلم.

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٨٣](ص/٤٢)، ومسلم في "صحيحه" برقم [١٣٠٦](ص/١٥٤)، واللفظ للبخاري .

(٤) انظر: سبل السلام، للصنعاني(٢/٤٣٨).

وَتَيْسِيرَ رَحِمِهَا»[1]، **وقال النبي** ﷺ :« أعظم النساء بركة أيسرهن صداقا»[2].

– وأمر النبي ﷺ بالتيسير في البيع والشراء والمقاضاة. **يقول النبي** ﷺ : « رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ وَإِذَا اشْتَرَى وَإِذَا اقْتَضَى»[3].

– وأمر النبي ﷺ بالتيسير والتخفيف عن العمال، وعدم التشديد عليهم. **يقول النبي** ﷺ : «..وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَأَعِينُوهُمْ»[4].

- **ويسر الإسلام على المسلمين فأباح لهم الطيبات من الرزق:**

والتمتع بنعم الله تعالى التي أنعم بها عليهم؛ من غير سرفٍ ولا مخيلة ولا مفاخرة..

يقول الله تعالى: ﴿ **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾** ﴾ [سورة الأعراف].

وليس من الورع ترك ما أحلَّ الله تعالى، ولكن الورعَ ترك ما فيه شبهة..

يقول النبي ﷺ: « إنَّ الحَلال بيِّنٌ، وإنَّ الحرام بيِّنٌ، وبَينَهُما مُشْتبهاتٌ لا

(١) أخرجه أحمد في "مسنده" برقم [٢٤٤٧٨](٢٧/٤١)، والحاكم في "مستدركه" برقم [٢٧٩٨](٢١٦/٢)، واللفظ لأحمد، وهو صحيح.

(٢) أخرجه الحاكم في "مستدركه" برقم [٢٧٩١](٢١٣/٢)،وهو صحيح.

(٣) أخرجه البخاري في"صحيحه" برقم [٢٠٧٦](ص/٣٩٢).

(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٢٥٤٥](ص/٤٨١)، ومسلم في "صحيحه" برقم [١٦٦١](ص/٦٨٤)، واللفظ للبخاري.

يَعلَمُهنَّ كثيرٌ من الناسِ، فمنِ اتَّقى الشُّبهاتِ اسْتبرَأ لدينهِ وعرضهِ، ومَنْ وَقَع في الشبهات وَقَع في الحرامِ...»[1] والورع ترك ما فيه ريبة ومظنة إثم.

يقول النبي ﷺ : «دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ» [2].

- **والتيسير في الإسلام لا يعني التفريط:**

فليس من التيسير أن نحلِّل حراماً، أو نحرم حلالاً، وليس التنازل عن مبادئ الدين بقصد إرضاء الناس من التيسير والحكمة في الدين...

ولنا برسول الله ﷺ أسوة حسنة؛ فقد طَلب منه وفد عبد القيس من ثقيف التنازل عن أمور من الدين مقابل أن يدخلوا في الإسلام، فرفض ذلك وتمسَّك بالمبادئ ولم يتنازل عنها، مع أن الهدف كان سامياً وهو دخول الناس في الإسلام.

فقد روى صاحب السيرة الحلبية: (أن وفداً من ثقيف أتى إلى المدينة المنورة بعد عودة النبي ﷺ من غزوة تبوك في شهر رمضان يرأسهم كنانة بن عبد ياليل، وأنزل رسول الله ﷺ وفد ثقيف في المسجد، وبنى لهم خياماً (قبَّة) لكي يسمعوا القرآن ويروا الناس إذا صلوا، ومكث الوفد أياماً عديدة يغدون إلى رسول الله ﷺ كل يوم ، وهو يدعوهم إلى الإسلام)[3].

وروى ابن سعد أنه ﷺ كان يأتيهم كل ليلة بعد العشاء، فيقف عليهم

(١) أخرجه البخاري في" صحيحه"برقم [٥٢](ص/٣٤)، ومسلم في "صحيحه" برقم [١٥٩٩](ص/٦٥١)، واللفظ لمسلم.

(٢) أخرجه أحمد في" مسنده" برقم [١٧٢٣](٢٤٨/٣)، وهو صحيح.

(٣) السيرة الحلبية، برهان الدين الحلبي، (٢٤٢/٣وما بعدها).

يحدثهم حتى يراوح بين قدميه، أي: يقوم على كل قدم مرة من التعب[1].

وروى موسى بن عقبة فقال: فقدم وفد وفيهم عثمان بن أبي العاص ، وكان أصغَرهم، فكانوا إذا ذهبوا إلى مجلس رسول الله ﷺ خلفوه على رحالهم، فكان عثمان كلما رجع الوفد وقالوا بالهاجرة -ناموا بعد الظهيرة- عَمَدَ -ذهب- إلى رسول الله ﷺ فسأله عن الدين واستقرأه القرآن، فاختلف إليه[2] عثمان مراراً حتى فَقُهَ في الدين وعلِمَ، وكان إذا وجد رسول الله ﷺ نائماً عَمَدَ إلى أبي بكر رضي الله عنه، وكان يكتم ذلك من أصحابه، فأعجب ذلك منه رسول الله ﷺ وأحبه.

فمكث الوفد يختلفون إلى رسول الله ﷺ يدعوهم إلى الإسلام فأسلموا...فقال كنانة بن عبد ياليل لرسول الله ﷺ: أفرأيت الزنى، فإنا قوم نغترب ولا بد لنا منه؟ **قال**: «هو عليكم حرام، فإن الله ﷻ يقول: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً ۖ وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [سورة الإسراء]»، قالوا: أفرأيت الربا، فإنه أموالنا كلها؟ **قال**: «لكم رؤوس أموالكم، إن الله تعالى يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ ﴾ [سورة البقرة]»، قالوا: أفرأيت الخمر، فإنه عصير أرضنا لا بد لنا منها؟ **قال**: «إن الله حرمها، وقرأ ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾** ﴾ [سورة المائدة]»[3].

(١) أخرجه ابن سعد في "طبقاته" (٢٧١/١).

(٢) اختلف إليه: كثُر ترداده عليه.

(٣) ينظر: "زاد المعاد" لابن قيم الجوزية (٥٩٧/٣).

ثم انتقلوا في طلباتهم إلى موضوع آلهتهم التي كانوا يعبدونها، وإلى موضوع الصلاة (وَقَدْ كَانَ فِيمَا سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ؟ أَنْ يَدَعَ لَهُمْ الطَّاغِيَةَ، وَهِيَ اللَّاتِ، لَا يَهْدِمُهَا ثَلَاثَ سِنِينَ، فَأَبَى رَسُولُ اللَّهِ ... وَقَدْ كَانُوا سَأَلُوهُ مَعَ تَرْكِ الطَّاغِيَةِ أَنْ يُعْفِيَهُمْ مِنْ الصَّلَاةِ، وَأَنْ لَا يَكْسِرُوا أَوْثَانَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ، **فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ** ﷺ: «أَمَّا كَسْرُ أَوْثَانِكُمْ بِأَيْدِيكُمْ فَسَنُعْفِيكُمْ مِنْهُ، وَأَمَّا الصَّلَاةُ، فَإِنَّهُ لَا خَيْرَ فِي دِينٍ لَا صَلَاةَ فِيهِ»... فَلَمَّا أَسْلَمُوا وَكَتَبَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كِتَابَهُمْ، أَمَّرَ عَلَيْهِمْ عُثْمَانَ بْنَ أَبِي الْعَاصِ [(١)]، وَكَانَ مِنْ أَحْدَثِهِمْ سِنًّا، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ أَحْرَصَهُمْ عَلَى التَّفَقُّهِ فِي الْإِسْلَامِ، وَتَعَلُّمِ الْقُرْآنِ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إنِّي قَدْ رَأَيْتُ هَذَا الْغُلَامَ مِنْهُمْ مِنْ أَحْرَصِهِمْ عَلَى التَّفَقُّهِ فِي الْإِسْلَامِ، وَتَعَلُّمِ الْقُرْآنِ) [(٢)].

عَنْ وَهْبٍ قَالَ: سَأَلْتُ جَابِراً عَنْ شَأْنِ ثَقِيفٍ إِذْ بَايَعَتْ، قَالَ: اشْتَرَطَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنْ لَا صَدَقَةَ عَلَيْهَا وَلَا جِهَادَ، وَأَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ **يَقُولُ**: « سَيَتَصَدَّقُونَ وَيُجَاهِدُونَ إِذَا أَسْلَمُوا»[(٣)].

وفي رواية للإمام أحمد: عَن عُثْمَانَ بنِ أَبِي الْعَاصِ ﷺ: ((أَنَّ وَفْدَ ثَقِيفٍ قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَنْزَلَهُم المِسْجِدَ لِيَكُونَ أَرَقَّ لِقُلُوبِهِم فَاشْتَرَطُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنْ لَا يُحْشَرُوا[(٤)] وَلَا يُعْشَرُوا[(٥)] وَلَا يُجَبُّوا[(٦)] وَلَا يُسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ

(١) من فقه السنة: إن أحقَّ الناس بالإمارة والإمامة أحفظُهم وأفقهُهم بكتاب الله تعالى وأعقلهم.
(٢) سيرة ابن هشام، (٤/٥٤٠).
(٣) أخرجه أبو داود في "سننه" برقم [٣٠٢٥](ص/٣٤٣)، وهو صحيح.
(٤) أن لا يحشروا أي: أنهم لا يُحشرون للجهاد والقتال..
(٥) لا يعشَّروا أي : لا يؤخذ من أموالهم العشر أو نصف العشر زكاة.
(٦) لا يجبُّوا أي لا يصلون، والتجبية هي الركوع.

غَيْرُهُم...)) [1].

وقد تمَّ تنفيذ هدم اللات التي كان يعتقد المشركون أنها تقتل من يهدمها حسب عقولهم المتخلفة..

(ثُمّ قَدِمَ عَلَيْهِم رُسُلُ رَسُولِ اللّهِ ﷺ قَدْ أَمّرَ عَلَيْهِم خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ وَفِيهِم الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ. فَلَمّا قَدِمُوا عَمَدُوا إلَى اللّاتِ لِيَهْدِمُوهَا، وَاسْتَكْفَت [2] ثَقِيفٌ كُلُّهَا الرّجَالُ وَالنّسَاءُ وَالصّبْيَانُ، حَتّى خَرَجَ الْعَوَاتِقُ مِنْ الْحِجَالِ [3]، لَا تَرَى عَامّة ثَقِيفٍ أَنّهَا مَهْدُومَةٌ، يَظُنّونَ أَنّهَا مُمْتَنِعَةٌ، فَقَامَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ فَأَخَذَ الْكِرْزَيْنِ، وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: وَاَللّهِ لَأُضْحِكَنكُمْ مِنْ ثَقِيفٍ. فَضَرَبَ بِالْكِرْزَيْنِ[4]، ثُمّ سَقَطَ يَرْكُضُ، فَارْتَجّ أَهْلُ الطّائِفِ بِضَجّةٍ وَاحِدَةٍ، وَقَالُوا : أَبْعَدَ اللّهُ الْمُغِيرَةَ، قَتَلَتْهُ الرّبّةُ، وَفَرِحُوا حِينَ رَأَوْهُ سَاقِطاً، وَقَالُوا : مَنْ شَاءَ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَبْ وَلْيَجْتَهِدْ عَلَى هَدْمِهَا، فَوَاَللّهِ لَا تُسْتَطَاعُ، فوثب المغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ فَقَالَ: قَبّحَكُمْ اللّهُ يَا مَعْشَرَ ثَقِيفٍ، إنّمَا هِيَ لَكَاعُ[5] حِجَارَةٍ وَمَدَرٍ، فَاقْبَلُوا عَافِيَةَ اللّهِ وَاعْبُدُوهُ. ثُمّ ضَرَبَ الْبَابَ فَكَسَرَهُ ثُمّ عَلَا سُوَرَهَا، وَعَلَا الرّجَالُ مَعَهُ، فَمَا زَالُوا يَهْدِمُونَهَا حَجَراً حَجَراً حَتّى سَوّوْهَا بِالْأَرْضِ.) [6]

قال ابن سعد في "طبقاته" –يروي عن المغيرة رضي الله عنه–: ((فدخَلَت ثقيف

(١) أخرجه أحمد في "مسنده" برقم [١٧٩١٣](٤٣٨/٢٩)،ورجاله ثقات، رجال الصحيح.

(٢) واستكفت: جُمعت وانضمَّت أطرافها.

(٣) الحجال: بيوت كالقباب مستورة بالثياب.

(٤) الكرز: الخرج.

(٥) اللكاع: هو الوسخ، يقال: لكع عليه الوسخ لكعاً إذا لصق به ولزمه.

(٦) زاد المعاد، لابن قيم الجوزية، (٥٩٩/٣).

في الإسلام، فلا أعلم قوماً من العرب بني أب ولا قبيلة كانوا أصح إسلاماً، ولا أبعد أن يوجد فيهم غش لله ولكتابه، منهم))[1].

۞ وقفة للتأمل والتحليل:

ومما يجدر بالدعاة أن يتوقفوا عنده وينتبهوا إليه، ويفهموا مدلولاته، والحكمة منه، تلك الطلبات التي قدمها وفد ثقيف إلى رسول الله ﷺ بعد إسلامهم ورجوه إعفاءهم منها، والتي اعتادوا عليها وصارت جزءاً من حياتهم وثقافتهم يصعب عليهم تركها:

١- السماح لهم بالزنى.
٢- السماح لهم بالربا.
٣- السماح لهم بالخمر.
٤- أن يضع عنهم الصلاة.
٥- أن يبقي لهم صنمهم الذي كانوا يعبدون وهو (اللات) ثلاث سنين.
٦- و إذا لم يوافق فليُبقِه ولو شهراً واحداً .
٧- أن يعفيهم من هدم اللات بأيديهم، وأن يتولى هو هدمها.
٨- أن يقبل إسلامهم بشرط لا صدقة (زكاة) ولا جهاد.
٩- ألا يستعمل عليهم أميراً من غيرهم.

فلم يوافق رسول الله ﷺ على **الطلبات الست الأولى**، ووافق على الباقي؛ لأن الطلبات الست الأولى هي من المحرمات في الإسلام، فلا تهاون فيها، وأما **الطلب السابع** فهو في الوسائل المؤدية إلى إزالة أمر محرم، فلا مانع

(١) أخرجه ابن سعد في "طبقاته" (٢٧١/١).

أن ينفذ بأيديهم أو بأيدي غيرهم.

وأما **الطلب الثامن** فوافق عليه؛ لأن الزكاة لا تجب عليهم إلا بعد سنة، ولأن الجهاد لا يكون إلا عند الحاجة، وما كان المؤمنون لينفروا كافة، ولأن الله تعالى أطلعه على أنهم إذا أسلموا سيتصدقون ويجاهدون..

((ومعنى ذلك: أنه علم أنه سيحصل منهم ذلك، ولكنهم في الحال لا يجب عليهم الجهاد، والزكاة لا تجب عليهم إلا بعد مرور سنة، والجهاد لا يكون إلا عند الحاجة إليه والدعوة إليه، وهم في حال بيعتهم ليس عليهم شيء من هذا ولا هذا، ولكونه صلى الله عليه وسلم علم أنهم سيجاهدون وسيتصدقون إذا أسلموا لم يمنعهم أن يدخلوا في الإسلام بهذه الطريقة، بل وافقهم على ذلك لما علمه أنهم سيجاهدون وسيتصدقون، ومن المعلوم أن هذا من خصائص الرسول صلى الله عليه وسلم، فلو اشترط أحد ألا يتصدق أو لا يعمل شيئاً من أعمال الإسلام لا يقر على ذلك، والرسول عليه الصلاة والسلام قد أطلعه الله أنهم سيحصل لهم ذلك بعد دخولهم الإسلام.)) [1]

وأما **الطلب التاسع** بعدم استعمال أمير عليهم من غيرهم فلا مانع له في الشرع.

فائدة

الحكمة في الدعوة إلى الله لا تحل حراماً ولا تحرم حلالاً... ولكنها تضع الأشياء في مواضعها...

هذه هي الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، وأما الذين يفرطون في الدين

(١) شرح سنن أبي داود، عبد المحسن العباد، (٢٣١/١٦).

بحجة الحكمة فحجتهم داحضة واهية، وأما الذين يتذرعون بفقه التدرج فيحلون ما حرم الله، فعليهم الاقتداء برسول الله ﷺ الذي لم يقبل بمفهوم التدرج ليحل ما حرم الله تعالى، فلم يقبل أن يترك لهم صنم اللات؛ لا ثلاث سنوات ولا شهراً واحداً؛ فالحرام يجب أن يُزال عند التمكن منه.

نعم لقد استعمل رسول الله ﷺ فقه التدرّج في تعليمهم، فبنى لهم خياماً في مسجده[1] ليعيشوا الحالة الإسلامية، ويشاهدوا شعائر وسلوكيات المسلمين، وهذا تعليم بالمشاهدة والنظر، وكان يقيم لهم مجلس تعليم وتربية وتزكية كل يوم بعد صلاة العشاء، ويخصص لهم وقتاً طويلاً، ويبذل فيهم جهداً عظيماً، حتى يصيبه التعب الشديد!! كل ذلك حتى دخل الإيمان شغاف قلوبهم، فأسلموا وحسن إسلامهم، والتزموا به التزاماً كاملاً..

• القاعدة الثامنة عشرة:
من الحكمة في الدعوة: التبشير لا التنفير.

إضاءة

إن التبشير من أهم الأساليب الناجحة في الدعوة إلى الله تعالى؛ لأنه يدخل السرور على قلب المبشّر، فتنفتح أسارير نفسه لتقبُّل العظات والمعارف والعلوم والآداب والأحكام...، كما تنفتح أبواب المودة والراحة النفسية بين الداعي والمدعو..

وأما أسلوب التنفير فلا يصلح في عمل الدعوة إلى الله تعالى،وهو

(١) من فقه السنة: أنه يجوز استضافة المشرك في المسجد يأكل وينام، لاسيما إذا كان يُرجى إسلامه، وتمكينه من سماع القرآن، ورؤية صلاة المسلمين، وسلوكهم اليومي في معاشهم وأخلاقهم.

أسلوب قائم على التعامل السلبي، كالتوبيخ والتقريع والتعنيف، وسلاطَة اللسان، وجرح المشاعر، وذِكر النقائص، والإيقاع بين أفراد الجماعة، وتأليب بعضهم على بعض، بسبب استقطاب الداعي المزعوم لبعض أفراد الجماعة، ليشكلوا جوقة دِيَكة تصيح بصياحه، وتعتدي بعدوانه..مما يشكِّل إهانة كبيرة للمدعو وهدراً لكرامته، وظلماً وعدواناً وإيذاءً لنفسه وشخصه، وشرخاً كبيراً في علاقاته مع الجماعة...وهذا بدوره يغلق جميع أبواب تقبُّل الموعظة والإرشاد والتربية والتعليم والعمل الدعوي، بل يولد الكراهية والعداوة والبغضاء والقطيعة بين الداعي والمدعو، وينتج عن ذلك انهيار عمل الدعوة، وانفراط عقد الجماعة، وانطلاق حرب خفية أو معلنة بين أجنحتها، وانتشار الغيبة والنميمة والإفك والبهتان في الجماعة، فيُقطِّعُها سيفُ اللسان إرْباً إرْباً..

- **التبشير من أهم أساليب الدعوة في القرآن الكريم:**

* أمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ بالدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، ووصفه الله تعالى في القرآن الكريم بعدَّة أوصاف منها صفة **المبشر في أربعة مواضع**. كقول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا **وَمُبَشِّرٗا** وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦ ﴾ [سورة الأحزاب] ووصفه الله تعالى بصفة **البشير في سبعة مواضع**، كقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ **بَشِيرٗا** وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨ ﴾ [سورة سبأ].

* وأرسل الله تعالى أنبياءه **ليبشروا** الناس بدينه الذي أنزله عليهم، ووصفهم بصفة **المبشرين** في القرآن الكريم **في أربعة مواضع**، كقول الله تعالى :﴿ وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا **مُبَشِّرِينَ** وَمُنذِرِينَۖ فَمَنۡ ءَامَنَ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٤٨ ﴾ [سورة الأنعام].

*** واستخدم القرآن الكريم أسلوب التبشير في عدة مواضع:**

- **بشَّر الله تعالى** نبيَّه إبراهيم عليه السلام بأنه سيهبه ولداً حليماً، وسيجعله نبياً، وهو سيدنا إسماعيل عليه السلام[1]، يقول الله تعالى: ﴿ **فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ** ﴿١٠١﴾ ﴾ [سورة الصافات].
- **وبشَّر الله تعالى** نبيه زكريا بأنه سيهبه ولداً تقيَّاً عالماً بارَّاً طيعاً وسيداً وحصوراً[2] وسيجعله نبياً، وهو سيدنا يحيى عليه السلام. يقول الله تعالى: ﴿ **يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا** ﴿٧﴾ ﴾ [سورة مريم].
- **وبشَّر الله تعالى** السيدة مريم بأنه سيهبها بكلمة منه ولداً مباركاً زكيَّاً بارَّاً، وسيجعله نبياً ووجيهاً ومن المقربين، ويعلمه الكتاب والحكمة، ويُجري على يديه المعجزات ليُرشد الناس إلى عبادة الله تعالى وحده. يقول الله تعالى: ﴿ **إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾** ﴾ [سورة آل عمران].

*** ومن جهة أخرى فقد استعمل الله تعالى التبشير أسلوباً في**

---

(١) انظر: التفسير المنير، د.وهبه الزحيلي، (١١٨/١٦).

وسيدنا إسماعيل هو الذبيح، ويدعي اليهود أن الذبيح هو إسحاق عليه السلام بينما تبين التوراة أن الذبيح هو ابن إبراهيم الوحيد، وتبين التوراة في موضع آخر أن إسحاق عندما ولد كان عمر إسماعيل حينها أربع عشرة سنة، والدليل أنه في ذات سورة الصافات وبعد آيات عدة بشَّر الله تعالى نبيه إبراهيم بسيدنا إسحاق نبياً ومن الصالحين، يقول الله تعالى: ﴿ **وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾** ﴾ [سورة الصافات].

(٢) حصوراً: الممتنع عن الذنوب وكل ما يعيب الإنسان.

ترغيب الناس في الإيمان والأعمال الصالحة، فبشَّرهم في مواضع عدة من القرآن الكريم، وأمر نبيه محمداً ﷺ أن يُبشِّرَهم في مواضع أخرى:

- فقد **بشَّر الله تعالى أولياءه** ألَّا خوف عليهم في الدنيا ولهم البشرى، لأن العاقبة لهم، ولأن الله تعالى سيستخلفهم في الأرض، ويمكِّن لهم، وينصرهم ما نصروه،.. ولا خوف عليهم في الآخرة من النار وعذابها وأهوالها فلا يحزنون ولا يفزعون، ولهم البشرى بدخول الجنة والتنعم بنعيمها والخلود فيها، وهذه البشائر ستتحقق بوعد الله تعالى، لأن سننه لاتتغيَّر ولا تتبدَّل، يقول الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ **ٱلْبُشْرَىٰ** فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾ [سورة يونس]. **ولكن من هم أولياء الله تعالى الذين لهم البشرى؟!.. أولياء** الله تعالى هم أحبَّاؤه وأصفياؤه، الذين يتولَّونه بالطاعة، ويتولَّاهم بالحفظ والرعاية والكرامة، **أولياء** الله تعالى هم المؤمنون المتقون، فكلُّ من كان تقيَّاً كان لله وليَّاً، وتقوى الله تكون بالعمل بأوامره والانتهاء عن نواهيه.

- **وبشَّر الله تعالى عباده المؤمنين** العاملين بشريعته والملتزمين بمنهاجه بروضات الجنان وتلبية كل ما يشاؤون من النعيم المقيم، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، حثَّاً لهم على الطاعة، وليتعجَّلوا البشارة المترتبة على الإيمان والعمل الصالح، فقال الله تعالى: ﴿ ... وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَٰلِكَ ٱلَّذِى **يُبَشِّرُ** ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [سورة الشورى].

"**عظّم اللّه تعالى ثواب المؤمنين من وجوه أربعة هي:**

الأول: أن اللّه سبحانه رتب على الإيمان وعمل الصالحات روضات الجنات، وترتيب هذا الجزاء من اللّه صاحب السلطان الأعظم دليل على أن ذلك الجزاء قد بلغ النهاية التي لا يعلم حقيقتها إلا اللّه تعالى.

الثاني: أنه تعالى قال:﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ﴾ وهذا يدخل في باب غير المتناهي.

الثالث: أنه تعالى قال : ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴾وإذا كان هذا من اللّه الأكبر كان في غاية الكبر.

الرابع: أنه تعالى أعاد البشارة على سبيل التعظيم، فقال:﴿ ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ﴾ وذلك يدل على غاية العظمة." [1]

✦ **وبشَّر الله تعالى عباده المستقيمين** على شرعه وموالاته المعترفين بربوبيته المقرين بوحدانيته، المداومين على العمل الصالح، أنه سينزل عليهم الملائكة **تبشرهم** ألَّا يخافوا من الموت وما بعده، وألَّا يحزنوا على ما تركوا من الدنيا من أهل وأموال فإن الله تعالى سيخلفهم في كل ذلك بحفظه ونصره وأمنه... وتبشرهم الملائكة أيضاً بدخول الجنة والتنعم بنعيمها والخلود فيها. وأن الله تعالى سيكون وليَّهم ومعينَهم في شؤونهم كافة، يوفقهم للخير، ويلهمهم الرشد والفلاح والنجاح في أمور الدنيا، ويُسعدهم في الآخرة في نعيم الجنة، فيجعل لهم فيها كل ما يشتهون ويتمنون، ويحفظهم ويحميهم من أهوال

(١) التفسير المنير، د.وهبة الزحيلي، [٦٤/٢٥].

يوم القيامة، ويكون أنيسهم، يُنزلهم في ضيافته، فينجون من عذابه ويتنعمون بمغفرته ورحمته..يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة فصلت].

- **وبشَّر الله تعالى عباده المخبتين** المتواضعين المستجيبين لأوامره، الذين يكثرون من ذكر الله تعالى فتَوْجل قلوبهم، هيبةً من الله تعالى وإجلالاً له، والذين يصبرون على المصائب والنوازل، ويقيمون الصلاة بتمامها حضوراً وخشوعاً وتدبراً، والذين ينفقون في سبيل الله مما رزقهم وأكرمهم. يقول الله تعالى: ﴿...وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [سورة الحج].

- **وبشَّر الله تعالى عباده المحسنين** الذين يتقون ويُخلصون ويعملون الصالحات، ويعظمون حرمات الله وشعائره، ويشكرون الله تعالى ويعظمونه على نعمه وما سخَّر لهم من أنعام ليأكلوا وليطعموا الفقراء والسائلين. يقول الله تعالى: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة الحج].

- **وبشَّر الله تعالى عباده الصابرين** الذين إذا أُصيبوا بمصيبة صبروا عند الصدمة الأولى، وتحمَّلوا وذكروا الله تعالى ووحدوه حقَّ التوحيد- فله الأمر

كله وإليه يرجع الأمر كله –ثم رضوا بقضاء الله وقدره واحتسبوا ذلك عند الله تعالى، فالدنيا دار ابتلاء وامتحان ليتميَّز الصادق المجاهد والصابر من المدَّعي، يقول تعالى: ﴿ ... **وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ** ﴿١٥٥﴾ **ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ** ﴿١٥٦﴾ **أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ** ﴿١٥٧﴾ ﴾[سورة البقرة]. هؤلاء الصابرون بشَّرهم الله **ببشارات عدّة:**

١- عليهم **صلوات** من ربهم، أي لهم من الله تعالى المغفرة والتزكية والثناء..

٢- ولهم **رحمة** من الله تعالى، يرحمهم في الدنيا فيفرِّج كروبَهم، ويلْطُف بهم في أقداره، فيهوِّنها عليهم وينزلها على قلوبهم برداً، وعلى نفوسهم سلاماً وسكينة، ويُخْلِفُهم في مصيبتهم خيراً منها.. عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ –رضي الله عنها– أَنَّهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ **يَقُولُ**:« مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [سورة البقرة] اللَّهُمَّ اؤْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيراً مِنهَا إِلَّا أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْراً مِنْهَا »[1]، ويرحمهم في الآخرة بعلو المقام وعظيم الأجر بغير حساب، قال الله تعالى: ﴿ ...**إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴿١٠﴾ ﴾ [سورة الزمر].

٣- ويهديهم الله تعالى بحسن صبرهم لتدبر عواقب المصيبة، والسداد والتوفيق في الدنيا والآخرة، لأن الله معهم عوناً ومعيناً وحافظاً وناصراً ومؤيداً وأميناً، يقول الله تعالى:﴿ ...**إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ** ﴿١٥٣﴾ ﴾ [سورة البقرة].

✦ **وبشَّر الله تعالى عباده المؤمنين المتصدقين** بأنه سيمنحهم يوم

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم [٩١٨](ص/٣٥٦).

القيامة نوراً يسعى بين أيديهم يقودهم ويهديهم إلى الجنة، وتتلقاهم الملائكة تبشرهم بالفوز العظيم بجنات الخُلد التي تجري من تحتها الأنهار، جزاءً على أعمالهم الصالحة. يقول الله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ ﴾ [سورة الحديد].

- **وبشَّر الله تعالى عباده المهاجرين المجاهدين** بأموالهم وأنفسهم، برحمته ورضوانه وأنه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وبشرهم بجنات لا ينقطع رزقها ونعيمها، يخلدون فيها فرحين بفضل الله، ثواباً ومكافأةً لهم على ما بذلوا وضحَّوا في سبيل الله، وبشَّرهم أيضاً بالفوز العظيم الذي لا يُعلم مقداره.. قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [سورة التوبة] ويقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾ [سورة التوبة]، ويقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ

﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾ [سورة آل عمران]، وتدل الآيات على أن الجهاد في سبيل الله تعالى أفضل عند الله تعالى من أي عمل من أعمال البِّر والمعروف؛ لأنه يجمع بين التضحية والبذل للمال والنفس في سبيل الله.

وبشَّر الله تعالى عباده الصالحين الذين يجتنبون عبادة ما سواه، ويجتنبون الخضوع والمولاة للطواغيت، وينيبون ويرجعون إليه وحده.. وأمر نبيَّه محمداً ﷺ أن يبشِّر أولئك العباد الذين يسمعون كلام الله فيستجيبون له ويعملون بأحسنه، ووصفهم بأنهم أصحاب العقول الراجحة، الذين هداهم الله تعالى إلى دينه القيِّم. وإلى سعادتهم في الدنيا والآخرة. يقول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [سورة الزمر].

وأنزل الله تعالى القرآن الكريم لهداية الناس إلى الدين وليبشّر المؤمنين والمسلمين(١) الذين يعملون الصالحات بأجرٍ كبيرٍ لا مثيل له.. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾ [سورة الإسراء]، وفي موضع آخر ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾﴾ [سورة الكهف]، فالله تعالى أرسل نبيَّه محمداً ﷺ **ليبشِّر** الذين آمنوا به وصدَّقوه ونصروه وعزَّروه

(١) انظر: سورة البقرة [الآيتان: ٢٥و٢٢٣]، وسورة التوبة[الآية:١١٢]، وسورة يونس [الآيات: ٢و٨٧]، وسورة الصف [الآية:١٣].

وأطاعوه وعملوا بما جاء به بأجرٍ لا مثيل له عظمةً وحُسناً. وليدعوهم إلى عبادة الله الواحد الأحد وطاعته ومراقبته بالسر والعلن، وهو الداعي الهادي إلى الصراط المستقيم على بيِّنة ونور من الله، دعوة بينة واضحة مقنعة لا لَبْسَ فيها ولا غموضَ ولا ارتيابَ...قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [سورة فصلت].

✦ وأمر الله تعالى نبيَّه محمداً ﷺ في القرآن الكريم **أن يستعمل أسلوب التبشير في دلالة الناس على الله تعالى وجذبهم إلى حظيرة الإيمان.**

- فطالبه أن **يبشِّر بالقرآن الكريم المتقين**، قال الله تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ ﴾ [سورة مريم].

- وأمره تعالى بأن **يبشر المؤمنين** (١) الصادقين بما سيتفضَّل الله تعالى به عليهم في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ ﴾ [سورة الأحزاب].

■ **التبشير من أهم أساليب الدعوة في السنة النبوية:**

* إن **التبشير** من أخصِّ صفات النبي ﷺ، فهو **البشير المبشر** للمؤمنين الذين يعملون الصالحات بخيري الدنيا والآخرة. وكان النبي ﷺ يوصي الدعاة الذين يُرسلهم في الآفاق لنشر الدعوة الإسلامية، بالأخذ بأسلوب التبشير في دعوتهم حتى يستطيعوا إيصال البلاغ المبين للناس،

(١) انظر: سورة البقرة [الآية:٩٧]، وسورة النحل [الآيات:٨٩و١٠٢]،وسورة النمل [الآية:٢]، وسورة الأحقاف [الآية:١٢].

وجذب قلوبهم إلى محبة دين الله، وإقناع عقولهم ببراهينه وحججه الدامغة، ليدخلوا في دين الله أفواجاً محبِّين عاشقين، يَفْدُون الإسلام بأموالهم وأنفسهم، ويتحمَّلون الصعوبات بل والاضطهاد من معارضيهم، فيثبتوا على الحق كالجبال الرواسي، لا يزلزلهم عن إيمانهم وهن ولا ضعف ولا خوف ولا تهديد ولا تعذيب ولا اضطهاد. فعَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَهُ – أي بعث أبا موسى الأشعري- وَمُعَاذاً إِلَى الْيَمَنِ **فَقَالَ**: « يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا **وَبَشِّرَا وَلَا تُنَفِّرَا** وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا»[1] وكان ﷺ يدعو المسلمين عامَّة إلى الأخذ بأسلوب التبشير لا التنفير، ويأمر أصحابه بذلك، **فيقول**: « **بَشِّروا ولا تُنَفِّروا**»[2].

* ولقد استجاب النبي ﷺ لدعوة الله تعالى له بأن يبشر المؤمنين، وأن يستعمل أسلوب التبشير بالتربية والتعليم والدعوة إلى الإسلام. فكان رسول الله لا يُنفِّر أحداً وينهى عن تنفير الناس، فعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ ﷺ فَقَالَ:" إِنِّي لَأَتَأَخَّرُ عَنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ مِنْ أَجْلِ فُلَانٍ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا" فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ غَضِبَ فِي مَوْعِظَةٍ قَطُّ أَشَدَّ مِمَّا غَضِبَ يَوْمَئِذٍ **فَقَالَ**: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ مِنْكُمْ **مُنَفِّرِينَ**، فَأَيُّكُمْ أَمَّ النَّاسَ فَلْيُوجِزْ، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِهِ الْكَبِيرَ وَالضَّعِيفَ وَذَا الْحَاجَةِ» [3].

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٣٠٣٨](ص/٥٨١)، ومسلم في "صحيحه" برقم [١٧٣٣](ص/٧٢١)، واللفظ لمسلم.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٦٩](ص/٧٣)، ومسلم في "صحيحه" برقم [١٧٣٢](ص/٧٢١)، متفق عليه.

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٩٠](ص/٤٣)، ومسلم في "صحيحه" برقم =

وكان رسول الله ﷺ يستخدم أسلوب التبشير ليشجع المجتهد ليزداد اجتهاداً، وليأخذ بيد الضعيف ويشحذ همته، ويستحثه على السير نحو الاجتهاد، وليستجلب القلوب، ويفتح أسارير النفوس، وينشر بين الناس البهجة والسرور، ليزدادوا إقبالاً على الله تعالى ونصرة دينه.

*** التبشير أسلوب يستخدمه النبي ﷺ لشحذ همم الناس للتضحية وفِعل الخير:**

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ أَعْرَابِيّاً أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ:" دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الجَنَّةَ" **قَالَ**:« تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ وَتَصُومُ رَمَضَانَ » قَالَ:" وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا." فَلَمَّا وَلَّى **قَالَ النَّبِيُّ** ﷺ:« من سره أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ **مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ** فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا»(١).

- وعن أَنَس بْن مَالِكٍ قَالَ: كُنَّا جُلُوساً مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ **فَقَالَ**: « يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الآنَ رَجُلٌ **مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ**» فَطَلَعَ رَجُلٌ مِن الْأَنْصَارِ تَنْطِفُ لِحْيَتُهُ (٢) مِنْ وَضُوئِهِ قَدْ تَعَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ. فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِثْلَ الْمَرَّةِ الْأُولَى، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضاً، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ الْأُولَى، فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ ﷺ تَبِعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه فَقَالَ:" إِنِّي

---

[٤٦٦](ص/١٩٥)، واللفظ لمسلم.

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [١٣٩٧](ص/٢٧٢)، ومسلم في "صحيحه" برقم [١٤](ص/٣٩)، واللفظ للبخاري.

(٢) تنطف : تقطر.

لَاحَيْتُ[1] أَبِي فَأَقْسَمْتُ أَلَّا أَدْخُلَ عَلَيْهِ ثَلَاثاً فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَمْضِيَ فَعَلْتَ" قَالَ: نَعَم، قَالَ أَنَسٌ:" وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثَ فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِن اللَّيْلِ شَيْئاً غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَّ [2] وَتَقَلَّبَ عَلَى فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَبَّرَ حَتَّى يَقُومَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ." قَالَ عَبْدُ اللَّهِ:" غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَسْمَعْهُ يَقُولُ إِلَّا خَيْراً فَلَمَّا مَضَتِ الثَّلَاثُ لَيَالٍ وَكِدْتُ أَنْ أَحْتَقِرَ عَمَلَهُ قُلْتُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، إِنِّي لَمْ يَكُن بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي غَضَبٌ وَلَا هَجْرٌ ثَمَّ وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لَكَ ثَلَاثَ مِرَارٍ: « يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ » فَطَلَعْتَ أَنْتَ الثَّلَاثَ مِرَارٍ، فَأَرَدْتُ أَنْ آوِيَ إِلَيْكَ لِأَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ فَأَقْتَدِيَ بِهِ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ عَمَلٍ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؟!" فَقَالَ:" مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ." قَالَ: فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي، فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ غِشّاً وَلَا أَحْسُدُ أَحَداً عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ." فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ:" هَذِهِ الَّتِي بَلَغَتْ بِكَ وَهِيَ الَّتِي لَا نُطِيقُ."[3]

– وعن أنس بن مالك ﷺ أن رجلاً قال:" يا رسول الله، إن لفلان نخلة، وأنا أقيم حائطي بها، فمُره أن يعطيَني أقيم حائطي بها." **فقال له النبي** ﷺ: « **أعطها إياه بنخلة في الجنة.**» فأبى. وأتاه أبو الدحداح فقال:"بعني نخلك بحائطي." قال: ففعل. قال: فأتى النبي ﷺ فقال:" يا رسول الله، إني قد ابتعت النخلة بحائطي، فجعلها له." **فقال النبي** ﷺ:« كم من عذق

(١) لاحيت : خاصمت.

(٢) تعارَّ: أي أصابه الأرق أو صحا.

(٣) أخرجه أحمد في "مسنده" برقم [١٢٦٩٧](١٢٤/٢٠)، وهو صحيح.

رداح لأبي الدحداح في الجنة. » مراراً. فأتى امرأته فقال: "يا أمَّ الدحداح، اخرجي من الحائط فإني بعته بنخلة في الجنة" فقالت:" قد ربحت البيع." أو كلمة نحوها(١).

- وعن أنس بن مالك ﷺ قال: **قال رسول الله** ﷺ : «من ينطلق بصحيفتي هذه إلى قيصر **وله الجنة**» فقال رجلٌ من القوم:" وإن لم أقتلْ." **قال**:« وإن لم تُقْتَلْ» (٢).

- وعَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ:" مَكَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ، يَتْبَعُ النَّاسَ فِي مَنَازِلِهِمْ بعُكَاظٍ وَمَجَنَّةَ وَفِي الْمَوَاسِمِ بِمِنىً، يَقُولُ:« مَنْ يُؤْوِينِي مَنْ يَنْصُرُنِي حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي **وَلَهُ الْجَنَّةُ**.» حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَخْرُجُ مِن الْيَمَنِ أَو مِن مُضَرَ كَذَا قَالَ فَيَأْتِيهِ قَوْمُهُ فَيَقُولُونَ: احْذَرْ غُلَامَ قُرَيْشٍ، لَا يَفْتِنْكَ. وَيَمْشِي بَيْنَ رِجَالِهِمْ وَهُمْ يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ حَتَّى بَعَثَنَا اللَّهُ إِلَيْهِ مِنْ يَثْرِبَ، فَآوَيْنَاهُ، وَصَدَّقْنَاهُ، فَيَخْرُجُ الرَّجُلُ مِنَّا فَيُؤْمِنُ بِهِ، وَيُقْرِئُهُ الْقُرْآنَ، فَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ، فَيُسْلِمُونَ بِإِسْلَامِهِ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ إِلَّا وَفِيهَا رَهْطٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ يُظْهِرُونَ الْإِسْلَامَ، ثُمَّ ائْتَمَرُوا جَمِيعاً. فَقُلْنَا: حَتَّى مَتَى نَتْرُكُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُطْرَدُ فِي جِبَالِ مَكَّةَ، وَيَخَافُ؟! فَرَحَلَ إِلَيْهِ مِنَّا سَبْعُونَ رَجُلاً حَتَّى قَدِمُوا عَلَيْهِ فِي الْمَوْسِمِ، فَوَاعَدْنَاهُ شِعْبَ الْعَقَبَةِ، فَاجْتَمَعْنَا عَلَيْهِ مِنْ رَجُلٍ وَرَجُلَيْنِ حَتَّى تَوَافَيْنَا، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نُبَايِعُكَ. **قَالَ**:« تُبَايِعُونِي عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ، وَالنَّفَقَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَعَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ، وَأَنْ تَقُولُوا فِي اللَّهِ لَا تَخَافُونَ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ

(١) أخرجه الحاكم في "مستدركه" برقم [٢٢٤٩](٢/٢٥)،وهو صحيح.
(٢) أخرجه ابن حبان في" صحيحه" برقم [٤٥٠٤](١٠/٣٥٧)، وإسناده صحيح.

لَائِمٍ، وَعَلَى أَنْ تَنْصُرُونِي فَتَمْنَعُونِي إِذَا قَدِمْتُ عَلَيْكُمْ مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَأَزْوَاجَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ، **وَلَكُمْ الْجَنَّةُ**» قَالَ: فَقُمْنَا إِلَيْهِ، فَبَايَعْنَاهُ، وَأَخَذَ بِيَدِهِ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ، وَهُوَ مِن أَصْغَرِهِمْ، فَقَالَ: رُوَيْدًا يَا أَهْلَ يَثْرِبَ، فَإِنَّا لَمْ نَضْرِبْ أَكْبَادَ الإِبِلِ إِلَّا وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَإِنَّ إِخْرَاجَهُ اليَوْمَ مُفَارَقَةُ الْعَرَبِ كَافَّةً، وَقَتْلُ خِيَارِكُمْ، وَأَنْ تَعَضَّكُمْ السُّيُوفُ، فَإِمَّا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَصْبِرُونَ عَلَى ذَلِكَ وَأَجْرُكُمْ عَلَى اللَّهِ، وَإِمَّا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَخَافُونَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ جَبِينَةً فَبَيِّنُوا ذَلِكَ، فَهُوَ عُذْرٌ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ. قَالُوا: أَمِطْ عَنَّا يَا أَسْعَدُ، فَوَاللَّهِ لَا نَدَعُ هَذِهِ الْبَيْعَةَ أَبَداً وَلَا نَسْلُبُهَا أَبَداً. قَالَ: فَقُمْنَا إِلَيْهِ، فَبَايَعْنَاهُ، فَأَخَذَ عَلَيْنَا، وَشَرَطَ، **وَيُعْطِينَا عَلَى ذَلِكَ الْجَنَّةَ**. (١).

- وعَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ ﷺ قَالَ: لَمَّا حُصِرَ عُثْمَانُ، أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ فَوْقَ دَارِهِ، ثُمَّ قَالَ: أُذَكِّرُكُمْ بِاللَّهِ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ حِرَاءَ حِينَ انْتَفَضَ **قَالَ رَسُولُ اللهِ** ﷺ: «اثْبُتْ حِرَاءُ فَلَيْسَ عَلَيْكَ إِلاَّ نَبِيٌّ أَوْ **صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ**» قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: أُذَكِّرُكُمْ بِاللَّهِ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ فِي جَيْشِ العُسْرَةِ: «مَنْ يُنْفِقُ **نَفَقَةً مُتَقَبَّلَةً**»، وَالنَّاسُ مُجْهَدُونَ مُعْسِرُونَ فَجَهَّزْتُ ذَلِكَ الجَيْشَ ؟ قَالُوا: نَعَمْ. ثُمَّ قَالَ أُذَكِّرُكُمْ بِاللَّهِ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رُومَةَ(٢) لَمْ يَكُنْ يَشْرَبُ مِنْهَا أَحَدٌ إِلاَّ بِثَمَنٍ فَابْتَعْتُهَا فَجَعَلْتُهَا لِلْغَنِيِّ وَالفَقِيرِ وَابْنِ السَّبِيلِ؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ، نَعَمْ، وَأَشْيَاءَ عَدَّدَهَا.(٣).

- وعَنْ ثَوْبَانَ ﷺ قَالَ: **قَالَ رَسُولُ اللَّهِ** ﷺ:«مَنْ يَضْمَنْ لِي وَاحِدَةً **وَلَهُ**

(١) أخرجه أحمد في "مسنده" برقم [١٤٤٥٧](٣٤٩/٢٢)، وهو صحيح.

(٢) رومة: بئر في المدينة اشتراها عثمان بن عفان ﷺ.

(٣) أخرجه الترمذي في "سننه" برقم [٣٦٩٩] (ص/٥٧٨)، وهو صحيح.

الْجَنَّةُ.» قَالَ يَحْيَى: هَاهُنَا كَلِمَةٌ مَعْنَاهَا أَلَّا يَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئاً [(١)].

– وعن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ أُفْرِدَ يوم أحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش فلما رَهِقوه [(٢)] **قال**: « من يردهم عنا **وله الجنة أو هو رفيقي في الجنة** ؟» فتقدَّم رجل من الأنصار فقاتل حتى قُتل، ثم رَهِقوه أيضاً، **فقال**: « من يردهم عنا وله الجنة أو هو رفيقي في الجنة ؟» فتقدَّم رجل من الأنصار فقاتل حتى قُتل، فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة. **فقال رسول الله** ﷺ لصاحبيه: «ما أنصفنا [(٣)] أصحابنا »[(٤)].

– وعن بريدة ﷺ **عن النبي** ﷺ **قال**:« **بَشِّر** المشَّائين في الظُّلَمِ إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة.»[(٥)].

– وعن ابن شماسة المهري قال: حضرنا عمرو بن العاص، وهو في سياقة الموت[(٦)] فبكى طويلاً وحوَّل وجهَه إلى الجدار، فجعل ابنه يقول: يا أبتاه، **أما بشرك رسول الله** ﷺ بكذا؟ **أما بشرك رسول الله** ﷺ بكذا ؟ قال: فأقبل بوجهِه فقال: إن أفضل ما نُعِدُّ شهادةُ أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول

(١) أخرجه النسائي في" سننه" برقم [٢٥٩٠](ص/٢٧٩)، وهو صحيح.

(٢) أي غشوه وقربوا منه.

(٣) قال النووي: ((وذكر القاضي وغيره أن بعضهم رواه:"ما أنصفَنَا" بفتح الفاء، والمراد على هذا: الذين فرُّوا من القتال فإنهم لم ينصفوا لفرارهم.)).[شرح النووي على صحيح مسلم، (١٤٨/١٢)]

(٤) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم [١٧٨٩](ص/٧٤٤).

(٥) أخرجه أبو داود في" سننه" برقم [٥٦١](ص/٨٤)، وهو صحيح.

(٦) في سياقة الموت: أي حال حضور الموت.

الله، إني قد كنت على أطباق ثلاث[1] لقد رأيتني وما أحدٌ أشدَّ بُغْضاً لرسول الله ﷺ مني ولا أحبَّ إلي أن أكون قد استمكنت منه فقتلتُه، فلو مُتُّ على تلك الحال لكنت من أهل النار. فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي ﷺ فقلت: ابسطْ يمينَك فلأبايعك. فبسط يمينه. قال: فقبضت يدي. قال: « مالَك يا عمرو؟» قال: قلت: أردت أن أشترط. قال: «تشترط بماذا ؟ » قلت: أن يُغْفَرَ لي قال: « أما علمت أن الإسلامَ يهدمُ ما كان قبله[2] ؟ وأن الهجرةَ تهدم ما كان قبلها ؟ وأن الحجَّ يهدم ما كان قبله ؟ » وما كان أحدٌ أحبَّ إلي من رسول الله ﷺ ولا أجلَّ في عيني منه وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالاً له، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت لأني لم أكن أملأ عيني منه، ولو مُتُّ على تلك الحال لرجوت أن أكون من أهل الجنة، ثم وَلِيَنا أشياءَ ما أدري ما حالي فيها، فإذا أنا مُتُّ فلا تصحبني نائحةٌ ولا نارٌ، فإذا دفنتموني فشُنُّوا علي التراب شَناً[3] ثم أقيموا حول قبري قدْرَ ما تُنحر جَزُورٌ[4] ويُقسَمُ لحمُها حتى أستأنسَ بكم وأنظرَ ماذا أراجع به رسل ربي[5].

* **تبشير النبي ﷺ لبعض أصحابه بالجنة:**

- تبشيره **لعشرة من أصحابه** –رضي الله عنهم– بالجنة:

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رضي الله عنه قَالَ: **قَالَ رَسُولُ اللهِ** ﷺ :« أَبُو بَكْرٍ فِي

(١) كنت على أطباق ثلاث : أي على أحوال ثلاث.

(٢) الإسلام يهدم ما قبله: أي يسقِطه ويمحو أثره.

(٣) فشنوا عليَّ التراب: أي صبُّوا علي التراب.

(٤) الجزور: هي الناقة التي تنحر

(٥) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم [١٢١](ص/٧٣).

الجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الجَنَّةِ، وَسَعْدٌ فِي الجَنَّةِ، وَسَعِيدٌ فِي الجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ فِي الجَنَّةِ.» (١).

والأسماء كاملة: أبو بكر الصديق، وعمرُ بن الخطاب، وعثمانُ بن عفان، وعليُّ بن أبي طالب، وطلحةُ بن عُبيد الله، والزبيرُ بن العوَّام، وعبدُ الرحمن بن عوف، وسعدُ بن أبي وقاص ابن مالك، وسعيدُ بن زيد، وأبو عُبيدة بن الجراح.

- وبشَّر **السيدة خديجة** –رضي الله عنها– بأن لها بيتاً في الجنة من القصب:

عَنْ إِسْمَاعِيلَ قَالَ: قُلْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–: بَشَّرَ النَّبِيُّ ﷺ خَدِيجَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ، بِبَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ(٢) لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ(٣).

- وبشَّر **السيدة فاطمة الزهراء** –رضي الله عنها– بالجنة:

فقال لها: «أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَوْ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ.»(٤).

- وبشَّر السبطين **الحسن والحسين** بأنهما سيدا شباب أهل الجنة:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: **قَالَ رَسُولُ اللَّهِ** ﷺ:« الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ

(١) أخرجه الترمذي في "سننه" برقم [٣٧٤٧](ص/٥٨٤)، وهو صحيح.

(٢) القصب في هذا الحديث هو اللؤلؤ المجوَّف.

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٣٨٩١](ص/٧٢٦)، ومسلم في "صحيحه" برقم [٢٤٣٣](ص/٩٨٨)، واللفظ للبخاري.

(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٦٣٢٣](ص/٦٩٢).

سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ» [1].

- وبشَّر **ثابت بن قيس بن شماس** ﷺ بالجنة:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ** ... ﴾ [سورة الحجرات] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، جَلَسَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ فِي بَيْتِهِ، وَقَالَ:" أَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ" وَاحْتَبَسَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ ،فَسَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ، **فَقَالَ**:« يَا أَبَا عَمْرٍو مَا شَأْنُ ثَابِتٍ اشْتَكَى؟ » قَالَ سَعْدٌ:" إِنَّهُ لَجَارِي، وَمَا عَلِمْتُ لَهُ بِشَكْوَى!" قَالَ: فَأَتَاهُ سَعْدٌ، فَذَكَرَ لَهُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ ثَابِتٌ:" أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي مِنْ أَرْفَعِكُمْ صَوْتاً عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ." فَذَكَرَ ذَلِكَ سَعْدٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ **فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ** ﷺ :«بَلْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ.» [2].

- وبشَّر **عكاشة بن محصن** ﷺ بالجنة:

عن ابْن عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: **قال رَسُولُ اللَّهِ** ﷺ :«عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، جَعَلَ النَّبِيُّ وَالنَّبِيَّانِ يَمُرُّونَ مَعَهُمُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، حَتَّى رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، قُلْتُ: مَا هَذَا؟ أُمَّتِي هَذِهِ! قِيلَ: بَلْ هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ. قِيلَ: انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ. فَإِذَا سَوَادٌ يَمْلَأُ الْأُفُقَ، ثُمَّ قِيلَ لِي: انْظُرْ هَا هُنَا وَهَا هُنَا فِي آفَاقِ السَّمَاءِ. فَإِذَا سَوَادٌ قَدْ مَلَأَ الْأُفُقَ. قِيلَ: هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ هَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفاً بِغَيْرِ حِسَابٍ» ثُمَّ دَخَلَ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَهُمْ. فَأَفَاضَ الْقَوْمُ، وَقَالُوا:

(١) أخرجه أحمد في " مسنده" برقم [١٠٩٩٩](٣١/١٧)، وهو صحيح
(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم [١١٩](ص/٧٢).

نَحْنُ الَّذِينَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاتَّبَعْنَا رَسُولَهُ فَنَحْنُ هُمْ، أَوْ أَوْلَادُنَا الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ فَإِنَّا وُلِدْنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ. فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ فَخَرَجَ **فَقَالَ**:« هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ (١) وَلَا يَتَطَيَّرُونَ (٢) وَلَا يَكْتَوُونَ (٣) وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» فَقَالَ عُكَاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ: أَمِنْهُمْ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ **قَالَ**:« نَعَمْ » فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ: أَمِنْهُمْ أَنَا؟ **قَالَ**: « سَبَقَكَ بِهَا عُكَاشَةُ(٤)»(٥).

- وبشَّر **عبد الله بن سلام** رضي الله عنه بالجنة:

قَالَ قَيْسُ بْنُ عُبَادٍ رضي الله عنه: كُنْتُ فِي حَلْقَةٍ فِيهَا سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ وَابْنُ عُمَرَ، فَمَرَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ فَقَالُوا: هَذَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ. فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُمْ قَالُوا كَذَا وَكَذَا. قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَقُولُوا مَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ، إِنَّمَا رَأَيْتُ كَأَنَّمَا عَمُودٌ وُضِعَ فِي رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ، فَنُصِبَ فِيهَا، وَفِي رَأْسِهَا عُرْوَةٌ، وَفِي أَسْفَلِهَا مِنْصَفٌ، وَالْمِنْصَفُ الْوَصِيفُ، فَقِيلَ: ارْقَهْ، فَرَقِيتُهُ، حَتَّى أَخَذْتُ بِالْعُرْوَةِ، فَقَصَصْتُهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ **فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ** ﷺ: « يَمُوتُ عَبْدُ اللَّهِ وَهُوَ آخِذٌ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى»(٦).

---

(١) يسترقون: الرقية المحرمة عن طريق الكهان والسحرة.

(٢) يتطيرون: يتشاءمون.

(٣) يكتوون: يعالجون بعض الأمراض بكي النار، والكي مباح، ولكن النبي ﷺ كان لا يحب الكي بالنار.

(٤) عُكاشة: ورد بتخفيف الكاف وتضعيفها.

(٥) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٥٧٠٥](ص/١١١٩)، ومسلم في "صحيحه" برقم [٢٢٠](ص/١١٧)، واللفظ للبخاري.

(٦) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٧٠١٠](ص/١٣٤٠)، ومسلم في "صحيحه" برقم [٢٤٨٤](ص/١٠٠٧)، واللفظ للبخاري

- وبشَّر **الرميصاءَ بنت ملحان** أمَّ أنس بن مالك –رضي الله عنها– بالجنة: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: **قَالَ رَسُولُ اللَّهِ** ﷺ :«دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَسَمِعْتُ خَشَفَةً فَقُلْتُ مَا هَذِهِ الْخَشَفَةَ [1] فَقِيلَ هَذِهِ الرُّمَيْصَاءُ بِنْتُ مِلْحَانَ»[2].

* **تبشير النبي ﷺ بالفتوح وانتشار الإسلام:**

- **بشَّر النبي** ﷺ بفتح الشام، والفوز بكنوز فارس والروم.

فقال :«لتفتحنَّ لكم الشامُ ثم لَتَقْسِمُنَّ كنوزَ فارسَ والرومِ...» [3].

- **وبشَّر النبي** ﷺ بفتح القسطنطينية:

فقال :« لتُفتحنَّ القسطنطينيَّة وَلَنِعْمَ الأميرُ أميرها ولنِعمَ الجيشُ ذلك الجيش. »[4].

- **وبشَّر النبي** ﷺ أن مُلك أمته سيبلغ مشارق الأرض ومغاربها:

عن ثوبان ﷺ قال: **قال رسول الله** ﷺ: « إنَّ الله تعالى زَوَى لي الأرض» أو **قال** « إنَّ ربِّي زَوَى لي الأرضَ فرأيتُ مَشارقها ومَغاربها وإنَّ ملكَ أمتي سيبلغُ ما زُوِيَ لي منها» [5].

- **وبشَّر النبي** ﷺ أمَّ حرام بنت ملحان بأنها ستغزو مع جيش المسلمين في البحر:

---

(١) الخشفة: هي حركة المشي وصوته.

(٢) أخرجه أحمد في " مسنده" برقم [١٣٥١٤](١٥٨/٢١)، وهو صحيح.

(٣) أخرجه البخاري في "التاريخ الكبير" برقم [٣٦١٥](٤٣٦/٨)

(٤) أخرجه الحاكم في "مستدركه" برقم [٨٣٦٩](٥٨٤/٤)،قال الحاكم: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

(٥) أخرجه أبو داود في "سننه" برقم [٤٢٥٢](ص/٤٦٤)، وهو صحيح.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْخُلُ عَلَى أُمِّ حِرَامٍ بِنْتِ مِلْحَانَ فَتُطْعِمُهُ، وَكَانَتْ أُمُّ حِرَامٍ تَحْتَ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَطْعَمَتْهُ وَجَعَلَتْ تَفْلِي رَأْسَهُ[1]، فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَمَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ **قَالَ**: «نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَرْكَبُونَ ثَبَجَ[2] هَذَا الْبَحْرِ مُلُوكا عَلَى الْأَسِرَّةِ» أَوْ «مِثْلَ الْمُلُوكِ عَلَى الْأَسِرَّةِ» (شَكَّ إِسْحَاقُ) قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهمْ. فَدَعَا لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ وَضَعَ رَأْسَهُ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقُلْتُ: وَمَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ **قَالَ**: نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَا قَالَ فِي الْأَوَّلِ. قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ. **قَالَ**: «أَنْتِ مِنْ الْأَوَّلِينَ» فَرَكِبَتِ الْبَحْرَ فِي زَمَانِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، فَصُرِعَتْ عَنْ دَابَّتِهَا حِينَ خَرَجَتْ مِنْ الْبَحْرِ، فَهَلَكَتْ. [3]

وكان هذا في غزو جزيرة قبرص، وقبر أم حرام هناك إلى الآن.

*** تبشير النبي ﷺ أصحابه بأمور متنوعة:**

– بشَّر رسول الله ﷺ كعب بن مالك ﷺ بتوبة الله تعالى عليه بسبب تخلُّفه عن غزوة تبوك، **فقال له**: «**أَبْشِرْ** بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ» [4].

---

(١) أم حرام من محارم النبي ﷺ.

(٢) ثبج البحر: ظهره ووسطه.

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٢٧٨٨](ص/٥٢٩)، ومسلم في "صحيحه" برقم [١٩١٢](ص/٧٩٤)، واللفظ للبخاري

(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه"برقم [٤٤١٨](ص/٨٣٤)، ومسلم في "صحيحه"برقم =

- وبشَّر رسول الله ﷺ السيدة عائشة –رضي الله عنها- ببراءَتها من حديث الإفك، **فقال لها**: «**أَبْشِرِي** يَا عَائِشَةُ فَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ بَرَاءَتَكِ »[1].

۞ فقه الدعوة والحياة:

إن أسلوب التبشير من أهم أساليب الدعوة إلى الله تعالى، وأكثرها تأثيراً في الناس، استخدمه ربنا ﷻ بشكل واسع في القرآن الكريم، واستخدمه نبيُّنا محمد ﷺ منهجاً في سنته الشريفة.. ومع ذلك نجد بعض الدعاة في زماننا منفِّرين في أساليبهم وسلوكهم، لا مُبشرين، وهذا الأمر في الحقيقة ينعكس على نحوٍ سلبي في إنتاج الدعوة، ويُشكل بؤراً تتفاعل وتنمو وتقضي على جهود بُذلت لسنوات عديدة، بسبب ردَّات فعل الذين أُسيءَ إليهم.

حقيقة

إن الدعاة لا يملكون في عملهم وعلاقاتهم مع المدعوين إلا سلطان الحب والمودة والخدمة والكلمة المبشرة الطيبة التي تستجلب قلوب الناس إلى دين الله تبارك وتعالى.

• القاعدة التاسعة عشرة:
من الحكمة في الدعوة: التواضع، لا التكبر والغرور والعجب والتفاخر.

▪ **إن التواضع** من أهم ما يتميز به الداعي الموفق في دعوته؛ لأن التواضع يجذب الناس إلى الداعي وإلى ما يدعو إليه، ويرغبهم فيه وبدعوته،

[٢٧٦٩](ص/١١٠٨)، متفق عليه.

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه"برقم [٤٧٥٧](ص/٩٢٥).

ويحقق له القبول والاستحسان والثناء.

ولقد خاطب الله ﷻ نبيه محمداً ﷺ بقوله: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ ﴾ [سورة الشعراء].

وفي هذه الآيات دروس للدعاة:

أولها: أن يبدأ الداعي بنفسه ليتحقق **بمقام التوحيد الخالص**، ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ لا إلهاً يُعبد ولا هوىً يُتَّبع ويُطاع، فمن يُطِعْ هواه ويَعْصِ ربه فقد اتَّخذ هواه إلهاً.

وثانيها: أن يسبق عملُه كلامَه في الدعوة، حتى ينتفع الناس بكلامه، وهذا ما يتطلبه **مقام القدوة**.

وثالثها: بعد أن يبدأ الداعي بنفسه ويتحقق بمقام التوحيد عليه أن يبدأ **بالدعوة إلى الله تعالى**، وأن يدعوَ الأقرب فالأقرب.

ورابعها: أن يتحقق الداعي **بمقام التواضع** الذي هو كناية لخفض الجناح، حتى يكون قريباً من الله تعالى، قريباً من قلوب الناس، فيحبون صحبته، ويأنسون بمجالسته، ويستجيبون لدعوته، وينقادون لتوجيهه.

وخامسها: على الداعي أن يعرف ربه بالعظمة والجلال والكمال، وأن يعرف نفسه بالتواضع والتذلل والنقص، ليتحقق **بمقام العبودية** الصادقة..فالتواضع ثمرة من ثمرات المعرفة بالله تعالى، فإذا عرف الداعي ربه ﷻ انكسر على بابه، وتذلل في رحابه، فلا يرى لنفسه حظوظاً؛ لأنها فنيت بالله تعالى، ولا يرى لنفسه من فضل؛ لأن الفضل كله لله تعالى، فهو الذي

يعطي ويمنع، ويصل ويقطع، ويخفض ويرفع.

■ **والتواضع** هو ثمرة من ثمرات التربية والسلوك والذكر والمراقبة.. أما إذا كان التواضع تكلُّفاً وتصنعاً، فهو ثمرة من ثمرات الرياء والغفلة والالتفات عن الخالق إلى المخلوق. وهذا التواضع وبهذا الوصف لا ثمرة له ولا فائدة منه، لأنه جسد بلا روح، بل هو جيفة نتنة بالرياء...

■ **والتواضع** لا يعني الضعف والاستكانة، لأن « الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ»(١)، ولا يعني التذلل لأصحاب الدنيا طمعاً بدنياهم، ولكن التواضع هو عدم الكبر والاستعلاء والتطاول على الناس وازدرائهم والعجب بالنفس.

■ **والتواضع** يرفع من مكانة الداعي عند الناس.. **يقول النبي** ﷺ : «ولا تواضع أحد لله إلا رفعه الله»(٢).

■ **والتواضع** صفة الداعي العاقل الحكيم.. **يقول النبي** ﷺ : « وَإِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لاَ يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَلاَ يَبْغِى أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ »(٣).

ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ((إن الرجل إذا تواضع لله رفع الله حكمته))(٤).

ويقول ابن حبان: ((لا يمتنع من التواضع أحد، والتواضع يُكسب السلامة، ويورث الألفة، ويرفع الحقد، ويذهب الصد. وثمرة التواضع المحبة،

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم [٢٦٦٤](ص/١٠٦٩).
(٢) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" برقم [٣٢٤٨](٨/٤٠)، وإسناده صحيح على شرط مسلم.
(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم [٢٨٦٥](ص/١١٤٩) .
(٤) روضة العقلاء، لابن حبان البستي، (ص/٥٦) .

كما أن ثمرة القناعة الراحة، وإن تواضع الشريف يزيد في شرفه،كما أن تكبر الوضيع يزيد في ضعته... وأفضل الناس من تواضعَ عن رفعة، وزهدَ عن قدرة، وأنصفَ عن قوة. ولا يترك المرء التواضع إلا عند استحكام التكبر، فلا يتكبر على الناس أحد إلا بإعجابه بنفسه، وعجب المرء بنفسه أحد حُساد عقله. وما رأيت أحد تكبر على من دونه إلا ابتلاه الله بالذلة لمن فوقه... وما استجلبت البغضة بمثل التكبر، ولا اكتسبت المحبة بمثل التواضع، ومن استطال على الإخوان فلا يثقن منهم بالصفاء، ولا يجب لصاحب الكبر أن يطمع في حسن الثناء)) [1].

- **والتواضع** يشير إلى عظمة الإنسان وقوته..

يقول أبو العتاهية:

يا من ترفع بالدنيا وزينتها ... ليس الترفع رفع الطين بالطين
إذا أردت شريف القوم كلهم ... فانظر إلى ملك في زي مسكين
ذاك الذي عظمت في الناس همته ... وذاك يصلح للدنيا وللدين[2]

ويقول الشاعر:

تواضع إذا ما نلت في الناس رفعة ... فإن رفيع القوم من يتواضع[3]

((**يقول رجاء بن حيوة**: "سهرت مع عمر بن عبد العزيز ليلة، فجفَّ القنديل من الدهن، فقلت: يا أمير المؤمنين، لو أمرت الغلام فصبَّ في القنديل

(١) المصدر السابق، (ص/٥٨) .
(٢) المحاسن والأضداد، عمرو بن بحر الجاحظ، (ص/١١٧).
(٣) السحر الحلال في الحكم والأمثال، أحمد الهاشمي، (ص/٧٦).

من الدهن. قال له: قد دأب يومه، وإنما أخذ في نومه الساعة. قلت: أفلا أقوم أنا فأصبّ في القنديل من الدهن؟! قال: لا. فقام هو، فصبَّ في القنديل من الدهن، ثم رجع، ثم قال: قمت وأنا عمر بن عبد العزيز، ورجعت وأنا عمر بن عبد العزيز، يا رجاء إنه ليس من مروءة الرجل استخدام ضيفه")) [1].

■ **وعندما دعا الله تعالى نبيه محمداً ﷺ لخفض جناحه للمؤمنين استجاب النبي ﷺ لربه ﷻ فتواضع لهم، ولم يتكبر أو يستعلي أو يتفاخر عليهم..**

فمن تواضعه ﷺ : أنه لما لقيه رجل من قريش هابه الرجل وارتعد، فتواضع ﷺ له وخفف عنه، ولم يعامله معاملة الملوك للرعايا الضعفاء، ولا معاملة القادة للجنود المذعنين، بل خاطبه **قائلاً**: « هوِّنْ عليك، فإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد[2]» [3].

ومن تواضعه ﷺ: أنه لما فتح الله تعالى له مكة ، وأقبل نحوها لدخولها منتصراً، أحاطت به هيبة ربه الناصر ﷻ ، فخفض رأسه تواضعاً لله تعالى، وهو راكب على راحلته حتى كاد ذقنه يُلامس مقدمة الرَّحْلِ.. قال ابن إسحاق: ((حدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله ﷺ ليضع رأسه تواضعاً لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح حتى إن عُثنونه [4] ليكاد يمس واسطة الرَّحْل)) [5].

---

(١) الزهد، للإمام أحمد بن حنبل، (ص/٣٥٧).

(٢) القديد هو اللحم المجفف في الهواء والشمس.

(٣) أخرجه الحاكم في "مستدركه" برقم [٣٧٩٠] (٥٤٨/٢)، وهو صحيح.

(٤) العثنون: ما نبت من الشعر على الذقن وتحته.

(٥) حياة الصحابة، للكاندهلوي، (٣٣٧/٣).

ومن تواضعه ﷺ: أنه كان يؤكد دائماً على عبوديته لله ﷻ، ويتواضع مع ربه تواضع العبد الصادق مع مولاه، وكان يعلن للناس أنه عبد، وأنه بشر مثلهم، فيقول: :«آكلُ كما يأكلُ العبدُ، وأجلسُ كما يجلسُ العبدُ، فإنما أنا عبدٌ » (١).

ومن تواضعه ﷺ: أنه عندما خُيِّر بين أن يكون ملكاً نبياً أو عبداً رسولاً، تواضع واختار مقام العبودية على الملك.. فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: ((جَلَسَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا مَلَكٌ يَنْزِلُ، فَقَالَ جِبْرِيلُ: إِنَّ هَذَا الْمَلَكَ مَا نَزَلَ مُنْذُ يَوْمِ خُلِقَ قَبْلَ السَّاعَةِ. فَلَمَّا نَزَلَ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ رَبُّكَ، قَالَ: أَفَمَلِكاً نَبِيّاً يَجْعَلُكَ أَوْ عَبْداً رَسُولاً. قَالَ جِبْرِيلُ: تَوَاضَعْ لِرَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ. **قَالَ**: « بَلْ عَبْدًا رَسُولاً»)) (٢). وفي رواية ابن حبان: « .. أم عَبْدًا رَسُولاً..».

ومن تواضعه ﷺ: أنه كان يرعى الضعفاء ويواسيهم في مختلف شؤونهم.. عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه ﷺ **قال** : ((كان رسول الله ﷺ يأتي ضعفاء المسلمين، ويزورهم، ويعود مرضاهم، ويشهد جنائزهم)) (٣).

هكذا كان رسول الله ﷺ يزور ضعفاء المسلمين، ويعود مرضاهم، ويشهد جنائزهم، وليس كما يفعل بعض الناس اليوم: يبحثون عن الأغنياء ويزورونهم، ويتوددون إليهم، ويشهدون جنائزهم، لعلهم ينالون من جاههم أو

(١) أخرجه ابن سعد في "الطبقات الكبرى" (٣١٩/١)، وقال المناوي:إسناده صحيح.
(٢) أخرجه أحمد في "مسنده" برقم [٧١٦٠] (٧٦/١٢)، وهو صحيح.
(٣) أخرجه الحاكم في "مستدركه" برقم [٢٧٩٢] (٥٤٩/٢)، وهو صحيح.

ثروتهم نصيباً...!!

فائدة

إن محمداً رسول الله ﷺ مع مقامه النبوي العالي كان يتعامل مع الضعفاء أحسن المعاملة: يجالسهم، ويؤنسهم، ويلاطفهم، ويزورهم، ويشاركهم أفراحهم وأتراحهم، كان رسول الله ﷺ يهتم بالضعيف تكريماً لإنسانيته عملاً بقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴿٧٠﴾﴾[سورة الإسراء]، **فكل من يحمل صفة إنسان يجب أن يحترَم لإنسانيته بصرف النظر عن حَسَبه أو نَسَبه أو غناه أو فقره أو مركزه...**
هذه هي رسالة رسول الله ﷺ للإنسانية.

ومن تواضعه ﷺ: أنه كان يحبس نفسه مع الفقراء والضعفاء ويصاحبهم ويجالسهم ويؤثرهم على الأغنياء..

قال سلمان وخباب بن الأرت –رضي الله عنهما–: ((فينا نزلت هذه الآية: جاء الأَقْرَعُ بْنُ حابِسٍ التَّمِيمِيُّ، وعُيَيْنَة بْنُ حِصْنٍ الفَزارِيّ، وذووهم من المؤلَّفَةِ قُلوبُهُمْ فوجدوا النبي ﷺ قاعداً مع بلال وصُهَيب وعمَّار وخبَّاب في ناسٍ من ضُعفاء المؤمنين، فلما رأوهم حوله حقروهم، فأتوه فقالوا: يا رسول الله لو جلست في صَدْرِ المسجد، ونَفَيْتَ عَنَّا هؤلاء وأرْوَاح جبَابِهِم ، وكان عليهم جِبَابُ صُوفٍ ولم يكن عليهم غيرها، لجَالسْنَاكَ وأخذنا عَنْكَ، **فقال رسول الله** ﷺ:« ما أنا بِطَارِدٍ المؤمنين»، قالوا : فإنَّا نُحِبُّ أن تَجْعَلَ لنا منك مَجْلِساً تعرفُ به العربُ فَضْلَنَا، فإن وُفُودَ العرب تَأتِيكَ، فَنَسْتَحْيِي أن تَرَانا العربُ مع هؤلاء الأعْبُدِ، فإذا نحنُ جئنا فأبْعدهم عَنَّا، فإذا نحنُ فَرَغنَا فاقْعُدْ مَعَهُمْ إن شئت، **فقال**: «نعم » طَمَعاً في إيمانهم. قال: ثم قالوا: اكْتُبْ لنا عليْك بذلك كتاباً. قال: فَدَعا بالصَّحِيفَةِ، ودعا عليَّاً لِيَكْتُبَ،

قال: ونحن قعود في ناحيةٍ، إذ نزل جبريل عليه السلام بقوله: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم ﴾ إلى قوله : ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [سورة الأنعام:٥٢-٥٣] فألقى رسول الله ﷺ الصحيفة من يَدِهِ، ثم دعانا فأتيناه وهو **يقول**: « سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ كتبَ ربُّكُمْ على نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ » وكنَّا نقعدُ معه حتى تَمَسَّ رُكْبَتُنَا رُكْبَتَهُ، فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ... ﴾ [الكهف : ٢٨] فترك القيام عَنَّا إلى أن نقوم عنه **وقال**: « الحَمْدُ للَّهِ الذي أَمَرَنِي أنْ أصْبِرَ نَفْسِي مَعَ قومٍ من أمَّتِي معكُم المَحيا ومَعَكُم المماتُ »[(١)].

فمن من دعاتنا يفعل هذا؟!!.

ومن تواضعه ﷺ: أنه كان يخدم الأرملة والمسكين والضعيف، ولا يمنعه مقام النبوة وموقعه بصفته قائد الأمة أن يمشيَ معهم حتى يقضي حاجاتهم..

عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال : ((كان رسول الله ﷺ يُكثر الذكرَ ويُقِلُّ اللغوَ، ويطيلُ الصلاةَ، ويُقَصِّرُ الخطبةَ، ولا يأنفُ أن يمشيَ مع الأرملةِ والمسكينِ فيقضيَ له حاجتَهُ)) [(٢)].

ومن تواضعه ﷺ: أنه كان يأكل على الأرض، ويجيب دعوة المملوك إلى خبز الشعير[(٣)]..

(١) تفسير اللباب في علوم الكتاب (١٦٠/٨).

(٢) أخرجه النسائي في "سننه" برقم [١٧٢٨](٢٨٠/٢)، وهو صحيح.

(٣) حياة الصحابة، للكاندهلوي، (٥٢٧/٣)، والشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض، (ص/٨٩).

وكان **يقول**: «لَوْ دُعِيتُ إِلَى ذِرَاعٍ أَوْ كُرَاعٍ[1] لَأَجَبْتُ»[2].

فمن من دعاتنا يجيب دعوة إلى خبز شعير فقط ؟!!..

ومن تواضعه ﷺ: أنه كان يعترف لأصحابه أنه بشر مثلهم، ينسى كما ينسون، وكان يطلب منهم إذا نسي أن يذكروه، فلا يتكبَّر..

عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَلْقَمَةَ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ. قَالَ إِبْرَاهِيمُ: لَا أَدْرِي زَادَ أَوْ نَقَصَ. فَلَمَّا سَلَّمَ قِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَحَدَثَ فِي الصَّلَاةِ شَيْءٌ؟! **قَالَ**:« وَمَا ذَاكَ؟» قَالُوا: صَلَّيْتَ كَذَا وَكَذَا. فَثَنَى رِجْلَيْهِ، وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، وَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ، ثُمَّ سَلَّمَ. فَلَمَّا أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ **قَالَ**:« إِنَّهُ لَوْ حَدَثَ فِي الصَّلَاةِ شَيْءٌ لَنَبَّأْتُكُمْ بِهِ، **وَلَكِنْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ، أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ، فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي**، وَإِذَا شَكَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ فَلْيَتَحَرَّ الصَّوَابَ، فَلْيُتِمَّ عَلَيْهِ ثُمَّ لِيُسَلِّمْ ثُمَّ يَسْجُدُ سَجْدَتَيْنِ» [3].

ومن تواضعه ﷺ: أنه كان يخدم نفسه، ويساعد أهله في أعمالهم..

عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ الْأَسْوَدِ ﷺ قَالَ: ((سَأَلْتُ عَائِشَةَ –رضي الله عنها– مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ –تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ– فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ)) [4].

وعَنْ عَائِشَةَ–رضي الله عنها– أَنَّهَا سُئِلَتْ: ((مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْمَلُ فِي

---

(١) الكراع: مُستَدَقُّ ساقِ الغنم والبقر.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٢٩٦٨](ص/٤٨٦) .

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٤٠١](ص/٩٩)،ومسلم في "صحيحه" برقم [٥٧٢](ص/٢٢٨)، واللفظ للبخاري .

(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٦٧٦](ص/١٤٣).

بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: كَانَ يَخِيطُ ثَوْبَهُ وَيَخْصِفُ نَعْلَهُ وَيَعْمَلُ مَا يَعْمَلُ الرِّجَالُ فِي بُيُوتِهِمْ)) [(١)].

وعن عائشة—رضي الله عنها- أنها سئلت: ((ما كان عمل رسول الله ﷺ في بيته؟ قالت: ما كان إلا بشراً من البشر، كان يَفْلِي ثوبه، ويحلبُ شاته، ويخدمُ نفسه)) [(٢)].

ومن تواضعه ﷺ: أنه حجَّ على رحْلٍ متواضعٍ.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((حجَّ النبي ﷺ على رحل رثٍّ[(٣)]، وقطيفة تساوي أربعة دراهم أو لا تساوي، ثم **قال**: « اللهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة »[(٤)].

فما رأيكم فيمن يدفع مليون ليرة سورية أو أكثر، ليحجَّ حجة مرفّهة في فنادق سبعةِ نجوم، مفاخرة وعلواً في الأرض!!.. أما كان حرياً به أن يحجَّ حجة حسنة الرفاهية بمبلغ معقول، وينفق الباقي على الفقراء الذين لا يجدون ما يسدُّون به جوعهم؟!!

ومن تواضعه ﷺ: أنه كان يُلاعب الأطفال، ويمازحهم ويسلم عليهم ويمسح رؤوسهم.

عن يعلى بن مرّة قال: ((خرجنا مع النبي ﷺ ودُعينا إلى طعام فإذا حسين يلعب في الطريق، فأسرع النبي ﷺ أمام القوم، ثم بسط يديه، فجعل

(١) أخرجه أحمد في "مسنده" برقم [٢٤٩٠٣](٤١/٣٩٠). وهو صحيح.
(٢) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" برقم [٥٦٧٥](١٢/٤٨٧)، وهو صحيح.
(٣) أي: عتيق.
(٤) أخرجه ابن ماجه في "سننه" برقم [٢٨٩٠](ص/٣١٥)، وهو صحيح.

الغلام يفرُّ هاهنا وههنا، ويضاحكه النبي ﷺ حتى أخذه، فجعل إحدى يديه في ذقنه والأخرى في رأسه، ثم اعتنقه، ثم **قال النبي** ﷺ: «حسين مني وأنا من حسين، أَحبَّ الله من أحبَّ حسيناً، الحسينُ سبط من الأسباط»))[1].

فائدة

يا للدهشة!! لم يمنع مقامُ النبوة ومسؤوليةُ قيادة الأمة رسول الله ﷺ من ملاعبةِ حفيده أمام الناس، يلاحق الطفل وهو يفر منه هنا وهناك، ورسول الله ﷺ - فداه أمي وأبي- يضاحكه، ثم يمسك به بلطف ويعتنقه ويقبله أمام الناس. فهل تخصِّص وقتاً لملاعبة أطفالك ؟!

وعن أبي بكرة رضي الله عنه: ((أن رسول الله ﷺ كان يصلي فإذا سجد وَثَبَ الحسنُ على ظهره وعلى عنقه فيرفع رسول الله ﷺ رفعاً رفيقاً لئلَّا يُصْرَعَ قال: فعل ذلك غير مرةٍ. فلما قضى صلاته قالوا: يا رسول الله رأيناك صنعت بالحسن شيئاً ما رأيناك صنعتَه! **قال**: «إنه ريحانَتي من الدنيا وإن ابني هذا سيِّدٌ وعسى الله أن يُصلح به بين فئتين من المسلمين»))[2].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((كان النبيُّ ﷺ أحسنَ الناس خُلُقاً، وكان لي أخٌ يُقال له: أبو عمير – قال:أحسبُهُ فَطيم[3]–، وكان إذا جاء، **قال**: «يا أبا عمير، ما فعل النُّغَير[4]؟»، نُغَرٌ كان يلعب به))[5].

---

(١) صحيح الأدب المفرد للبخاري برقم [٣٦٤/٢٧٩] (ص/١٤٦)، وهو حسن.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في "مسنده" برقم (٢٠٥١٦) [١٤٨/٣٤]، وهو صحيح.

(٣) الفطيم: من فُطِمَ حديثاً عن الرضاع.

(٤) النُّغَير: طائر صغير ملوَّن، من فصيلة الحسّون ورتبة العصفوريات..

(٥) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٦٢٠٣) [١١٩٤]، ومسلم في "صحيحه" برقم (٢١٥٠) [٨٨٧]، واللفظ للبخاري.

وكان رسول الله ﷺ يمسح على رؤوس الأطفال ويلاطفهم ويسلم عليهم، عن أنس رضي الله عنه قال: ((إن النبيَّ ﷺ كان يزورُ الأنصار ويسلِّمُ على صبيانهم ويمسحُ رؤوسَهُم))[1].

فائدة

وهذا يقوي شخصية الطفل ويفتح مداركه، لذلك علينا إذا التقينا الآباء ومعهم أولادهم ألاّ نهمل الأولاد وكأنهم غير موجودين، يجب أن نهتمَّ بهم، ونستقبلهم، ونكرمهم كما كان يفعل رسول الله ﷺ.

ومن تواضعه ﷺ: أنه كان يشارك أصحابه في حفر الخندق، ويدعو لهم، ويرق قلبه لهم. عن جابر رضي الله عنه قال: ((إِنَّا يَوْمَ الْخَنْدَقِ نَحْفِرُ فَعَرَضَتْ كُدْيَةٌ شَدِيدَةٌ[2] فَجَاءُوا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا هَذِهِ كُدْيَةٌ عَرَضَتْ فِي الْخَنْدَقِ. **فَقَالَ**: «أَنَا نَازِلٌ» ثُمَّ قَامَ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ وَلَبِثْنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا نَذُوقُ ذَوَاقًا، فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ الْمِعْوَلَ فَضَرَبَ فَعَادَ كَثِيباً أَهْيَلَ أَوْ أَهْيَمَ[3]..))[4].

وعَنْ الْبَرَاءِ رضي الله عنه قَالَ: ((كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَنْقُلُ التُّرَابَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ حَتَّى أَغْمَرَ بَطْنَهُ أَوْ اغْبَرَّ بَطْنُهُ، يَقُولُ:

وَاللَّهِ لَوْلَا اللَّهُ مَا اهْتَدَيْنَا ... وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا

فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا ... وَثَبِّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا

إِنَّ الْأُلَى قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا ... إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا

وَرَفَعَ بِهَا صَوْتَهُ: أَبَيْنَا أَبَيْنَا.))[5]

---

(١) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" برقم (٤٥٩)[٢٠٥/٢]، وهو صحيح.

(٢) الكدية: صخرة غليظة.

(٣) فعاد كثيباً أهيل أو أهيم أي: صار رملاً ناعماً غير متماسك.

(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٤١٠١](ص/٧٧٩).

(٥) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٤١٠٤](ص/٧٨٠).

وعَنْ أَنَسٍ ﷺ قال: ((خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فِي غَدَاةٍ بَارِدَةٍ وَالْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ يَحْفِرُونَ الْخَنْدَقَ، فَقَالَ:

اللَّهُمَّ إِنَّ الْخَيْرَ خَيْرُ الْآخِرَهْ فَاغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَهْ

فَأَجَابُوا:

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدَا عَلَى الْجِهَادِ مَا بَقِينَا أَبَدَا))[1]

ومن تواضعه ﷺ: أنه كان يعيش مع أصحابه لا يميز نفسه عنهم..

يقول عبد الله بن مسعود ﷺ : ((كنا يوم بدر ثلاثة على كل بعير. قال: كان أبو لبابة وعلي بن أبي طالب زميلي رسول الله ﷺ ، قال: وكَانَتْ عُقْبَةُ [2] رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: فَقَالَا: نَحْنُ نَمْشِي عَنْكَ. **فَقَالَ**:« مَا أَنْتُمَا بِأَقْوَى مِنِّي وَلَا أَنَا بِأَغْنَى عَنْ الْأَجْرِ مِنْكُمَا »)) [3].

ومن تواضعه ﷺ: أنه كان يتواضع لزوجته، فيجعلها تضع رجلها على ركبته ﷺ لترقى وتركب جملها..

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: ((قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ خَيْبَرَ، فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْحِصْنَ، وذُكِرَ لَهُ جَمَالُ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيِّ بْنِ أَخْطَبَ، وَقَدْ قُتِلَ زَوْجُهَا وَكَانَتْ عَرُوساً، فَاصْطَفَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ، فَخَرَجَ بِهَا حَتَّى بَلَغْنَا سَدَّ الرَّوْحَاءِ حَلَّتْ، فَبَنَى بِهَا، ثُمَّ صَنَعَ حَيْساً [4]فِي نِطَعٍ[5] صَغِيرٍ، ثُمَّ **قَالَ رَسُولُ اللَّهِ** ﷺ:

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٧٢٠١](ص/١٣٧٥).

(٢) عقبة: أي نوبته بالمشي.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده برقم [٣٩٠١](١٧/٧)، وهو حسن.

(٤) الحيس عند العرب: خلط الأقط بالسمن والتمر.

(٥) النطع :هو البِسَاط من الجلد المدبوغ.

«آذِنْ مَنْ حَوْلَكَ» فَكَانَتْ تِلْكَ وَلِيمَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى صَفِيَّةَ. ثُمَّ خَرَجْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ، قَالَ: فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُحَوِّي لَهَا وَرَاءَهُ بِعَبَاءَةٍ ثُمَّ يَجْلِسُ عِنْدَ بَعِيرِهِ فَيَضَعُ رُكْبَتَهُ فَتَضَعُ صَفِيَّةُ رِجْلَهَا عَلَى رُكْبَتِهِ حَتَّى تَرْكَبَ)) [(١)].

ما رأيكم أيها الدعاة؟!!..

النبي القائد المظفر، يعود من معركته في خيبر منتصراً يحمل هموم المواجهة مع الأعداء ونتائجها، ومع كل ذلك لم ينسَ حق زوجته بوليمة عرسها وإدخال الفرحة على قلبها، ولم يجد غضاضة في أن يتواضع لها، وأن يعينها برقيها على ركبته حتى تركب!!..

هل يفعل دعاتنا هكذا؟!!..

ومن تواضعه ﷺ: كراهيته للمدح والإطراء.

فعنْ أَنَسٍ رضي الله عنه ((أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، يَا خَيْرَنَا، وَابْنَ خَيْرِنَا، وَيَا سَيِّدَنَا، وَابْنَ سَيِّدِنَا. **فَقَالَ**: « قُولُوا بِقَوْلِكُمْ وَلَا يَسْتَجْرِكُمُ الشَّيْطَانُ أَوْ الشَّيَاطِينُ. قَالَ إِحْدَى الْكَلِمَتَيْنِ: أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ»)) [(٢)] .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: ((سمعت رسول الله ﷺ **يقول**: «لا تُطروني[(٣)] كما أطرتِ النَّصارى ابنَ مريمَ، فإنما أنا عبدُهُ، فقولوا: عبدُ اللهِ

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٢٢٣٥](ص/٤١٦).
(٢) أخرجه أحمد في مسنده برقم [١٣٥٩٦](٢١/٢١٦)، وهو صحيح.
(٣) الإطراء هو: الإفراطُ في المديح ومجاوزةُ الحد فيه.

ورسولُهُ»))[1].

وهنا أسأل الذين يعظمون أنفسهم، ويوحون للناس أنهم في مكانة عالية عند الله تعالى، هل ورثوا عن النبي ﷺ تواضعه ووقوفه بأدب العبد المتذلل لمولاه؟!!..فلا يقبل أن يُرفع فوق منزلته التي صرَّح بها مراراً وتكراراً **بقوله**: « فإنما أنا عبدٌ »[2].

حقيقة

إذا كان النبي الرسول المعصوم ﷺ أمره ربه بالتواضع وخفض الجناح، وهو المشهود له بالخلق العظيم، فكيف بغيره من الدعاة غير المعصومين؟!!.. أليس الدعاة أولى بهذا الخلق من غيرهم؟!!..

- **والداعي العاقل الحكيم يحذر من التكبر والغرور والعجب بالنفس والتفاخر:**

* **فالكبر**: اسم من التكبر، وهو استعظام النفس واحتقار الآخرين. يقول الراغب الأصفهاني: ((الكبر هو ظن الإنسان بنفسه أنه أكبر من غيره، والتكبر هو إظهار ذلك))[3].

* **والمغرور** هو المخدوع ، الطامع بالباطل، الغافل عن الحقائق.

* **والعجب** : رؤية النفس، وحب الأنا، والاغترار بالنعم، والغفلة عن المنعم، فمن أحبَّ أناه عمي وصمَّ وتعذر عليه رؤية عيوبه.

* **والتفاخر**: هو التعاظم والتباهي بالجاه والمال والحسب والنسب والصفات والخصال..

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه"برقم [٣٤٤٥] (ص/٦٦٤).

(٢) أخرجه ابن سعد في "الطبقات الكبرى" (١/٣١٩)، وقال المناوي:إسناده صحيح.

(٣) الذريعة إلى مكارم الشريعة، للراغب الأصفهاني، (ص/٢١٤).

وهذه الصفات لا يجوز أن يتصف بها المسلم فضلاً عن الداعي إلى الله تعالى، فهي من المهلكات التي تهلك الدين، والعمل الدعوي، وتنفر الناس، فينفضوا عن الداعي والدعوة. وهي صفات سيئة تدل على نقص العقل، وقلة التوفيق، وتوجب المقت، وتسلب الفضائل، وتجلب الرذائل، وتقود إلى المهالك... **يقول النبي** ﷺ :« ثلاثٌ مهلكاتٌ: شحٌّ مُطَاعٌ، وهوىً مُتَّبَعٌ، وإعْجَابُ المرءِ بنفسِهِ» (١).

ويحذر النبي ﷺ بشدة من العجب والخيلاء، **فيقول**: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مُرَجِّلٌ (٢)جُمَّتَهُ(٣)، إِذْ خَسَفَ اللَّهُ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ(٤) إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» (٥).

ويحذر النبي ﷺ بشدة من الكبر والتكبر، **فيقول**: « لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ »(٦).

يقول الله تعالى:﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [سورة النحل] أي إن الله تعالى لا يحب المستكبرين.

ويقول النبي ﷺ: « أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ »قَالُوا: بَلَى. قَالَ: « كُلُّ

(١) أخرجه الطبراني في "المعجم الأوسط" برقم [٥٤٥٢](٣٢٨/٥)، وهو حسن.
(٢) مرجل : مسرح.
(٣) جمته : شعر رأسه المتدلي إلى منكبيه..
(٤) يتجلجل : يتحرك باضطراب، وهو يسقط.
(٥) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٥٧٨٩](ص/١١٣٢)، ومسلم في "صحيحه" برقم [٢٠٨٨](ص/٨٦٦)، واللفظ للبخاري.
(٦) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم [٩١](ص/٦٣) .

عُتُلٍّ [1] جَوَّاظٍ [2] مُسْتَكْبِرٍ »[3].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: **قال رسول الله** ﷺ: «يقول الله سبحانه: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، من نازعني واحداً منهما. ألقيته في جهنم»[4].

وعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: **قَالَ النَّبِيُّ** ﷺ : «تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ. فَقَالَتْ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ. وَقَالَتْ الْجَنَّةُ: مَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ؟ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي. وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مِلْؤُهَا...»[5].

ويقول النبي ﷺ: « مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». [6]

وعن ابْن عُمَرَ –رضي الله عنهما– قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ **يَقُولُ**: « مَنْ تَعَظَّمَ فِي نَفْسِهِ أَوْ اخْتَالَ فِي مِشْيَتِهِ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ» [7].

---

(١) العتل : الشديد الجافي الغليظ من الناس.

(٢) الجواظ : الجموع المنوع الذي يجمع المال من أي جهة ويمنع صرفه في سبيل الله ، والضخم المختال في مشيته.

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٤٩١٨](ص/٩٧٠)، ومسلم في "صحيحه" برقم [٢٨٥٣](ص/١١٤٤)، متفق عليه.

(٤) أخرجه ابن ماجه "سننه" برقم [٤١٧٤](ص/٤٥١)، وهو صحيح.

(٥) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٤٨٥٠](ص/٩٥٢)، ومسلم في "صحيحه" برقم [٢٨٤٦](ص/١١٤٢)، واللفظ للبخاري.

(٦) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٥٧٨٤](ص/١١٣٢)، ومسلم في "صحيحه" برقم [٢٠٨٥](ص/٨٦٥)، واللفظ للبخاري.

(٧) أخرجه أحمد في "مسنده" برقم [٥٩٩٥](١٠/٢٠٠)، وهو صحيح.

حقيقة

إن الدعاة الذين يتكبرون ويفتخرون ويعجبون بأنفسهم ليسوا على شيء، ولم يَرِحُوا - يشمُّوا- رائحةَ المعرفة، بسبب غفلة قلوبهم عن الله تعالى.

- **من أوجه التكبر والغرور والعجب بالنفس والتفاخر عند بعض الدعاة:**

إن من الدعاة من يتكبر ويغتر ويعجب ويتفاخر بأوجه متعددة، منها:

١- بخطابته أو فصاحته أو بلاغته..

٢- بعلمه وتحصيله وحفظه للمتون، ولغته ونحوه وصرفه، وتجويده وإجازاته بقراءات القرآن..

٣- بجمال صوته في قراءة القرآن أو الإنشاد.

٤- بألقابه (الدكتور، الشيخ، الحافظ، المحدث، المفسر، النحوي، المؤرخ...).

٥- بعقله وذكائه وفطنته.

٦- أو بمظهره وجسمه (طول لحيته، عمامته، جُبَّته، بسطة جسمه وقوته...).

٧- أو بكثرة أتباعه.

٨- أو بمديح الناس له والثناء عليه، وإعجابهم به.

٩- أو بنسبه لآبائه، أو أساتذته ومشايخه، أو جماعته وحزبه..

١٠- أو بمؤلفاته وكتبه ، وشعره ونثره..

يقول الشاعر:

التِّيهُ مفسدةٌ للدينِ منقَصةٌ للعقلِ مهتكةٌ للعرضِ فانتبهِ[1]

- **ومن أسباب مرض الغرور والعجب والتفاخر:** غفلة القلب وقسوته، والانشغال عن المنعم بالنعمة، والالتفات عن الخالق إلى المخلوق...

فعوضاً عن أن يكون همُّ هؤلاء الدعاة واهتمامهم التحقق بمقام العبودية الصادقة لله ﷻ، وعوضاً عن أن يكون هدفهم ((**إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي**)) صار هدفهم إرضاء الناس، وكسب إعجابهم، ومديحهم وإطرائهم وولائهم..

وهؤلاء لا يفلحون... ولو ظهر لهم شيء من النجاح.. لأن العاقبة للمتقين، وهذا قانون إلهي لا يخطئ هدفه، ولا بد أن يتحقق بوعد الله تعالى.

وأما الدعاة المخلصون فهم يعملون ليلاً ونهاراً بالدعوة والتقرب إلى الله تعالى ابتغاءَ مرضاته ورضاه.. ومع ذلك فإنهم يستصغرون عملهم، ويخافون تقصيرهم، ويخشون عدم قبول أعمالهم.

يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [سورة المؤمنون].

(١) روضة العقلاء، لابن حبان البستي، (ص/٥٧).

■ **ومن أسباب مرض التكبر والغرور والعجب والتفاخر**: كثرة المدح والمادحين، والتَّملُّق والمتملقين، والمداهنة والمداهنين..

فعلى الداعي العاقل الحكيم ألا يغتر بهؤلاء، ولا يركن إليهم، ولا يرتاح لصحبتهم، بل يبحث عن إخوان الصدق الذين إذا نسي ذكَّروه، وإذا ذكر أعانوه.. إخوان الصدق الذين هم في النصيحة صادقون، أصفياء القلوب، مرايا المحاسن والعيوب..

يقول النبي ﷺ: « المؤمن مرآة أخيه إذا رأى فيها عيباً أصلحه»[(١)]

ويقول النبي ﷺ:« المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ، والمؤمنُ أخو المؤمنِ : يكفُّ عليه ضيعتَهُ [(٢)]، ويحوطُهُ مِن ورائِهِ[(٣)]»[(٤)].

حقيقة

على الداعي الحكيم أن يصاحب الصالحين المتواضعين الذين صفت وزكت نفوسهم وطهرت أرواحهم، وتعلقت قلوبهم بمولاهم، فإذا وُجِدوا فإنهم كنز ثمين لا يقدَّر، وقليل ما هم..

(١) صحيح الأدب المفرد للبخاري، برقم [٢٣٨/١٧٧](ص/١٠٦).

(٢) يكفُّ عليه ضيعتَهُ : أي يمنع ضياعه وهلاكه.

(٣) يحوطُهُ مِن ورائِهِ: أي يَذُبُّ عنه ويدافع.

(٤) أخرجه أبو داود في " سننه" برقم [٤٩١٨](ص/٤٩٢١)، وهو حسن.

• القاعدة العشرون:
من الحكمة في الدعوة: الصبر، لا الجزع.

■ **الصبر في الدعوة أحوج ما يحتاج إليه الدعاة، فمن افتقده افتقد الثبات على الدعوة والنجاح فيها.**

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [سورة السجدة]. أي: جعلناهم دعاة للهداية، قادة للخير، قدوة يقتدى بهم، يدعون الناس إلى طاعتنا، وإلى التزام أمرنا، واجتناب نهينا، لما صبروا على تبليغ الدين، والتَّبِعات المترتبة على ذلك، وكانوا بآياتنا الدالة علينا يوقنون. واليقين هو العلم الحاصل عن نظرٍ واستدلالٍ وتثبُّتٍ وتحققٍ بدون شك أو ريبة.

وفي هذه الآيات دليل على أن:

١- ثمرة الصبر إمامة الناس ودعوتهم إلى الهداية.

٢- الدعوة إلى الله تعالى مقام يمنحه تعالى بأمره وتوفيقه لمن يشاء من عباده.

■ **إن الدعوة إلى الله تعالى تحتاج للصبر...**

١- الصبر على أذى أعداء الدعوة.

٢- الصبر على سوء أخلاق بعض المدّعوّين ونقائصهم (الأنانية، الفظاظة، حب الظهور..).

٣- الصبر على إعراض بعض المدعوين وعدم استجابتهم.

٤- الصبر على ضعف همة بعض المدعوين وتقصيرهم.
٥- الصبر على اندفاع بعض المدعوين وتهورهم.
٦- الصبر على غلبة العواطف عند بعض المدعوين وعدم تحكيم عقولهم.
٧- الصبر على حسد الحاسدين وكيد الكائدين.
٨- الصبر على أصحاب المصالح الذين يؤثرون دنياهم على آخرتهم.
٩- الصبر على عداوة المنافسين.
١٠- الصبر على تخريب المنافقين.
١١- الصبر على جهل الجاهلين.
١٢- الصبر على الفشل أحياناً.
١٣- الصبر على النجاح أحياناً.
١٤- الصبر على الشهرة.
١٥- الصبر على محبة المحبين، وشدة إقبالهم، فلا يلتفت الداعي عن الله تعالى ولا يتعلق قلبه بهم.

إن قائمة الصبر عند الداعي واسعة، تحتاج للمصابرة والثبات على الدعوة، وعدم الانشغال بما يتعرض له من صعوباتٍ أو نجاحاتٍ عن الله تعالى، فهو يصبر لله وبالله ومع الله، ولا يستطيع الصبر عن الله تعالى.

يروى أنه: ((وقف رجل على الشلبي، فقال: أي صبر أشد على الصابرين؟ فقال: الصبر في الله تعالى. فقال: لا. فقال: الصبر لله تعالى. فقال: لا. فقال: الصبر مع الله تعالى. قال: لا. قال: فأيش؟ قال: الصبر عن الله تعالى. فصرخ الشبلي صرخةً كادت روحه تتلَفُ)) [1].

(١) تفسير مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، (٢١٨/٧) .

■ **والدعوة إلى الله تعالى من أعظم الطاعات، وأقرب القربات إلى الله تعالى، ولكن مقام الدعوة الذي لا يعلوه مقام لأنه مقام الأنبياء والمرسلين...لا يكون إلا للصابرين.**

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [سورة فصلت].

وفي هذه الآيات: ((السعادات (قسمان) اثنان: التام، وفوق التام. أما التام: فهو أن يكتسب من الصفات الفاضلة ما لأجلها يصير كاملاً في ذاته، فإذا فرغ من هذه الدرجة اشتغل بعدها بتكميل الناقصين وهو فوق التام. إذا عرفت هذا فنقول إن قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ .. ﴾ [سورة فصلت: ٣٠] إشارة إلى المرتبة الأولى وهي اكتساب الأحوال التي تفيد كمال النفس في جوهرها. فإذا حصل الفراغ من هذه المرتبة وجب الانتقال إلى المرتبة الثانية، وهي الاشتغال بتكميل الناقصين، وذلك إنما يكون بدعوة الخلق إلى الدين الحق وهو المراد من قوله: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا .. ﴾ [سورة فصلت])) [1].

فأحسن الناس كلاماً من كان كلامه دعوة إلى الله تعالى.

(١) المصدر السابق، (١٢٥/٢٧) .

رؤية

تحتاج الدعوة إلى الله تعالى إلى الكلمة الحجة المؤثرة المغيرة للنفوس والقلوب، ولهذا وجب على الداعي أن يكون ذا حجة قوية، وبيان مؤثر، وروح راقية، ونفس مزكاة، حتى يكون تأثيره في إحياء القلوب الميتة والأرواح أكبر .

أما إذا كان الداعي صاحب نفس ناقصة يعجز عن تزكيتها، فهو عن تزكية النفوس أعجزُ..والناقص لا يكمل الناقص...

فمقام الدعوة الحقيقي للكمَّلِ من الدعاة القادرين بتوفيق الله تعالى على تكميل الناقصين من الناس الذين ينقصهم العلم والحكمة والتزكية، وهذا كله يحتاج إلى الصبر .

وقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ..﴾ [سورة فصلت:٣٣] ((يدل على أن الدعوة إلى الله أحسن من كل ما سوها ...، إذا عرفت هذا فنقول: الدعوة إلى الله أحسن الأعمال بمقتضى هذه الآية، وكل ما كان أحسن الأعمال فهو واجب، ثم ينتج أن الدعوة إلى الله واجبة))[1].

وفي الآية دليل على ضرورة اقتران القول بالعمل الصالح، فلا قيمة لقول يناقضه العمل.

وفي الآية دليل على أن أحسن الناس وأعلاهم مقاماً عند الله تعالى هم من اتصفوا بخصال أربعة:

أولها: الإقرار بالإسلام باللسان.

وثانيها: الاعتقاد بالقلب والجنان.

(١) المصدر السابق، (١٢٦/٢٧وما بعدها) .

وثالثها: العمل الصالح بالأركان.

ورابعها: دعوة الإنسان إلى الله تعالى.

ولكن الدعوة إلى الله تعالى تحتاج إلى الصبر والتحمُّل، ودفع جهالات الناس وسفاهاتهم وأذاهم، والصبر والتحمُّل هو خير سبيل؛ لأن مقابلة الأفعال والتصرفات السيئة بالأفعال والتصرفات الحسنة، تنزع الحقد والكراهية والعداوة والبغضاء من القلوب والصدور، وتستبدل بذلك المودة والرحمة.

وهذا السلوك العظيم لا يستطيع أن يتجرَّعه أحد إلا الذين صبروا على تحمُّل الشدائد والمكاره، والذين اتصفوا بالفضائل النفسية، والقوة الروحانية، والطهارة القلبية.

يقول الله تعالى: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [سورة الشورى].

أي: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ ﴾ على الأذى ﴿ وَغَفَرَ ﴾ ولم ينتصر لنفسه ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ ﴾ إن صبره هذا ﴿ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ من الأمور المحمودة المشكورة المعزوم عليها.

- **والصبر ثمرة الحلم.**

((الصبر ثمرة الحلم وموجبه، فعلى قدر حلم العبد يكون صبره، فالحلم في صفات الرب تعالى أوسع من الصبر، ولهذا جاء اسمه الحليم في القرآن فى غير موضع ،ولسعته يقرنه سبحانه باسم العليم، كقوله: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ ﴾ [سورة الأحزاب] ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [سورة النساء] وفى الأثر أن حملة العرش أربعة اثنان يقولان: سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك. واثنان يقولان: سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك. فإن المخلوق يحلم عن جهل، ويعفو عن عجز، والرب تعالى

يحلم مع كمال علمه، ويعفو مع تمام قدرته، وما أضيف شيء إلى شيء أزين من حلم إلى علم ومن عفو إلى اقتدار)) [1].

وقيل للأحنف بن قيس: ((ما الحلمُ؟ قال: أن تصبر على ما تكره قليلاً)) [2].

ولقد أمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ بالصبر على دعوته إلى الله، ونشر وتبليغ رسالته في أكثر من ثمانية عشر موضعاً في القرآن الكريم، مشيراً إلى أهمية الصبر في الدعوة إلى الله تعالى، وأنه جزء لا يتجزأ منها، وأنه لا يمكن أن يمارس أحد نشاط الدعوة إلى الله تعالى إذا لم يمتلك ناصية الصبر.

يقول الله تعالى مخاطباً إمام الدعاة سيدنا محمد ﷺ : ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٣٥ ﴾[سورة الأحقاف].

أي: اقتدِ يا محمد بأولي العزم من الرسل ذوي الصبر والجد والحزم والثبات في الدعوة وتبليغ دين الله تعالى. الذين صبروا على أذى المؤذين، وتكذيب الكاذبين، وجهل الجاهلين. حتى أتاهم نصر الله تعالى، فاصبر كما صبروا فتنتصر كما انتصروا، وتنتشر الدعوة ويدخل الناس في دين الله أفواجاً، ويتحقق وعد الله تعالى حيث قال: ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢١ ﴾[سورة المجادلة].

(١) عدة الصابرين، لابن قيم الجوزية، (١/٢٣٦) .
(٢) المصدر السابق، (١/٧٧) .

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [سورة الصافات] .

ويُذكِّر الله تعالى النبي ﷺ بقوله: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[سورة الأنعام].

ولا مبدل لكلمات الله تعالى، فهذه إرادته تعالى التي لا ترد ولا تقهر ولا تغير.. يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [سورة الأنبياء].

■ وينبِّه الله تعالى نبيَّه ﷺ أنك ولو صبرت كما صبر أولو العزم من الرسل في دعوة الناس إلى طريق الهداية، لبقي عدد منهم لا يستجيبون للدعوة ، ويُعرضون عن الهداية، فإذا كان يعظم عليك إعراضهم، وترغب وتحب أن تأتيهم بمعجزة خارقة ليهتدوا، فإن قدرت أن تتخذ نفقاً في الأرض أو سلماً يصعد بك إلى السماء فافعل وانظر هل تستطيع أن تأتيهم بمعجزة؟!!..

فيجب عليك الاستسلام لمشيئة الله تعالى الذي لو شاء لجمعهم على الهدى من غير جهدٍ منك، ولكن سنته في الكون ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [سورة الكهف:٢٩] فلا يشتد تحسُّرك على تكذيبهم، وإياك والجزع من إعراضهم عنك، فتقارب حال الجاهلين الذين لا صبر لهم.

يقول الله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [سورة الأنعام].

■ وأمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ بالصبر على ما يقوله أعداء الدعوة من التكذيب والإيذاء والتسفيه..

يقول الله تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ﴿١٣٠﴾ ﴾ [سورة طه].

ويقول تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [سورة الحجر].

وقدم الله تعالى لنبيه محمدٍ ﷺ دواءين للحزن الذي ينتابه بسبب ما يقوله أعداء الدعوة من تكذيب وإيذاء..

الأول: الصلاة والتسبيح والذكر والإعراض عن الخلق إلى الخالق، ونتيجته الرضى وذهاب الحزن؛ لأن في الذكر سلوى وطمأنينة للقلب وراحة للنفس.

الثاني: هجر المكذبين والمعاندين والمعرضين، والاشتغال بذكر الله تعالى والانقطاع إليه. يقول تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ﴿٩﴾ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ﴿١٠﴾ ﴾ [سورة المزمل] .

حقيقة

هذان الدواءان العظيمان يحتاج لهما جميع الدعاة الذين تضيق صدورهم بما يقوله أعداء الدعوة، وما يلحقونه من أذى شديد بهم وبالدعوة .. فلينتبهوا إلى هذا الكنز الثمين!!..

■ وينبغي للداعي أن يصبر على تبليغ رسالة الله تعالى وبيان أمره ونهيه، فإن فعل فهو في حفظ الله يكلؤه، ويكفيه مكر أعدائه وإيذائهم، وعليه أن يلتفت إلى الله تعالى بالذكر والتسبيح، ولا يلتفت إلى أذى المؤذين وجهل الجاهلين.

يقول تعالى مخاطباً نبيه محمداً ﷺ: ﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾ ﴾ [سورة الطور].

■ وأمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ بالصبر على تبليغ الوحي، وأداء الرسالة، والدعوة إلى الله، وتحمل الأذى في سبيل ذلك، ونهاه أن يكون كيونس عليه السلام الذي لم يصبر على دعوة قومه، فقال: ﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ﴿٤٨﴾ ﴾ [سورة القلم]. وأمره أيضاً أن يصبرَ ولا يطيعَ أحداً من الكافرين والمنافقين، الذين يريدون صدَّه عن تبليغ ما أُنزل إليه.. فيقول: ﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ﴿٢٤﴾ ﴾ [سورة الإنسان].

■ وأمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ بالدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة والحوار بالتي هي أحسنُ، ثم أمره بالصبر على ذلك، وأخبره بأن يجعل صبره وثباته مستمداً من الله تعالى، وطلب منه ألا يحزنَ من إعراضهم عن الهداية، وألا يضيقَ صدره بمكرهم وعداوتهم؛ لأن الله تعالى سينصره ويؤيده عليهم وسينصر ويؤيد كلَّ داعية تقي يعظِّم أمر الله تعالى ويجتنب نواهيه ويُحسن بالشفقة والصبر على خلقه..

يقول تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [سورة النحل].

وقوله: ﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ ﴾ إشارة إلى أن في الصبر بالله سكون القلب واطمئنانه بالله تعالى وذكره، وبه يحصل الصبر..

۞ ومن فقه الدعوة في هذه الآيات:

١- وجوب أن تكون الدعوة خالصة لله تعالى، دعوة إلى سبيله ودينه، لا دعوة إلى شخص أو جماعة أو مصلحة شخصية.

٢- وجوب أن يكون طريق وأسلوب الدعوة بالحكمة، والحكمةُ كلمةٌ شاملةٌ للأخذ بكل أسباب النجاح في الدعوة، العقلية والمنطقية والروحية والفكرية والعملية، ومراعاة أحوال الناس، وظروف الإنسان والمكان والإمكان..

٣- أن يكون طريق وأسلوب الدعوة بالموعظة الحسنة، أي بالعبر النافعة المؤثرة في النفوس والعقول، والمغيرة للسلوك.

٤- أن يكون طريق وأسلوب الدعوة بالمجادلة بالتي هي أحسن، أي: اختيار أحسن الطرق في الحوار، وإقامة الحجة بالدليل القاطع والبرهان، بلطف ولين ورفق من غير صِدام، ولا استعلاء أو استفزاز أو استعداء أو انفعال، ولا إهانة كرامة أو إذلال، ولا استخدام لكلمات جارحة صادمة عنيفة..

٥- على الداعي أن يبذل جهده بالدعوة إلى الله تعالى، وأما الهداية فهي بيد الله تعالى وحده، فليس على الداعي هداية الناس، وإنما عليه البلاغ، وعلى الله تعالى الحساب، وله تعالى الهداية.

٦- على الداعي إلى الله تعالى أن يستمدَّ الصبر من الله تعالى، فإن صبره وثباته بتوفيق الله وعونه.

٧- لا ينبغي للداعي إلى الله تعالى أن يعلِّق قلبه بالناس، لا بمَنْ

أَقبل ولا بمَنْ أعرض، بل يعلق قلبه بكليته بالله تعالى، ويشهد إرادته بأحوال الخلق، فلا يحزن من إعراض المعرضين، ولا إيذاء المؤذين، ولا مكر الماكرين، بل يجعل سروره بموافقة عمله وأحواله لما يرضي مولاه.

٨- على الداعي إلى الله تعالى أن يشعر بعظمة معيَّة الله تعالى له، في حال تقواه وإحسانه، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [سورة النحل] وهي معيَّةٌ خاصةٌ من الله تعالى، لمن يعمل بإخلاص وصدق بالدعوة إليه، ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾ [سورة طه] ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [سورة التوبة: ٤٠] إنها معيَّة النصر والحفظ والعناية والتأييد.

■ وأمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ أن يصبر في الدعوة، وأن يجعل صبره لله تعالى. قال تعالى: ﴿ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾ ﴾ [سورة المدثر].

وأمره أن يلتزم الامتثال للوحي والصبر على التبليغ حتى يأتيَ وعد الله. قال تعالى: ﴿ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [سورة يونس].

ووعْدُ الله تعالى وحُكمُه أن العاقبة للمتقين، وأنَّ الله تعالى لا يُضيع أجر المحسنين.. قال تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [سورة الروم].

وقال تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [سورة غافر].

وقال تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۚ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴿٥٥﴾ ﴾ [سورة غافر].

وقال تعالى: ﴿ ...فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [سورة هود].

■ ويطالب الله تعالى النبي ﷺ بالصبر، بل يُطالبه بما هو فوق الصبر المعهود، وهو أن يجعل صبره صبراً جميلاً، لا يشوبه استعجالٌ ولا اضطرابٌ ولا ضجرٌ.. قال تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلٗا ﴿٥﴾ ﴾ [سورة المعارج].

۞ وقفة تأمل وتحليل:

- مع أن رسول الله ﷺ، في مقام النبوَّة الذي لا يعلوه مقام..

- ومع أن رسول الله ﷺ، صاحب الخُلُق العظيم كما وصفه ربه.. ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴿٤﴾ ﴾[سورة القلم].

- ومع أن رسول الله ﷺ، مؤيد بالوحي والملائكة..

- ومع أن رسول الله ﷺ، اختاره الله تعالى وقال له: ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ ﴾ [سورة الطور:٤٨].

- ومع أن رسول الله ﷺ، هو المحفوظ بأمر الله تعالى...﴿ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ ﴾[سورة المائدة:٦٧].

- ومع أن رسول الله ﷺ، صاحب المواهب العظيمة روحياً وعلمياً وعقلياً.. حكمة وتزكية، بل هو معلمها..

- ومع أن رسول الله ﷺ، معصوم من الزلل والخطأ في تبليغ الرسالة..

مع كل ما سبق، وغيره كثير لا يُحصى، نشهد هذا التركيز العظيم من الله تعالى بتوجيه النبي ﷺ للتحلي بخُلق الصبر في الدعوة إلى الله تعالى.

فما بال الدعاة الذين لا يتصفون بشيء من صفات النبي ﷺ السابقة؟!!..يقصرون فلا يصبرون في دعوتهم إلى الله تعالى؟!!..ويستعجلون ولا يخططون..ويُحمِّلون الدعوة وأتباعها أحياناً الويلات والهزائم، ثم يكررون..

أليس الدعاة أولى بالتحلي بخلق الصبر وعدم الجزع، علماً بأنَّ النبي ﷺ أعطاه الله تعالى من المزايا ما لم يعطِ أحداً من البشرِ؟!!..

فعلى أهل الدعوة الصادقين الذين عرفوا الحق واتبعوه، وأرشدوا إليه، وتواصَوا به، أن يصبروا في الدعوة إلى الله تعالى، وأن يصبروا على نصرة الحق والرسالة، لأن نصرة الحق تجلب نقمة أهل الباطل وعدوانهم وأذاهم، وهذا يتطلب صبراً عظيماً على نصرة الحق، فاقتضى الحال أن يتواصَوا بالحق، وأن يتواصّوا بالصبر عليه.. قال تعالى: ﴿ **وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣** ﴾ [سورة العصر].

فصبر الداعي على الدعوة وعلى **نصرة الحق** خيرٌ له من صبره على مؤاخذة الله تعالى له بتركه .

يقول الشاعر:

إذا لم يكن بدٌّ من الصبر فاصطبر على الحق ذاك الصبر حمْدٌ عواقبُهْ

وقال ممشاد الدينوري: ((طريق الحقِّ بعيدٌ، والصبرُ مع الحقِّ شديدٌ))[1].

(١) صفة الصفوة، لابن الجوزي، (٤/٧٨).

■ واستجاب النبي ﷺ لدعوة ربه ﷻ فكان إمام الصابرين في الدعوة إلى الله تعالى وتبليغ الرسالة إلى الناس.

* فقد كذَّبه المشركون من قومه، وأدْمَوه في معركة أُحد، ومع ذلك صبر واحتسب ودعا لهم بالمغفرة. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه: ((كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَحْكِي نَبِيّاً مِنْ الْأَنْبِيَاءِ، ضَرَبَهُ قَوْمُهُ، فَأَدْمَوْهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ، وَيَقُولُ:« اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»))[1].

* ويوم حنين صبر النبي ﷺ على إيذاء المؤذين وجهْل الجاهلين. فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: ((لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ آثَرَ النَّبِيُّ ﷺ أُنَاساً فِي الْقِسْمَةِ، فَأَعْطَى الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةً مِنْ الْإِبِلِ، وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَعْطَى أُنَاساً مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ، فَآثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ-تألفاً لقلوبهم،وتقوية لإسلامهم- قَالَ رَجُلٌ: وَاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ الْقِسْمَةَ مَا عُدِلَ فِيهَا، وَمَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ. فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَأُخْبِرَنَّ النَّبِيَّ ﷺ .فَأَتَيْتُهُ، فَأَخْبَرْتُهُ، **فَقَالَ**: « فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟! رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ»))[2] .

* وصبرَ النبي ﷺ على إيذاء أبي لهب وأمثاله.. فعن ابن عباس-رضي الله عنهما- قال: ((لما نزلت ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [سورة الشعراء]. صَعِدَ النبيّ ﷺ على الصفا، فجعل **ينادي** :«يا بني فِهْرٍ ،يا بني عَدِيٍّ»-

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٣٤٧٧](ص/٦٧٠)، ومسلم في "صحيحه" برقم [١٧٩٢](ص/٧٤٥)، واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٣١٥٠]، (ص/٦٠٣)، ومسلم في "صحيحه" برقم [١٠٦٢](ص/٤٠٨)، واللفظ للبخاري.

لبطون قريش – حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً[1] لينظرَ ما هو. فجاء أبو لهبٍ وقريشٌ، **فقال**: « أرأيتَكُمْ[2] لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مُصَدِّقيَّ؟! ». قالوا:نعم، ما جربنا عليك إلا صدقاً!. **قال**:« فإني نذيرٌ لكم بين يَدَيْ عذابٍ شديدٍ ». فقال أبو لهب: تباً لك سائرَ اليومِ، ألهذا جمعتنا. فنزلت :﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ ﴾))[3].

* وجَمَعَ النبي ﷺ عشيرته الأقربين، **وقال لهم**: «إنَّ الرائدَ لا يكذب أهله، والله لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم، ولو غررت الناس جميعاً ما غررتكم، والله الذي لا إله إلا هو إني لرسول الله إليكم خاصة، وإلى الناس كافة، والله لتموتنَّ كما تنامون، ولتبعثنَّ كما تستيقظون، ولتحاسبنَّ بما تعملون، ولتجزونَّ بالإحسان إحساناً، وبالسوء سوءاً، وإنها لجنةٌ أبداً أو لنارٌ أبداً» فتكلم القوم كلاماً ليناً غير عمه أبي لهب الذي كان خصماً لدوداً فإنه قال: ((خذوا على يديه قبل أن تجتمع عليه العرب، فإن أسلمتموه إذاً ذللتم، وإن منعتموه قتلتم)) [4].

* ولما جَهَر بالدعوة سخرت منه قريشٌ واستهزؤوا به في مجالسهم، فصبر

(١) رسولاً : من يستطلع له الخبر.

(٢) أرأيتكم : أخبروني.

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه "برقم [٤٧٧٠] (ص/٩٢٩).

(٤) نور اليقين، محمد الخضري بك، (ص/٤٢).

وثبت واحتسب فكان إذا مرَّ عليهم في مجالسهم، يقولون: ((هذا ابن أبي كبشة يكلم السماء)) [1].

* ومرَّ معنا حديث السيدة عائشة –رضي الله عنها– في الصحيحين، بعد أن لقي ﷺ الإيذاء الشديد يوم العقبة، وبعد أن عرض له مَلَك الجبال ليطبقَ عليهم الأخشبين (الجبلين) مع كل ذلك صبر عليهم، **وقال**: «بل أرجو أن يُخرِجَ الله من أَصلابهم مَنْ يَعبدُ الله وحده لا يُشْرِكُ به شيئاً»[2].

قال ابن اسحاق: ((لما انتهى رسول الله ﷺإلى الطائف، عمدَ إلى نفرٍ من ثقيفٍ ... فجلس إليهم رسول الله ﷺ فدعاهم إلى الله وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الإسلام والقيام معه على من خالفه من قومه، فقال له أحدهم: هو يمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك، وقال الآخر: أما وجد الله أحداً يرسله غيرك، وقال الثالث: والله لا أكلمك أبدا. لئن كنت رسولاً من الله كما تقول لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلمك. فقام رسول الله ﷺ من عندهم وقد يئس من خير ثقيف، وقد قال لهم – فيما ذكر لي – : إذا فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني، وكره رسول الله ﷺ أن يبلغ قومه عنه فيذئرهم [3] ذلك عليه.

فلم يفعلوا، وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى

(١) المصدر السابق، (ص/٤٢).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٣٢٣١]، (ص/٦٢٠)، ومسلم في "صحيحه" برقم [١٧٩٥] (ص/٧٤٦)، واللفظ لمسلم.

(٣) ذئِر أي: اجترأ عليه وأظهر العصيان.

اجتمع عليه الناس وألجؤوه إلى حائط لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وهما فيه ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه فعمد إلى ظل حبلة[1] من عنب فجلس فيه. وابنا ربيعة ينظران إليه ويريان ما لقي من سفهاء أهل الطائف... فلما اطمأنَّ رسول الله ﷺ **قال**: «اللّهُمّ إلَيْك أَشْكُو ضَعْفَ قُوّتِي، وَقِلّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَى النّاسِ يَا أَرْحَمَ الرّاحِمِينَ أَنْتَ رَبّ الْمُسْتَضْعَفِينَ، وَأَنْتَ رَبّي، إلَى مَنْ تَكِلُنِي؟ إلَى بَعِيدٍ يَتَجَهّمُنِي[2]؟ أَمْ إلَى عَدُوّ مَلّكْتَهُ أَمْرِي؟ إنْ لَمْ يَكُنْ بِك عَلَيّ غَضَبٌ فَلَا أُبَالِي، وَلَكِنّ عَافِيَتَك هِيَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِك الّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظّلُمَاتُ وَصَلُحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ أَنْ تُنْزِلَ بِي غَضَبَك، أَوْ يَحِلّ عَلَيّ سُخْطُكَ، لَك الْعُتْبَى حَتّى تَرْضَى، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوّةَ إلّا بِك »)) [3].

* * * *

(١) الحبلة: هي شجرة العنب، أو قضبانها..

(٢) تجهمه: استقبله بوجه كريه.

(٣) سيرة ابن هشام (١/٤٢٠).

المبحث الثاني
طريقة الدعوة بالموعظة الحسنة

المطلب الأول: تعريفها.

المطلب الثاني: أنواعها.

المطلب الثالث: فوائدها.

المطلب الرابع: شروطها.

المطلب الخامس: تحسين أدائها.

المطلب السادس: شروط مهمة تُعين على الاستفادة منها.

إلهي
لست مقصودي ورضاك مطلوبي

طريقة الدعوة بالموعظة الحسنة.

وهي الطريقة الثانية من طرق الدعوة إلى الله تعالى ..

المطلب الأول: تعريفها.

الموعظة الحسنة: هي الأمر بالمعروف بالترغيب به، والنهي عن المنكر بالترهيب منه، بأسلوب يؤثر في النفوس والقلوب والعقول، فتستجيب للحق وتهجر الباطل.

يقول ابن السعدي في تفسيره: ((الدعوة بالموعظة الحسنة، وهو الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب.

إما بما تشتمل عليه الأوامر من المصالح وتعدادها، والنواهي من المضار وتعدادها، وإما بذكر إكرام من قام بدين الله وإهانة من لم يقم به.

وإما بذكر ما أعد الله للطائعين من الثواب العاجل والآجل وما أعد للعاصين من العقاب العاجل والآجل))[1].

المطلب الثاني: أنواعها.

والموعظة الحسنة نوعان:

موعظة عن طريق السمع، وموعظة عن طريق المشاهدة.

يقول ابن قيم الجوزية: ((والعظة نوعان: عظةٌ بالمسموعِ، وعظةٌ بالمشهودِ.

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (٤٥٢/١).

فالعظة بالمسموع: الانتفاع بما يسمعه من الهدى والرشد والنصائح التي جاءت على يد الرسل وما أوحى إليهم، وكذلك الانتفاع بالعظة من كل ناصح ومرشد في مصالح الدين والدنيا.

والعظة بالمشهود: الانتفاع بما يراه ويشهده في العالم من مواقع العبر وأحكام القدر ومجاريه، وما يشاهده من آيات الله الدالة على صدق رسله))[1] .

المطلب الثالث: فوائدها.

١- إن **الموعظة الحسنة** تستميل القلوب والنفوس، وتلينهما وتجتذبهما باستثارة مكامن الرغبة والشوق للعواقب الحسنة الناتجة عن الإيمان والعمل الصالح، فيتأثران بنور الهداية والرشاد.

٢- **والموعظة الحسنة** تُبعد الإنسان عن الشرور والآثام، باستثارة مكامن الخشية والحذر والخوف من العواقب المهلكة التي يمكن أن تنتج عنها.

٣- **والموعظة الحسنة** طريقة تستخدم في كل ما يتطلب عملية تأثيرية وجدانية بليغة بين طرفين، مثل التربية والعمل الإداري وغير ذلك.

٤- **والموعظة الحسنة** تشتد الحاجة إليها عند اشتداد سلطان الغفلة عند الإنسان، مما يجعله محتاجاً إلى جرعات قوية من الترغيب والترهيب ليصحو من غفلته ويعود إلى رشده. يقول ابن قيم الجوزية: ((إنما يشتد افتقار العبد إلى العظة وهي الترغيب والترهيب إذا ضعفت إنابته وتذكره وإلا فمتى قويت إنابته وتذكره: لم تشتد حاجته إلى التذكير والترغيب والترهيب ولكن تكون الحاجة منه شديدة إلى معرفة الأمر والنهي. والعظة يراد بها أمران : الأمر والنهي المقرونان بالرغبة

(١) مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية، (١/٤٤٤)

والرهبة ونفس الرغبة والرهبة. فالمنيب المتذكر: شديد الحاجة إلى الأمر والنهي والمعرض الغافل شديد الحاجة إلى الترغيب والترهيب))[1] .

٥- **والموعظة الحسنة** تجعل الاستفادة من العلوم أكبر؛ لأنه حينما يقترن العلم بمعرفة منافعه، ويقترن الجهل بمعرفة مضاره، فعند ذلك يكون الإنسان أكثر تقبلاً للعلم وانتفاعاً به، وأدعى للعمل به، مما لو حصل عليه مجرداً عن الترغيب والترهيب والموعظة.

٦- **والموعظة الحسنة** يحتاج إليها جميع الناس، عالمهم وجاهلهم، ومحسنهم ومسيئهم، وذاكرهم وغافلهم..

فلقد رغَّب النبي ﷺ أصحابه بالخير، ورهبهم وحذرهم من الشر، ولو كان أحد من الناس في غنى عن الموعظة الحسنة لكان أصحاب رسول الله ﷺ أولى بها، ومع كل ذلك كانوا يتسابقون إلى سماع مواعظه، بل يطلبون منه أن يعظهم، وكانوا أحرص الناس على الاستجابة للعمل بمواعظه بشوق واندفاع..

وهناك عدد كبير جداً من الأحاديث النبوية في الترغيب، ومثلها في الترهيب، قد صنفها العلماء في عدد كبير من الكتب التي تزدهي بها المكتبة الإسلامية، وكذلك فإن القرآن الكريم احتوى على عدد كبير جداً من المواعظ سواء في الترغيب أم الترهيب، وقد صُنِّفت كتبٌ كثيرةٌ فيها.

٧- **والموعظة الحسنة** تجمع بين التربية والتعليم، وهو أسلوب يعتمده القرآن الكريم، فيبدأ بتعليم الأحكام ويختم بالتربية والترغيب والترهيب مما يؤثر في النفوس ويلين القلوب، ومن الأمثلة على ذلك:

(١) المصدر السابق، (١/٤٤٥).

يقول الله تعالى: ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ ﴾ [سورة البقرة].

فبعد أن تحدث القرآن الكريم بجواز إتيان الرجل زوجته على أية كيفية يرغبانها، مادام الإتيان في موضع زرع الذرية والولادة، ودعا أيضاً إلى تهيئة كل طرف الطرف الآخر بما يحتاج لتحقيق أحسن لقاء، انتقل إلى الترغيب والترهيب فأمرهما بتقوى الله ليحذرا من مخالفة أوامره ونواهيه، ونبههما أنهما سيلاقيان الله تعالى يوم القيامة فيجازيهما على أعمالهما، ثم بشرهما بخيري الدنيا والآخرة، جزاء إيمانهما وعملهما بمقتضى هذا الإيمان.

فتأمل يا لها من موعظة كلها حُسْنٌ واستيفاءٌ بكل ما تقتضيه الحال، فقد اشتملت الموعظة على :

- أمور مادية.
- أمور شعورية.
- أمور نفسية.
- أمور روحية.

المطلب الرابع: شروطها.

١- **والموعظة الحسنة** يجب أن تكون منضبطة بضوابط الشريعة، فلا يمكن قبول موعظة ليس لها أصل في شرع الله، كما في المواعظ التي تعتمد على روايات الأساطير والإسرائيليات والأحاديث الموضوعة، أو شواهد تصادم نصاً من القرآن الكريم أو من السنة النبوية الشريفة.

حقيقة

إن حسن النيات وحده لا يكفي في عمل الدعوة إلى الله تعالى، بل لا بد من انضباط العمل الدعوي سلوكاً وقولاً وتطبيقاً بضوابط الشريعة المطهرة.

ومن الملاحظ أن بعض الدعاة يتطرفون في الترهيب أو الترغيب، ويغالون ويبالغون، فيضخمون الأمر الصغير أو يصغرون الأمر العظيم.

فلا بد من الانضباط والتقيد بالحد الشرعي ترغيباً وترهيباً فلا نتجاوزه زيادة أو نقصاناً.

٢- **والموعظة الحسنة** تحتاج إلى التوازن بين الترغيب والترهيب فلا يصح أن يطغى جانب على جانب آخر، ولا يصح أن نضع الأشياء في غير محلها، فنستخدم الترغيب في موضع يحتاج للترهيب، أو العكس، فإذا أكثرنا من الترغيب اتكل الناس، وإذا أكثرنا من الترهيب استيأس الناس وقنطوا.

يقول تعالى: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [سورة الأعراف].

ويقول تعالى: ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [سورة الأنبياء] .

٣- **والموعظة الحسنة** يجب أن تكون مؤثرة بليغة..

يقول تعالى : ﴿ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ ﴾ [سورة النساء]

يقول الرازي في تفسيره: ((القول البليغ صفة للوعظ فأمر تعالى بالوعظ ثم أمر أن يكون ذلك الوعظ بالقول البليغ وهو أن يكون كلاماً بليغاً ...حسن

الألفاظ حسن المعاني مشتملاً على الترغيب والترهيب والإحذار والإنذار والثواب والعقاب فإن الكلام إذا كان هكذا، عَظُم وقعه في القلب))[1].

ويقول أبو السعود في تفسير الآية: ((قولاً بليغاً مؤثراً واصلاً إلى كنه المراد مطابقاً لما سيق له من المقصود))[2].

وعن ابن عمر –رضي الله عنهما– قال: ((جَاءَ رَجُلَانِ مِنْ الْمَشْرِقِ فَخَطَبَا، **فَقَالَ النَّبِيُّ** ﷺ : «إِنَّ مِنْ الْبَيَانِ لَسِحْراً»))[3].

قال الإمام الصنعاني: ((فشبه الكلام العامل في القلوب الجاذب للعقول بالسحر لأجل ما اشتمل عليه من الجزالة وتناسق الدلالة وإفادة المعاني الكثيرة ووقوعه في مجازه من الترغيب والترهيب ونحو ذلك))[4].

٤- **والموعظة الحسنة** تكون أكثر فاعلية وتأثيراً إذا كان الواعظ لطيفاً ودوداً صاحب أخلاق رفيعة، فإن القلوب تتفتح لمواعظه، وتجد قبولاً وتفاعلاً..

٥- **والموعظة الحسنة** تحتاج إلى التحضير وترتيب الأفكار ودعمها بالشواهد والأدلة المساعدة حتى تحقق المقصود منها، وفي هذا احترام لعقول الناس ومشاعرهم وأوقاتهم، فلا يصح أن يُزدرى بها، فيزدرون بالواعظ والموعظة.

٦- **والموعظة الحسنة** حتى تحقق أهدافها تحتاج معرفة جيدة بالشرائح الاجتماعية التي تتوجه إليهم، ليكون الخطاب والأدلة متناسبة مع مستواهم الفكري والثقافي، وعاداتهم الاجتماعية.

---

(١) مفاتيح الغيب، للرازي، (١٠/١٦٤)

(٢) تفسير أبي السعود، (٢/١٩٦).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٥١٤٦](ص/١٠٢٠).

(٤) سبل السلام، للصنعاني، (٢/١٠٠).

٧- **والموعظة الحسنة** تحتاج للتدرج، وأن تُعطى حسب برنامج محدد وعلى مراحل.. فلا يصح أن نطالب المهتدين الجدد دفعة واحدة بأعمال الصديقين والمقربين والأولياء الصالحين.. بل نتدرج معهم خطوة إثر خطوة، ونرتقي بهم درجة إثر درجة باتجاه الكمال.

٨- **والموعظة الحسنة** تحتاج إلى مخاطبة الناس على قدر عقولهم، فلا يصح أن نخاطب النخب الفكرية كما نخاطب عوام الناس، ولا يصح أن نخاطب المسلمين الملتزمين كما نخاطب المقصرين، ولا يصح أن نخاطب المسلمين كما نخاطب غير المسلمين.

٩- **والموعظة الحسنة** تحتاج إلى مراعاة الحالة النفسية للسامعين، وقدرتهم على تحمل الموعظة، من حيث الوقت والموضوع والأسلوب وكمية المعلومات..

فمراعاة الوقت: تعني أن نتجنب الإطالة على الناس حتى لا يسأموا. ، **فعَنِ ابنِ مَسْعُودٍ** ﷺ **قَالَ**: ((كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْأَيَّامِ كَرَاهَةَ السَّآمَةِ علينا))[1].

ومراعاة الموضوع: تعني أن نختار موضوعاً مناسباً لطبيعة اللقاء، فلا نتحدث عن موضوع الموت في مناسبة فرح، ولا نتكلم عن الزواج والأفراح في مناسبة حزن.

ومراعاة الأسلوب: تعني أن نختار طبقة الصوت المناسبة، ونتجنب الصراخ أو الأسلوب الموغل في الهدوء، والذي يؤدي إلى نوم المستمعين،

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه"برقم [٦٨] (ص/٣٩)، ومسلم في "صحيحه"برقم [٢٨٢١] (ص/١١٣٤)، واللفظ للبخاري .

ويجب أن نستخدم الأسلوب التقريري أو الحماسي أو العاطفي أو المزج بنسب بينهما حسب ما يقتضيه الحال.

ومراعاة كمية المعلومات: نلاحظ أن بعض الدعاة تدفعه عواطفه لدرجة يريد أن يصب كل ما لديه من معلومات في أذهان سامعيه، وما علم أن النفوس والقلوب والعقول أواني تستقبل بقدر اتساعها، فإذا امتلأت في جلسة الوعظ فكل زيادة تضر في حال المستمعين ولا تنفع.

١٠- **والموعظة الحسنة** تحتاج لاستخدام أساليب تساعد على قوة تأثير الموعظة في الناس، مثل:

- ضرب الأمثال.
- القصص.
- الثناء.
- التساؤل.

١١- **والموعظة الحسنة** يجب ألا تكون مباشرة، بل يجب استخدام التعريض والتورية والكناية، حتى تكون نصيحةً لا فضيحةً، لأن الناس لا يتقبلون وعظهم على نحو صادم لمشاعرهم، والموعظة غير المباشرة تدخل إلى قلوب الناس سهلةً لطيفةً، فيتقبلونها، ويبقى حبل المودة بين الواعظ والناس قائماً لا ينقطع.. وكان النبي ﷺ يستخدم أسلوب التعريض والكناية في وعظه، **فيقول**: « **مَا بَالُ أَقْوَامٍ** »[1] .

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٢٧٣٥] (ص/٥٢٦).

المطلب الخامس: تحسين أدائها.

والموعظة الحسنة يمكن أن يحسنها الواعظ بالتدريب والتأهيل وكثرة الممارسة، وكثرة القراءة، وتوسيع قاعدة المعرفة والعلوم، ومصاحبة ومجالسة العلماء الموهوبين بالوعظ، وكثرة الاستماع للوعاظ البلغاء المؤثرين والأخذ عنهم.

المطلب السادس: شروط مهمة تُعين على الاستفادة منها.

١- ومن الشروط اللازمة للاستفادة من الموعظة،الإيمان بالله تعالى.

يقول تعالى: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [سورة الذاريات].

يقول ابن السعدي في تفسيره: ((والتذكير نوعان: تذكير بما لم يعرف تفصيله، مما عرف مجمله بالفطر والعقول فإن الله فطر العقول على محبة الخير وإيثاره، وكراهة الشر والزهد فيه، وشرعه موافق لذلك، فكل أمر ونهي من الشرع، فإنه من التذكير، وتمام التذكير، أن يذكر ما في المأمور به ، من الخير والحسن والمصالح، وما في المنهي عنه، من المضار.

والنوع الثاني من التذكير: تذكير بما هو معلوم للمؤمنين، ولكن انسحبت عليه الغفلة والذهول، فيذكرون بذلك، ويكرر عليهم ليرسخ في أذهانهم، وينتبهوا ويعملوا بما تذكروه، من ذلك، وليحدث لهم نشاطًا وهمة، توجب لهم الانتفاع والارتفاع.

وأخبر الله أن الذكرى تنفع المؤمنين، لأن ما معهم من الإيمان والخشية والإنابة، واتباع رضوان الله، يوجب لهم أن تنفع فيهم الذكرى، وتقع الموعظة منهم موقعها)) [1].

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لابن السعدي، (٨١٢/١).

٢- ومن الشروط اللازمة للاستفادة من الموعظة،الخشية والخوف من الله تعالى.

يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ ﴾ [سورة النازعات].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾ [سورة النازعات].

وقد خُصص أهل الخشية بالانتفاع من الموعظة لأنهم هم الذين يستجيبون لله ورسوله، ويتعظون بما يوعظون، وينتفعون بما يخاطبون، ويفعلون ما يؤمرون، وينتهون عما نهوا عنه.. ويخافون يوم القيامة وأهواله، والحساب ونتائجه، فهم يستعدون لهذا اليوم ويعملون من أجله...

يقول تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾ ﴾ [سورة ق].

وفي الموعظة عبرة لمن يخشى الله تعالى، فيتقيه ويخاف من مخالفته، ويحذر من غضبه وسخطه، بل في الموعظة عبرة للأكابر من أهل الخشية الذين يخافون التفات الله تعالى عنهم، بسبب وقوعهم في الغفلة عن ذكره والشعور بمعيته.

يقول الله تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ﴾ [سورة الأعلى].

فأهل الخشية سيذكرون وينتفعون بالموعظة، وأما الأشقياء من لا فهم لهم ولا عقل ولا خشية فلا تنفعهم الموعظة.

((ولما كان الانتفاع بالذكرى مبنياً على حصول الخشية في القلب، وصفات القلوب مما لا اطلاع لأحد عليها إلا الله سبحانه، وجب على الرسول تعميم الدعوة تحصيلاً للمقصود)) [1].

(١) مفاتيح الغيب، للرازي، (١٤٩/٣١).

ويرى بعض المفسرين أن التذكير والموعظة مشروط بالانتفاع..

يقول ابن السعدي في تفسيره: ((ومفهوم الآية أنه إن لم تنفع الذكرى، بأن كان التذكير يزيد في الشر، أو ينقص من الخير، لم تكن الذكرى مأمورًا بها، بل منهيًا عنها، فالذكرى ينقسم الناس فيها قسمين: منتفعون وغير منتفعين.

فأما المنتفعون، فقد ذكرهم بقوله: ﴿ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ الله تعالى، فإن خشية الله تعالى، وعلمه بأن سيجازيه على أعماله، توجب للعبد الانكفاف عن المعاصي والسعي في الخيرات.

وأما غير المنتفعين، فذكرهم بقوله: ﴿ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ﴾ وهي النار الموقدة، التي تطلع على الأفئدة))[1] .

٣- ومن الشروط اللازمة للاستفادة من الموعظة، امتلاك القلب الواعي والاستماع بحضور العقل وشهود الحقائق.

يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ [سورة ق].

يقول الجصاص: ((قوله: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ ﴾ يعني عقلاً؛ لأن من لم ينتفع بعقله فكأنه لا قلبَ له، إذ كان العقل بالقلب))[2] .
ويقول البيضاوي: ((وبالقلب ما هو محل العلم وقد يطلق ويراد به العقل والمعرفة))[3].

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لابن السعدي، (١/٩٢٠).
(٢) أحكام القرآن، للجصاص، (١/٢٢٨).
(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي، (١/٢٣)

وقال: ((﴿ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ ﴾ أي: قلب واع يتفكر في حقائقه. ﴿ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ ﴾ أي أصغى لاستماعه ﴿ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ حاضر بذهنه ليفهم معانيه أو شاهد بصدقه فيتعظ بظواهره وينزجر بزواجره. وفي تنكير القلب وإبهامه تفخيمٌ وإشعارٌ بأن كل قلب لا يتفكر ولا يتدبر فلا قلب))[1].

فالذكرى تكون ﴿ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ ﴾ واعٍ، ومن لا يتذكر فلا قلب له يتذكر، لقسوته، أو ختمه، أو حجابه، أو كثرة رانه من كثرة ذنوبه، أو بسبب عمى قلبه، أو قفله وطبعه..

أو ﴿ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ ﴾ أصغى واستمع بوعي، كقوله تعالى: ﴿ لِنَجۡعَلَهَا لَكُمۡ تَذۡكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [سورة الحاقة]. والسمع مع الوعي قرين العقل، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ ﴾ [سورة الملك].

﴿ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ أي استمع الموعظة فوعاها، وفهمها، لأنه شاهد للحقائق غير غائب عنها، ولأن قلبه حاضر غير غافل عن السماع، ولا ميت، لأن القلب الميت بالغفلة عن الله تعالى لا يتذكر..

فالموعظة والذكرى حتى تنفع تحتاج إلى حياة القلب والعقل..

يقول تعالى: ﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّٗا ﴾ [سورة يس: ٧٠]

ويقول تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾ [سورة النمل: ٨٠] الذين ماتت قلوبهم.

يقول الشاعر:

---

(١) المصدر السابق، (٢/٤٢٤وما بعدها)

لقد أسمعت لو ناديت حيَّاً ولكن لا حياة لمن تنادي[1]

٤- ومن الشروط اللازمة للاستفادة من الموعظة، الاستبصار والتفكر والتعقل.

يقول الله تعالى: ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ [سورة البقرة].

إن الذين ينتفعون من الموعظة هم أصحاب العقول المتصفون بالحكمة التي هي معرفة الحقائق، وفعل الصواب.

فأولو الألباب هم الحكماء العلماء العاملون وفق مقتضى الحكمة، وكمال الإنسان بالعلم والعمل، فمن علم الحق والمقصود منه، ثم عمل بمقتضى ذلك، فقد أصاب في القول والعمل، وأنزل الأمور في منازلها، وهؤلاء الذين ينتفعون بالموعظة، وهم العاقلون أولو الألباب..

يقول الله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [سورة الزمر].

والانتفاع بالموعظة يحتاج للاستبصار والتفكر في الأمور، يقول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ ﴾ [سورة الفرقان].

وقوله تعالى: ﴿ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا ﴾ أي لم ينكبوا عليها، وهم في صمم عن سماع الحق، وفي عمى عن إبصاره..بل هم يفكرون ويستبصرون، فتنفعهم المواعظ وينفعهم التذكير..

(١) ديوان كثير عزة ، (ص//٢٢٢).

يقول البيضاوي في تفسيره: ((﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ ﴾ بالوعظ أو القراءة ﴿ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾ لم يقيموا عليها غير واعين لها ولا متبصرين بما فيها كمن لا يسمع ولا يبصر بل أكبوا عليها سامعين بآذان واعية مبصرين بعيون راعية))[1].

فزيادة البصيرة بقوة التفكر واستحضار التجارب والخبرات، يجعل الإنسان أكثر استجابة للمواعظ، لأنها تصبح من محبوباته..

يقول ابن قيم الجوزية: ((فكلما قوي الشعور بالمحبوب اشتد سفر القلب إليه وكلما اشتغل الفكر به ازداد الشعور به والبصيرة فيه والتذكر له))[2].

ويقول الله تعالى: ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩﴾ ﴾ [سورة الرعد].

فكيف يستفيد من الموعظة من هو أعمى القلب والعقل؟!!..

يقول الله تعالى: ﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُواْ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ ﴾ [سورة الأعراف].

٥- ومن الشروط اللازمة للاستفادة من الموعظة،تحكيم الحقيقة والابتعاد عن الهوى.

يقول الله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ

(١) تفسير البيضاوي، (١٤٨/٢).

(٢) مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية، (٤٤٤/١).

﴿وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الجاثية].

﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ قال قتادة: ((لا يهوى شيئاً إلا ركبه لا يخاف الله)) وقال أبو بكر: ((وقد روي في بعض الأخبار أن الهوى إله يعبد وتلا قوله تعالى ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ يعني يطيعه كطاعة الإله.)) [(١)].

ويقول البيضاوي في تفسيره: ((﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ ترك متابعة الهدى إلى متابعة الهوى فكأنه يعبده... لأنه كان أحدهم يستحسن حجراً فيعبده فإذا رأى أحسن منه رفضه إليه ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ﴾ وخذله ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ عالماً بضلاله وفساد جوهر روحه ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ﴾ فلا يبالي بالمواعظ ولا يتفكر في الآيات ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾ فلا ينظر بعين الاستبصار والاعتبار... ﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ﴾ من بعد إضلاله ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾)) [(٢)].

والذي لا يُحكِّم العلم الصحيح، والعقل الحكيم، ويتبع هواه، فقد وصل إلى ذلك نتيجة الختم على سمعه فلا يستمع إلى الحقائق، والختم على قلبه فلا تدخل أنوار الهداية إليه، ووجود غشاوة على عينيه فلا يبصر حقائق الأمور ولا يعتبر، وبعد كل هذا من يستطيع أن يهديه بعد أن أضله الله تعالى؟!!..

والجواب: لا يستطيع أحد هدايته؛ لأنه سد على نفسه جميع أبواب الهداية، واتبع هواه وفتح لنفسه أبواب الغواية والضلال..

لذلك أمرنا الله تعالى أن نبتعد عمن يتبعون أهواءهم؛ لأن اتباع الهوى يؤدي إلى الهلاك.

---

(١) أحكام القرآن، للجصاص، (٦٢٢/٥).

(٢) تفسير البيضاوي، (٣٨٩/٢) .

قال تعالى: ﴿ ... وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [سورة الكهف].

وسبب اتباع الهوى هو غفلة القلب عن الله تعالى، فإذا غفل القلب عن الله تعالى، لم تنفعه المواعظ..

يقول النبي ﷺ: « ثلاث منجيات: خشية الله تعالى في السر والعلانية، والعدل في الرضا والغضب، والقصد في الفقر والغنى. وثلاث مهلكات: هوى متبع، وشح مطاع، وإعجاب المرء بنفسه »[1].

يقول ابن قيم الجوزية: ((ولا يتم ذلك-أي الانتفاع بالعظة- إلا بالسلامة من الأغراض، وهي متابعة الهوى والانقياد لداعي النفس الأمارة بالسوء فإن اتباع الهوى يطمس نور العقل ويعمي بصيرة القلب ويصد عن اتباع الحق ويضل عن الطريق المستقيم، فلا تحصل بصيرة العبرة معه البتة، والعبد إذا اتبع هواه فسد رأيه ونظره، فأرته نفسه الحسن في صورة القبيح والقبيح في صورة الحسن، فالتبس عليه الحق بالباطل، فأنى له الانتفاع بالتذكر والتفكر أو بالعظة)) [2].

٦- ومن الشروط اللازمة للاستفادة من الموعظة،الاعتبار.

وهو الاستفادة من التجارب التي مرت مع الآخرين أو التي خبرها الإنسان بنفسه، وقراءة الدروس المستفادة منها والأخذ بها في السلوك

(١) الجامع الصغير، للسيوطي،برقم [١٠٧٧٤](١٥٢/٤)، وهو حسن .
(٢) مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية، (٤٤٩/١).

والأعمال، وحفظها في خزائن الأفكار.. فإذا استمع الإنسان إلى مواعظ تتحدث عن أحداث جرت مع الناس، نظر نظرة البصير بنتائجها، واعتبر بها حتى لا يقع في أخطائها، مما يحقق له الانتفاع على أحسن وجه..

يقول الله تعالى: ﴿ ...فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٢﴾ ﴾ [سورة الحشر].

● والناس في الاعتبار مراتب، فمنهم من يعتبر بظواهر الأحداث، ومنهم من يعتبر بجوهرها وحقائقها، وأعلاهم مرتبة العارفون بالله تعالى أصحاب القلوب والبصائر، فهؤلاء يَعبُرون ببصيرتهم من الأثر إلى المؤثر، ومن الصنعة إلى الصانع، ومن الحدث إلى المُحدِثِ..

يقول ابن قيم الجوزية: ((والاعتبار: افتعال من العبور، وهو عبور القلب من الملزوم إلى لازمه، ومن النظير إلى نظيره))[1].

ويقول الله تعالى: ﴿ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّٰمِ ٱللَّهِ ﴾ [سورة لإبراهيم:٥].

يقول ابن قيم الجوزية: ((وهي وقائعه التي أوقعها بأعدائه، ونعمه التي ساقها إلى أوليائه. وسميت هذه النعم والنقم الكبار المتحدث بها أياماً؛ لأنها ظرف لها. تقول العرب: فلان عالم بأيام العرب وأيام الناس. أي: بالوقائع التي كانت في تلك الأيام. فمعرفة هذه الأيام توجب للعبد استبصار العبر وبحسب معرفته بها تكون عبرته وعظته))[2].

قال الله تعالى: ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [سورة يوسف: ١١١]

(١) المصدر السابق، (٣/ ٣٥٧).

(٢) المصدر السابق، (١/٤٤٩).

يقول الشريف الرضي:

وما نظرت إلى الأيام معتبراً إلاّ وَأعطاكَ كَنزَ العِبرَةِ النّظَرُ [1]

ويقول الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾﴾ [سورة آل عمران].

حقيقة

فالعبرة ثمرة البصيرة، فإذا تبصر الإنسان اعتبر، ومن عَدِمَ العبرة فلا بصيرة له.

- والاعتبار بالأحداث والاستفادة منها بفعل الصواب وتجنب الأخطاء، يتطلب من المعتبر العبور بالتبصر من صور الأحداث ومظاهرها إلى جوهرها وحقائقها..

فقد جاء في مدارج السالكين: ((الناظر في هذا الباب رجلان: رجل ينظر إلى الأشياء، ورجل ينظر في الأشياء. فالأول: يحار فيها، فإن صورها وأشكالها وتخاطيطها تستفرغ ذهنه وحسّه، وتبدِّد فكره وقلبه، فنظره إليها بعين حسه لا يفيده منها ثمرة الاعتبار ولا زبدة الاختبار؛ لأنه لما فقد الاعتبار أولاً فإنه فقد الاختيار ثانياً. وأما الناظر في الأشياء، فإن نظره يبعثه على العبور من صورها إلى حقائقها، والمراد بها، وما اقتضى وجودها من الحكمة البالغة، والعلم التام، فيفيده هذا النظر تمييز مراتبها، ومعرفة نافعها من ضارها، وصحيحها من سقيمها، وباقيها من فانيها، وقشرها من لبّها، ويميز بين الوسيلة والغاية، وبين وسيلة الشيء ووسيلة ضده. فيعرف حينئذ أن

(١) ديوان الشريف الرضي، (٣٥٦/٢).

الدينا قشر والآخرة لبه، وأن الدنيا محل الزرع والآخرة وقت الحصاد، وأن الدنيا معبر وممر والآخرة دار مستقر))[1].

يقول الله تعالى: ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [سورة غافر]. والمنيب هو الذي يستفيد من المواعظ والتذكير ويعتبر، فيرجع عن الخطأ إلى الصواب، ويُصلح ما أفسد..

ويزداد اعتبار الإنسان من الحوادث بزيادة عقله وسعة خبرته ومعرفته بما جرى ويجري في حياة الناس..

يقول ابن قيم الجوزية: ((وإنما تستبصر العبرة بثلاثة أشياء: بحياة العقل، ومعرفة الأيام، والسلامة من الأغراض. إنما تتميز العبرة وترى وتتحقق بحياة العقل. والعبرة هي الاعتبار. وحقيقتها: العبور من حكم الشيء إلى حكم مثله، فإذا رأى من قد أصابته محنة وبلاء لسبب ارتكبه عِلم أن حكم من ارتكب ذلك السبب كحكمه. وحياة العقل: هي صحة الإدراك، وقوة الفهم وجودته، وتحقق الانتفاع بالشيء والتضرر به، وهو نور يخص الله به من يشاء من خلقه، وبحسب تفاوت الناس في قوة ذلك النور وضعفه ووجوده وعدمه يقع تفاوت أذهانهم وأفهامهم وإدراكاتهم))[2].

٧- ومن الشروط اللازمة للاستفادة من الموعظة،صحبة الأخيار والبعد عن الأشرار.

يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ

(١) مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية، (٢٧٨/٣).

(٢) المصدر السابق، (٤٤٧/١وما بعدها)

﴿ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [سورة التوبة].

ويقول النبي ﷺ: «الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»[1].

إن صحبة الأخيار تُعين المرء على الاستفادة من المواعظ الظاهرة على اللسان، والمواعظ المشاهدة في الأعيان.

- **والأصحاب صنفان:**

صنف يعينك على الموعظة بلفظه ولحظه وعمله...وصنف يثبطك عنها ويدفعك للازدراء بها والسخرية منها، ويدفعك لتركها..

يقول تعالى : ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [سورة التوبة].

ولذلك دعانا الله تعالى لصحبة الأتقياء الصادقين الأخيار والبعد عن الأشرار..

وهؤلاء الأخيار هم النصحة العاقلون الذين يدفعونك إلى الخير ويعينونك عليه بحالهم وقالهم..

يقول ابن حبان البستي: ((والواجب على العاقل... لزوم صحبة العاقل الأريب وعشرة الفطن اللبيب؛ لأن العاقل وإن لم يصبك الحظ من عقله أصابك من الاعتبار به))[2].

(١) أخرجه أبو داود في "سننه" برقم [٤٨٣٣](ص/٥٢٦)، وهو حسن.
(٢) روضة العقلاء، لابن حبان البستي، (ص/١٠٧).

ويقول سيدنا علي رضي الله عنه:

فَــلا تَــصحَب أَخــا الجهــلِ وَإيَّـــــاكَ وَإيَّـــــاهُ
فَكَـــم مِـــن جاهِـــلٍ أَردى حَليمـــاً حـــينَ آخـــاهُ
يُقـــاسُ المَـــرءُ بِالمَـــرَءِ إذا مـــا هُـــوَ ماشـــاهُ
وَلِلـــشَـــيءِ مِـــن الـــشَـــيءِ مَقـــاييسٌ وَأَشبـــاهُ
وَلِلقَلـــبِ عَلـــى القَلـــبِ دَليـــلٌ حيـــنَ يَلقـــاهُ[1]

وقالوا:

إذَا كُنْـتَ فِي قَـومٍ فـصَاحِب خِيَـارَهُم وَلا تَصْحَب الأَرْدَى فَتَـرْدَى مع الـرَّدِيْ
عَـنِ الَمْـرءِ لا تَـسألْ وسَـلْ عَـنْ قَرينـهِ فكُـلُّ قَـرِيـنٍ بالمُـقَارَنِ يَقتَـدي[2]

حقيقة

إن صحبة الأشخاص المتميزين ستؤثّر فيك إيجابياً؛ لأن الطباع يأخذ بعضها من بعض، ولسوف تنتقل إليك هذه الخصال الحميدة، حتى تصبحَ جزءاً لا يتجزَّأ من شخصيتك، فهذه الصحبة تدريب وتأهيل غير مباشر تتقبله النفس برضا وسرور.

- **والأصدقاء ثلاثة: دواء، وداء، وغذاء..**

يجب أن نبحث عن الأصدقاء المتميزين بخبرتهم وتجاربهم وعلمهم.. فهؤلاء **كالدواء**؛ لأننا بحاجة ماسَّة إليهم..

ويجب أن نبتعد عن أصدقاء السوء؛ لأنهم **كالداء** يصيبونك بالأمراض

(١) ديوان سيدنا علي بن أبي طالب (ص/ ١٥٣).
(٢) العقد الفريد، لابن عبد ربه الأندلسي (١٦٧/٢).

القاتلة التي لا تقتل جسم الإنسان، بل تقتل روحه وقيمه ومستقبله، وتسبب له الشقاء في الدنيا والآخرة..

وهناك أصدقاء ربانيون صالحون مقربون إلى الله تعالى، يمتلكون العلم والمعرفة بالله، حكماء فقهاء ألباء، منورة قلوبهم، مزكاة نفوسهم، مشرقة أرواحهم، فهم **كالغذاء** لا يُستغنى عنهم أبداً..

يقول النبي ﷺ :« إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ[1] وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً »[2].

ويقول النبي ﷺ: « لا تُصاحبْ إلا مؤمناً ولا يأكلْ طعامَك إلا تقي»[3].

إضاءة

هناك من الأصحاب من يضحي بنفسه من أجل سعادتك، وهناك من الأصحاب من يضحى بك من أجل مصلحته وأهوائه..

يقول ابن حبان البستي: ((العاقل يلزم صحبة الأخيار، ويفارق صحبة الأشرار؛ لأن مودَّةَ الأخيار سريعٌ اتصالُها بطيءٌ انقطاعُها. ومودَّة الأشرار سريعٌ انقطاعُها بطيءٌ اتصالُها. وصحبة الأشرار تورث سوءَ الظن بالأخيار، ومن خادنَ الأشرارَ لم يسلمْ من الدخول في جملتهم. فالواجب على العاقل أن يجتنبَ أهلَ الريبِ لئلَّا يكون مريباً. فكما أن صحبة الأخيار تورث الخيرَ،

(١) يحذيك: أي يعطيك بدون ثمن.

(٢) أخرجه البخاري في"صحيحه" برقم [٥٥٣٤] (ص/١٠٩١)، ومسلم في "صحيحه" برقم [٢٦٢٨] (ص/١٠٥٥)، واللفظ لمسلم.

(٣) أخرجه ابن حبان في"صحيحه" برقم [٥٥٤] (٣١٤/٢)، وهو حسن.

كذلك صحبة الأشرار تورث الشرَّ)) [1] .

حقيقة

كم من إنسان ناجح ومتميز علمياً وأخلاقياً واجتماعياً كان من وراء ما حققه صاحب صالح وصديق متميز..

٨- ومن الشروط اللازمة للاستفادة من الموعظة،الرغبة في الاستجابة وعدم الإعراض.

يقول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ ﴾ [سورة الكهف].

إن الانتفاع بالموعظة والتذكير مرتبط بالإقبال عليهما والرغبة في معرفة حقائق الأمور في بواطنها وظواهرها، وكل ذلك ليتبع سماع الموعظة الانتفاع منها والعمل بموجبها، وتغير السلوك والأفكار بما يتناسب معها.. أما إذا كان الإنسان مُعْرضاً عن الموعظة، ومدبراً عن التذكير، فإن المواعظ لا تنفعه..

وحقيقة الأمر لأن الإعراض عقوبة من الله ﷻ للمعاندين المصرين على المعصية أو الكفر، فسبب إعراضهم الإغلاق أو القفل على قلوبهم بالحجب الكثيفة، فلا ترى حقائق الأشياء ولا تتعظ ولا تعتبر، بسبب عماها وصممها من كثرة المعاصي والغفلة والبعد عن الله تعالى..

ومن كان هذا حاله فهو لا يفقه عن الله تعالى شيئاً، فلا يأتمر بأوامره ولا

(١) روضة العقلاء، لابن حبان البستي، (ص/٩١).

ينتهي بنواهيه، ولا يستجيب للهداية، ويُعْرض عن الأنبياء والدعاة والواعظين، والنتيجة أن هذا الإنسان المعرض من أظلم الناس لنفسه أولاً وللآيات البينات الدالة على الحقيقة والهداية ثانياً..

وهذا الظلم العظيم الذي وقع به، سببه إعراضه عن الحق بعد أن رآه، وولوغه في الضلال بعد ما تبينه..

يقول الله تعالى: ﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ﴾ [سورة الأنبياء].

لقد اقترب موتهم وحسابهم وهم غافلون عن ذلك معرضون عن الهداية، يُذكرون فلا يتذكرون، ويوعظون فلا يتعظون، غارقون في لهوهم ولعبهم، وكأن الحياة لا موت فيها ثم لا بعث ولا حساب، بل يتآمرون على الواعظ الذي ينبههم ويذكرهم، فهم الظالمون..

بل إنهم يسخرون!!.. بل ويبالغون في سخريتهم من الأنبياء والدعاة، ويعرضون ويرفضون عظاتهم وتذكيرهم..

يقول تعالى: ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [سورة الصافات].

إضاءة

فالإعراض عن الدعاة وعدم قبول المواعظ والتذكير، دليلٌ على شقاء الإنسان وظلمه لنفسه، فمن وجد في سلوكه شيئاً من هذا ، فليسرع إلى الإنابة إلى الله تعالى، وإصلاح ما أفسد..

المبحث الثالث
طريقة الدعوة بالحوار والمجادلة بالتي هي أحسن

المطلب الأول: حاجة الدعاة إليها.

المطلب الثاني: حقيقتها.

المطلب الثالث: أنواعها.

المطلب الرابع: على من تجب، وعلى من تُحظر؟!.

المطلب الخامس: فوائدها.

المطلب السادس: شروطها.

المطلب السابع: نماذج من حوارات ومجادلات ومناظرات النبي ﷺ مع النصارى.

المطلب الثامن: من فقه هذا الحوار.

المطلب التاسع: نماذج من حوارات ومجادلات ومناظرات النبي ﷺ مع المشركين.

المطلب العاشر: من فقه هذا الحوار.

المطلب الحادي عشر: نماذج من حوارات ومجادلات ومناظرات الأنبياء مع أقوامهم الكافرين.

أولاً: حوار نوح عليه السلام مع قومه، وفقه هذا الحوار.

ثانياً: حوار إبراهيم عليه السلام مع قومه، وفقه هذا الحوار.

ثالثاً: حوار موسى عليه السلام مع قومه، وفقه هذا الحوار.

المطلب الثاني عشر: سمات حوارات ومجادلات ومناظرات الأنبياء مع أقوامهم.

طريقة الدعوة بالحوار والمجادلة بالتي هي أحسن

وهي الطريقة الثالثة من طرق الدعوة إلى الله تعالى..

المجادلة من طبيعة الإنسان:

تميل طبيعة الإنسان إلى المجادلة، وتأبى الخضوع للحق، فمع أن الله تعالى صرَّف وبيَّن الحقائق للكافرين بالأمثال والأدلة والبراهين، فإنهم يرفضون الخضوع للحق، والسير في طريق الهداية، ويجادلون بالباطل ويستهزئون بقصد الخصومة ودحض الحق...

يقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ ﴾ [سورة الكهف].

ويقول الله تعالى: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [سورة الكهف].

ليدحضوا به الحق أي: ((ليزيلوا بالجدال بالباطل الحق ويبطلوه، وأصل الدحض الزلق))[1].

المطلب الأول: حاجة الدعاة إليها.

إن المجادلة بضوابطها وشروطها في الإسلام هي مما يحتاج إليه الداعي إلى الله تعالى؛ لإقناع الناس بالإسلام، وإقامة الحجة بالدليل والبرهان، بقصد بيان الحق وهداية الخلق، ولهذا دعانا الله تعالى أن ندعو إليه بطريقة المجادلة بالتي هي أحسن..

(١) تفسير فتح القدير، للشوكاني، (٣/٢٩٦).

وقد ورد موضوع الجدل في القرآن الكريم في تسع وعشرين موضعاً، ناهيك عن الآيات التي وردت في القرآن بمعنى الجدال مثل الآية /٦٦/ في سورة آل عمران، وأمثالها..

المطلب الثاني: حقيقتها.

إن المجادلة في حقيقتها مزيج من المناظرة والحوار، والدليل هو قول الله تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [سورة المجادلة]. فهنا المجادلة هي أقرب إلى الحوار؛ لأن الحوار في حقيقته هو مراجعة الكلام والمجاوبة..

ويقول تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [سورة العنكبوت]. وهنا المجادلة تنتقل بين الحوار والمناظرة على حسب طبيعة الأشخاص المتحاورين؛ لأن المناظرة تكون بين طرفين لهما اعتقادات مختلفة.

المطلب الثالث: أنواعها.

المجادلة نوعان: محمودة، ومذمومة.

فالمجادلة المحمودة: ما قُصد منها بيان الحقيقة، والدعوة إلى الهداية. يقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ... ﴾ [سورة العنكبوت].

والمجادلة المذمومة: ما قُصد منها الخصومة، ورد قول الخصم حقاً كان أو باطلاً. أو ما قُصد منها نصرة الباطل.. يقول الله تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا

﴿ خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [سورة الزخرف].

المطلب الرابع: على من تجب، وعلى من تُحظر؟!.

إن مجادلة ومناظرة من يجهلون الإسلام أو يعادونه، **واجبةٌ** على أهل العلم والدعاة المتمكنين في هذا الفن.

ويرى ابن قيم الجوزية أن من فقه قصة مجادلة النبي ﷺ وحواره مع وفد نصارى نجران: ((جوازُ مجادلة أهل الكتاب ومناظرتهم، بل استحبابُ ذلك، **بل وجوبُه** إذا ظهرت مصلحتُه من إسلام مَن يُرجى إسلامُه منهم، وإقامة الحُجَّة عليهم)) [1].

ويقول الرازي في تفسيره: ((وأما جمهور المتكلمين فإنهم قالوا : الجدال في الدين طاعة عظيمة، واحتجوا عليه بقوله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [سورة النحل] وبقوله تعالى حكاية عن الكفار إنهم قالوا لنوح عليه السلام: ﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [سورة هود] ومعلوم أنه ما كان ذلك الجدال إلا لتقرير أصول الدين)) [2].

من يُحظر عليه المجادلة:

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، (٦٩٣/٣).

(٢) تفسير الرازي، (١٨١/٥).

وأما العاجزون من الضعفاء علمياً وغير المتمكنين بقوة المجادلة والمناظرة، فلا يصح أن يجادلوا الأقوياء من المخالفين؛ خوفاً من الفساد المترتب على ذلك، فإن هذا يضرهم، ويوقع الضرر بغيرهم من المسلمين..

المطلب الخامس: فوائدها.

للمجادلة مع المخالفين والمبطلين فائدتان:

يقول ابن قيم الجوزية: ((فلمناظرة المبطل فائدتان:

إحداهما: أن يرد عن باطله ويرجع إلى الحق.

الثانية: أن ينكف شره وعداوته ويتبين للناس أن الذي معه باطل وهذه الوجوه كلها لا يمكن أن تنال بأحسن من حجج القرآن ومناظرته))[1].

المطلب السادس: شروطها.

الأول :أن يقصد المجادل بعمله الإخلاص لوجه الله تعالى، من أجل بيان الحق، لا من أجل الرياء وحب الشهرة والسمعة والمباهاة..

يقول ابن سعدي في تفسيره لقول الله تعالى ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [سورة النحل: ١٢٥]: ((فإن كان المدعو يرى أن ما هو عليه حق... ، فيجادَل بالتي هي أحسن، وهي الطرق التي تكون أدعى لاستجابته عقلاً ونقلاً. ومن ذلك الاحتجاج عليه بالأدلة التي كان يعتقدها، فإنه أقرب إلى حصول المقصود، وألَّا تؤدي المجادلة إلى خصام أو مشاتمة تذهب بمقصودها، ولا تحصل الفائدة منها

(١) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن قيم الجوزية، (١٢٧٦/٤).

بل يكون القصد منها هداية الخلق إلى الحق لا المغالبة ونحوها)) [1].

الثاني :ويشترط الجدال بالتي هي أحسن، أي بالوجه الحسن، وبالبرهان المقنع والدليل الدافع، وباللفظ اللين، بعيداً عن الفظاظة والغلاظة والتجريح والإهانة، وسلاطة اللسان، والألفاظ السيئة، وبحسن الخطاب المتناسب مع عقول المخاطبين وثقافتهم..

يقول ابن سعدي في تفسيره لقول الله تعالى ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾[سورة العنكبوت]: ((ينهى تعالى عن مجادلة أهل الكتاب، إذا كانت من غير بصيرة من المجادل، أو بغير قاعدة مرضية، وألَّا يُجَادَلُوا إلا بالتي هي أحسن، بحسن خلق ولطف ولين كلام، ودعوة إلى الحق وتحسينه، ورد عن الباطل وتهجينه، بأقرب طريق موصل لذلك، وألَّا يكون القصد منها مجرد المجادلة والمغالبة وحب العلو، بل يكون القصد بيان الحق وهداية الخلق، إلا من ظلم من أهل الكتاب، بأن ظهر من قصده وحاله، أنه لا إرادة له في الحق، وإنما يُجَادِلُ على وجه المشاغبة والمغالبة، فهذا لا فائدة في جداله، لأن المقصود منها ضائع. ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ﴾ [العنكبوت:٤٦] أي: ولتكن مجادلتكم لأهل الكتاب مبنية على الإيمان بما أنزل إليكم وأنزل إليهم، وعلى الإيمان برسولكم ورسولهم، وعلى أن الإله واحد، ولا تكن مناظرتكم إياهم على وجه يحصل به القدح في شيء من الكتب الإلهية، أو بأحد من الرسل، كما يفعله الجاهل عند مناظرة الخصوم، يقدح بجميع ما معهم، من حق وباطل، فهذا ظلم، وخروج عن الواجب وآداب النظر، فإن

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،لابن سعدي، (٤٥٢/١)

الواجب، أن يرد ما مع الخصم من الباطل، ويقبل ما معه من الحق، ولا يرد الحق لأجل قوله، ولو كان كافراً))[1].

ويقول ابن كثير في تفسيره: ((وَقَوْله ﴿ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [سورة النحل: ١٢٥] أَيْ مَنْ احْتَاجَ مِنْهُمْ إِلَى مُنَاظَرَة وَجِدَال فَلْيَكُنْ بِالْوَجْهِ الْحَسَن بِرِفْقٍ وَلِين وَحُسْن خِطَاب كَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ﴾ [العنكبوت:٤٦] فَأَمَرَهُ تَعَالَى بِلِينِ الْجَانِب كَمَا أَمَرَ بِهِ مُوسَى وَهَارُون عَلَيْهِمَا السَّلَام حِين بَعَثَهُمَا إِلَى فِرْعَوْن فِي قَوْله ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾[سورة طه]))[2].

لقد أمر الله تعالى مخاطبة الفراعنة بالقول اللين، وبالمجادلة الحسنة؛ لأن هذه الطريقة في الدعوة تتقبلها النفوس، وتنشرح لها الصدور، فتكون أدعى للهداية والاستجابة، وأعون على ترك القناعات الخاطئة.

الثالث :يجب الاتجاه نحو المجادلة عند رجحان المصلحة لذلك..أما إذا كان المجادل لا يبتغي الحقيقة بل هو صاحب باطل يريد نشر باطله فلا جدال معه..

ولذلك نهى الإسلام عن مجالسة أهل الباطل ومناظرتهم، بل وأمر بهجرانهم..يقول الله تعالى:﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [سورة الأنعام].

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،لابن سعدي، (٦٣٢/١)

(٢) تفسير ابن كثير، (٣٦٨/٨).

قال الحسنُ: ((لاَ تُجَالِسُوا أَصْحَابَ الأَهْوَاءِ وَلاَ تُجَادِلُوهُمْ وَلاَ تَسْمَعُوا مِنْهُمْ))[1].

الرابع : أن يكون المجادل عالماً وداعياً متمكناً:

أ- في الموهبة والذكاء والفطنة وسرعة البديهة والحافظة القوية التي تساعد على حفظ الشواهد والأدلة والبراهين واستحضارها في الوقت المناسب.

ب- في القدرة على حفظ المسائل والتعبير عنها بقوة وجزالة وبلاغة.

ت- متمكناً علمياً في موضوع البحث والمجادلة.

وقد ذم الله تعالى الذين يجادلون بغير علم، ولا يعتمدون على الدليل والبرهان، ولا هدىً من مصدر هداية، ولا كتاب منزل من عند الله تعالى.

يقول الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ﴾ [سورة الحج]. وفي الآية دليل على أن المجادلة بالعلم محمودة ممدوحة؛ لأن المجادلة بغير علم مذمومة..

يقول الله تعالى: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [سورة آل عمران].

وفي هذه الآية دليل على عدم جواز المجادلة بغير علم.

ويحذر القرآن الكريم من المجادلة بغير حجة ولا دليل ولا برهان.

يقول الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [سورة غافر].

(١) أخرجه الدارمي في "سننه" برقم [٤١٥](٣٩١/١)، وقال: إسناده صحيح..

ويقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ٥٦ ﴾ [سورة غافر].

ومعنى قوله تعالى: ﴿ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ ﴾ أي بغير حجة.

وهؤلاء **المجادلون بغير حجة** واقعون في أشد الغضب من الله تعالى، ومطبوع على قلوبهم، فلا يرون الحقائق ولا يهتدون إليها بسبب الطبع على قلوبهم؛ لأنهم يتكبرون على الحق، ويتجبرون على الخلق.

الخامس :ويشترط العدل في المجادلة، ومن ذلك:

أ- تكافؤ الفرص في الوقت المتاح للطرفين في عرض الأدلة والشواهد والبراهين.

ب- التسليم قبل المجادلة والحوار بأن الصواب أو الخطأ يمكن أن يكون عند الطرفين. يقول الله تعالى: ﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢٤ قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٢٥ قُلۡ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفۡتَحُ بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَهُوَ ٱلۡفَتَّاحُ ٱلۡعَلِيمُ ٢٦ ﴾ [سورة سبأ].

ت- الخضوع للحق عند ثبوته.

ث- الاعتراف بالخطأ عند تأكده.

وانظر إلى هذا اللطف في الحوار والمناظرة والجدال، **يقول الزركشي**: ((وكان حق الحال من حيث الظاهر لولاه، أن يقال: لا تسألون عما عملنا

ولا نسأل عما تجرمون))[1].

ففي هذا الحوار نلاحظ ما يلي:

- ساوى القرآن في المناظرة والجدال بين المتحاورين المؤمنين والكافرين، في أحقِّيَّتهما في إثبات صحَّة أو بطلان ما يدَّعونه من الهداية والحقيقة.
- يقبل القرآن أن يكون أحد الفريقين: المؤمنون أو الكافرون على الهدى أو على الضلال على سبيل الافتراض، ويترك الحكم النهائي لمن ينجح في إثبات أحقِّيَّته بالهداية، علمياً وعقلياً ومنطقياً.
- وبعد ذلك، ولو ثبتت أحقِّيَّة الهداية للمؤمنين، وأحقِّيَّة الضلال للكافرين فللكافرين حرية قبول الاهتداء والاتِّباع أو رفضه.
- والسبب لأن المسؤولية تقع على عاتق مَن يختار ويقرر؛ فلا إكراه في الدِّين.
- ويؤكد أننا نحن المؤمنين لا نُسأل عن اختياركم وقراراتكم وأعمالكم، وأنتم الكافرون لا تُسألون عن إجرامنا إذا كنا مجرمين.

فتأمل هذا اللُّطْف في الحوار والمناظرة والجدال!!..

((قيل: لما دخل حاتم بغداد في أيام أبي عبد الله أحمد بن حنبل، اجتمع إليه أهل بغداد، فقالوا: يا أبا عبد الرحمن، أنت رجل أعجمي، وليس يكفك أحد إلا قطعته لأي معنى. فقال حاتم: معي ثلاث خصال بها أظهر على خصمي، قالوا: أي شيء هي؟! قال: أفرح إذا أصاب خصمي، وأحزن له إذا أخطأ، وأخفض نفسي لا تتجاهل عليه. فبلغ ذلك أحمد بن حنبل، فقال:

(١) البرهان في علوم القرآن، (٣١٣/٢).

سبحان الله ما أعقله من رجل!)) [1].

السادس :إذا كان المتجادلان والمتحاوران مسلمين مختلفين على أمر ما، فعليهما أن يحتكما إلى الله تعالى ورسوله ﷺ ، يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾ [سورة النساء].ولا عبرة في رأي عوام الناس خارج هذه القاعدة.

السابع :بعد العناد لا جدال:

وإذا تحولت المجادلة إلى إظهار الخصومة، ورفض الطرف الآخر دعوةَ الحق، واستعلى واستكبر، وأصرَّ على باطله، فعندئذٍ يجب قطع المجادلة والمحاجَّةِ لفوات المقصود منها، وهو إظهار الصواب والخضوع له..

يقول الله تعالى: ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٥ ﴾ [سورة الشورى].

((قال ابن عباس ومجاهد : الخطاب لليهود... وقال مجاهد : ومعنى ﴿ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ﴾ لا خصومة بيننا وبينكم)) [2] لأن البراهين قد ظهرت، والحجج قد قامت، فلم يبقَ إلا العناد، **وبعد العناد لا حجة ولا جدال**..

(١) وفيات الأعيان، لابن خلكان، (٢٦/٢).

(٢) انظر: تفسير القرطبي، (٤٥٦/١٨).

ويقول ابن سعدي في تفسيره: ((﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ أي: بعد ما تبينت الحقائق، واتضح الحق من الباطل، والهدى من الضلال، لم يبق للجدال والمنازعة محل، لأن المقصود من الجدال، إنما هو بيان الحق من الباطل، ليهتدي الراشد، ولتقوم الحجة على الغاوي)) [1].

المطلب السابع: نماذج من حوارات ومجادلات ومناظرات النبي ﷺ مع النصارى.

- **حوارات ومجادلات ومناظرات مع نصارى نجران:**

■ قال ابن إسحاق: ... لما قدم وفد (نصارى) نجرانَ على رسول الله ﷺ، دخلُوا عليه مسجدَه بعد صلاة العصر، فحانت صلاتُهم، فقاموا يُصَلُّون في مسجده، فأراد الناسُ منعهم، **فقال رسول الله** ﷺ: «دَعُوهُم» فاسْتَقْبَلُوا المشْرِقَ، فَصَلَّوا صَلاَتَهُمْ... (وكان عددهم ستين راكباً)... منهم ثلاثةُ نَفَر إليهم يؤول أمرُهم: العاقِبُ أميرُ القوم، وذو رأيهم، وصاحِبُ مشورتهم، والذي لا يَصْدُرون إلا عن رأيه وأمره، واسمُه عبد المسيح، والسيد ... وصاحِبُ رَحْلهم، ومجتمعهم، واسمه الأيهم، وأبو حارثة بن علقمة... أُسقُفهم وحَبْرُهم وإمامُهم، وصاحِبُ مِدْرَاسِهِم. وكان أبو حارثة قد شَرُفَ فيهم، ودَرَسَ كتبَهم، وكانت ملوكُ الروم مِن أهل النصرانية قد شرَّفوه، ومؤَّلُوه، وأخدَموه، وبَنَوْا له الكنائِسَ، وبسطوا عليه الكراماتِ لِما يبلغهم عنه مِن علمه واجتهاده في دينهم.

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لابن السعدي، (١/٧٥٥).

فلما وجَّهوا إلى رسول الله ﷺ مِن نجران، جلس أبو حارثة على بغلة له مُوجِّهاً إلى رسولِ الله ﷺ وإلى جنبه أخٌ له يقال له: كُرز بن علقمة يسايره، إذ عثرت بغلةُ أبي حارثة. فقال له كُرز: تعس الأبعدُ يريدُ رسولَ الله ﷺ فقال له أبو حارثة: بل أنت تَعِسْتَ. فقال: ولِمَ يا أخي؟ فقال: واللهِ إنه النبي الأُمي الذي كنا ننتظرُه. فقال له كُرز: فما يمنعُك من اتِّباعه وأنت تعلمُ هذا؟ فقال: ما صنع بنا هؤلاء القومُ: شرَّفونا، وموَّلونا، وأكرمونا، وقد أبَوْا إلا خِلافَه، ولو فعلتُ نزعوا منا كُلَّ ما ترى، فأضمر عليها مِنه أخوه كُرز ابن علقمة حتى أسلم بعد ذلك.

■ قال ابن إسحاق: ...عن ابن عباس رضي الله عنه قال: اجتمعت نصارى نجران، وأحبارُ يهود عند رسول الله ﷺ، فتنازعُوا عنده، فقالت الأحبارُ: ما كان إبراهيمُ إلا يهودياً، وقالت النصارى: ما كان إلا نصرانياً، فأنزل الله ﷻ فيهم: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٥ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٦٦ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٦٧ إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٨ ﴾ [سورة آل عمران] فقال رجل من الأحبار: أتريد منا يا محمد أن نعبُدَك كما تعبُدُ النَّصارى عيسى ابن مريم؟ وقال رجل مِن نصارى نجران: أَوَ ذلك تريدُ يا محمد، وإليه تدعونا؟ **فقال رسول الله** ﷺ : «مَعَاذَ الله أنْ أعْبُدَ غَيْرَ الله، أوْ آمُرَ بِعِبَادَةِ غَيْرِهِ، مَا بِذَلِكَ بَعَثَنِي ولا أَمَرَنِي» فأنزل اللهُ ﷻ في ذلك: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ

لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [سورة آل عمران] ، ثم ذكر ما أخذ عليهم وعلى آبائهم من الميثاق بتصديقه، وإقرارهم به على أنفسهم، فقال: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [سورة آل عمران].

■ ...قال: لما قدم وفدُ نجران على رسول الله ﷺ يسألونه عن عيسى ابن مريم، نزل فيهم فاتحةُ آل عمران إلى رأس الثمانين منها.

■ [وقال يونس (ابن بكير) وكان نصرانياً فأسلم: إنَّ رسول الله ﷺ كتب إلى أهل نجران: ((باسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، أمَّا بَعْدُ.. فَإني أدْعُوكُم إلى عِبَادَةِ الله مِنْ عِبَادَةِ العِبَادِ، وأَدْعُوكُم إلى وِلاَيَةِ اللهِ مِنْ وِلاَيَةِ العِبَادِ، فإنْ أَبَيْتُمْ فَالجِزْيَةُ، فَإنْ أَبَيْتُمْ فَقَدْ آذَنْتُكُمْ بِحَربٍ، والسَّلام)). فلما أتى الأسقف الكتابُ فقرأه، فَظِعَ به، وذعر به ذعراً شديداً، فبعث إلى] رجال من أهل نجرانَ يستشيرهم، فأجمعوا أنه:[قد علمت ماوعد الله إبراهيم في ذرية إسماعيل من النبوة،فما يؤمن أن يكون هذا هو ذلك الرجل] ثم[أمر الأسقفُ بالناقوس، فضُرِبَ به]فجمع أهل نجران،[فقرأ عليهم كتابَ رسول الله ﷺ، وسألهم عن الرأي فيه، فاجتمع رأيُ أهلِ الوادي منهم على أن يبعثوا شُرحبيل بن وداعة الهَمْدَاني] وصاحبيه، [فيأتوهم بخبر رسول الله ﷺ، فانطلق الوفدُ حتى إذا كانُوا بالمدينة، وضعُوا ثيابَ السفر عنهم، ولبسوا حُللاً لهم يجرُّونها من الحِبَرَةِ، وخواتيم الذهب، ثم انطلقوا حتى أَتَوْا رسولَ اللهِ ﷺ، فسلَّموا عليه، فلم يَرُدَّ عليهم السلامَ، وتصدَّوا لِكلامه نهاراً طويلاً، فلم يُكلِّمهم]،واستشير علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: [أرى أن يضعوا حللهم

هذه وخواتيمَهم، ويلبسوا ثيابَ سفرهم، ثم يأتوا إليه، ففعل الوفدُ ذلك، فوضعوا حُللهم وخواتيمهم، ثم عادُوا إلى رسول الله ﷺ، فسلَّمُوا عليه، فردَّ سلامهم، ثم سألهم وسألوه، فلم تزل به وبهم المسألةُ حتى قالُوا له: ما تقولُ في عيسى عليه السلام؟ فإنَّا نرجع إلى قومنا، ونحنُ نصارى، فيسرُّنا إن كنت نبياً أن نعلم ما تقول فيه؟ **فقال رسولُ الله** ﷺ : «مَا عِنْدِي فِيهِ شَيءٌ يَوْمِي هذا، فَأَقِيمُوا حَتى أُخْبِرَكم بِمَا يُقَالُ لي في عِيسى عليه السلام»، فأصبح الغدُ وقد أنزل الله ﷻ: ﴿ **إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾** ﴾ [سورة آل عمران] فأبوا أن يُقِرُّوا بذلك، فلما أصبح رسولُ الله ﷺ الغَد بعدما أخبرهم الخبر، أقبل مشتملاً على الحسن والحسين -رضي الله عنهما- في خميل له، وفاطمةُ -رضي الله عنها- تمشى عند ظهره للمُباهلة، وله يومئذ عِدةُ نِسوة، فقال شُرحبيل لصاحبيه: يا عبدَ الله بن شُرحبيل، ويا جبار ابن فيض، قد علمتما أن الوادِي إذا اجتمع أعلاه وأسفلُه لم يَرِدُوا، ولم يصدُرُوا إلا عن رأى، وإني واللهِ أرى أمراً مقبلاً، وأرى واللهِ إن كان هذا الرجلُ مَلكاً مبعوثاً، فكنا أولَ العرب طعن في عينه، وردَّ عليه أمره لا يذهب لنا من صدره، ولا مِن صدور قومه حتى يُصيبونا بجائحة، وإنَّا أدنى العرب منهم جواراً، وإن كان هذا الرجل نبياً مرسلاً، فلاعنَّاه، فلا يبقى على وجه الأرض منا شعرةٌ ولا ظفرٌ إلا هلَكَ، فقال له صاحباه: فما الرأي فقد وضعتك الأمورُ على ذِراع، فهاتِ رأيك؟ فقال: رأيي أن أُحكِّمَه، فإني أرى رجلاً لا يحكم شططاً أبداً. فقالا له: أنتَ وذاك. فلقي شُرحبيلُ رسولَ الله ﷺ، فقال: إنى قد رأيتُ خيراً مِن مُلاعنتك،

فقال: «وما هو؟» قال شُرحبيل: حُكمك اليومَ إلى الليل وليلتك إلى الصَّباح، فمهما حكمتَ فينا، فهو جائز. **فقال رسولُ الله** ﷺ: «لَعَلَّ وَرَاءَكَ أَحَداً يُثَرِّبُ عَلَيْكَ؟» فقال له شُرحبيل: سل صاحبيَّ، فسألهما، فقالا: ما يَرِدُ الوادي، ولا يصدُر إلا عن رأى شُرحبيل. **فقال رسول الله** ﷺ: «كافر» أو **قال**: «جاحد مُوَفَّق».

فرجع رسولُ الله ﷺ ولم يُلاعنهم، حتى إذا كان من الغد أتَوْه، فكتب لهم في الكتاب: ((بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هذا ما كتب محمد النبي رسولُ اللهِ لنجرانَ إذ كان عليهم حُكمه في كل ثمرة، وفى كل صفراء، وبيضاء، وسوداء، ورقيق، فأفضَلَ عليهم، وتركَ ذلك كُلَّه على ألْفَيْ حُلَّة، في كل رَجَب ألفُ حُلَّة، وفى كُلِّ صَفَر ألفُ حُلَّة، وكل حُلَّة أوقية، ما زادت على الخراج أو نقصت على الأواقي، فبحساب، وما قَضَوْا مِن دروع، أو خيل، أو ركاب، أو عَرَضٍ، أُخِذَ منهم بحساب، وعلى نجران مثواةُ رسلي، ومتعتهم بها عشرين فدونه، ولا يُحبس رسول فوقَ شهر، وعليهم عاريةٌ ثلاثين درعاً، وثلاثين فرساً، وثلاثين بعيراً إذا كان كيدٌ باليمن ومغدرة، وما هلك مما أعارُوا رسولي مِن دروع، أو خيل، أو ركاب، فهو ضَمانٌ على رسولي حتى يؤدِّيَه إليهم، ولنجرانَ وحسبها جوارُ الله وذِمَّةُ محمد النبي على أنفسهم، ومِلَّتهم، وأرضِهم، وأموالهم، وغائِبهم، وشاهِدهم، وعشيرتهم، وتبعهم، وألَّا يُغيِّروا مما كانوا عليه، ولا يُغيَّر حق من حقوقهم ولا مِلَّتهم، ولا يُغيَّرُ أسقفٌ من أسقفيته، ولا راهب من رهبانيته، ولا وافه [1] عن وَفهيَّتِه، وكل ما تحت

(١) الوافه: القيِّم على الكنيسة.

أيديهم مِن قليل أو كثير، وليس عليهم ريبة ولا دمُ جاهلية، ولا يُحشَرُونَ، ولا يُعَشَّرُون[1]، ولا يطأ أرضَهم جيش، ومَن سأل منهم حقاً فبينهم النَّصَفُ غيرَ ظالمين ولا مظلومين، وَمن أكل ربا مِن ذي قبل، فذمّتي منه بريئة، ولا يُؤخذ رجل منهم بظلم آخر، وعلى ما في هذه الصحيفة جوارُ الله وذِمَّةُ محمد النبي رسول الله حتى يأتي الله بأمره ما نصحُوا وأصلحُوا فيما عليهم غيرَ منقلبين بظلم))...حتى إذا قبضوا كتابهم، انصرفوا إلى نجران، فتلقاهم الأسقف ووجوهُ نجران على مسيرة ليلة ...

■ ثم إنَّ الأسقف أبا الحارث أتى رسول الله ﷺ ومعه السَّيد والعاقِب ووجوهُ قومه، وأقامُوا عنده يستمعون ما ينزل اللهُ عليه، فكتب للأسقف هذا الكتاب وللأساقفة بنجران بعده: ((بسم اللهِ الرَّحْمَن الرَّحيم، منْ مُحَمَّدٍ النَّبي إلى الأسقُفِ أبي الحارث وأسَاقِفَةِ نَجْرانَ وَكَهَنَتِهم، ورُهْبَانِهِمْ، وأهْلِ بِيَعِهم، ورَقيقِهم، ومِلَّتِهم، وسُوَقَتِهِم، وعَلى كُلِّ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِم مِنْ قَلِيلٍ وَكثِيرٍ، جِوارُ اللهِ ورَسُولِه، لا يُغَيَّرُ أُسْقُفٌ مِنْ أُسْقُفَتِهِ ولا رَاهِبٌ مِنْ رَهْبَانِيَّتِهِ، ولا كَاهِنٌ مِنْ كَهَانَتِه، ولا يُغَيَّرُ حَقٌ مِنْ حُقُوقِهِم، ولا سُلْطَانهم، ولا مِمَّا كَانُوا عَلَيْهِ، عَلى ذلِكَ جِوَارُ اللهِ ورَسُولِه أبَداً ما نَصحوا وأَصْلَحوا عَلَيْهِم، غَيْرَ منقَلِبين بِظَالِمٍ، ولا ظَالِمِينَ))...].

■ وروى البيهقي بإسناد صحيح إلى ابن مسعود، أنَّ السيد والعاقب أتيا رسول الله ﷺ، فأراد أن يُلاعنهما، فقال أحدُهما لصاحبه: لا تُلاعِنْه، فواللهِ إن كان نبياً فلاعنتَه لا نُفْلِحُ نحن، ولا عَقِبُنا مِن بعدنا، قالوا له: نُعطيك ما

(١) التعشير : جمع العشر من أموال الناس، فلا يؤخذ منهم عشر أموالهم ، إنما عليهم الصدقة ، من كل مائتين خمسة دراهم.

سألتَ، فابعث معنا رجلاً أميناً، ولا تبعثْ معنا إلا أميناً، **فقال رسول الله** ﷺ: «لأَبْعَثَنَّ مَعَكُم رَجُلاً أميناً حَقَّ أمِينٍ»، فاستشرف لها أصحابُه، **فقال**: «قُمْ يا أبا عُبَيْدَةَ بنَ الجَرَّاحِ» فلمَّا قَامَ، **قال**: «هذا أمِينُ هذِهِ الأُمَّة».

ورواه البخاري في "صحيحه" من حديث حذيفة بنحوه.

■ وفى "صحيح مسلم" من حديث المغيرة بن شُعبة قال: بعثني رسولُ الله ﷺ إلى نجران، فقالُوا فيما قالوا: أرأيتَ ما يقرؤون: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾ [سورة مريم:٢٣]، وقد كان بينَ عيسى وموسى ما قد علمتم، قال: فأتيتُ النبيَّ ﷺ، فأخبرتُه **قال**: «أفَلا أخْبَرْتَهُم أنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَ بِأَسماءِ أَنْبِيَائِهِمْ والصَّالِحِينَ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَهُم»...

المطلب الثامن: من فقه هذا الحوار.

● وقد استخلص ابن قيم الجوزية من فقه الحوار مع وفد نجران أموراً، ومنها:

١- **ففيها**: جوازُ دُخولِ أهلِ الكتاب مساجدَ المسلمين.

٢- **وفيها**: تمكينُ أهلِ الكتاب من صلاتهم بحضرة المسلمين وفى مساجدهم أيضاً إذا كان ذلك عارضاً، ولا يُمكَّنون من اعتياد ذلك.

٣- **وفيها**: أنَّ إقرارَ الكاهن الكِتابي لرسول الله ﷺ بأنه نبي لا يُدخله في الإسلام ما لم يلتزِمْ طاعتَه ومتابعته، فإذا تمسَّك بدينه بعد هذا الإقرار لا يكونُ رِدَّة منه، ونظيرُ هذا قول الحَبْرينِ له، وقد سألاه ثلاث مسائل، فلما أجابهما، قالا: نشهد أنك نبي، **قال**: «فما يمنعُكما مِن اتباعي؟ » قالا: نخاف أن تقتُلَنا اليهودُ، ولم يُلزمهما بذلك الإسلام، ونظيرُ ذلِكَ شهادةُ عمه أبي طالب له بأنه صادق، وأنَّ دينَه مِن خير أديان البرية ديناً، ولم تُدخِلْه هذه الشهادةُ في الإسلام.

ومَن تأمَّل ما في السير والأخبار الثابتة من شهادة كثير من أهل الكتاب والمشركين له ﷺ بالرسالة، وأنه صادق، فلم تدخلهم هذه الشهادة في الإسلام، علم أنَّ الإسلامَ أمرٌ وراء ذلك، وأنه ليس هو المعرفة فقط، ولا المعرفة والإقرار فقط، **بل المعرفةُ والإقرارُ، والانقيادُ، والتزامُ طاعته ودينه ظاهراً وباطناً**.

وقد اختلف أئمةُ الإسلام في الكافر إذا قال: أشهدُ أن محمداً رسولُ اللهِ ولم يَزِدْ، هل يُحكم بإسلامه بذلك؟ على **ثلاثة أقوال**، وهي ثلاثُ روايات عن الإمام أحمد.

إحداها: يُحكم بإسلامه بذلك.

والثانية: لا يُحكم بإسلامه حتى يأتي بشهادة أنْ لا إله إلا الله.

والثالثة: أنَّه إذا كان مقراً بالتوحيد، حُكِم بإسلامه، وإن لم يكن مقراً، لم يُحكم بإسلامه حتى يأتي به، وليس هذا موضعَ استيفاء هذه المسألة، وإنما أشرنا إليه إشارة، وأهلُ الكتابين مجمعون على أنَّ نبياً يخرج في آخر الزمان، وهم ينتظرونه، ولا يَشُكُّ علماؤهم في أنه محمدُ بنُ عبد الله بن عبد المطلب، **وإنما يمنعُهم من الدخول في الإسلام رئاستُهم على قومهم، وخضوعُهم لهم، وما ينالونه منهم مِن المال والجاه**.

٤- ومنها: جوازُ مجادلة أهل الكتاب ومناظرتهم، بل استحبابُ ذلك، بل وجوبُه إذا ظهرت مصلحتُه من إسلام مَن يُرجى إسلامُه منهم، وإقامة الحُجَّة عليهم، ولا يهرُب من مجادلتهم إلا عاجزٌ عن إقامة الحُجَّة، فليوَلِّ ذلك إلى أهله، وليُخَلّ بَيْنَ المَطِيِّ وحَادِيها، والقوسِ وباريها، ولولا خشيةُ الإطالة لذكرنا مِن الحُجَج التي تلزمُ أهل

الكتابَيْنِ الإقرارَ بأنه رسولُ الله بما في كتبهم، وبما يعتقدونه بما لا يُمكنهم دفعُه ما يزيد على مائة طريق...

ودار بيني وبين بعض علمائهم مناظرةٌ في ذلك، فقلت له في أثناء الكلام: ولا يتم لكم القَدح في نبوة نبينا ﷺ إلا بالطعن في الربِّ تعالى والقدح فيه، ونسبته إلى أعظم الظلم والسفه والفساد، تعالى الله عن ذلك، فقال: كيف يلزمُنا ذلك؟ قلت: بل أبلغ مِن ذلك، لا يَتمُّ لكم ذلك إلا بجحوده وإنكار وجوده تعالى، وبيانُ ذلك أنه إذا كان محمد عندكم ليس بنبي صادق، وهو بزعمكم ملك ظالم، فقد تهيأ له أن يفترىَ على الله، ويتقوَّل عليه ما لم يقُلْه، ثم يتم له ذلك، ويستمر حتى يُحلِّل، ويُحَرِّمَ، ويفرِضَ الفرائضَ، ويشرع الشرائع، وينسخَ المِلل، ويضربَ الرِّقاب، ويقتلَ أتباعَ الرُّسل، وهم أهلُ الحق، ويسبى نساءَهم وأولادَهم، ويَغْنَم أموالهم ودِيارَهم، ويَتِمَّ له ذلك حتى يفتحَ الأرض، وينسب ذلك كله إلى أمر الله تعالى له به ومحبته له، والربُّ تعالى يُشاهده، وما يفعل بأهل الحقِّ وأتباع الرُّسُل، وهو مستمر فى الافتراء عليه ثلاثاً وعشرين سنة، وهو مع ذلك كُلِّه يُؤيده وينصُره، ويُعلى أمره، ويُمكِّن له من أسباب النصر الخارجة عن عادة البَشَر، وأعجَب من ذلك أنه يُجيب دعواته، ويُهلِكُ أعداءَه من غير فعل منه نفسه ولا سبب، بل تارة بدعائه، وتارة يستأصِلُهم سبحانه من غير دعاء منه ﷺ، ومع ذلك يقضى له كل حاجة سأله إياها، ويعده كل وعد جميل، ثم ينجز له وعده على أتمِّ الوجوه، وأهنئها، وأكملها، هذا وهو عندكم في غاية الكذِب والافتراءِ والظُّلم، فإنه لا أكذبَ ممن كذبَ على اللهِ، واستمرَّ على ذلك، ولا أظلمَ ممن أبطل شرائعَ أنبيائه ورُسُله، وسعى في رفعها من الأرض، وتبديلها بما يُريد هو، وقتل أولياءه وحزبه وأتباع رُسُله، واستمرت نصرتُه عليهم دائماً،

والله تعالى في ذلك كُلِّهِ يقره، ولا يأخُذ منه باليمين، ولا يقطَعُ منه الوتَين، وهو يُخبِرُ عن ربه أنه أُوحى إليه أنه: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ... ﴾ [سورة الأنعام] ، فيلزمُكم معاشِرَ مَنْ كذَّبه أحدُ أمرين لا بد لكم منهما:

إما أن تقُولوا: لا صانِع للعالَم، ولا مُدَبِّرَ، ولو كان للعالَم صانع مدبِّرٌ قديرٌ حكيم، لأخذ على يديه، ولقابله أعظمَ مقابلة، وجعله نكالا للظالمينَ إذ لا يليقُ بالملوك غيرُ هذا، فكيف بملك السماواتِ والأرض، وأحكم الحاكمين؟.

الثاني: نِسبةُ الربِّ إلى ما لا يليق به من الجور، والسفه، والظلم، وإضلال الخلق دائماً أبَد الآباد، لا بَلْ نصرة الكاذب، والتمكين له من الأرض، وإجابة دعواته، وقيام أمره مِن بعده، وإعلاء كلماته دائماً، وإظهار دعوته، والشهادة له بالنبوة قرناً بعد قرن على رؤوس الأشهاد في كل مجمع وناد، فأين هذا من فعل أحكم الحاكمين، وأرحم الراحمين، فلقد قدحتم في رب العالمين أعظمَ قدح، وطعنتم فيه أشَدَّ طعن، وأنكرتموه بالكلية، ونحن لا ننكر أن كثيراً من الكذَّابين قام في الوجود، وظهرت له شَوْكة، ولكن لم يتم له أمرُه، ولم تطل مدته، بل سَلَّط عليه رُسُله وأتباعهم، فمحقوا أثره، وقطعوا دابره، واستأصلوا شأفته. هذه سُنَّته في عباده منذ قامت الدنيا، وإلى أن يرث الأرض ومَن عليها. فلما سمع مني هذا الكلام، قال: معاذَ الله أن نقول: إنه ظالم أو كاذب، بل كُلُّ منصف من أهل الكتاب يُقِرُّ بأنَّ مَن سلك طريقه، واقتفى أثَره، فهو مِن أهل النجاة والسعادة في الأُخرى، قلتُ له: فكيف يكون سالكُ طريق الكذَّاب، ومُقتَفي أثره بزعمكم مِن أهل النجاة والسعادة؟

فلم يجد بُداً من الاعتراف برسالته، ولكن لم يُرسَل إليهم. قلت: فقد

لزمك تصديقُه ولا بد، وهو قد تواترت عنه الأخبار بأنه رسولُ رب العالَمين إلى الناس أجمعينَ، كِتَابِيِّهِمْ وأُمِّيهم، ودعا أهل الكتاب إلى دينه...**والمقصود: أنَّ رسولَ الله ﷺ لم يزل في جِدالِ الكفار على اختلاف مِللهم ونِحَلِهم إلى أن تُوفِّي، وكذلك أصحابُه من بعده، وقد أمره الله سبحانه بجدالهم بالتي هي أحسن** في السورة المكية والمدنية، وأمره أن يدعوهم بعد ظهور الحُجَّةِ إلى المُباهلة، وبهذا قام الدينُ.

٥- **ومنها**: أنَّ مَن عظَّم مخلوقاً فوقَ منزلته التي يستحِقُّها، بحيثُ أخرجه عن منزلة العبودية المحضة، فقد أشرك بالله، وعَبَدَ مع الله غيره، وذلك مخالفٌ لجميع دعوة الرُّسُل...

٦- **ومنها**: أنَّ السُّنَّة في مجادلة أهل الباطل إذا قامت عليهم حُجَّةُ اللهِ، ولم يرجعوا، بل أصرُّوا على العناد أن يدعوَهم إلى المباهلة، وقد أمر اللهُ سبحانه بذلك رسولَه، ولم يقل: إنَّ ذلك ليس لأُمتك مِن بعدك، ودعا إليه ابنُ عمِّه عبدُ الله بن عباس لمن أنكر عليه بعضَ مسائل الفروع، ولم يُنكر عليه الصحابة، ودعا إليه الأوزاعي: سفيانَ الثوري في مسألة رفع اليدين، ولم يُنكر عليه ذلك، وهذا من تمام الحُجَّة.

٧- **ومنها**: جواز صلح أهل الكتاب على ما يريد الإمام من الأموال ومِن الثياب وغيرها..

٨- **ومنها**: اشتراط الإمام على الكفار أن يُؤووا رسله ويُكرموهم، ويُضيفوهم أياماً معدودة.

٩- **ومنها**: جوازُ اشتراطه عليهم عارية ما يحتاج المسلمون إليه مِن سلاح، أو متاع، أو حيوان، وأن تلك العارية مضمونة...

١٠- **ومنها**: أنَّ الإمامَ لا يُقِرُّ أهلَ الكتاب على المعاملات الربوية،

لأنها حرام في دينهم، كما لا يُقِرُّهم على السّكْرِ، ولا على اللِّواط والزِّنَى، بل يحدُّهم على ذلك.

١١- **ومنها**: أنَّه لا يجوزُ أن يُؤخذ رجلٌ من الكفار بظلم آخر، كما لا يجوز ذلك في حق المسلمين، وكلاهما ظلم.

١٢- **ومنها**: مناظرةُ أهل الكتاب وجوابُهم عما سألوه عنه، فإن أشكل على المسؤول، سأل أهل العلم] [(١)].

المطلب التاسع: نماذج من حوارات ومجادلات ومناظرات النبي ﷺ مع المشركين.

- **حوار ومجادلة ومناظرة مع عتبة بن ربيعة:**

قال ابن إسحاق: كان عتبة بن ربيعة سيداً، فقال يوماً وهو جالسٌ في نادي قريش، ورسول الله ﷺ جالسٌ في المسجد وحده: "يا معشر قريش، ألا أقوم إلى محمدٍ فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها، فنعطيه أيها شاء، ويكف عنا." -وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون- فقالوا:" بلى يا أبا الوليد. قمْ إليه فكلمْه" فقام إليه عتبة، حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال:" يا ابن أخي، إنك منا حيث قد علمت من السِّطَة[(٢)] في العشيرة، والمكان في النسب، وإنك أتيت قومك بأمرٍ عظيمٍ فرَّقت به جماعتهم، وسفهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفَّرت

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، (٣/٦٢٩-٦٤٤).

(٢) السِّطة: الشرف.

به من مضى من آبائهم. فاسمعْ مني أعرضْ عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها" .

قال: **فقال له رسول الله** ﷺ :«قل يا أبا الوليد أسمع» قال:" يا ابن أخي، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رِئْياً[1] تراه لا تستيطع ردَّه عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه -أو كما قال له- حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه **قال**:« أقد فرغتَ يا أبا الوليد» قال:" نعم." **قال**:« فاسمع مني» قال:" أفعل." **فقال**: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ۝٤ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ۝٥ ﴾ [سورة فصلت].

ثم مضى رسول الله ﷺ فيها يقرؤها عليه، فلما سمعها منه عتبةُ أنصت لها، وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يسمع منه. ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها فسجد، ثم **قال**:« قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك» .

(١) الرئى: ما يتراءى للإنسان من الجن.

فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض:" نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به" فلما جلس إليهم قالوا:" ما وراءك يا أبا الوليد؟" قال:" ورائي أني قد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانة. يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي، وخلُّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه، فاعتزلوه. فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأٌ عظيمٌ. فإن تصبْه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهرْ على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به. قالوا:" سحَرَكَ والله يا أبا الوليد بلسانه" قال:" هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم".(١)

المطلب العاشر: من فقه هذا الحوار.

۞ ونستخلص من هذه المناظرة والمجادلة والحوار، فقه الدعوة والحياة الآتي:

١- من الممكن أن يتعرض الداعي إلى الإغراءات للتخلي عن الدعوة، أو الانحراف بها، وخاصة إذا بدأت الدعوة تحقق نجاحات ملموسة.

٢- يجب على الداعي قبول الحوار والمجادلة والمناظرة مع المخالفين لرسالته ودعوته.

٣- يجب على الداعي أن يلتزم بآداب الحوار والمناظرة والجدال بالتي هي أحسن، فقد خاطب النبي ﷺ عتبة المشرك والكافر بأحب الأسماء إليه، فقال له: «قل يا أبا الوليد » وفي مخاطبة الرجل بكنيته تكريمٌ واحترامٌ له، وتلطفٌ به.

(١) سيرة ابن هشام،(١/٢٩٣وما بعدها).

٤- يجب على الداعي أن يحسن الاستماع لمحاوره ومجادله ، ويُشعره باهتمامه بما يقول.

٥- يجب على الداعي أن يعطي لمحاوره ومجادله الفرصة الزمنية الكافية لعرض ما عنده، وهذا من العدل في المجادلة.

٦- يجب على الداعي أن يثبت على الحق، وأن يُظهر الصواب، بقصد بيان الحق وهداية الخلق.

٧- إن الإنسان ولو كان معانداً تؤثر الحقيقة في أعماق قلبه وعقله، ولكن عناده وأهواءَه ومصالحه تمنعه من الخضوع لها.

المطلب الحادي عشر: نماذج من حوارات ومجادلات ومناظرات الأنبياء مع أقوامهم الكافرين.

لقد قام الأنبياء والرسل الكرام بمجادلة ومحاورة ومناظرة أقوامهم بمواضيع عديدة، وكان من أهمها: **الإيمان بالله تعالى وتوحيده ونبذ الشرك.**

١-حوار ومجادلة ومناظرة نوح عليه السلام لقومه الكافرين وفقه هذا الحوار:

يقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ

وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [سورة هود] .

۞ ونستخلص من هذه المناظرة والمجادلة والحوار، فقه الدعوة والحياة الآتي:

١- يجب على الداعي أن يحاور ويناظر ويجادل قومه بالحجج المقنعة المبينة للحقائق مستخدماً أساليب متعددة مثل: التحذير والإنذار والترغيب والترهيب.

٢- يجب أن يكون القصد من الحوار والمجادلة والمناظرة الدعوة إلى الإيمان بالله تعالى، وعبادته وتوحيده وعدم الإشراك به.

٣- يجب على الداعي أن يتحمل إساءات الناس، وأن يصبر على أذاهم، وأن يحلم عليهم، فلا يقابل السيئة بالسيئة، بل يدفع بالتي هي أحسن، فقد اتهمه قومه بأربع شبهات بسبب جهلهم وضعف عقولهم.

الأولى: ﴿ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا ﴾ فليس لك مزية علينا... مفترضين أن الرسول يجب أن يكون من غير جنس البشر، وهذا منتهى الجهل.

الثانية: ﴿ وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا [1] بَادِيَ ٱلرَّأْيِ [2] ﴾، فهم ليسوا أصحاب فكر ونظر وتدبر للأمور، وهكذا أشركوا معه أتباعه بالإساءة إليهم والعدوان.

الثالثة: ﴿ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ ﴾ أي ليس لكم علينا مزية تجعلنا نتبعكم..

الرابعة: ﴿ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴾.

٤- لا يمكن للداعي أن يُكره الناس، وأن يُلزمهم برأيه، مهما امتلك من بينة واضحة مطابقة للحق لا لبس فيها، فلا إكراه في الدين، والتوفيق والهداية بيد الله تعالى وحده.

٥- يجب على الداعي الترفع عن مد يده للناس، ليكون في كلامه تأثير في قلوبهم، وعليه أن يخلص في دعوته، فلا يطلب الدنيا بالدين، ولا أجراً من الناس على التبليغ، بل يرجو من عمله القبول والرضى والأجر والثواب من الله تعالى.

٦- يجب على الداعي ألا ينحاز لأهل الدنيا من أصحاب المال والجاه، ويهمل الصادقين المقبلين على الله تعالى ولو كانوا فقراء مساكين، فإن فعل، فإن هذا يدل على جهله وعدم أهليته للدعوة، فيخذله الله تعالى ولا ينصره، بل يعذبه فلا يُنجيه أحد.

٧- يجب على الداعي أن يتأدب مع الله تعالى، ويلزم حدوده،

(١) أي: الفقراء والمساكين

(٢) بادي الرأي: أي لا رؤية لهم.

فلا يدعي لنفسه ما ليس فيه، ولا ينسب لنفسه من العلوم والقدرات ما ليس له، فلا أحد من الأنبياء ولا من الأولياء يملك مفاتيح رزق الناس والتصرف بها، ولا يعلم أحد منهم شيئاً من الغيب إلا إذا أعلمه الله تعالى به، وليسوا بملائكة، إن هم إلا بشر، ويمتاز الأنبياء والرسل على باقي البشر بالوحي الذي يوحى إليهم، ولا يستطيع أحد أن يمنع عطاء الله تعالى عن الناس، فالأجر والخير والثواب بيد الله تعالى لا يملك أحد أن يمنحه لأحد أو يحجبه عن أحد.. ومن يدَّعي شيئاً خلاف ذلك فهو من الظالمين.

٨- إن الباطل لا يقوى على مواجهة الحق، فإذا واجهه، فإن الحقَّ يدمغه، فإذا هو زاهق، لذلك عندما أفلس الكافرون ولم تبق لديهم حجة في جدالهم مع نوح عليه السلام أعلنوا تحديهم للحق باستجلاب العذاب الإلهي لأنفسهم استكباراً واستعلاءً.

٩- رد نوح عليه السلام عليهم، وأعلن أن نزول العذاب فيهم يكون بمشيئة الله تعالى وليس بمشيئته هو، وإذا أراد الله تعالى إنزال العذاب بهم، فلا يستطيعون الهروب منه ولا صده عن أنفسهم فهم عاجزون عن ذلك.

١٠- إن الهداية والانتفاع بالنصح والإرشاد بيد الله تعالى وحده، فلا ينفع نصح ناصح بخلاف مشيئة الله تعالى، فهو الرب جل جلاله والجميع مربوب، والمرجع إليه عز وجل .

- **فائدة:**

في مناظرة وحوار ومجادلة نوح عليه السلام مع قومه في سورة الشعراء يُلاحظ أن الله تعالى أثبت نسب الأخوة بين نبيه نوح عليه السلام وبين قومه الكافرين، حيث جعل تعالى نوحاً النبي أخاً لهم، فقال تعالى: ﴿ **إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ** ﴿١٠٦﴾ ﴾ [سورة الشعراء] وفي سورة [ق] جعل قوم لوط الكافرين **إخواناً له**..

يقول الإمام القرطبي: ((﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [سورة الشعراء] أي ابن أبيهم وهي أخوة نسب لا أخوة دين. وقيل: هي أخوة المجانسة)) [1].

وأخوة المجانسة: هي أخوة الجنس الإنساني، أو ما يُعرف في عصرنا الحاضر **بالأخوة الإنسانية،** وهو يتوافق مع قول الله تعالى: ﴿ يَبَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ [سورة الأعراف:٢٦] فكل أبناء آدم إخوة.

وأخوة النسب للقوم: هي ما يعرف في عصرنا الحاضر بالأخوة القومية.

وقد كان النبي ﷺ يستخدم في أحاديثه عبارات تشير إلى الأخوة القومية، فكان **يقول:** « بِئْسَ أَخُو الْقَوْمِ وَابْنُ الْعَشِيرَةِ » [2] وفي رواية: «بئس ابن العشيرة وأخو العشيرة»[3].

قال الطيبي: ((العشيرة القبيلة، أي بئس هذا الرجل من هذه العشيرة كما يقال يا أخا العرب لرجل منهم)) [4].

---

(١) تفسير القرطبي (٥٠/١٦)، وانظر: تفسير فتح القدير للشوكاني (١٠٨/٤).

(٢) وفي رواية لمَعْمَر عَنْ ابْنِ الْمُنْكَدِرِ فِي هَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلُ مَعْنَاهُ غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ:« بِئْسَ أَخُو الْقَوْمِ وَابْنُ الْعَشِيرَةِ».

أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٦٠٣٢](ص/١١٦٧)، ومسلم في "صحيحه" برقم [٢٥٩١](ص/١٠٤٢)، واللفظ لمسلم.

(٣) جاء هذا الحديث الذي روته السيدة عائشة –رضي الله عنها– أَنَّ رَجُلاً اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم– فَقَالَ « ائْذَنُوا لَهُ فَلَبِئْسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ أَوْ بِئْسَ رَجُلُ الْعَشِيرَةِ ». فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ أَلاَنَ لَهُ الْقَوْلَ قَالَتْ عَائِشَةُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْتَ لَهُ الَّذِى قُلْتَ ثُمَّ أَلَنْتَ لَهُ الْقَوْلَ قَالَ « يَا عَائِشَةُ إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ وَدَعَهُ أَوْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ فُحْشِهِ » .

أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم [٢٥٩١](ص/١٠٤٢)

(٤) انظر: تحفة الأحوذي، للمباركفوري، (١١٢/٦).

وقال القاضي عياض: ((ابن العشيرة وأخو العشيرة: أي القبيلة، والجماعة، والعرب)) [1].

وقال العيني في عمدة القاري: ((وهو كقولك يا أخا العرب لرجل منهم)) [2].

وأخوة الدين: هي الأخوة التي ارتضاها الله تعالى لعباده المؤمنين، فقال: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [سورة الحجرات: ١٠] فهذه الأخوة الإيمانية.

فالمسلم في بلدك يجمعك معه: الأخوة الإيمانية، والأخوة الإنسانية، والأخوة الوطنية، والأخوة القومية، إن كان عربياً وأنت عربي، وإن كان كردياً وأنت كردي...

وأعلى وأشرف أنواع الأخوة بين البشر الأخوة الإيمانية..

والمواطن غير المسلم في بلدك يجمعك معه: الأخوة الإنسانية والوطنية والقومية..

ومن الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى أن تستعمل أسلوب القرآن الكريم، وأسلوب النبي ﷺ في خطابه.. فلا مانع أن تقول: ((إخواننا النصارى)) أو ((إخواننا الدروز)) أو ((إخواننا القوميون)) أثناء مخاطبتك لهم، بل يُستحسن أن تفعل ذلك بأسلوب حكيم حتى تصل دعوتك إلى قلوبهم، فتنشرح صدورهم لحقائق الإيمان بالله تعالى، أو لتتقارب النفوس قوة ودعماً لوحدة الأمة، وتحسيناً لظروف العيش المشترك[3]..

(١) انظر: إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، للقاضي عياض، (٢٩/٨).

(٢) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعيني، (١٨٤/٢٢).

(٣) انظر: – كتاب أفكار وأساليب لنهضة الأمة الإسلامية، سماحة العلامة الشيخ أحمد كفتارو.

=

٢- حوار ومجادلة ومناظرة إبراهيم عليه السلام لقومه الكافرين، وفقه هذا الحوار:

- **مناظرته ومجادلته وحواره مع النمرود الملك مدَّعي الألوهية:**

يقول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ [سورة البقرة].

۞ نستخلص من هذه المناظرة والمجادلة والحوار، فقه الدعوة والحياة الآتي:

إذا ناظر الداعي وحاور وجادل إنساناً مستكبراً معانداً فلا ينشغل ولا يضيع الوقت بالرد على ادِّعاءاته المزيفة، بل عليه أن ينتقل إلى حجة أخرى ودليل وبرهان أكبر لا يقدر على رده.

فسيدنا إبراهيم عليه السلام قدَّم الحجة الأولى لدحض ادِّعاء النمرود للربوبية، فقال: ﴿ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ﴾ وكانت حجة النمرود واهية لا تستحق الرد وإضاعة الوقت؛ لأنها كانت منقطعة عن الحقيقة، ولا تخرج عن كونها كلاماً فارغاً ومشاغبة لإخراج المناظرة عن دائرة المنطق وتضليل الحاضرين.

حيث ادعى أنه يستطيع أن يأتي برجلين قد تحتم قتلهما، فإذا أمر بقتل

- كتاب من فقه الدولة في الإسلام، د.يوسف القرضاوي
- كتاب مواطنون لا ذميون، فهمي هويدي.

أحدهما، عفا عن الآخر، فكأنه على زعمه قد أحيا أحدهما وأمات الآخر، فَعدَّ عفوه عن المحكوم بالقتل إحياء، وهذا منطق واهن لا يتصل بما قصده إبراهيم عليه السلام وهو أن من صفات الرب خلق الحياة والأحياء من الناس والحيوانات والنباتات وغيرهما ، ولذلك لم يُضع إبراهيم عليه السلام وقته بالرد على هذا المنطق السخيف، بل انتقل مباشرة إلى رمي النمرود بحجة زاهقة لربوبيته، تبهته فلا يملك حيالها جواباً، فقال له إبراهيم عليه السلام: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ ﴾.

- **مناظرات ومجادلات إبراهيم عليه السلام لأبيه وقومه الكافرين:**

يقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدۡ كُنتُمۡ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرٗا لَّهُمۡ لَعَلَّهُمۡ إِلَيۡهِ يَرۡجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتٗى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ فَأۡتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ﴿٦٦﴾ أُفّٖ لَّكُمۡ

وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [سورة الأنبياء].

۞ نستخلص من هذه المناظرة والمجادلة والحوار، فقه الدعوة والحياة الآتي:

١- يجب أن يكون الداعي إلى الله تعالى راشداً. والرشد هو كمال العقل، وسداد الفعل، وحسن التصرف، والاهتداء لوجوه الصلاح.

٢- من المجادلة والمناظرة بالتي هي أحسن أن تطلب من المخطئ أن يشرح لك وجهة نظره، والشبهة التي دفعته إلى سلوكه الخاطئ؛ أولاً: لتتفهم مقاصده، وطريقة تفكيره، ومستواه العقلي والفكري والعلمي، ثم تبدأ بطرح حججك المناسبة لحاله لتدحض خطأه أو باطله..﴿ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴾.

٣- إن الباطل لا يتحول إلى حق بسبب تقليد المبطلين من السابقين، أو بسبب كثرة الواقعين به، أو بسبب تعدد الجهات المتمسكة به، ولو كانوا أغنياء أو زعماء أو ملوكاً.. فالحقيقة لا ترتبط بقديم أو جديد، ولا بقلة أو كثرة ﴿ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾.

٤- الجرأة بالحق مع الحجة الدامغة وحسن البيان تجعل قلوب وعقول المبطلين تتحير كيف تدافع عن باطلها فيلجؤون إلى الالتفاف على صلب الموضوع، ويطرحون أموراً وأفكاراً جانبية.﴿ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴾

أي: أتمازحنا أم أنت جاد فيما تقول؟!!..

٥- من حكمة الداعي في الحوار والمناظرة والجدال ألا يلتفت إلى الألفاظ المجانبة لموضوع البحث، وألا يضيع الوقت في مناقشتها، بل عليه أن يبقى جاداً ومركزاً على صلب الموضوع، ويقود المناظرة بالاتجاه الذي يريد، ولا يسمح للطرف الآخر بأن يُشتت موضوع البحث. ﴿ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ فبين لهم صفات الرب الذي يستحق العبادة، وبين لهم أن الذي لا يسمعكم ولا يبصركم، ولا يدفع عنكم الأذى، ولا يملك القدرة على منحكم الحياة والرزق، ولا يستطيع قضاء حوائجكم، ولا ينفع ولا يضر، هو رب لا يستحق العبادة. يقول الله تعالى حاكياً على لسان سيدنا إبراهيم: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [سورة مريم] فالرب الذي يستحق العبادة هو الخالق والهادي، وهو الذي يُطعم ويسقي ويشفي ويحيي ويميت.. قال تعالى: ﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ الْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِيٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [سورة الشعراء] .

٦- على الداعي أن يبين لمخالفيه أنه قادر على بيان أحقيَّة آرائه وأفكاره وعقائده بالحجج الدامغة بالأقوال والأفعال..﴿ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾.

٧- عندما لا يستجيب الطرف الآخر للحجج القولية ويصر ويعاند، فعلى الداعي الانتقال إلى الحجج الفعلية والعملية إذا كانت متاحة له..

﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴾ فقد أراد إبراهيم عليه السلام أن يثبت لهم عملياً أن الأصنام التي يعبدونها من دون الله تعالى لا تستحق العبادة؛ لأنها لا تستطيع أن تدافع عن نفسها فضلاً أن تدافع عن عُبَّادها، فهي لا تضر ولا تنفع.. **وللداعي أن يستخدم:**

- **الكيد:** ﴿ لَأَكِيدَنَّ ﴾ والكيد هو الحيلة، أي الحذق في تدبير الأمور خُفية، وهذا من الحكمة [1]، وإذا كان يستخدمها بعض الناس بقصد الأذى، فإن الأعمال بنياتها ومقاصدها.

- **الحيل المشروعة:** وهي الحيل التي تتخذ للتخلص من المآثم للتوصل إلى الحلال، أو الحقوق، أو إلى دفع باطل، وهي الحيل التي لا تهدم أصلاً مشروعاً، ولا تناقض مصلحة شرعية. [2] وقد استخدم إبراهيم عليه السلام الحيلة، فادعى السقم والمرض، ﴿ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ ﴾ [سورة الصافات] حتى يبقى وحده عند خروج قومه إلى عيدهم فيقوم بكسر الأصنام... ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ ﴾ واستخدم الحيلة مرة أخرى عندما كسرها قطعاً إلا كبيرهم فلم يكسره، بل جعل الفأس في عنقه..، ليصل إلى مراده بإثبات أن هذه الأصنام لا تسمع ولا تنطق ولا تتحرك، ولا تضر ولا تنفع، فهي ليست بآلهة، ولا تستحق العبادة. لقد استخدم إبراهيم عليه السلام **التورية** لتحقيق ما يريد.. ﴿ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴾ .

(١) انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية، (٣٢٨/١٨).

(٢) انظر: المصدر السابق، (٣٣٠/١٨).

٨- الداعي الناجح يتفوق في مناظرته ومجادلته، من خلال استخدام الحجج المفحمة، كما أفحم إبراهيم عليه السلام قومه الكافرين، لما أثبت لهم أن الأصنام ليست بآلهة تُعبد، وأن من يعبدها جاهل لا يفكر ولا يمحص ولا يتحقق ولا يستخدم عقله، فهو ظالم لنفسه..﴿ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾.

٩- على الداعي أن يؤهل نفسه في مناظراته ومجادلاته وحواراته، لمواجهة عناد المعاندين واستكبار المستكبرين بعد ظهور الحقيقة واضحة جلية لأن إنكار الحقيقة عناداً لا يقلل من شأنها، ولا يضعف من قدرتها في إزهاق الباطل، وعناد المعاندين لا يخفي يقينهم بالحقيقة، فقد صدقوا بها في قلوبهم، وأنكروها استكباراً بألسنتهم..فنكسوا على رؤوسهم..ومع أنهم اعترفوا بأن هذه الأصنام لا تنطق، جحدوا الحق واستكبروا.

وفي قول الله تعالى:﴿ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَٰتُنَا مُبۡصِرَةٗ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [سورة النمل] دليل واضح على صحة هذه القضية.

فمع أن الحقيقة جاءتهم مبصرة، للإشارة على أنها من شدة وضوحها كأنها تبصر نفسها، جحدوا بها ظلماً لها واستكباراً عن اتباع الحق مع أنهم استيقنوا في أنفسهم أنها الحقيقة التي لا ينتابها الشك..

((والاستيقان أبلغ من الإيقان)) [1].

(١) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي، (١٨٤/٢٤).

١٠- على الداعي أن يثبت على الحق عند ظهوره، وألا يتراجع أو يضعف أمام عناد المعاندين، أو تهديدهم، أو اضطهادهم، أو عدوانهم... وعليه أن يثق بوعد الله تعالى ونصره وعونه، فإن العاقبة للمتقين. يقول تعالى: ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [سورة الأنبياء] .

وحجة الإيمان سوف تدحض حجة الباطل، وأهل الدعوة لهم الأمن، وأهل الكفر لا أمن لهم..

وكيف ينكر الكافرون الأمن لأهل الإيمان وهم في موضع الأمن، ولا ينكرون على أنفسهم الأمن وهم في موضع الخوف؟!!..

ويحصل الإنسان على الأمن المطلق بشرطين:

أولهما: الإيمان بالقلب والجنان والأعمال، **وثانيهما**: البعد المطلق عن الشرك الظاهر والخفي..

وأهل الدعوة الصادقون حجتهم غالبة لا مغلوبة، والرفعة والمجد لهم في الدنيا والآخرة..يقول الله تعالى: ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ

لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ ﴾ [سورة الأنعام].

٣-حوار ومجادلة ومناظرة موسى عليه السلام لفرعون مدعي الربوبية وقومه الكافرين، وفقه هذا الحوار:

يقول الله تعالى [١] : ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [سورة طه].

ويقول تعالى: ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ

(١) وانظر: الآيات [٢٣-٣٧]من سورة الشعراء، والآيات [١٠٤-١١٠]من سورة الأعراف.

فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ ﴾[سورة طه] .

۞ نستخلص من هذه المناظرة والمجادلة والحوار، فقه الدعوة والحياة الآتي:

١- الدعوة إلى الله تعالى عن طريق المجادلة بالتي هي أحسن هي وظيفة الأنبياء والرسل وهي وظيفة الدعاة من بعدهم استجابة لأمر الله تعالى.. والنصح والدعوة إلى الله يجب أن تشمل كل طبقات الناس بما في ذلك الحكام، وإن كانوا طغاة مستبدين.. وأسلوب النصح والحوار والمجادلة والمناظرة يجب أن يكون بالتي هي أحسن، وبالكلمة اللينة اللطيفة بعيداً عن الفظاظة والغلاظة، ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾[سورة طه] إن هذا الأسلوب يمكن أن يدفع الناس إلى التفكر والتذكر والاتعاظ والهداية والخشية من الله تعالى، ويقيم الحجة على المعاندين فلا يبقى لهم عذر يتعذرون به بين يدي الله تعالى.

وفي هذه الآيات عبرة عظيمة، عندما يُرسل الله تعالى نبيين كريمين إلى طاغية مدَّعٍ للربوبية، ثم يأمرهما أن يخاطباه بالقول اللين..

- **ملاحظة:**

سادت ثقافة مخالفة لمنهج القرآن الكريم، انتشرت في الكثير من الكتب الإسلامية، تدعو إلى عدم ذهاب العلماء إلى الحكام، وانتشرت العبارة المشهورة ((بئس العلماء على أبواب الأمراء)) وهذه الثقافة الخاطئة أدت إلى

انعدام النصح للحكام، فازدادوا فساداً واستبداداً وطغياناً وابتعاداً عن دين الله تعالى. وفي أحسن الحالات ازداد الحاكم خطأً بسبب عدم وجود الناصح الذي يدله على الخطأ..

والصحيح أنه يجب ذهاب العلماء إلى الحكام مهما طغوا أو بغوا أوتفرعنوا، وأن ينصحوهم بالقول اللين، وأن يدعوهم إلى الإصلاح، وإقامة العدل، واحترام كرامة المواطنين، والحفاظ على حقوقهم التي شرعها الله تعالى لهم، وأن ينبهوهم إلى الأخطاء كي يتجنبوها...

وهذا واجب العلماء، سواء استجاب الحكام لهم أم لم يستجيبوا..، فما على الرسول إلا البلاغ المبين.. قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [سورة الأعراف] ويجب أن يتحلى هؤلاء العلماء بالعلم والحكمة والشجاعة والجرأة والورع والإخلاص، فلا يبتغوا بذلك إلا وجه الله تعالى.. وأما الذين ينتسبون زوراً إلى مقام العلم ويبيعون دينهم بعرض من الدنيا قليل، فليسوا من مقام العلم في شيء..

٢-على الدعاة أن يلتجؤوا إلى الله تعالى بالدعاء، فهو من أسباب قربه، وأن يستعينوا به، وأن يستمدوا منه العلم والقوة والتأييد والتيسير والإلهام للنطق بالكلام المبين السهل الفهم المدعوم بالحجة المقنعة،قبل الذهاب إلى الحوار والمناظرة والمجادلة، فإذا نطقوا نطقوا بالله ولله، لأن الداعي إذا كان قلبه مشغولاً بغير الله تعالى، فلن يقدر على الدعوة،لذلك وجب عليه الالتجاء إلى الله تعالى والتبرؤ إليه من الحول والقوة ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ ﴾ [سورة طه] لقد كان

موسى عليه السلام يخشى أن يضيق صدره، فسأل الله تعالى أن يبدل ضيقه بالسعة والانشراح..

- **لفتة:**

دعا موسى عليه السلام: فقال: ﴿ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴾ وقال الله تعالى مخاطباً نبيه محمداً ﷺ : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ ﴾ [سورة الشرح] فانظر إلى الحالين وفرق المقامين..

قال تعالى :﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ... ﴾ [سورة البقرة].

٣-وعلى الدعاة ألا يخافوا من الطغاة أو من أي شيء يرهبهم، لأن الله تعالى معهم ناصراً وحافظاً ومؤيداً يسمعهم ويراهم، ﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ۝٤٥ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦ ﴾[سورة طه] .

٤-على الداعي أن يستعين بمن يساعده ليكون له ظهيراً ولتشتدَّ قوته به، وليكون له شريكاً، ويجب أن تقوم هذه الشراكة على شرع الله تعالى، وأن تتسم بتنزيه الله تعالى عما لا يليق به، وبمراقبته والشعور بمعيته على كل حال، مع كثرة الذكر والتسبيح، حتى تترقى حالة الداعي الروحية، فيكون لكلامه تأثير بليغ في نفوس الناس،﴿ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ۝٢٩ هَٰرُونَ أَخِى ۝٣٠ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ۝٣١ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ۝٣٢ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ۝٣٣ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ۝٣٤ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا (١) ۝٣٥ ﴾ [سورة طه]. وقال تعالى:﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ

(١) بصيراً أي عالماً بأحوالنا وما يصلح لنا.

﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [سورة الشعراء].

فإذا كان الداعي ضعيف البيان، فليستعن بأخ متألق في البيان، وإذا كان ضعيفاً في الناحية التنظيمية فليستعن بأخ متألق في الناحية التنظيمية، وهكذا في ناحية البحث العلمي والفكري، أو أي اختصاص آخر، وجمع الطاقات المتخصصة والمتكاملة قوة للدعوة، وهيبة لها في نفوس الناس، وأكثر تأثيراً في قلوبهم، وهذا فن متميز من فنونها، فليحرص الدعاة على ذلك. **يقول النبي** ﷺ : «إذا أرادَ اللهُ بالأميرِ خيراً جعلَ له وزيرَ صدقٍ، إن نسيَ ذكره، وإن ذكرَ أعانه، وإذا أرادَ اللهُ به غير ذلك جعلَ له وزيرَ سوءٍ، إن نسيَ لم يذكرْه، وإن ذكرَ لم يعنْه» (١).

ويمكن أن يعزز الداعي عمله الدعوي بفرد أو بعدد من الأفراد حسب ما تقتضيه الحاجة، يقول تعالى: ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [سورة يس].

٥-عندما يكلف الداعي بمهمة دعوية فليسأل الله تعالى ما يعينه على تنفيذها على الوجه الأكمل، فها هو موسى عليه السلام كلفه الله تعالى بالذهاب إلى فرعون ودعوته، فسأل ربه تعالى ثمانية أمور تعينه على تنفيذ ما كُلِّف به، والله تعالى لا يصعب عليه تلبية الطلب والسؤال،يقول كن فيكون: ﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ ﴾ [سورة طه] .

٦-من أهم ما يعين الدعاة على دعوتهم كثرة ذكرهم لربهم عز وجل فعندما

(١) أخرجه أبو داود في" سننه " برقم [٢٩٣٢](ص/٣٣٢)، وهو صحيح..

طلب الله تعالى من موسى وهارون عليهما السلام الذهاب إلى فرعون لدعوته أمرهما بكثرة ذكره، بل بعدم الفتور عن الذكر، ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ﴾ [سورة طه] وذلك لئلا ينشغل الداعي عن الله تعالى بنفسه أو بغيره، وهذا معنى من معاني ﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ﴾ [سورة طه] أي لتعمل بما أمرتك به ولا تنشغل عني بشيء البتَه..

وفائدة الذكر في الدعوة: أن روح الداعي تتقوى بذكر الله تعالى، فلا يضعف عن مقاصد الدعوة، بل يكون الذكر وسيلة لتحصيل المقاصد الدعوية، ومَن ذَكَرَ الله تعالى دكَّت أنوار الله تعالى وهيبته كلَّ هيبة وخوف في قلبه، وأصبح لروحانيته سلطان على الناس.

٧-الله تعالى يُعلم أنبياءه فن المناظرة والمجادلة والحوار، فقد أمر الله تعالى سيدنا موسى وهارون عليهما السلام:

أ- أن يعرِّفا بنفسيهما. ﴿ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ﴾.

ب- أن يقدِّما طلباتِهما. ﴿ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ﴾

ت- أن يقدِّما الأدلةَ والبراهينَ على صحة دعواهما. ﴿ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ﴾.

ث- أن يرغباه في الاستجابةِ لهما وفي الإيمانِ بهما، والاهتداءِ إلى ربهما، بحسن الجزاء. ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾

ج- أن يحذراه من التكذيب بالعذاب. ﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ ﴾ [سورة طه].

٨-يلاحظ أن فرعون على طغيانه وجبروته قابل موسى بالمجادلة والمناظرة

والحوار، ولم يقابله بالاضطهاد والقمع والتعذيب مباشرة.

لذلك سأله مستفهماً ﴿ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ ﴾ [سورة طه]. فكيف يليق بالدعاة أن يرفضوا الحوار والمناظرة والمجادلة مع المخالفين؟!!..ثم إن موسى وهارون عليهما السلام أصغيا إلى فرعون وأحسنا الاستماع إليه، وفي هذا دليل على وجوب استماع الداعي إلى المبطل ثم إجابته بالحجة البينة والقول اللين.

٩-وهذا ما فعله موسى عليه السلام حيث أقام الدليل على صحة وجود الخالق المستحق للعبادة بالحجج الحسية والعقلية انطلاقاً من أن إتقان الصنعة يدل على الصانع. ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾ [سورة طه] ﴿ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [سورة الشعراء].

١٠-يجب أن ينتبه الداعي إلى أن الخصم المعاند عندما يفقد الحجة في مقارعة الحجج، يتحول إلى تمييع الموضوع وتشتيته، فيسأل عن أمور جانبية أو يقابل الحجج بالسخرية والاستهزاء. ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٥١﴾ ﴾ [سورة طه] ﴿ قَالَ لِمَنۡ حَوۡلَهُۥٓ أَلَا تَسۡتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ [سورة الشعراء].

١١-على الداعي ألا يُجاريَ المبطل في سفاهاته بل يركز على متابعة تقديم الحجج الدامغة فقد أجاب موسى عليه السلام فرعون على سخريته وسفاهته وبذاءته برمي موسى عليه السلام بالجنون، بمتابعة تقديم الحجج القاطعة على إثبات وجود الخالق المستحق للعبادة.. ﴿ قَالَ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [سورة الشعراء].

وأجابه موسى عليه السلام عن أحوال القرون الأولى..﴿ قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّى فِى

كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ ﴾ [سورة طه].

وكان قصد فرعون بالسؤال عن الأمم الماضية الهروب من الموقف الحرج الذي وقع فيه أمام الحجج القاطعة التي قدمها موسى عليه السلام ومحاولة صرف موسى عليه السلام عن متابعة تقديم هذه الحجج، خوفاً من أن يؤدي هذا إلى إيمان الناس به، فحاول إشغاله بالسؤال عن قضايا تتعلق بتواريخ الأمم والأمور المغيبة من أحوالها، ولكن موسى عليه السلام تنبه لمكيدته، فتابع بتقديم الأدلة والبراهين على إثبات وجود الإله الخالق العظيم، وأكَّد أن الله وحده يعلم غيب الماضي عن أحوال الأمم السابقة ومآلاتها، فأمرها الماضي إلى علام الغيوب.

وفي هذا لفت لنظر فرعون بأن موسى عليه السلام بشر لا يعلم من أمر الغيب شيء.

١٢-على الداعي أن يعلم بأن المبطلين عندما يخسرون المناظرة والمجادلة، وتنقطع حجتهم، فإنهم يلجؤون بعد الاستهزاء والسفاهة والتحايل إلى التهديد والوعيد والتكذيب، واستخدام البطش وسطوة السلطان، وجبروت القوة، إذا امتلكوا القدرة على ذلك. ﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [سورة الشعراء].

١٣-ومع ذلك قابله موسى عليه السلام بالآيات البينات الدالة على صدقه ﴿ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [سورة الشعراء].

١٤-ولكن المبطلين المتكبرين يستمرون في محاربة الحقيقة، ويعاندون

أصحابها، ولا يستسلمون حتى يقهرهم الله تعالى بعذابه وخزيه في الدنيا والآخرة.

﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ ﴾ [سورة طه].

المطلب الثاني عشر: سمات حوارات ومجادلات ومناظرات الأنبياء مع أقوامهم.

نلاحظ أن حوارات ومناظرات ومجادلات الأنبياء والرسل عليهم السلام مع أقوامهم تقوم على القواعد التالية:

١- المحاكمة العقلية والاعتماد على الحقائق العلمية.
٢- الدليل والبرهان والحجج الدامغة والبيان الواضح.
٣- العدل والإنصاف.
٤- اللطف واللين.
٥- الدفع بالتي هي أحسن، وعدم مقابلة السيئة بالسيئة.
٦- البعد عن الإكراه.
٧- الصبر على الأذى والسخرية والاستهزاء.
٨- عدم الخوف والرهبة من التهديد والوعيد والتحدي.
٩- عدم الانشغال والانسياق نحو موضوعات جانبية، القصد منها إضعاف موقف المناظر وإشغاله وتشتيت موضوع المناظرة، بل يجب عدم إضاعة الوقت في مناقشتها، والتركيز بشدة على صلب الموضوع، وقيادة المناظرة نحو الاتجاه المطلوب بمنتهى الجدية، ومتابعة تقديم الأدلة والبراهين حتى تقام الحجة الدامغة والبينة على الطرف الآخر.
١٠- الاستعانة بالله تعالى، واستمداد التيسير والتأييد والإلهام

والنطق بالكلام المبين السهل المدعوم بالحجة المفحمة، والإكثار من ذكر الله تعالى ومراقبته والشعور بمعيته على كل حال، والتبرؤ من الحول والقوة.

١١- الاستعانة بالمساعدين، وجمع الطاقات المتخصصة والمتكاملة، ففي هذا قوة للدعوة وهيبة لها، وفن متميز من فنونها.

١٢- يجب أن يكون القصد من الحوار والمناظرة والمجادلة بيان الحقائق وهداية الخلق إلى الخالق ﷻ..

إلهي
لست مقصودي ورضاك مطلوبي

الفصل الثاني

وسائل الدعوة.

المبحث الأول: وسيلة الدعوة عن طريق الاتصال الفردي.

المبحث الثاني: وسيلة الدعوة في إطار الأسرة التربوية .

المبحث الثالث: وسيلة الدعوة العامة (الجماهيرية).

المبحث الرابع: وسيلة الدعوة من خلال العمل التعليمي.

المبحث الخامس: وسيلة الدعوة من خلال النشاطات الفكرية.

المبحث السادس: وسيلة الدعوة من خلال النشاطات الثقافية.

المبحث السابع: وسيلة الدعوة من خلال النشاطات الاجتماعية والخيرية والإغاثية.

قل كل يعمل على شاكلته

المبحث الأول
وسيلة الدعوة عن طريق الاتصال الفردي

المطلب الأول: أهميتها:

- لا يمكن لأي دعوة أن تنمو وتتشعب وتتجذر وتستمر إذا لم تقم أساساتها على الدعوة عن طريق الاتصال الفردي..

ولقد شهدنا مشاريع دعوية قامت على الدعوة الجماهيرية، ولم يتوافر لها الانطلاق عبر الدعوة الفردية، فكبرت وتوسعت وتضخمت كالفقاعة، ثم ما لبثت أن تلاشت بفقد رمزها وزعيمها، والذي غالباً ما يمتلك شخصية جذابة، ولساناً طليقاً يثير العواطف ويلهب الحماسة في الجماهير..

المطلب الثاني: من ميزاتها:

إن الدعوة عن طريق الاتصال الفردي هي الأهم بين وسائل الدعوة بسبب ميزاتها التالية:

١-اعتمادها على الصحبة الكثيفة والمعمقة مع المدعو، وهي من أعظم وسائل الدعوة من ناحية التأثير التربوي عليه، ومن أدقها في متابعة أحواله..

وتتميز هذه الوسيلة بتوافر مودة كبيرة وثقة وانسجام بين الداعي والمدعو، مما يعطي الداعي قدرة كبيرة على التأثير والتغيير العميق في شخصية المدعو.

إضاءة

أستطيع أن أجزم بلا مبالغة أن الصحبة هي العامل الأهم تأثيراً على حياة الإنسان وسلوكه واتجاهاته ومستقبله..فالصحبة تأهيل وتدريب غير مباشر تتقبله النفس برضا وسرور.

٢-وبسبب ما تولده هذه الوسيلة من راحة نفسية عند المدعو، وبسبب قدرتها على كشف أدق خبايا العيوب النفسية والسلوكية والفكرية عنده، فإنها توفر للداعي فرصاً واسعة لإصلاح أحوال المدعو على نحو محدد ومركز.

٣-وتمتاز هذه الوسيلة بأنها تساعد على معالجة مشاكل المدعو بأوقاتها، وعلى نحو انسيابي متدرج، فلا يشعر المدعو بمواقف حادة صادمة.

٤-وفي هذه الوسيلة الدعوية تختلط أنفاس الداعي مع المدعو من خلال الحوار والتوجيه والصحبة اللصيقة، فيطَّلع الداعي على طبائع المدعو، ويكتشف مواهبه، ونقاط قوته وتميزه، فينميها ويوظفها في العمل الدعوي.

٥-وتمتاز بقدرتها على تعميق المحبة في الله تعالى بين الداعي والمدعو وجماعة الدعوة..

٦-وتمتاز بقدرتها على ترسيخ قيم الأخوة في الله عند المدعوين فيستبدل المدعو بالقيم الفاسدة في علاقاته السابقة قيمَ الأخوة الرائعة.

وهذه الأخوة تؤسس لعلاقة وشيجة العُرى متينة الصلة، تسيطر على سلوك الإنسان واتجاهاته وميوله، ويخضع من خلالها لسلطان مهيمن من السعادة والنشوة الروحانية يعجز عنها الوصف.. وتغدو علاقة الأخوة في الله أهم من علاقات النسب والعمل..

٧-وتمتاز بقدرتها على التأثير العميق في شخص المدعو، سواء أكان من

الناحية الفكرية أم الناحية العاطفية..

وهذا يساعد الداعي على إعادة برمجة المدعو فكرياً بما يتناسب مع توجهات الدعوة الإسلامية، مدعوماً بحالة عاطفية منسجمة تفتح الطريق أمام تقبل الأفكار.

٨-وتمتاز بقدرتها على جذب الأفراد إلى الدعوة ودفعهم للالتزام ببرامجها ونشاطاتها المتعددة.

٩-وتمتاز بقدرتها على جعل المدعوين يُقبلون على تأهيل أنفسهم لينخرطوا في سلك الدعوة والدعاة، وليشاركوا في تحمل الواجبات.

١٠-وتمتاز بقدرتها على ترسيخ مفهوم التشاور عند المدعو، فلا يتصرف إلا بعد التشاور في أموره الخاصة وفي الأمور العامة.

١١- وتمتاز -أيضاً-بقدرتها على ربط المدعو بالجماعة.

لأن الفرد مهما ارتبط بالدعوة عاطفياً، فإن ارتباطه يبقى ضعيفاً ما لم يرتبط بجماعة دعوية توفر له حياة اجتماعية إسلامية متميزة بقيمها عن القيم الخاطئة التي تحيط به من كل جانب، وهذا أمر مهم جداً؛ لأن الجماعة توفر بيئة إسلامية حاضنة للمدعوين..

١٢-وتمتاز بقدرتها على معالجة الفتور الذي قد يعتري الأفراد المدعوين، فكم من مدعو بدأ سيره باندفاع وحماسة للانخراط في برامج الدعوة، ثم لا يلبث أن يصيبه الفتور.. ووسيلة الدعوة عن طريق الاتصال الفردي تتحسس هذا الفتور بسرعة، فتحفز همته وتُلهب حماسته في نصرة الدعوة.

١٣-وتمتاز بقدرتها على حجب المدعو عن علاقاته وصحبته السيئة السابقة، وتقدم له بديلاً صالحاً يأنس به ويرتاح إليه..

١٤-وتمتاز بقدرتها على تربية المدعو في الجوانب الروحية والأخلاقية والقيمية والعقلية والعلمية والاجتماعية والحركية..

١٥-وتكمن أهمية هذه الوسيلة الدعوية في غلبة الطابع العملي (تدريب عملي) في ترسيخ أهدافها التربوية ووظائفها الدعوية.

١٦-وتمتاز بقدرتها على تشغيل أعداد كبيرة جداً من الدعاة غير النخبويين .

رؤية

إن خير وسيلة للحفاظ على التزام واستمرار المدعوين في الدعوة..
وخير وسيلة لإطلاق وتنمية مواهب المدعوين في أعمال الدعوة..
وخير وسيلة لحجب المدعوين عن الفتور أو الانحراف الفكري أو السلوكي..
هي إغراق أوقاتهم بالعمل الدعوي، وهذا أمر مهم جداً يجب أن ينتبه إليه الدعاة...

١٧-وتمتاز هذه الوسيلة الدعوية بإمكانية شمولها شرائح مختلفة من المجتمع، كباراً وصغاراً، ذكوراً وإناثاً، حرفيين ومثقفين، فقراء وأغنياء..

١٨-ويمكن ممارسة الدعوة عن طريق الاتصال الفردي في كافة الأجواء، المريحة والصعبة، وبخاصة عندما يكون العمل الدعوي معرضاً للاضطهاد والمنع..

١٩-وتمتاز هذه الوسيلة بقدرتها على الامتداد إلى الساحات الخاصة والعامة في جميع أنحاء العالم، فكم من شخص دخل في الإسلام، وحَسُن إسلامه من خلال دعوة عن طريق الاتصال الفردي في بيئات معادية للإسلام، وحتى داخل السجون كما حصل في الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها..

٢٠-وأهم ميزات الدعوة عن طريق الاتصال الفردي، أنها المدخل الصحيح لتشكيل جماعات دعوية منظمة، يلتزم أفرادها بقيم الدعوة، ويعملون على نشرها، ويضحون من أجلها..

المبحث الثاني
وسيلة الدعوة في إطار الأسرة التربوية

المطلب الأول: أهميتها.

وتأتي من حيث الأهمية بعد وسيلة الدعوة عن طريق الاتصال المباشر؛ لأنها توفر للمدعوين حاضنة يجدون فيها الحياة الإسلامية بقيمها وأجوائها، وهي ذات سلطان مهيمن روحياً وفكرياً وأخلاقياً واجتماعياً وحركياً..

وهي تمثل الأسرة في مجال الدعوة، حيث تنشأ علاقات عميقة ومتينة بين أفرادها، وتسود بينهم المحبة والمودة والأخوة في الله تعالى، يتفقد بعضهم أحوال بعض، ويتكافلون فيعين القوي فيهم الضعيف، ويتزاورون ويتواصلون ويتآزرون ويتباذلون في مناسباتهم واحتياجاتهم..

ويحفِّز بعضهم همة بعض، ويقوي بعضهم بعضاً، يتناصحون ويتناقشون، ويتحاورون ويتعاونون على خدمة الدعوة الإسلامية التي هي همهم وشغلهم الشاغل..

إنهم زينة وقوة وعون لبعضهم بعضاً في الدنيا، ويرجون محبة الله تعالى لهم، بحبهم لبعضهم بإخلاص، لقول الله تعالى في الحديث القدسي: «وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ »[1].

(١) أخرجه أحمد في "مسنده" برقم [٢٢٠٣٠] (٣٥٩/٣٦)، وهو صحيح رجاله ثقات.

فالأسرة التربوية قوةٌ على الخير، وعصمةٌ من الشر، ودافعٌ قويٌّ للمشاركة بالعمل الدعوي، وخلاصة ماتطلبه من الأخ: **أنج بنفسك،أنج بأهلك،أدع إلى سبيل ربك**.

والأسرة التربوية هي الحاضنة المصغرة لبرامج الدعوة المباشرة..

وهي على نوعين: الأولى عامة، والثانية متخصصة: (أطباء، مهندسين، محامين، حرفيين، معلمين...)، وفيها ينفذ الدعاة برامج متعددة [1]، كما سيأتي لاحقا:

المطلب الثاني: برنامج التربية الروحية.

ويتخصص هذا البرنامج بوقاية القلوب ثم علاجها ثم تغذيتها..

ويستند هذا البرنامج إلى:

- التركيز على أداء الفرائض، ومن ذلك صلاة الفرائض في الجماعة.
- التركيز على وظيفة أداء النوافل.
- التركيز على وظيفة قيام الليل والتهجد.
- التركيز على وظيفة تلاوة القرآن الكريم.
- التركيز على وظيفة الذكر اليومية (الذكر الخاص).

(١) للتوسع انظر: مجالات التربية في الإسلام، في كتاب مبادئ في الفكر التربوي الإسلامي، للمؤلف.

- التركيز على وظيفة الأدعية والأذكار المأثورة (الذكر العام) [1].

ويكون الذكر العام مطلقاً أو مقيداً حسب ما ورد في السنة، ويكون خفياً في النفس أو جهراً حسب ما ورد في القرآن الكريم، ويمكن أن يكون الذكر العام باللسان أو بالقلب أو بكليهما معاً..

والذكر مفتاح أبواب النفحات الإلهية والتجليات الربانية..

والذكر روح الدعوة إلى الله تعالى، ومن لا ذكرَ له لا روحانية له، ومن لا روحانية له لا نفع له..

فكل من يريد أن يصبح داعياً إلى الله تعالى، عليه أن يدخل مدرسة غار حراء، ومعنى ذلك أن يخصص وقتاً ليخلو بالله تعالى منفرداً بذكره..

فإذا أكثر الداعي من ذكر الله تعالى، وتمكن الذكر من قلبه، وبسط سلطانه على روحه، يصبح تأثيره في الناس قوياً وعميقاً.. فحال رجل في ألف رجل أقوى من قال ألف رجل في رجل.. والقلب الغافل عن الله تعالى يصيبه العمى، وينطمس نوره، ويصبح صاحبه من اتباع الهوى فيهلك..

والذكر يعين الداعي على تحمل صعوبات الدعوة ومشاقها، ويعينه على الثبات والصمود، ويعين على التشبث بشرائع الإسلام.

إن قراءة العلوم وحدها لا تصنع من الإنسان داعياً ناجحاً ومؤثراً.. وليصلَ إلى ذلك يحتاج إلى أمرين:

---

(١) تُستخدم على الأغلب جداول محاسبة يومية، تُبيِّن مستوى تنفيذ هذه الوظائف، إضافة إلى وظائف أخرى مطلوبة من المدعو مثل موضوعات بر الوالدين، صلة الأرحام، الصدقة اليومية، التوبة اليومية، إغاثة الملهوف، حضور الدروس، قراءة في كتاب، زيارة أخ في الله وأمور أخرى..

أولهما: ذكر الله تعالى حتى يحيا القلب فيأنس بربه، ويتنعم بقربه، ويتلذذ بمناجاته ونفحاته.

وثانيهما: تزكية النفس لتخليتها، وتنقيتها من عيوبها ورذائلها، ثم تحليتها بفضائل الأخلاق والصفات.

إضاءة

إن تزكية النفوس جزء لا يتجزأ من التربية الروحية، وعلى الدعاة الاستحياء من نظر الله تعالى إليهم، ومحاسبة نفوسهم، وعدم تركها لهواها، وأن يأخذوها بالمجاهدة والعزائم، وعليهم أن يراقبوا الله تعالى مع أنفاسهم وفي سلوكهم وأعمالهم لتكون موافقة لآداب وأخلاق الذاكرين، النقية قلوبهم، والمطهرة نفوسهم، وعليهم مصاحبة أهل التزكية والمحبة، والاستفادة من توجيهاتهم ونصائحهم وأنظارهم..

إن الذي يصحب السعداء يسعد بصحبتهم، والذي يلازم أصحاب القلوب الذاكرة ويستقيم مع الله تعالى، يتأثر بعلمهم وورعهم وأنوار قلوبهم، فتشمله عناية الله تعالى.

إن الداعي إذا لم يتربَّ تربيةً روحيةً فلن يذوق حلاوة الإيمان، ولن تسعد نفسه بإشراقات الروح، ولن تتنزل عليه أنوار الله تعالى، فيعيش بقلب قاسٍ كالحجارة أو أشد قسوة، وهو عندئذ كالجسد الميت لا روح له.. [1]

(١) يدرس في هذا البرنامج مجموعة كتب، ومنها:

١- مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية.

٢- ذكر الله تعالى طريقك للنجاح والسعادة والتفوق، للمؤلف.

٣- منهج الإسلام في تزكية النفس، د.محمد خير فاطمة.

=

المطلب الثالث: برنامج التربية الأخلاقية.

ويركز هذا البرنامج على جانبين:

جانب نظري: ويتضمن الأسس والمبادئ الأخلاقية التي تُدرس في الأسرة التربوية.

جانب عملي: ويركز على التطبيق والتوجيه من خلال المراقبة والمتابعة والصحبة.

والالتزام الأخلاقي في الإسلام لا يسلب الإنسان حريته ، ولا يُصادم قناعته، ولا يتجاوز حدود معرفته، إنما هو مسؤولية يتحملها الإنسان بملء اختياره، وهي مسؤولية يتحمل نتائجها في ممارساته الدنيوية ويحصد خيراتها في حياته الأخروية.

والأخلاق الإسلامية شاملة لكل مفاصل حياة الإنسان على المستوى الفردي والاجتماعي.. وهي أخلاق ذات سِمات إنسانية وروحية واجتماعية وعملية متميزة[1]..

المطلب الرابع: برنامج التربية القِيْمِيّة.

يولد الإنسان ولادة جديدة عندما يبدأ بتشكيل الحالة المعرفية والقيمية، وتبدأ ظهور خصائصه وسماته التي يتميز بها عن غيره، ثم تنمو هذه القيم وتتطور بمساهمة المحيط الاجتماعي الذي يعيش فيه، وأهمه الأسرة التربوية.

ومن هذه القيم التي تزرعها الأسرة التربوية في المدعو على نحوٍ منهجي:

٤- التصوف طريق التزكية والإحسان،د. محمد خير فاطمة.

(١) يدرس في هذا البرنامج مجموعة من كتب الأخلاق-وهي متوافرة بكثرة-، ومنها:

١- مختصر منهاج القاصدين، للإمام ابن قدامة المقدسي.

٢- الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني.

قيم الإيمان، والتوحيد، والفضيلة، والعدل، والمساواة، والحرية، والرحمة، والسلام، ونصرة المظلوم، وعدم الاعتداء والبغي، والرفق وتجنب العنف، والثبات على نصرة الحق، وتقديس العلم والحكمة والتزكية، وإغاثة الملهوف، وقضاء حاجات الناس، وإعانة الفقراء والضعفاء، واحترام حقوق الإنسان والأخوة الإنسانية، واحترام قيمة الوقت.. (١).

المطلب الخامس: برنامج التربية العقلية (الحكمة).

- ويهدف هذا البرنامج إلى بناء جيل يتصف بالإدراك والفهم لحقائق الأشياء، وتدبر عواقب الأمور، ثم العمل بمقتضاها، ووضع الأمور في مواضعها زماناً ومكاناً وكيفية.. ويهدف أيضاً إلى تنمية العقل الغريزي بالاكتساب والتجريب والتدريب حتى يبلغ أعلى مستوياته.

إضاءة

إن غياب المحاكمات العقلية والتفكير الموضوعي الحكيم في حياة الناس، وتغلب الأهواء والتجييش العاطفي، وعدم الأخذ بالأسباب بالعمل والإعداد والاستعداد لكل أمر، يعرّض المسلمين لكوارث مدمرة مؤكدة..

لذلك كان النبي ﷺ يحذِّر من الأحوال التي تطيش فيها العقول وتُنتزع من الناس، مما يفتح أبواب الفتن الطاغية على مصاريعها، ويشير النبي ﷺ إلى أنَّ من علامات الساعة أن تُسلب من ذوي العقول عقولهم، فيكثر القتل بين الناس...

---

(١) يدرس في هذا البرنامج مجموعة من الكتب التي تتضمن هذه القيم-وهي متوافرة بكثرة-، ومنها:

١- كتاب مبادئ في الفكر التربوي الإسلامي، للمؤلف.

٢- كتاب أيها المسوفون الوقت ضيق، للمؤلف.

٣- الجزء الثاني، كمال رحمته ﷺ، من كتاب موسوعة فقه الدعوة والحياة، للمؤلف.

عن أبي موسى الأشعري ﷺ **قَالَ**: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحَدِّثُنَا أَنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ الْهَرْجَ. قِيلَ: وَمَا الْهَرْجُ؟ **قَالَ**:« الْكَذِبُ وَالْقَتْلُ» قَالُوا: أَكْثَرُ مِمَّا نَقْتُلُ الْآنَ! **قَالَ**: «إِنَّهُ لَيْسَ بِقَتْلِكُمُ الْكُفَّارَ وَلَكِنَّهُ قَتْلُ بَعْضِكُمْ بَعْضاً، حَتَّى يَقْتُلَ الرَّجُلُ جَارَهُ، وَيَقْتُلَ أَخَاهُ، وَيَقْتُلَ عَمَّهُ، وَيَقْتُلَ ابْنَ عَمِّهِ» قَالُوا: سُبْحَانَ اللَّهِ! **وَمَعَنَا عُقُولُنَا؟**. **قَالَ**: « لَا، إِلَّا أَنَّهُ يَنْزِعُ عُقُولَ أَهْلِ ذَاكَ الزَّمَانِ حَتَّى يَحْسَبَ أَحَدُكُمْ أَنَّهُ عَلَى شَيْءٍ وَلَيْسَ عَلَى شَيْءٍ» (١).

● ولقد رفع الإسلام من مكانة العقل وأبرز أهميته في حياة الإنسان، ودعا إلى تنميته بالاكتساب والتدريب والتجريب، وتجميع الخبرات، ومجالسة العقلاء الحكماء، والأخذ عنهم والابتعاد عن الحمقى ومصاحبتهم.. وهذا ما تقدمه الأسرة التربوية للمدعوين.. (٢).

المطلب السادس: برنامج التربية العلمية والتحصين الفكري.

ويهدف برنامج التربية العلمية في الأسرة التربوية إلى:

١-تنشئة المدعوين على مبادئ التربية العلمية في الإسلام، ومنها:

أ-الأمانة العلمية والتحقق:

يقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [سورة الإسراء].

(١) أخرجه أحمد في "مسنده" برقم [١٩٦٣٦](٤٠٨/٣٢)، وهو صحيح.

(٢) يدرس في هذا البرنامج مجموعة من الكتب، ومنها:

١-أفكار وأساليب لنهضة الأمة الإسلامية، سماحة العلامة الشيخ أحمد كفتارو -رحمه الله-.

٢-نداء إلى الإسلاميين..ألا فلنتعلم الحكمة،د.محمد خير الشعال.

٣-بحث التربية العقلية، من كتاب مبادئ في الفكر التربوي الإسلامي، للمؤلف.

فالآية الكريمة تقدّم لنا منهجاً علمياً يستند إلى البحث العلمي، وفق المنطق العقلي التجريبي، من خلال ما تشهده نظراً وسمعاً في إطار موقف مسؤول غير عبثي أو عاطفي، مكللٍ بإحساس مرهف يستشعر مراقبة الله تعالى ومعيته على كل حال؛ ليكون ضابطاً للهدف والوسيلة حسب القيم الأخلاقية والروحية الإسلامية، وهذا يشكل ميّزة عظيمة يسمو بها على المناهج العلمية المادية..

ب-الاجتهاد وعدم التقليد الأعمى:

إن مبادئ التربية العلمية في الإسلام ترفض التقليد الأعمى بلا تمحيص ولا تفكير ولا مناقشة ولا حوار.. بل تدعو إلى البحث عن الحقيقة، والاجتهاد في تحصيلها، ثم فهمها والعمل بها، وتنهى عن المجادلة بغير علم تقليداً واتباعاً..

ج-قبول الحوار والخضوع للحقيقة وعدم التعنت:

إن مبادئ التربية العلمية في الإسلام تنهى عن التعنت والتشبث بالقناعات والأفكار إذا وجد ما هو أهدى منها، وترسخ الحوار، وتدعو إلى الخضوع للحقيقة، ولا تقصي أصحاب الرأي الآخر، بل تحاورهم وتطالبهم بالدليل، وتساوي بين المسلم وغير المسلم بحق الحوار.

٢-تعليم المدعوين العلوم الإسلامية الأساسية، ومنها:

تجويد القرآن وحفظه، حفظ الأحاديث النبوية ودراسة علومه، علم الفقه وأُصوله، علوم التفسير، والسيرة، والتراجم..

٣-تحصين المدعوين فكرياً:

وذلك بتدريسهم مجموعة من الكتب التي ترد على الشبهات الموجهة إلى الإسلام، وعلى الأفكار الضالة التي تهدف إلى محاربة الإسلام.. [١].

المطلب السابع: برنامج التربية الاجتماعية.

- إن التربية الاجتماعية في الإسلام، عملية مستمرة في حياة الإنسان، هدفها إحداث تغييرات في سلوكه، وصولاً إلى إحداث تغيرات في المجتمع؛ ليتكيف ويتطبع بالمفاهيم الاجتماعية الإسلامية.

وتركز هذه التربية الاجتماعية على تنمية الشعور بالمسؤولية، وتدعو إلى أخذ زمام المبادرة ومباشرة الأعمال الواجبة، وتنهى عن العزلة والاعتزال والسلوك السلبي تجاه المجتمع.

وتنمي هذه التربية الحس الجماعي عند المدعوين، وشعورهم بالمسؤولية تجاه الآخرين، وتنهى عن الأنانية والفردية، وتدعو إلى تضافر جهود جميع أبناء المجتمع لتحقيق نهضته..

---

(١) يدرس في هذا البرنامج مجموعة من الكتب ومنها:
١-الكتب المتخصصة في العلوم الشرعية.
٢-كتاب الدعوة والدعاة بين الواقع والهدف، د.بسام صباغ.
٣-فتن التكفيريين، د.بسام الصباغ.
٤-بلاء التكفير، د.بسام الضباغ.
٥-دعاة لا قضاة، حسن إسماعيل الهضيبي.
٦-مبادئ في فكر الدعوة الإسلامية، للمؤلف.
٧-مراجعات في الفكر والعمل الدعوي، للمؤلف.
٨-الوصايا "للدعاة"، للمؤلف.

وتتسع التربية الاجتماعية لتشمل واجبات وحقوق وعلاقات كل أفراد المجتمع بعضهم مع بعضٍ، مع الأمهات، مع الآباء، مع الأبناء، مع الأزواج، مع الأطفال، مع النساء، مع الشيوخ، مع القرابة والأرحام، مع الجيران، مع المعلمين، مع المتعلمين، مع الشركاء، مع العمال، مع أرباب العمل، مع الحكام، مع المحكومين، ومع عموم الناس في المجتمع.[1]

- وفي المجال الاجتماعي يتم نشر ثقافة التكافل والإيثار بين المدعوين، وتقوم الأسرة التربوية برعاية أفرادها في الجانبين: المعنوي، والمادي..

معنوياً: من خلال التوجيه لدفع المدعو للعمل والاجتهاد والتفوق في شؤونه الحياتية، والابتعاد عن الضعف والاتكالية..

ومادياً: من خلال إعانة المدعو الضعيف مادياً من صندوق الزكاة، أو من صندوق القرض الحسن، لمساعدته على فتح باب عمل وحرفة، أو مساعدته على الزواج، أو مساعدته على تأمين مسكن حسب الإمكانيات المتاحة..

المطلب الثامن: برنامج التربية الوطنية.

يهدف برنامج التربية الوطنية إلى تربية المدعوين على المبادئ التالية:

١- محبةِ أرضهم وأوطانهم، والتضحية بكل ما يملكون للدفاع عنها

(١) يدرس في هذا البرنامج مجموعة من الكتب، ومنها:
١-المسألة الاجتماعية بين الإسلام والنظم البشرية، عمر عودة الخطيب.
٢-علم الاجتماع الإسلامي، زيدان عبد الباقي.
٣- بحث المجال الاجتماعي في الإسلام، في الجزء الأول، من كتاب موسوعة فقه الدعوة والحياة، للمؤلف .

وحِفظها من كل ما يوقع الضرر بها، سواء أكان ذلك على مستوى الوطن الصغير أم على مستوى الوطن الإسلامي الكبير.

٢- المساهمةِ في نهضة أوطانهم وازدهارها.

٣- الحرصِ على أمن الناس واستقرار الوطن، والحذر من الإشاعات المدمرة لأمن المواطنين واستقرارهم.

٤- حمايةِ دماء وأموال وأعراض وحقوق المواطنين لأنه واجب شرعي، بصرف النظر عن دينهم أو عرقهم.

٥- تحقيق مفاهيم الإخاء والتسامح والحرية والعدل والمساواة والكرامة الإنسانية للجميع.

٦- نشرِ ثقافة الحوار بين المواطنين، ونبذ الاستئثار وإعجاب كل ذي رأي برأيه، واحترام الرأي الآخر، وتنمية التفكير الناقد.

٧- نشرِ ثقافة حب النظام واحترامه، والالتزام بالقوانين والأنظمة التي تراعي المصلحة العامة للمجتمع.

٨- نشرِ ثقافة احترام القيم الدينية والاجتماعية الفاضلة.

٩- احترامِ مشاعر المواطنين كافة على اختلاف طبقاتهم وانتماءاتهم.

١٠- تربيةِ المواطنين على مناصرة القضايا العربية والإسلامية، والقضايا العادلة للشعوب، والاهتمام بها.

١١- تنميةِ الشعور بضرورة الوحدة العربية والإسلامية.

١٢- تعريفِ المواطنين بأصدقائهم وأعدائهم في العالم.

١٣- تعريفِ المواطنين بالمؤامرات التي تُحاك ضد الأمة العربية والإسلامية، والتحديات التي تواجهها.

١٤- تعريفِ المواطنين بحقوقهم وواجباتهم، وتحميلهم مسؤولية تصرفاتهم.

١٥- تنميةِ الشعور بأهمية الأعمال التطوعية والخيرية في خدمة المجتمع.

١٦- التنادي والاندفاع بحماسة لإغاثة الملهوفين المتضررين من الحوادث أو الكوارث[١].

١٧- تنميةِ قيم التعاون والمسؤولية الجماعية اتجاه الوطن.

١٨- التعريفِ بالآثار الوخيمة للجرائم الجنائية والأخلاقية وغيرها، وتنمية الشعور بضرورة تعاون جميع المواطنين مع القضاء العادل والمؤسسات الاجتماعية ذات العلاقة لمعالجتها.

١٩- تعريفِ المواطنين بتاريخهم وتراثهم، وضرورة احترامه والمحافظة عليه.

٢٠- احترامِ رموز الأمة وجعلهم نبراساً للأجيال.

٢١- تحريم المساس برموز الأمة ومقدساتها.

٢٢- تنميةِ الشعور بواجب المحافظة على الممتلكات الخاصة والعامة، وعدم الإضرار بها.

٢٣- تنميةِ الشعور بواجب المحافظة على الطاقة والموارد وترشيد استهلاكها.

٢٤- تنميةِ الشعور بواجب المحافظة على اقتصاد البلد، ودعم الإنتاج الوطني.

٢٥- تنميةِ الوعي البيئي لدى المواطنين؛ للحفاظ على البيئة وحمايتها من الإضرار بها، كحماية الغابات والحدائق والأشجار الخضراء في الشوارع، وعدم المساهمة بنشر النفايات والملوثات..[٢].

٢٦- تنميةِ الوعي بالقضايا والمشكلات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية المعاصرة التي تؤثر في حياة المواطنين.

---

(١) انظر: بحث دور المؤسسات الخيرية، في كتاب مبادئ الفكر الاقتصادي الإسلامي، للمؤلف.

(٢) انظر : بحث النظافة وحماية البيئة في كتاب موسوعة فقه الدعوة والحياة، الجزء الرابع، للمؤلف.

٢٧- تنميةِ الوعي بمناقشة الآراء ووجهات النظر حول نهضة الوطن ومستقبله، والمشاركة الفاعلة لكل مواطن في هذه النهضة.

٢٨- تنميةِ الوعي بالمحافظة على قيم العيش المشترك مع المواطنين كافة على اختلاف أديانهم وأعراقهم وأفكارهم وانتماءاتهم.

٢٩- تنميةِ التفاعل الإيجابي مع الاستحقاقات الوطنية ، مثل المشاركة في الانتخابات ، ونشر ثقافة الشورى والديمقراطية[١]، والحريات العامة،والعدل، وتكافؤ الفرص بين جميع المواطنين..

٣٠- محاربة ثقافة الانعزالية،وعدم الاهتمام بالشؤون العامة [٢] .

المطلب التاسع: برنامج التربية العملية.

ويهدف هذا البرنامج إلى:

أ-التزود بالفكر الدعوي وتنميته.

ب-إنتاج قيادات دعوية مؤهلة، وزيادة خبراتهم وتأهيلهم، وتربيتهم وتدريبهم على مهام الدعوة المختلفة، عن طريق دورات مكثفة، تستهدف موضوعات محددة، وتغطي جوانب نظرية وجوانب عملية، ومن هذه المهام الدعوية:

١- الدعوة الفردية.
٢- التدريس.
٣- الخطابة.

(١) انظر: بحث الشورى، في كتاب موسوعة فقه الدعوة والحياة، الجزء الأول، للمؤلف.
(٢) تدرَّس هذه المبادئ من مجموعة كتب تشتمل عليها.

٤- المناظرات الفكرية ومجادلة الخصوم.

٥- علوم وخبرات القيادة وفن الإدارة المتقدمة.

٦- علوم وخبرات التربية.

٧- تحضير موضوعات وكيفية التعامل مع المصادر والمراجع.

٨- ندوات تقوم على العصف الذهني في موضوعات تشمل جوانب العمل الدعوي.

٩- مهارات التواصل، واستخدام الحاسوب.

١٠- معالجة العوائق ونقاط الضعف في المنتسبين للدعوة [١].

١١- معالجة الإشكاليات ونقاط الضعف في جماعات الدعوة. [٢]

ج-التربية على مفهوم الطاعة، ومفهوم الجماعة، ومفهوم التعاون والتنسيق والتكامل مع الجماعات الإسلامية الأخرى وفق الضوابط الشرعية.

د-التربية على مفاهيم الصحبة والأخوة في الله تعالى وفق الضوابط الشرعية.

هـ-دراسة طرائق الدعوة وتطبيقها[٣].

و- دراسة وسائل الدعوة وتطبيقها[٤].

ز- دراسة أساليب الدعوة وتطبيقها[٥].

ح-مهام وشروط وصفات الداعي وتطبيقاتها[٦].

---

(١) انظر: كتاب مراجعات في الفكر والعمل الدعوي، للمؤلف.

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) انظر: الفصل الأول من هذا الكتاب.

(٤) انظر: الفصل الثاني من هذا الكتاب.

(٥) انظر: الفصل الثالث من هذا الكتاب.

(٦) انظر:كتاب الوصايا (للدعاة)، للمؤلف.

المطلب العاشر: برنامج النشاطات الدعوية.

- **أنواعها.**

١- الرحلات اليومية.

٢- المخيمات الكشفية.

٣- الألعاب الرياضية.

٤- السباحة.

٥- نشاطات على الحاسوب.

٦- المسابقات العلمية.

وغيرها من النشاطات...

- **أهدافها.**

وتهدف هذه النشاطات إلى تغيير نفسيات وسلوكيات المدعوين..

- من الاتكالية إلى الاعتماد على النفس.
- من الأنانية إلى الروح الجماعية.
- من ضعف الثقة بالنفس إلى قوة الشخصية.
- من الجبن والخوف إلى الشجاعة والقوة.
- من التعود على التنعم والترفه إلى الصلابة والخشونة.
- من الانهزامية أمام الصعاب إلى القوة والقدرة على مواجهة الصعاب.
- من التكبر والاستعلاء إلى التواضع.
- من الكسل وإيثار الراحة إلى العمل وتحمل المسؤولية.
- من الاستعلاء إلى خدمة الآخرين.
- من حب النفس إلى الإيثار.

- من البطر والتكبر على النعمة إلى الرضا بالقليل والشكر عليه.
- من الإسراف والتبذير إلى الاعتدال والتوفير.
- من الانعزالية عن الناس إلى الاندماج ومشاركة الآخرين.
- من الشح والبخل إلى الإنفاق والكرم.
- من إيثار السلامة إلى التصدي للمهام الدعوية والتضحية من أجلها.
- من الجفاف الروحي وقسوة القلب إلى التألق روحياً والتنور قلبياً.
- من العيِّ الفكري إلى الريِّ الفكري.
- من الضعف البدني إلى القوة والنشاط البدني.

كما تهدف هذه النشاطات إلى تدريب وتأهيل المشاركين قيادياً وإدارياً، وإكسابهم خبرات ومهارات وعلوم متعددة..، واكتشاف الموهوبين منهم وتوظيف هذه المواهب، وتوسيع علاقات المدعوين مع بعضهم، وتوسيع قاعدة المعارف والاستفادة من خبراتهم في الأمور الدنيوية والدعوية.

ويشترط في هذه النشاطات أن تكون خالية من كل ما يخالف المبادئ والقيم الإسلامية، وأن تناسب مستويات المشاركين..

وخلاصة القول: إن هذه النشاطات تصنع إنساناً جديداً ناجحاً بل متميزاً، فكم من الآباء والأمهات اتصلوا بنا بعد عودة أبنائهم إليهم من المخيم، وكان الكلام المتواتر للجميع لقد رجع ولدنا بحال جديدة "إنه إنسان مختلف"!!..

* * * *

المبحث الثالث
وسيلة الدعوة العامة (الجماهيرية)

وهي وسيلة عمومية تضعف فيها صفة الخصوصية، فلا تستند إلى الصحبة الفردية، ولا تمتلك إمكانية كبيرة في اكتشاف العيوب النفسية والسلوكية والفكرية للأشخاص، ولا إمكانية كبيرة في اكتشاف مواهبهم، ولا إمكانية كبيرة في توظيف جهودهم بشكل عملي في حقل الدعوة، ولا إمكانية كبيرة في بناء علاقة وشيجة ومحبة بين الداعي والمدعوين، ولا إمكانية كبيرة في التغيير العميق في صفات وسلوكيات المدعوين، ولا تستطيع ربط المدعوين بقوة مع الجماعة، ولا تستطيع توفير أجواء حياة إسلامية راشدة ينضم إليها المدعو ويتخلى عن أجوائه الجاهلية السابقة، وهي وسيلة بعيدة عن التدريب العملي، وهي غير ممكنة في الأجواء الصعبة وحالة المنع..

- وتمتاز عن وسيلة الدعوة عن طريق الاتصال الفردي بما يلي:

١- تحقق تضخماً سريعاً بعدد الأتباع (المستمعين).
٢- توفر توجيهاً وتعليماً عاماً غير متخصص لعدد كبير من الناس دفعة واحدة.
٣- الوصول إلى شرائح واسعة وأعداد كبيرة من الناس في وقت محدود.
٤- تساعد على تشكيل رأي عام متعاطف مع الداعي.
٥- تمتلك القدرة على تحريك الجماهير، وإلهاب حماستها العاطفية.
٦- يمكن الاستفادة منها في الانتخابات الديمقراطية.

٧- يمكن الاستفادة منها في تأمين تبرعات وتمويل للأعمال الدعوية الخيرية.

٨- توفر شهرة واسعة للداعي بين الناس.

- **وتستند هذه الوسيلة إلى مخاطبة الجماهير بوسائل متعددة، ومنها:**

المطلب الأول: الخطابة.

وهي من أهم وسائل الدعوة، وصفة من أهم الصفات الظاهرة للداعي في مجال الدعوة العامة..

والخطيب الناجح هو الخطيب المؤثر الذي يجذب سامعيه عن طريق الإقناع بالحجج والبراهين والأدلة القوية، وهو الذي يمتعهم بحسن اختيار الموضوع وتحضيره بما يتناسب مع ثقافة واهتمام مستمعيه، ثم التعبير عنه بجميل العبارات، وحسن الإشارات، وإتقان مخارج الحروف، مع حماسة متزنة، وعاطفة جياشة، وروحانية فياضة، ودعاء متقن مؤثر، ويجمع إلى ذلك سمت حسن، ونبرة صوت فيها موسيقى مؤثرة، وإتقان رفع الصوت وخفضه منسجماً مع الموضوع، وإجادة الوصل والوقف، والابتعاد عن التقعر في الكلام والتكلف فيه، والتوسط بالخطبة فلا يُقل ولا يُمل، وبهذا تنبع خطبته من القلب وتستقر في القلب..

وعلى الخطيب أن يعطي لكل مناسبة حقها، ويحسن أن تبنى الخطبة على عنوان وموضوع محدد، يتفرع إلى عدد قليل من عناوين فرعية لا يتجاوز عددها خمسة ليسهل على المستمع حفظها واستيعابها..كما يحسن تلخيص الأفكار الرئيسة في الخطبة وما ترشد إليه في ختامها.

المطلب الثاني: الدروس العامة.

وتتميز الدروس عن الخطابة بأهدافها، وحضورها، وأسلوبها، وموضوعها..

- **موضوعها:**

يغلب على موضوعها الوعظ والإرشاد..ويمكن أن تتناول موضوعات متنوعة، مثل التفسير أو السيرة أو العقيدة أو الحديث أو الفقه أو التراجم أو التاريخ الإسلامي، أو أي موضوع علمي يرغب به الجمهور..

وتتميز الموضوعات بأنها أكثر خصوصية من موضوعات الخطبة، ويمكن تناول موضوعات من خلالها، لا يمكن تناولها في الخطبة..

- **أهدافها:**

١- دلالة الحضور على الله تعالى وتحبيبهم بالله ورسوله ورسالته.

٢- ربط الحضور بالمسجد وبالداعي، من خلال التعرف عليهم، وتوثيق الصلة بهم.

٣- بيان حقائق الإسلام، وتعريف الحضور بمبادئه وشرائعه، وتصحيح المفاهيم الخاطئة التي اعتاد الناس عليها.

٤- الدفاع عن الإسلام في وجه أعدائه المشككين والمشوهين.

٥- غرس القيم الإسلامية في قلوب وعقول الناس ودفعهم للالتزام بها.

٦- فتح الباب لتساؤلات الحضور، والإجابة عليها، وتبيين ما التبس عليهم من الأمور.

- **حضورها:**

يكون الحضور في الدروس على الأغلب أقل من الحضور في خطبة الجمعة..ويتميز الحضور فيها أنهم قاصدون لتحصيل المعرفة، وتربط بينهم وبين المدرس علاقة ارتباط.. وهذا أمر مهم بتحصيل الفائدة..

وهم يرغبون في الدرس لتوافر إمكانية الاستفسار والحوار والمناقشة، وهي أكثر تفاعلية مع الحضور من الخطبة سواء أكانت من الناحية العلمية أم النفسية..

- **أسلوبها:**

١- لغة الدروس سهلة بسيطة مرنة لا تكلُّف فيها.
٢- يكثر فيها استخدام صيغة السؤال، وضرب الأمثال، والقصص المعبرة.
٣- لغتها وأسلوبها أقرب إلى الناس من لغة الخطبة.

المطلب الثالث: المحاضرات.

وتتميز عن الخطبة والدروس بأهدافها، وحضورها، وأسلوبها، ووسائلها، وموضوعها.

- **موضوعها:**

تتسم موضوعاتها بأنها أكثر خصوصيةً وعلميةً وتعمقاً من موضوعات الخطابة والدرس العام.

ويستند موضوع المحاضرة لقواعد البحث العلمي، في بيانه ومناقشته من كل جوانبه، ومناقشة الآراء المخالفة بموضوعية علمية وحياد..

- **أهدافها:**

١-تهدف المحاضرة إلى تنمية الحالة الفكرية في الأفراد والمجتمعات، وترسيخ المحاكمات الفكرية في معالجة الموضوعات الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية..، والاحتكام إلى منهج البحث العلمي ونتائجه في توجهاتنا على نحوٍ عامٍ.

٢-كما تهدف إلى دراسة مشكلة محددة ومناقشتها ووضع حلول لها.

٣-أو تسعى لطرح موضوع جديد مبتكر، فيه إبداع في جانب من الجوانب الفكرية أو العلمية أو الثقافية أو الاجتماعية..إلخ..

- **حضورها:**

يكون الحضور فيها أكثر ثقافة وتخصصاً وخبرة من حضور الخطبة أو الدرس.

- **أسلوبها:**

١- لغتها علمية فكرية بحثية متخصصة.

٢- تناقش الأفكار المتداولة حول الموضوع المؤيدة لوجهة نظر المحاضر والمخالفة على نحو موضوعي، وبعيدٍ عن العواطف.

٣- تكثر فيها الأدلة والبراهين العلمية الموثقة.

٤- يكون للمحاضرة مخطط بحث واضح المعالم مؤلف من:

أ-مقدمة تنبه لأهمية الموضوع، وسبب اختياره.

ب-صلب الموضوع.

ج-خلاصة الموضوع.

د-النتائج والمقترحات.

- **وسائلها:**

يحسن أن يستخدم المحاضر جهاز إسقاط، وشاشة كبيرة، وحاسب، يجهز عليه مسبقاً مخطط البحث وشرائح المحاضرة.

المطلب الرابع: المناظرة والجدال والحوار.

هي حوار ومجادلة بين اثنين أو أكثر حول موضوع، لكل منهم وجهة نظر تخالف نسبياً وجهة نظر الآخر، ويحاول كل طرف إثبات وجهة نظره وإبطال وجهة نظر خصمه، مع رغبة كليهما بظهور الحق والاعتراف به عند ظهوره[1].

وللمناظرة شروط وفوائد وأنواع، ويحتاج إليها الدعاة لنشر الدعوة الإسلامية، وإقناع الناس بها بالاستناد إلى البرهان القوي، والحجة الدامغة، والدليل القاطع[2].

ومما تهدف إليه إظهار الحق، ونصرة الإسلام، وإبطال حجج أعدائه، وتنمية الفكر الإسلامي، وتوسيع آفاقه.

المطلب الخامس: برامج الإعلام:

وتعد أهم وسائل الدعوة العامة للأسباب التالية:

١- سعة انتشارها، ووصولها إلى أعداد كبيرة جداً من الناس.
٢- جاذبيتها للمستمعين والمشاهدين.
٣- قوة تأثيرها في تغيير الأفكار والعادات، وترسيخ التوجهات

(١) انظر: آداب البحث والمناظرة، محمد أمين الشنقيطي، (ص/٣).
(٢) انظر: بحث طريقة الدعوة بالحوار والمجادلة بالتي هي أحسن، في هذا الكتاب.

والقناعات، وهي تفوق الوسائل الأخرى في التأثير؛ لتأثيرها في الوجدان عميقاً، وقدرتها الكبيرة على الإقناع، وسلطانها على كل الناس بمختلف مستوياتهم[1].

إن الإعلام يحدد الأولويات، ويرسم الصور الذهنية للناس، ويحدد وجهات نظرهم، فيتشرَّبون مع مرور الزمن هذه الرؤى على نحو واضح، ويصبح كثير منهم أسرى لها في تفكيرهم وقراراتهم.

٤- تتوزع برامج الإعلام على مساحة واسعة من الوسائل، ومنها:

أولاً: البرامج التلفزيونية.

- برامج مباشرة.
- برامج حوارية ومناظرات.
- برامج ثقافية.
- برامج تأهيل إداري وقيادي.
- برامج مسابقات.
- برامج أطفال.
- برامج مسلسلات.
- أفلام وثائقية.

ثانياً: شبكات التواصل.

ثالثاً: المواقع الإلكترونية.

(١) انظر: بحث دور الإعلام في التربية، في كتاب مبادئ في الفكر التربوي الإسلامي، للمؤلف.

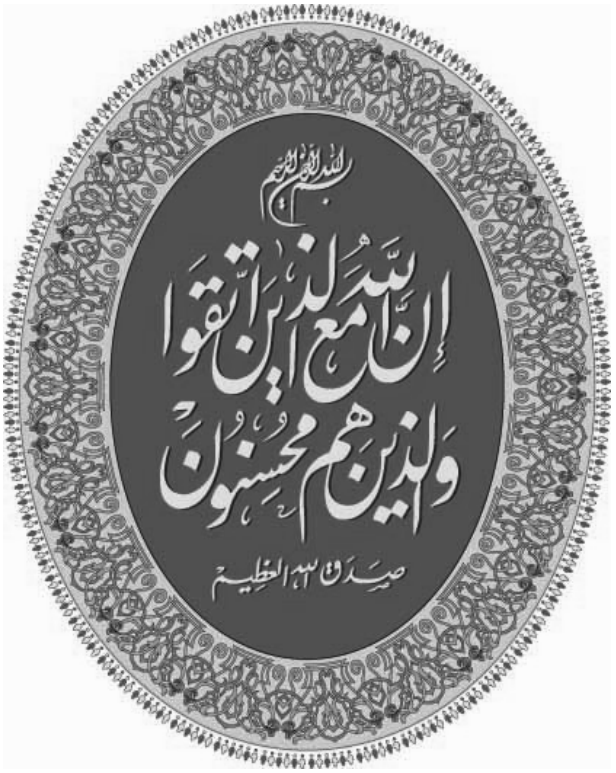
بسم الله الرحمن الرحيم
إن الله مع الذين اتقوا
والذين هم محسنون
صدق الله العظيم

المبحث الرابع
وسيلة الدعوة من خلال العمل التعليمي

المطلب الأول: التعليم العام.

يعد التعليم العام وسيلة عظيمة للدعوة إلى الله تعالى، تنبَّه إليها المسلمون في أواسط القرن العشرين، فأنشؤوا المدارس التعليمية العامة لكافة المراحل الدراسية، وبرزت بشكل واضح ملموس في العقد السابع من القرن العشرين، وبخاصة دور الحضانة والتدريس الابتدائي. وما زال المجتمع بحاجة ماسة إلى المدارس الإعدادية والثانوية..

ولقد تنبهت البعثات التنصيرية إلى أهمية التعليم مبكراً، فافتتحت مجموعة كبيرة من المدارس لكافة مراحل التعليم في أغلب المدن الرئيسية في العالم الإسلامي، ووظفتها على نحو واسع لزرع ثقافة التغريب في الطلبة، وتدمير وتشويه ثقافتهم الإسلامية، فحوَّلت الكثير منهم إلى لا دينيين.. وأهَّلتهم بالتنسيق مع الإدارات الاستعمارية لاستلام مقدرات بلاد المسلمين..

واستطاع الإسلاميون أن يقلصوا الفجوة، ثم نافسوا هذه البعثات، مع أنها تلقى الدعم والتأييد من دول كبرى، ولا داعم للإسلاميين إلا الله تعالى..

ويجب علينا اليوم افتتاح مدارس عامة تركز على الفرع العلمي، بعضها

مخصص للذكور وأخرى مخصصة للإناث على نحو واسع، لتكون قادرة على تحقيق الأهداف التالية:

١- تخريج طلبة ملتزمين إسلامياً وتربوياً.

٢- تخريج طلبة مؤهلين أرفع تأهيل في الجانب العلمي.

٣- يستخدم فيها أحدث تقانات التعليم.

٤- ينفذ فيها برامج متقدمة في الإدارة والتعليم.

٥- يتوافر فيها قيادات دعوية تربوية وإدارية مؤهلة تأهيلاً عالياً بفنون الدعوة والتربية والإدارة.

٦- يتوافر فيها قيادات تعليمية متخصصة ومؤهلة تأهيلاً عالياً في الجانب العلمي وفي الخبرات التدريسية.

٧- يستخدم فيها الأنظمة الحديثة في الدوام والإقامة:

أ-دوام صباحي ومسائي.

ب-سكن داخلي.

ويجب على الإسلاميين التفكير جدياً بفتح جامعات علمية تستكمل تنفيذ الأهداف السابقة..

إن وضع هذه البرامج قيد التنفيذ سيحقق إنجازاً عظيماً، في تخريج قيادات علمية وعملية مؤهلة وملتزمة، تستطيع أن تتسلم المسؤوليات بجدارة، وتساهم على نحو واسع في نهضة الأمة ورقيها.

المطلب الثاني: التعليم الشرعي.

إن التعليم الشرعي وسيلة مهمة جداً لتخريج قيادات دعوية متخصصة وموهوبة.. غير أن الواقع يشير إلى وجود إشكالات وصعوبات متعددة يعاني منها التعليم الشرعي[1]، وتحتاج إلى حلول ناجعة.

ومن هذه الإشكالات والصعوبات:

١- ضعف الإنتاج .

٢- عدم اختيار الطلاب الأكفاء.

٣- إشكالية المناهج والكتب، وضرورة تطويرها.

٤- وجود تكرار وإعادة في المناهج في المراحل الإعدادية والثانوية والجامعية، مما يوجب الحذف والاختصار.

٥- ضعف الإعداد الدعوي والتربوي.

٦- ضعف التدريب والتأهيل العملي، والتدريب المستمر.

٧- عدم استخدام أساليب الإدارة الحديثة.

٨- عدم استخدام تقانات التعليم الحديثة.

٩- ضعف خبرات المدرسين والإداريين، وضعف تنمية مهاراتهم.

١٠- عدم وجود نظام دوام صباحي ومسائي، وسكن داخلي.

١١- عدم وجود برامج أنشطة داعمة.

١٢- انعدام التنسيق والتكامل بين مؤسسات التعليم الشرعي، فأكثرها في الحقيقة منغلقة على نفسها.

---

(١) انظر: بحث إصلاح التعليم الديني، في كتاب أفكار وأساليب لنهضة الأمة الإسلامية، لسماحة العلامة الشيخ أحمد كفتارو، (٣٩٩/١).

ويجب الانتباه إلى عدم التوسع في التعليم الشرعي على نحو عشوائي غير مدروس، بل يجب ربط التوسع بالأعداد المطلوبة من الخريجين المؤهلين، ويجب التركيز على إنشاء مدارس وجامعات نوعية تقبل النخبة من الطلبة المتميزين والموهوبين.

إن تركيز الجهود على أعداد محددة منتخبة، تتسم بالموهبة والتميز، ودعمها مادياً ومعنوياً، وتأمين احتياجات العيش الكريم لها، سيوفر حاجة المجتمع من القيادات العلمية والدعوية المؤهلة تأهيلاً عالياً.

المطلب الثالث: الدورات العلمية:

أولاً: دورات تحفيظ القرآن الكريم.

- وهي من الوسائل المهمة في الدعوة إلى الله تعالى، تشمل جميع الشرائح الاجتماعية ومختلف الأعمار ذكوراً وإناثاً، وإن كانت في مجال دعوة الأطفال والشباب أكثر شهرة.
- وتوفر هذه الدورات مدخلاً ممتازاً لنشر الدعوة الإسلامية من خلال توفير فرصة للقاء الدعاة مع الشباب وتوجيههم وتربيتهم على القيم الإسلامية.
- ولهذه الدورات مع برامجها التربوية والدعوية تأثير بالغ على حياة الشباب، وصبغها بصبغة الإسلام وأفكاره.

ويدخل بعض الناس هذه الدورات لتكون معبراً لهم للالتزام بالدعوة الإسلامية وبرامجها طيلة حياتهم، بل ينتقلون مع مرور الزمن من مدعوين إلى دعاة ناشطين وفاعلين.

- وفي الحد الأدنى، تؤثر هذه الدورات على حياة المنتسبين إليها، وتبقى آثارها الفكرية والعلمية والتربوية معهم، وإن لم يلتزموا وينشطوا في مجال الدعوة إلى الله تعالى.

ويلاحظ أن دورات حفظ القرآن الكريم تؤثر على شخصيات الطلبة، فيصبحوا أحسن أخلاقاً، وأكثر اجتهاداً ونبوغاً في دراستهم.، ومن ثمَّ أفضل مستقبلاً.

- ويرتبط مدى تأثير هذه الدورات في المنتسبين إليها بجهود الدعاة القائمين عليها، وعمق وعيهم لأهدافها، القريبة منها والبعيدة.

- **فمن أهدافها القريبة:**

١- غرس مبادئ معرفة الله تعالى ومحبته وتوحيده.
٢- غرس مبادئ معرفة النبي ﷺ ومحبته ومحبة الصالحين والدعاة الصادقين.
٣- غرس القيم والآداب الإسلامية، ولاسيما آداب حملة القرآن.
٤- تعليم تجويد القرآن الكريم.
٥- تحفيظ القرآن الكريم.
٦- حفظ تفسير وبيان كلمات القرآن الكريم.
٧- التدريب على التدبر والفهم مع الحفظ والتلاوة.
٨- حفظ الحديث النبوي الشريف.
٩- تعليم فقه الطهارة والعبادات.
١٠- التدريب على الالتزام بالعبادات.
١١- ربط المنتسبين الأكفاء بالدعوة الإسلامية وبرامجها ودعاتها.
١٢- تنفيذ نشاطات متنوعة (رياضة، رحلات، مسابقات...) للترويح عن النفس، ولبناء روح التآلف والمودة بين المشاركين فيما بينهم من جهة، وبينهم

وبين الدعاة إلى الله تعالى من جهة أخرى.

١٣- حفظ بعض الأذكار والأوراد اليومية المسنونة.

١٤- تنمية المهارات الشخصية، ومنها:

أ-تنمية مهارات التفكير، كالإدراك والملاحظة والتحليل..

ب-تنمية مهارات الخطابة، والتدريب على تحمُّل مسؤولية جزئية، والخط، والمطالعة، وتلخيص الأفكار، والإلقاء، وتعميق الثقة بالنفس، والتعود على العمل الجماعي، وحب البحث والاكتشاف والاستطلاع...

١٥- العمل على نبوغ الطالب وتميزه دراسياً واجتماعياً وأخلاقياً وتربوياً..

١٦- إقامة صلات وثيقة مع أولياء الطلبة، ودفعهم للمشاركة بدعم نشاطات الدورات.

- **ومن أهدافها البعيدة:**

١- توثيق علاقة الصحبة والأخوة في الله تعالى، بين الداعي والمدعوين.

٢- صناعة جيل ملتزم بالدعوة الإسلامية وبرامجها.

٣- إقامة مستنبتات لاكتشاف الموهوبين، والاستفادة منهم في مشاريع الدعوة المتعددة.

٤- نشر القيم والمبادئ الإسلامية.

٥- الوصول إلى عملية تشبيك وإنتاج علاقات ناضجة ومتقدمة بين العاملين في حقل الدعوة الإسلامية تبدأ بالنشاطات المشتركة، وتندفع نحو التنسيق والتكامل.

- **ومما يجب أن يركز عليه الدعاة في دورات تحفيظ القرآن الكريم:**

- **أن يعلِّموا الطلبة آداب وأخلاق القرآن الكريم:**

يقول الإمام محمد بن الحسين الآجري في بيان أخلاق أهل القرآن: ((يَنْبَغِي لِمَنْ عَلَّمَهُ اللهُ الْقُرْآنَ، وَفَضَّلَهُ عَلَى غَيْرِهِ مِمَّنْ لَمْ يَعْلَمْ كِتَابَهُ، وَأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ، وَأَهْلِ اللهِ وَخَاصَّتِهِ، وَمِمَّنْ وَعَدَهُ اللهُ مِنْ الْفَضْلِ الْعَظِيمِ؛ لُزُومُ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُنَا لَهُ .

وَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ [سورة البقرة]، قِيلَ فِي التَّفْسِيرِ: يَعْمَلُونَ بِهِ حَقَّ عَمَلِهِ .

وَمِمَّا **قَالَهُ النَّبِيُّ** ﷺ: « الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ مَاهِرٌ بِهِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ وَالَّذِي يَقْرَؤُهُ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ فَلَهُ أَجْرَانِ»[1].

وَقَالَ بِشْرُ بْنُ الْحَارِثِ: سَمِعْتُ عِيسَى بْنَ يُونُسَ يَقُولُ: "إِذَا خَتَمَ الْعَبْدُ الْقُرْآنَ، قَبَّلَ الْمَلَكُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ."

فَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعاً لِقَلْبِهِ، يُعَمِّرَ بِهِ مَا خَرَبَ مِنْ قَلْبِهِ، وَيَتَأَدَّبَ بِآدَابِ الْقُرْآنِ، وَيَتَخَلَّقَ بِأَخْلاقٍ شَرِيفَةٍ، تَبِينُ بِهِ عَنْ سَائِرِ النَّاسِ مِمَّنْ لا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ.

فَأَوَّلُ مَا يَنْبَغِي لَهُ: أَنْ يَسْتَعْمِلَ تَقْوَى اللهِ ﷻ فِي السِّرِ وَالْعَلانِيَةِ، بِاسْتِعْمَالِ الْوَرَعِ فِي مَطْعَمِهِ، وَمَشْرَبِهِ، وَمَلْبَسِهِ، وَمَكْسَبِهِ، وَيَكُونَ بَصِيراً بِزَمَانِهِ وَفَسَادِ أَهْلِهِ، فَهُوَ يَحْذَرُهُمْ عَلَى دِينِهِ، مُقْبِلاً عَلَى شَأْنِهِ، مَهْمُوماً بِإِصْلاحِ مَا فَسَدَ مِنْ أَمْرِهِ، حَافِظاً لِلِسَانِهِ، مُمَيِّزاً لِكَلامِهِ.

(١) أخرجه أحمد في "مسنده" برقم [٢٤٢١١](٤٠/٢٥٦)، وهو صحيح.

إِنْ تَكَلَّمَ تَكَلَّمَ بِعِلْمٍ، إِذَا رَأَى الْكَلامَ صَوَابَاً، وَإِذَا سَكَتَ سَكَتَ بِعِلْمٍ، إِذَا كَانَ السُّكُوتُ صَوَابَاً، قَلِيلَ الْخَوْضِ فِيمَا لا يَعْنِيهِ، يَخَافُ مِنْ لِسَانِهِ أَشَدَّ مِمَّا يَخَافُ مِنْ عَدوِّهِ، يَحْبِسُ لِسَانَهُ كَحَبْسِهِ لِعَدُوِّهِ، لِيَأْمَنَ مِنْ شَرِّهِ وَسُوءِ عَاقِبَتِهِ، قَلِيلَ الضَّحِكِ فِيمَا يَضْحَكُ فِيهِ النَّاسُ، ... إِنْ سُرَّ بِشَيءٍ مِمَّا يُوَافِقُ الْحَقَّ تَبَسَّمَ، يَكْرَهُ الْمِزَاحَ خَوْفَاً مِنْ اللَّعِبِ، فَإِنْ مَزَحَ قَالَ حَقَّاً، بَاسِطَ الْوَجْهِ، طَيِّبَ الْكَلامِ.

لا يَمْدَحُ نَفْسَهُ بِمَا فِيهِ، فَكَيْفَ بِمَا لَيْسَ فِيهِ، يَحْذَرُ مِنْ نَفْسِهِ أَنْ تَغْلِبَهُ عَلَى مَا تَهْوَى مِمَّا يُسْخِطُ مَوْلاهُ. لا يَغْتَابُ أَحَدَاً، وَلا يَحْقِرُ أَحَدَاً، وَلا يَسُبُّ أَحَدَاً، وَلا يَشْمَتُ بِمُصِيبَةٍ، وَلا يَبْغِي عَلَى أَحَدٍ، وَلا يَحْسِدُهُ، وَلا يُسِيءُ الظَّنَّ بِأَحَدٍ إلا بِمَنْ يَسْتَحِقُ، يَحْسِدُ بِعِلْمٍ، وَيَظُنُ بِعِلْمٍ، وَيَتَكَلَّمُ بِمَا فِي الإِنْسَانِ مِنْ عَيْبٍ بِعِلْمٍ، وَيَسْكُتُ عَنْ حَقِيقَةِ مَا فِيهِ بِعِلْمٍ.

قَدْ جَعَلَ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ وَالْفِقْهَ دَلِيلَهُ إِلَى كُلِّ خُلُقٍ حَسَنٍ جَمِيلٍ، حَافِظَاً لِجَمِيعِ جَوَارِحِهِ عَمَّا نُهِيَ عَنْهُ، إِنْ مَشَى مَشَى بِعِلْمٍ، وَإِنْ قَعَدَ قَعَدَ بِعِلْمٍ، يَجْتَهِدُ لِيَسْلَمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ. وَلا يَجْهَلُ، فَإِنْ جُهِلَ عَلَيْهِ حَلُمَ، وَلا يَظْلِمُ، فَإِنْ ظُلِمَ عَفَا، وَلا يَبْغِي، وَإِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ، يَكْظِمُ غَيْظَهُ لِيُرْضِيَ رَبَّهُ، وَيَغِيظَ عَدُوَّهُ، مُتَوَاضِعٌ فِي نَفْسِهِ، إِذَا قِيلَ لَهُ الْحَقُّ قَبِلَهُ، مِنْ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ.

يَطْلُبُ الرِّفْعَةَ مِنْ اللهِ ﷻ لا مِنْ الْمَخْلُوقِينَ، مَاقِتَاً لِلْكِبْرِ، خَائِفَاً عَلَى نفْسِهِ مِنْهُ، لا يَتأكَّلُ بِالْقُرْآنِ، وَلا يُحِبُّ أَنْ تُقْضَى لَهُ بِهِ الْحَوَائِجُ، وَلا يَسْعَى بِهِ إِلَى أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ، وَلا يُجَالِسُ بِهِ الأَغْنِيَاءَ لِيُكْرِمُوهُ .

إِنْ كَسَبَ النَّاسُ مِنْ الدُّنْيَا الْكَثِيرَ بِلا فِقْهٍ وَلا بَصِيرَةٍ، كَسَبَ هُوَ الْقَلِيلَ بِفِقْهٍ وَعِلْمٍ، إِنْ لَبَسَ النَّاسُ اللَّيِّنَ الْفَاخِرَ، لَبَسَ هُوَ مِنْ الْحَلالِ مَا يَسْتُرُ

عَوْرَتَهُ، إِنْ وُسِّعَ عَلَيْهِ وَسَّعَ، وَإِنْ أُمْسِكَ عَلَيْهِ أَمْسَكَ، يَقْنَعُ بِالْقَلِيلِ فَيَكْفِيهِ، وَيَحْذَرُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ الدُّنْيَا مَا يُطْغِيهِ.

يَتَّبِعُ وَاجِبَاتِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، يَأْكُلُ الطَّعَامَ بِعِلْمٍ، وَيَشْرَبُ بِعِلْمٍ، وَيَلْبَسُ بِعِلْمٍ وَيَنَامُ بِعِلْمٍ، وَيُجَامِعُ أَهْلَهُ بِعِلْمٍ، وَيَصْحَبُ الإِخْوَانَ بِعِلْمٍ، يَزُورُهُمْ بِعِلْمٍ، وَيَسْتَأْذِنُ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ، يُجَاوِرُ جَارَهُ بِعِلْمٍ .

وَيُلْزِمُ نَفْسَهُ بِرَّ وَالِدَيْهُ، فَيَخْفِضُ لَهُمَا جَنَاحَهُ، وَيَخْفِضُ لِصَوْتِهِمَا صَوْتَهُ، وَيَبْذُلُ لَهُمَا مَالَهُ ، وَيَنْظُرُ إِلَيْهِمَا بِعَيْنِ الْوَقَارِ وَالرَّحْمَةِ، يَدْعُو لَهُمَا بِالْبَقَاءِ، وَيَشْكُرُ لَهُمَا عِنْدَ الْكِبَرِ، لا يَضْجَرُ بِهِمَا، وَلا يَحْقِرُهُمَا، إِنْ اِسْتَعَانَا بِهِ عَلَى طَاعَةٍ أَعَانَهُمَا، وَإِنْ اِسْتَعَانَا بِهِ عَلَى مَعْصِيةٍ لَمْ يُعِنْهُمَا عَلَيْهَا، وَرَفَقَ بِهِمَا فِي مَعْصِيتِهِ إِيَّاهُمَا، يُحْسِنُ الأَدَبَ لِيَرْجِعَا عَنْ قَبِيحِ مَا أَرَادَا، مِمَّا لا يَحْسُنُ بِهِمَا فِعْلُهُ، يَصِلُ الرَّحِمَ، وَيَكْرَهُ الْقَطِيعَةَ، مَنْ قَطَعَهُ لَمْ يَقْطَعْهُ، مَنْ عَصَى اللهَ فِيهِ، أَطَاعَ اللهَ فِيهِ.

يَصْحَبُ الْمُؤْمِنِينَ بِعِلْمٍ، وَيُجَالِسُهُمْ بِعِلْمٍ، مَنْ صَحِبَهُ نَفَعَهُ، حَسَنُ الْمُجَالَسَةِ لِمَنِ جَالَسَ، إِنْ عَلَّمَ غَيْرَهُ رَفَقَ بِهِ، لا يُعَنِّفُ مَنْ أَخْطَأَ وَلا يُخْجِلُهُ، رَفِيقٌ فِي أُمُورِهِ، صَبُورٌ عَلَى تَعْلِيمِ الْخَيْرِ، يَأْنَسُ بِهِ الْمُتَعَلِّمُ، وَيَفْرَحُ بِهِ الْمُجَالِسُ، مُجَالَسَتُهُ تُفِيدُ خَيْرَاً، مُؤَدِّبٌ لِمَنْ جَالَسَهُ بِأَدَبِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ.

إِنْ أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ، فَالْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ لَهُ مُؤَدِّبَانِ، يَحْزَنُ بِعِلْمٍ، وَيَبْكِي بِعِلْمٍ، وَيَصْبِرُ بِعِلْمٍ، وَيَتَطَهَّرُ بِعِلْمٍ، وَيُصَلِي بِعِلْمٍ، وَيُزَكِّي بِعِلْمٍ، وَيَتَصَدَّقُ بِعِلْمٍ، وَيَصُومُ بِعِلْمٍ وَيَحُجُّ بِعِلْمٍ، وَيُجَاهِدُ بِعِلْمٍ، وَيَكْتَسِبُ بِعِلْمٍ، وَيُنْفِقُ بِعِلْمٍ، وَيَنْبَسِطُ فِي الأُمُورِ بِعِلْمٍ، وَيَنْقَبِضُ عَنْهَا بِعِلْمٍ، قَدْ أَدَّبَهُ الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ. يَتَصَفَّحُ الْقُرْآنَ لِيُؤَدِّبَ بِهِ نَفْسَهُ، وَلا يَرْضَى مِنْ نَفْسِهِ أَنْ يُؤَدِي مَا فَرَضَ اللهُ

ﷻ عَلَيْهِ بِجَهْلٍ، قَدْ جَعَلَ الْعِلْمَ وَالْفِقْهَ دَلِيلَهُ إِلَى كُلِّ خَيْرٍ.

إِذَا دَرَسَ الْقُرْآنَ فَبِحُضُورِ فَهْمٍ وَعَقْلٍ، هِمَّتُهُ إِيقَاعُ الْفَهْمِ لِمَا أَلْزَمَهُ اللهُ ﷻ مِنْ اتِّبَاعِ مَا أَمَرَ، وَالانْتِهَاءِ عَمَّا نَهَى، لَيْسَ هِمَّتُهُ متَى أَخْتِمُ السُّورَةَ، هِمَّتُهُ متَى اسْتَغْنِي بِاللهِ عَنْ غَيْرِهِ، متَى أَكُونُ مِنْ الْمُتَقِينَ، متَى أَكُونُ مِنْ الْمُحْسِنِينَ، متَى أَكُونُ مِنْ الْمُتَوَكِّلِينَ، متَى أَكُونُ مِنْ الْخَاشِعِينَ، متَى أَكُونُ مِنْ الصَّابِرِينَ، متَى أَكُونُ مِنْ الصَّادِقِينَ، متَى أَكُونُ مِنْ الْخَائِفِينَ، متَى أَكُونُ مِنْ الرَّاجِينَ؟.متَى أَزْهَدُ فِي الدُّنْيَا، متَى أَرْغَبُ فِي الآخِرَةِ، متَى أَتُوبُ مِنْ الذُّنُوبِ، متَى أَعْرِفُ النِّعَمَ الْمُتَوَاتِرَةِ، متَى أَشْكُرُ عَلَيْهَا، متَى أَعْقِلُ عَنْ اللهِ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ الْخِطَابَ، متَى أَفْقَهُ مَا أَتْلُو، متَى أَغْلِبُ نَفْسِي عَلَى هَوَاهَا، متَى أُجَاهِدُ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ حَقَّ الْجِهَادِ، متَى أَحْفَظُ لِسَانِي، متَى أَغُضُّ طَرْفِي، متَى أَحْفَظُ فَرْجِي، متَى اسْتَحِي مِنْ اللهِ ﷻ حَقَّ الْحَيَاءِ، متَى اشْتَغِلُ بِعَيْبِي، متَى أُصْلِحُ مَا فَسَدَ مِنْ أَمْرِي، متَى أُحَاسِبُ نَفْسِي؟ .

متَى أَتَزَوَّدُ لِيَوْمِ مَعَادِي، متَى أَكُونُ عَنْ اللهِ رَاضِيَاً، متَى أَكُونُ بِاللهِ وَاثِقَاً، متَى أَكُونُ بِزَجْرِ الْقُرْآنِ مُتَّعِظَاً، متَى أَكُونُ بِذِكْرِهِ عَنْ ذِكْرِ غَيْرِهِ مُشْتَغِلاً، متَى أُحِبُّ مَا أَحَبَّ، متَى أَبْغَضُ مَا أَبْغَضَ، متَى أنْصَحُ للهِ، متَى أُخْلِصُ لَهُ عَمَلِي ؟ متَى أُقَصِّرُ أَمَلِي، متَى أَتَأَهَّبُ لِيَوْمِ مَوْتِي، وَقَدْ غُيِّبَ عَنِي أَجَلِي، متَى أُعَمِّرُ قَبْرِي، متَى أُفَكِّرُ فِي الْمَوْقِفِ وَشِدَّتِهِ، متَى أُفَكِّرُ فِي خَلْوَتِي مَعَ رَبِّي، متَى أُفَكِّرُ فِي الْمُنْقَلَبِ؟.

متَى أَحْذَرُ مَا حَذَّرَنِي مِنْهُ رَبِّي، مِنْ نَارٍ حَرُّهَا شَدِيدٌ، وَقَعْرُهَا بَعِيدٌ، وَغَمُّهَا طَوِيلٌ، لا يَمُوتُ أَهْلُهَا فَيَسْتَرِيحُوا، وَلا تُقَالُ عَثْرَتُهُمْ، وَلا تُرْحَمُ عَبْرَتُهُمْ، طَعَامُهُمْ الزَّقُومُ، وَشَرَابُهُمُ الْحَمِيمُ، كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بُدِلُوا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا

الْعَذَابَ، نَدِمُوا حَيْثُ لا يَنْفَعُهُمُ النَّدَمُ، وَعَضُّوا عَلَى الأَيْدِي أَسَفاً عَلَى تَقْصِيرِهِمْ فِي طَاعَةِ اللهِ ﷻ، وَرُكُوبِهِمْ لِمَعَاصِي اللهِ تعالَى))[1].

- **أن يُعلموا ما يعين على إتقان حفظ القرآن الكريم:**

ومن ذلك:

١- الإخلاص لله تعالى.

٢- قوة العزيمة على الإتقان والحفظ.

٣- اغتنام السن المبكرة في الحفظ.

٤- اتخاذ أصحاب والتنافس معهم.

٥- الانتباه إلى المتشابه والمتماثل من الآيات.

٦- المراجعة الدورية والاختبار، (وظيفة الحافظ جزء من القرآن كل يوم).

٧- قراءة ختمة كاملة على مراحل في صلاة قيام الليل والتهجد.

٨- قراءة ختمة كاملة على مراحل في إمامة المصلين في صلاة الجماعة.

٩- قراءة ختمة كاملة على مراحل في إمامة المصلين في صلاة التراويح.

١٠- سماع ختمات من القرَّاء المتقنين، ومتابعتها بصرياً في القرآن الكريم؛ فإن الجمع بين حاستي السمع والبصر في الحفظ والمراجعة، يرسخ المحفوظات في الذاكرة بنسبة تزيد عن كل منهما منفرداً بثلاث مرات على الأقل.

---

(١) أخلاق حملة القرآن، للإمام محمد بن الحسين الآجري، (ص/٢٧)

وانظر: كتاب التبيان في آداب حملة القرآن، للإمام أبي زكريا يحيى النووي مكتبة دار التراث – القاهرة، [١٩٩٢م] .

- **تجنب معوقات إتقان حفظ القرآن الكريم، ومنها:**

١- الرياء وحب الظهور والسمعة.
٢- ارتكاب المعاصي والذنوب.
٣- الانشغال الشديد عن القرآن.
٤- ترك المراجعة.
٥- فتور الهمة.

- **ضرورة توفير الدعم لدورات تحفيظ القرآن الكريم وتقويتها.**

ومما يدعم هذه الدورات ويقويها ويساعدها على تحقيق أهدافها:

١- توفير الغطاء القانوني لأعمالها، واعتماد شهاداتها ووثائقها.
٢- المشاركة في المسابقات المحلية والدولية، مما يشكل قوة دفع ودعم للدورات.
٣- توفير الحوافز المادية والمعنوية للطلبة من خلال تأمين الدعم الاجتماعي للدورات، فمن واجب الدعاة المشرفين على الدورات إقامة نشاط موازٍ للاتصال المكثف بالفعاليات الاجتماعية والآباء والأمهات والخبراء لدعم هذه الدورات مادياً ومعنوياً، وإقامة نشاطات عامة يشارك فيها هؤلاء بإدارتها وتنفيذها.

إن الدعم الاجتماعي لهذه الدورات أمرٌ مهم حتى تستطيعَ تحقيق أهدافها القريبة والبعيدة.

٤- الاستفادة من وسائل الإعلام ومواقع الإنترنت والدعاية والإعلان المتميز، للتعريف بالدورات واحتياجاتها وكسب الدعم الاجتماعي لها.
٥- الاستفادة من العمل التطوعي وبخاصة في مجال الإعلام والإعلان والتواصل الاجتماعي والنشاطات المختلفة، بحيث يستفاد من أهل كل اختصاص في اختصاصه، وتوفير أوقات الدعاة للعمل الدعوي، وأوقات المعلمين للعمل العلمي، وهكذا..

٦- اغتنام احتفالات الافتتاح والختام الجماهيرية، وعرض أهم منجزات الدورات لاستقطاب أكبر عدد ممكن من الفعاليات الاجتماعية الداعمة.

٧- إيجاد قاعدة بيانات للطلبة، والإداريين، والمتطوعين، والداعمين..

٨- وضع برامج زيارات لمجموعات قليلة العدد (٣-٥) من الداعمين للدورات، وإطلاعهم على نشاطاتها لتوثيق الصلة بهم وتنمية دعمهم.

٩- التواصل الدوري مع الداعمين، بالاتصال بهم هاتفياً وعبر الرسائل القصيرة، لشكرهم على دعمهم وإطلاعهم على الإنجازات والمستجدات.

- **ضرورة تطوير الدورات باستمرار.**

* يجب الأخذ بأحدث الأساليب لتنفيذ برامج هذه الدورات سواء أكان من الناحية التعليمية أم من الناحية التربوية والدعوية، وبخاصة الوسائل التعليمية الحديثة، فهي تساعد على:

١- تهيئة أذهان الطلبة.

٢- يتفاعل الطالب مع الوسيلة التعليمية بأكثر حواسه، فيفهم ما يتعلم، وهذا يرسخ في ذاكرته ما يتعلمه، ويكون أثبت في الذهن وأسرع في الحفظ.

٣- زيادة انتباه الطلبة وتركيزهم، مما تنعكس آثاره على إتقان حفظهم.

٤- زيادة نسبة المحفوظات كميةً وإتقاناً.

* ويجب إقامة دورات تنمية مهارات للدعاة والمشرفين الإداريين والعلميين على هذه الدورات.

ثانياً: دورات العلوم التخصصية.

أ- دورات علوم شرعية.

وهي من النشاطات الدعوية المفيدة جداً، وبخاصة لمن يملك مواهب الدعوة ولم تسنح له الفرصة للانتساب إلى المعاهد الشرعية. وهؤلاء يمثلون

أعداداً كبيرة جداً في حواضن الدعوة الإسلامية، وكثير منهم يمارسون العمل الدعوي، على غير هدىً من العلوم الشرعية، مما يسبب إشكالات في مسيرة الدعوة، من الناحية العلمية والعملية.

والأصل ألا يؤذن لأحد بممارسة العمل الدعوي إلا بعد استكمال شروطه، ومنه تحصيل العلوم الشرعية الأساسية، والتي تضمن عدم انحراف الداعية عن المنهج الإسلامي فكرياً وعقائدياً وتربوياً..

ويجب على المؤسسات الدعوية إيلاء هذه الدورات ما تستحقه من العناية والاهتمام، وضمان استمرارها دورياً، حتى تشمل جميع من يحتاجون إليها.

ويجب العمل على تطويرها، وجعلها على مراحل ومستويات، بحيث ينتقل روادها من مرحلة إلى أخرى حتى يتم لهم استكمال تحصيل العلوم المطلوبة بالمستوى المناسب.

ويجب العمل على استدراك الملاحظات والإشكالات التي يعاني منها التعليم الشرعي والتي ذكرناها سابقاً.

ب- دورات علوم عامة.

وهي وسيلة من وسائل استقطاب الطلبة إلى حواضن الدعوة، بحيث يتم تدريس مناهج الشهادات أو الصفوف المختلفة، بأعلى مستويات الإتقان حتى تجذب إليها النخب من الطلبة..

ويجب أن ينفذ فيها –إضافة إلى ذلك– برنامجاً دعوياً، يقوم على التعريف بالإسلام على نحو مؤثر، مع إقامة علاقات صحبة ومودة مع الطلبة في إطار نظام الأسرة الدعوية.

المبحث الخامس
وسيلة الدعوة من خلال النشاطات الفكرية

وهي وسيلة تركز على الأمور الفكرية كمنطلق إلى الدعوة إلى الله تعالى، وهي نوع من أنواع الجهاد بالكلمة واللسان والفكر، له أثر واسع في إقناع الناس بالإسلام ديناً ومنهج حياة.

يقول النبي ﷺ: « جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ »[1].

والنشاطات الفكرية تشمل تأليف الكتب، والمطالعة والقراءة، والمشاركة في الندوات الفكرية في وسائل الإعلام والمراكز الثقافية وغيرها..

المطلب الأول: الكتابة والتأليف.

لا شك بأن الكتاب يحتل الصدارة بين النشاطات الفكرية؛ لأنه نتاج فكر علمي بحثي منهجي هادئ ومتأنّ، وهو أكثر قدرة على التحليل والتشخيص، وأكثر قدرة على الإقناع، وهو الأوسع انتشاراً، ينتقل مع الإنسان حيثما حل وارتحل، وهو وثيقة محفوظة وجاهزة يمكن الرجوع إليها بسهولة.

- ويعيش الإنسان منذ القدم حالة صراع بين الأفكار التي ازدادت

(١) أخرجه أبو داود في "سننه" برقم [٢٥٠٤](ص/٢٨٤)، وهو صحيح.

حدتها في عصرنا الحاضر، بسبب تطور وسائل الإعلام والطباعة والنشر.

- ولقد تعرض الإسلام قديماً وحديثاً لموجة عارمة من الحروب الفكرية التي تستهدفه عقيدة وشريعة ومنهج حياة، وسُخِّرت الآلاف من الأقلام المسمومة لتشويهه وصدِّ الناس عنه، منها ما هو عالمي، ومنها ما هو محلي، على يد أبناء جِلدتنا الذين باعوا أنفسهم لأعداء الأمة.
- فكان لابدَّ أن يتصدى المفكرون الإسلاميون لهذه الموجة المعادية العارمة، وأن يردوا على نحو منهجي على مفتريات أعداء الإسلام وأباطيلهم. ومن جهة أخرى، لابد أن يعملوا على تقديم الإسلام إلى الناس والتعريف به كمنهج حياة في المجالات كافة، الروحية والأخلاقية والعلمية والتربوية والعقلية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعلاقات الدولية ...إلخ..

ويجب التركيز على مخاطبة الناس بلغة عصرهم، وبطريقة سهلة وغير معقدة، بعيداً عن التطويل الممل أو التقصير المخل،كما يجب العناية بترجمة هذه الأعمال إلى اللغات العالمية ليعم نفعها.

المطلب الثاني: القراءة والمطالعة.

يجب على الدعاة توظيف القراءة والمطالعة كوسيلة للدعوة إلى الإسلام بطريقتين:

الأولى: من خلال إعارة أو إهداء الدعاة كتباً تعرف بالإسلام بطريقة جذابة لأشخاص يريدون جذبهم إلى حاضنة الدعوة، مما يفتح باباً لإقامة علاقة مودة بينهم، ومن ثم باباً لإقامة علاقة دعوية.

الثانية: من خلال وضع برنامج تثقيفي، يكلَّف فيه الأخ بقراءة سلسلة منتخبة من الكتب المهمة، والتي تشكل جرعة ثقافية واسعة وعميقة..

ويجب إجراء اختبار بعد انتهاء الأخ من قراءة الكتاب، لتأكيد الفهم والفائدة، كما يمكن توسيع الفائدة بإجراء ندوة حوارية حول أفكار الكتاب ومناقشتها بحضور مجموعة من المجتهدين بالقراءة والمطالعة.

المطلب الثالث: الندوات الفكرية.

تشكل الندوات الفكرية مجالاً رحباً للدعوة إلى الله تعالى بأسلوبين:

الأول: من خلال التعريف بحقائق الإسلام ومنهاجه المتميز في الحياة، ومن خلال محاورة ومناظرة من يبحثون عن الحق ويرغبون باتباعه، أو من خلال محاورة المعاندين للإسلام وكشف زيغ أفكارهم وإقامة حجة الإسلام عليهم.

والثاني: اغتنام هذه الندوات بقيام الدعاة بدعوة الشخصيات الثقافية التي يُرغَب بجذبها إلى حاضنة الدعوة، والحضور وإياهم، ومناقشة الأفكار، وفتح باب الصحبة الدائمة معهم على قاعدة ثقافية يرغبون فيها، ويميلون إليها، وينسجمون معها.

وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين

المبحث السادس
وسيلة الدعوة من خلال النشاطات الثقافية

وهي وسيلة دعوية مساعدة تستهدف فئة من الناس يحبونها ويميلون إليها، ويمكن اغتنامها لتمرير ثقافة الإسلام وقيمه وأفكاره في الحياة، والتصدي للأفكار والثقافات المعادية والعادات السيئة، ولاشك أن بعض هذه النشاطات لا تستطيع أن تؤدي دورها الفعال إلا في مناخ من الحرية والانفتاح.

ومن هذه النشاطات:

المطلب الأول: المقالة.

هي قطعة من النثر معتدلة الطول، تعالج موضوعاً ما معالجة سريعة خفيفة..وهي وسيلة مهمة في الدعوة إلى الله تعالى، تتناول كافة القضايا الدعوية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية والفكرية والعلمية والتربوية وغيرها، ولذلك تعدُّ المقالة من أوسع الفنون الأدبية انتشاراً؛ لأنها أقلها تعقيداً، وأشدها وضوحاً، وأكثرها استيعاباً، وأسهلها هضماً.

ويجب أن تكون مادتها واضحة لا لبس فيها ولا غموض، وأن تكون صحيحة بعيدة عن التناقض، فيها من العمق ما يجذب القارئ، وفيها من التركيز ما لا يجعل قراءتها هدراً للوقت، وأن تتصف بالجدة والإمتاع لقارئها، وأن تثير في الناس رأياً وفكراً يدفعهم للنهوض والسمو.وقد استطاعت المقالة

عبر عقود باستخدام الصحف والمجلات أن تساهم في الصحوة الإسلامية من خلال التعريف بالإسلام، والرد على خصومه، وتصحيح المفاهيم والأفكار، ودفع حركة الإصلاح في العالم الإسلامي نحو الأفضل.

وهذه الوسيلة ذات تأثير بالغ على الرأي العام في المجتمع، لذلك يجب أن يغتنمها الدعاة المتخصصون والكُتَّاب الإسلاميون إلى أبعد مدى في تحقيق أهدافهم الدعوية.

المطلب الثاني: القصة والرواية.

القصة والرواية تحمل عناصر التشويق والإثارة، فينسجم معها القارئ ويُقبل عليها بعناية وإنصات، وهي قادرة على إبراز النموذج الصالح والقدوة الحسنة، وتمرير أفكار الدعوة وقيمها بطريقة سلسة ممتعة..

لذلك يجب التأكيد على دور القصة والرواية الدعوي والتربوي، ويجب العمل على تأهيل أعداد كافية من الأدباء الإسلاميين المتقنين لهذا الفن.

المطلب الثالث: الشعر والإنشاد.

يقول النبي ﷺ: «إِنَّ مِنْ الشِّعْرِ حِكْمَةً»(١).

للشعر تأثير عميق على شرائح من المجتمع، يلهب الحماسة، ويستثير العواطف، ويرد على الخصوم بقوة، وينشر الأفكار، ويعرِّف بالإسلام..

ولكل من الشعر والإنشاد موسيقاه وإيقاعه المؤثر..

وللشعر أثر قوي في الرد على أعداء الإسلام، وهو من باب الجهاد

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٦١٤٥](ص/١١٨٥).

باللسان، فعَنْ أَنَسٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ مَكَّةَ فِي عُمْرَةِ الْقَضَاءِ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ يَمْشِي بَيْنَ يَدَيْهِ، وَهُوَ يَقُولُ:

خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ الْيَوْمَ نَضْرِبْكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ[1]

ضَرْباً يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ[2] وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا ابْنَ رَوَاحَةَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَفِي حَرَمِ اللَّهِ ﷻ تَقُولُ الشِّعْرَ؟! **قَالَ النَّبِيُّ** ﷺ : «خَلِّ عَنْهُ، فَلَهُوَ أَسْرَعُ فِيهِمْ مِنْ نَضْحِ النَّبْلِ[3]»[4].

وكان النبي ﷺ يخاطب حسان بن ثابت ﷺ **فيقول**: «اهْجُهُمْ -أَوْ هَاجِهِمْ- وَجِبْرِيلُ مَعَكَ»[5].

ويقول له أيضاً: « أَجِبْ عَنِّي اللَّهُمَّ أَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ »[6]. **ويقول** له أيضاً: « إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ لاَ يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ مَا نَافَحْتَ[7] عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ »[8].

وللشعر والإنشاد أثر قوي في رفع معنويات المسلمين في الملمات..

وعَنْ الْبَرَاءِ ﷺ قَالَ: ((كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَنْقُلُ التُّرَابَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ حَتَّى أَغْمَرَ بَطْنَهُ أَوْ اغْبَرَّ بَطْنُهُ، يَقُولُ:

---

(١) على تنزيله: أي لأجل نزوله بمكة، وقيل: لأجل نزول القرآن.

(٢) مقيله: أي موضعه.

(٣) نضح النبل: أي رمي النبل.

(٤) أخرجه النسائي في "سننه" برقم [٣٨٤٢](ص/٩٩)، وهو صحيح.

(٥) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٣٢١٣](ص/٦١٨)،ومسلم في "صحيحه" برقم [٢٤٨٦](ص/١٠٠٨)، متفق عليه.

(٦) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم [٢٤٨٥](ص/١٠٠٨).

(٧) نافحت: أي دافعت وخاصمت.

(٨) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم [٢٤٩٠](ص/١٠٠٩).

وَاللَّـهِ لَـوْلَا اللَّـهُ مَـا اهْتَـدَيْنَا وَلَا تَـصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَـا
فَأَنْزِلَـنْ سَكِينَـةً عَلَيْنَـا وَثَبِّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا
إِنَّ الْأُلَى قَـدْ بَغَـوْا عَلَيْنَـا إِذَا أَرَادُوا فِتْـنَةً أَبَيْـنَـا
وَرَفَعَ بِهَا صَوْتَهُ: أَبَيْنَا أَبَيْنَا.))[1]

وفي غزوة حنين كان النبي ﷺ يشجع أصحابه، **فيقول**: «أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ»[2].

وحتى نستطيع تحقيق أهداف الدعوة الإسلامية، يجب أن نخرج عن دائرة المعاني التقليدية في الشعر، إلى دائرة المعاني والأفكار الحركية، التي تعبر عن عظمة الإسلام وقيمه ومبادئه وأفكاره، وأن نبتعد عن الشطحات والمبالغات، وأن نضبط كل ذلك بضوابط الشريعة، وأن نجعل المنهج الرسالي مسيطراً على المعاني والأفكار، لنقدم شعراً وإنشاداً متميزاً يخدم الصحوة الإسلامية المباركة.

المطلب الرابع: المسرح والتمثيل.

وهو من الأنشطة التي يمارسها أبناء الدعوة في رحلاتهم ومخيماتهم أو في احتفالاتهم الجماهيرية، ويستطيع الدعاة من خلال هذا النشاط المؤثر إيصال رسالتهم الثقافية معتمدين على أسلوبين.

أولهما: النقد لكافة الأمراض والسلبيات الاجتماعية والفكرية والثقافية والقيمية.

وثانيها: التبني والدعوة للتصور الأمثل لهذه الأمور.

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٤١٠٤](ص/٧٨٠).
(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٢٨٧٤](ص/٥٥٣)،ومسلم في "صحيحه" برقم [١٧٧٦](ص/٧٣٨)، متفق عليه.

المبحث السابع
وسيلة الدعوة من خلال النشاطات الاجتماعية والخيرية والإغاثية

هذه النشاطات باب واسع من أبواب العمل الدعوي، فبقدر حجم احتياجات المجتمعات للأعمال الاجتماعية والخيرية والإغاثية وهي كبيرة جداً، ينفتح بالقدر نفسه مجالات للعمل الدعوي المتعددة..

وتعدُّ هذه النشاطات بُعداً استراتيجياً للدعوة الإسلامية؛ لأنها تمتلك القدرة على تكوين حاضنة اجتماعية وسياسية ضخمة للعمل الدعوي، تدعمه بقوة وتحميه وتمهد له أسباب النمو والانتشار..

والنشاطات الاجتماعية والخيرية والإغاثية كثيرة ومتنوعة، ومنها:

المطلب الأول: التأهيل والتدريب.

تتجه بعض الجمعيات والمؤسسات الخيرية إلى التأهيل والتدريب، واعتماد خطط تقوم على مبدأ، يدعو إلى تزويد المحتاجين بمهنة أو حرفة عوضاً عن تزويدهم بالمال، وكما يقال: ((**علمه الصيد أفضل من أن تطعمه كل يوم سمكة**))، لأن المساعدة المالية لا تحل مشكلة الفقير بشكل نهائي، بينما تساعده المهنة والحرفة على حلها؛ لأنه عندئذ يستطيع العمل ويكفي نفسه بنفسه دون الحاجة لمساعدة الآخرين.

ويتدخل الفكر الدعوي في هذه المسألة بحيث يقوم الدعاة بتوجيه

المتدربين إلى القيم الإسلامية في ضرورة الاعتماد على النفس، والترفع عن الاستجداء، وزرع الثقة بالنفس، والقناعة بالمتوفر ثم التدرج نحو الأفضل، وتعليم أخلاقيات العمل، ومنها الجد والمثابرة والتحمل والإتقان والأمانة والإخلاص في العمل وعدم إضاعة الأوقات..

وخلال فترة التدريب والتأهيل يتم تنفيذ برامج نشاطات حركية مثل الرحلات والاحتفالات والمسابقات، مما يعزز العلاقات بين الدعاة والمتدربين، ويوثق معهم أواصر الأخوة والمودة.

ويبدأ هؤلاء المتدربون بالاندماج التدريجي في برامج الدعوة العامة والمساهمة فيها حسب إمكاناتهم ومواهبهم.

ويستمر التدريب والتأهيل حتى التخرج، ثم يتبع ذلك قيام الجمعية بمساعدتهم من خلال توفير فرص لهم في سوق العمل، وذلك من خلال تعاونها مع رجال الأعمال والمال الذين يدعمون الجمعية ويؤازرونها في هذا المجال، ويمكن تعميق الصلة بهم بعد التخرج عن طريق تكليفهم بعمل تطوعي لصالح الجمعية (ساعة في اليوم، أو يوم في الأسبوع..وهكذا).

وبذلك تكون الجمعية قد حققت أهدافاً عدة ، ومنها:

١- محاربة الفقر والبطالة.
٢- الارتقاء بالعمل الاجتماعي الخيري.
٣- إعطاء المحتاجين مفاتيح الكفاية مع حفظ كرامتهم.
٤- تزويد السوق المحلية باليد العاملة المؤهلة والموثوقة، والمزودة بأخلاقيات العمل.
٥- دعم ورفد الجمعية بالمتطوعين.

٦- تربية المحتاجين اجتماعياً وقيمياً ودعوياً.

٧- توفير دورات التأهيل والتدريب لمن لا يقدر على تكاليفها من جهة، وفسح المجال للخبراء للمساهمة في العمل الخيري بخبراتهم تطوعياً من جهة أخرى.

وتوفر هذه الجمعيات مراكز تأهيلية خيرية تعطي خبرات متعددة للمتدربين، ومنها:

١- مراكز للمعلوماتية والحواسيب.

٢- مراكز لتنمية الموارد البشرية باختصاصات عدَّة، منها: إداريّة، تأهيل وظيفي، لغات أجنبية، تنمية شخصية..

٣- مركز التأهيل المهني باختصاصات عدَّة، ومنها: خياطة وتطريز، ميكانيك سيارات، نجارة، كهرباء، وتخصصات أخرى..

المطلب الثاني: المنح الدراسية.

وتتجه بعض الجمعيات الخيرية إلى التركيز على الطلبة، فتقوم بتقديم المنح الدراسية للمتميّزين والموهوبين من الفقراء، وتتبناهم حتى يدخلوا في سوق العمل.

وتقوم بعض الجمعيات بإقامة سكن جامعي مجاني للطلبة المتميّزين في المدن التي يتوافر فيها عدد من الجامعات.

وخلال فترة الدراسة يتم التواصل بين الدعاة والطلبة لهدفين:

أولهما: متابعة الوضع الدراسي للطالب، وتقويم جهوده ونتائجه، وتوفير ما يحتاجه من مساعدة.

وثانيهما: توجيه الطلبة وتعريفهم بحقائق الإسلام وقيمه ومبادئه، وربطهم بمسيرة العمل الدعوي.

وقد أنتج هذا البرنامج العديد من القيادات الدعوية المتميزة دراسياً واجتماعياً..

ويكمن تعميق الصلة بهؤلاء المستفيدين بتكليفهم بعمل تطوعي دائم في الجمعية، وبذلك تكون الجمعية قد حققت أهدافاً عدة ومنها:

١- نشر العلم والمعرفة.
٢- مساعدة الموهوبين علمياً.
٣- تزويد سوق العمل بالمتفوقين والمبدعين.
٤- تربية الطلبة اجتماعياً وقيمياً ودعوياً.
٥- دعم الجمعية بالمتطوعين.
٦- إعطاء المحتاجين مفاتيح الكفاية مع حفظ كرامتهم.
٧- محاربة الفقر والبطالة.

المطلب الثالث: مساعدة الشباب على الزواج.

وتتجه بعض الجمعيات الخيرية، إلى التركيز على مساعدة الشباب على الزواج، فتقيم لهم الدورات التأهيلية للزواج، ومنها:

١- دورات توفر كل ما يحتاجه المقبلون على الزواج من الثقافة الشرعية والصحية والاجتماعية والاقتصادية والنفسية والقانونية..
٢- دورات تدريبية للوالدين تساعدهما على تربية الأطفال والمراهقين.
٣- دورات تدريبية للوالدين تساعدهما على فن إدارة الأسرة.

وتقيم هذه الجمعيات مركزاً استشارياً للمتزوجين أو المقبلين على الزواج يستقبلهم شخصياً، أو يتواصل معهم عبر الهاتف أو البريد الإلكتروني..

وتقيم هذه الجمعيات أيضاً موقعاً إلكترونياً يتضمن ثقافة وخبرات حول موضوع الزواج تساعد على الوقاية من الوقوع في المشاكل الزوجية، كما تساهم في النصح للتخلص منها بعد وقوعها.

وتقدّم هذه الجمعيات أيضاً للمقبلين على الزواج مساعدات مادية، ومنها توفير جزء من مفروشات المنزل، ومبلغ نقدي يساعد على تغطية جزء من نفقات الزواج.

وتنشئ هذه الجمعيات مجمعاً خيرياً لصالات الأفراح، كما تقيم حفلات أعراس جماعية، يُخصص إحداها للرجال، وأخرى للنساء.

وخلال فترة الدورات والتحضير للزواج يتم إقامة علاقة دعوية بين الدعاة والشباب، وبين الداعيات والشابات، يتم فيها توجيههم سلوكياً ودعوياً وحياتياً حتى تكتمل احتياجاتهم المادية والمعنوية لإشادة صرح الأسرة السعيدة، وبعد الزواج يمكن أن يُطالب المستفيد بتقديم عمل تطوعي للجمعية.

وبذلك تكون الجمعية قد حققت أهدافاً عدة ومنها:

١- فتح المنافذ المشروعة للزواج، وتضييق المنافذ غير المشروعة.
٢- خفض نسبة العزوبة بين الشباب والشابات.
٣- خفض نسبة الطلاق وفشل الزيجات.
٤- توعية الشباب بثقافة الزواج السعيد.
٥- تحصين المجتمعات من المشاكل الاجتماعية وترسيخ السِّلْمِ الاجتماعي.
٦- ترسيخ الفضيلة والأخلاق في المجتمع.
٧- دعم الصحة الإنجابية، ووقاية المجتمع من الأمراض الناتجة عن العلاقات الساقطة غير الشرعية.

٨- دعم تماسك الأسرة وتقويتها ووقايتها من الضعف والانهيار.
٩- معالجة ارتفاع نفقات الزواج.
١٠- إقامة صلات دعوية مع المقبلين على الزواج.
١١- دعم الجمعية بالمتطوعين.

المطلب الرابع: مراكز رعاية المسنين وذوي الاحتياجات الخاصة.

وتتجه بعض الجمعيات الخيرية، إلى التركيز على رعاية المسنين وذوي الاحتياجات الخاصة، فتقدم لهم الرعاية الصحية والنفسية والمادية المتقدمة..

ويقيم الدعاة علاقات دعوية مع أسرهم، مما يدعم الحاضنة الاجتماعية للدعوة مادياً ومعنوياً.

المطلب الخامس: مراكز رعاية الأسرة.

وتتجه بعض الجمعيات الخيرية، إلى التركيز على رعاية الأسرة وحمايتها وتنميتها، وذلك لأن الأسرة المسلمة خاصة والأسرة الملتزمة على نحو عام أصبحت في بؤرة استهداف الجهات الداعية إلى تغريب المجتمع الإسلامي على المستوى المحلي والعالمي.

فالأسرة الإسلامية يُراد لها الانخلاع عن قوانينها وأنظمتها وقيمها الإسلامية، ودفعها وإرغامها وإكراهها على الاحتكام لمبادئ وقيم لا تنسجم مع مبادئها وقيمها الإسلامية. بدءاً من فصم العلاقة المقدسة والرابطة المتسمة بالمحبة والحنان بين الوالدين والأبناء، ومروراً بترويج المحرمات المدمرة لكيان الأسرة، وانتهاءً بإلغاء مفهوم الأسرة واستبداله بخيارات أخرى، مثل إنشاء تساكن بين صديق وصديقته، وإنجاب أولاد بدون عقد زواج، ويستمر ذلك لسنوات ، ثم يذهب كل واحد منهما في سبيله. ومثل إنشاء تساكن وزواج

بعقود رسمية بين المثليين (رجل مع رجل، وامرأة مع امرأة) وهو ما بات يُعرف بالزواج المثلي، ولا مانع من إقامة علاقة جنسية بين المحارم بحيث يمكن أن تتطور مع مرور الزمن للاعتراف بها كزواج رسمي!!..

لذلك اتجهت بعض الجمعيات إلى التركيز على الأسرة وحمايتها وتقديم كافة ما تحتاجه من دعم مادي أو معنوي..ومن ذلك: إقامة ندوات ودورات لنشر الوعي بضرورة الحفاظ على الأسرة وحمايتها وتعميم الوسائل المساعدة على ذلك..، وتشكيل رأي عام يضغط على المشرعين لسنِّ قوانين تساعد على ذلك، وتمنع تسرب هذه المفاهيم الخطيرة عبر قوانين أواتفاقيات دولية، أو عبر ضغوط بعض الجهات المحلية، التي تدعو إلى مبادئ وقيم منحرفة تحت ستار تحرير المرأة أو أي ذريعة أخرى..

وتسعى الجمعيات لإقامة مراكز استشارية يشرف عليها خبراء متخصصون لمساعدة الأسر على حل ما يعترضها من مشكلات، سواء أكانت شرعية أم تربوية أم نفسية أم صحية أم مالية أم قانونية..

كما تقيم مواقع إلكترونية تنشر فيها الأبحاث التي تساعد على حماية الأسرة وتنميتها، وتقيم أيضاً مراكز تواصل للاستشارة عبر الهاتف أو البريد الإلكتروني لتقديم النصائح والفتاوى التي يحتاجها أفراد الأسرة.

وتقيم هذه الجمعيات لجان لإصلاح ذات البين في حال نشوب خلافات بين مكونات الأسرة يمكن أن تهدد مصيرها، ويشرف على هذه النشاطات دعاة يعمقون التواصل مع أفراد هذه الأسر ويبنون معهم علاقات وثيقة..

المطلب السادس: مراكز رعاية الأيتام.

وتتجه بعض الجمعيات للتركيز على رعاية الأيتام وفق برامج عدَّة، ومنها:

- **برنامج الرعاية التربوية والاجتماعية والنفسية.**

ويشرف على هذا البرنامج متخصصون، يقومون بتربية الأيتام وتوجيههم أخلاقياً وقيمياً واجتماعياً، ويُعالجون أوضاعهم النفسية التي تعاني من الإصابة، حتى يستعيدوا ثقتهم بأنفسهم، وتحيى آمالهم في مستقبل ناجح من جديد، ويندمجون في مجتمعاتهم على نحو إيجابي.. ويتدخل هذا البرنامج في حياة أسرة اليتيم تعليمياً وإصلاحياً واجتماعياً ودعوياً حتى تستقيم أحوال أسرة اليتيم مادياً ومعنوياً.

- **برنامج الرعاية الصحية.**

يوفر لهم هذا البرنامج احتياجاتهم الصحية كافة، من الوقاية إلى العلاج والدواء والعمليات الجراحية، ووضع برنامج غذائي صحي مدروس.

- **برنامج الرعاية التعليمية.**

يوفر لهم هذا البرنامج الدراسة في المدارس في المراحل المختلفة، كما يقدم لهم المساعدة بالإشراف على وظائفهم وواجباتهم المدرسية، إضافة لدروس تقوية، بحيث يخصص لكل عشرة أيتام أم راعية لشؤونهم الحياتية اليومية، ومدرسة مشرفة على الوضع التعليمي.

ويتكفل البرنامج بمتابعة تقديم المساعدة للمتميزين دراسياً في المرحلة الجامعية بعد انتهاء مرحلة سن اليتم الشرعي.

- **برنامج الرعاية المادية.**

يقدم هذا البرنامج لكل يتيم داخلي احتياجاته المعيشية كافة من طعام وشراب وكساء ورعاية صحية وتعليمية ومسكن..

ويقدم هذا البرنامج لكل يتيم خارجي راتباً شهرياً إضافة إلى الحقيبة المدرسية وكسوة العيد ومواد غذائية وتنظيفية بشكل دوري.

- **برنامج النشاطات وتنمية المهارات.**

يقدم هذا البرنامج للأيتام رحلات ترفيهية وتربوية وثقافية، ونشاطات سباحة ورياضة ومسابقات ومسرحيات وألعاب تسلية تنمي مهاراتهم، وتعزز ثقتهم بأنفسهم، وتُدخل السعادة والسرور على قلوبهم.

- **برنامج التأهيل المهني للأيتام.**

يقدم هذا البرنامج للأيتام الراغبين بالدخول إلى سوق العمل بعد بلوغ سن الرشد (١٥سنة تقريباً) تدريباً مهنياً يتناسب مع ميوله، ثم يساعده على توفير فرصة عمل عند رجال الأعمال والمال المتعاونين مع الجمعية.

ويرافق جميع هذه البرامج برنامجاً دعوياً يعمل على تخريج الكفاءات الدعوية من الأيتام وتوظيفهم في برامج الدعوة. ويمكن تعميق الصلة بهم بعد التخرج بتكليفهم بعمل تطوعي لصالح الجمعية.

وبذلك تكون الجمعية قد حققت أهدافاً عدة، ومنها:

١- محاربة الفقر والبطالة.
٢- توفير الكفاية المادية للأيتام مع حفظ كرامتهم.
٣- توفير الرعاية الصحية والنفسية والتعليمية.
٤- توفير الرعاية الاجتماعية للأيتام، وإعادة دمجهم على نحو إيجابي في المجتمع.
٥- توفير الرعاية التربوية والدعوية للأيتام، والاستفادة من الموهوبين في حقل الدعوة.

٦- توفير الرعاية المهنية للأيتام، ورفْدُ السوق المحلية باليد العاملة المؤهلة.

٧- دعم الجمعية بالمتطوعين.

المطلب السابع: مراكز الرعاية الصحية.

وتتجه بعض الجمعيات إلى التخصص في تقديم الرعاية الصحية المتنوعة للمحتاجين من الفقراء والمساكين، فتقيم المستشفيات والمستوصفات المتخصصة والمتنوعة. وتقدم للمرضى المحتاجين المعالجة والدواء والعمليات الجراحية بأنواعها، والأجهزة الطبية، والعناية بهم بما يضمن إعادة تأهيلهم ليكونوا أعضاء منتجين في المجتمع.

وتقوم هذه الجمعيات بتوظيف طاقات واسعة من المتطوعين من الأطباء والإداريين، وتوثق العلاقة الدعوية معهم ومع المرضى المستفيدين من خدماتها..

كما تقوم بتشكيل مجموعات تطوعية تتبرع بالدم عند الحاجة إلى ذلك، وتواسي المرضى أثناء مرضهم، وتتواصل معهم بعد شفائهم.

المطلب الثامن: مراكز رعاية الفقراء والمساكين.

وتتجه بعض الجمعيات إلى التركيز على الإعانة الفورية للفقراء والمساكين وتقديم ما يحتاجون إليه من طعام، وكساء، ودواء، ومفروشات..

وتنشئ هذه الجمعيات مجموعات من المتطوعين، تقوم بإجراء دراسات ميدانية عن الفقراء ومدى احتياجاتهم ونوعيتها، وتتواصل وتوثق العلاقة معهم.

ومن أجل تيسير العلاقة بين المتبرعين والمحتاجين، تقيم هذه الجمعيات ورشاً ضخمة لجمع وإصلاح الملابس والأدوات والمفروشات المستعملة والأدوية الفائضة، وتأهيلها على أحسن مستوى، ثم توزيعها على المستحقين

استناداً إلى تقارير لجان الدراسات الميدانية..

كما تقيم صيدليات تستوعب الدواء الفائض في معامل الأدوية، وعيادات الأطباء والبيوت، وتقدمه للمحتاجين بعد التأكد من جاهزيته وصلاحيته.

كما تقيم هذه الجمعيات ورشاً ضخمةً لجمع الطعام الفائض عن الولائم والمناسبات وإصلاحه وتأهيله على أحسن مستوى، وإضافة كميات جديدة من الطعام المطهو في مطابخها، لتأمين الكميات الكافية من الطعام، ثم توزيعها على المستحقين بطريقة حضارية محترفة.

إن هذه الأعمال توفر للدعاة فرصاً واسعة للاتصال بالمتبرعين والمستحقين وإقامة علاقات دعوية وثيقة معهم.

وبذلك تكون الجمعية قد حققت أهدافاً عدَّة، منها:

١- دعم الجمعية بالمتطوعين والاستفادة منهم في العمل الدعوي.

٢- الاستفادة من المواد الفائضة والمستعملة كالألبسة والمواد الغذائية والدوائية والمفروشات والأدوات، وإصلاحها وتحسينها وتوزيعها على المحتاجين بطريقة حضارية.

٣- الحد من ظاهرة التسول والفقر وتشغيل اليد العاملة في الورش المتعددة التابعة للجمعية.

٤- مساعدة الأسر الفقيرة بالتجهيزات الطبية الكبيرة على سبيل الاستعارة.

المطلب التاسع: الدعوة من خلال استقطاب المتطوعين.

إن النشاطات الاجتماعية والخيرية والإغاثية مجال واسع لاستقطاب المتطوعين، وبخاصة من فئة الشباب المتحمسين للأعمال الخيرية التطوعية.

والعمل التطوعي هو الجهد الذي يبذله المتطوع بجزء من وقته بلا مقابل، بدافع شخصي للمساهمة بالنشاطات الاجتماعية والخيرية والإغاثية..،بقصد الحصول على الأجر والثواب..

والعمل التطوعي وسيلة جذابة وباب واسع للدعوة إلى الله تعالى؛ لأنه من المؤكد ألا يُقبل على العمل التطوعي إلا الأخيار من الناس، الذين يمتلكون حساً مرهفاً تجاه حاجات الآخرين، ويملكون القدرة على الإيثار والتضحية من أجلهم، ويملكون القدرة على تحويل هذه الصفات الكريمة إلى طاقة تدفعهم للعمل والإنتاج.

والعمل التطوعي يكشف عن قدرات المتطوعين ومواهبهم، ويساعد على تنمية إبداعاتهم وابتكاراتهم، فيكون باباً لاستقطاب هذه المواهب للعمل الدعوي على نحو خاص، وللعمل الخيري على نحو عام.

والعمل التطوعي قادر على توفير طاقة عاملة بمستويات خبرة متفاوتة لتسدَّ النقص الكبير فيما يحتاجه العمل الخيري من ساعات عمل..

وهذا يساعد على تنمية النشاطات الخيرية والاجتماعية وتطويرها نحو الأفضل، كما يساعد على تنمية السِّلْمِ الاجتماعي، وأمن المجتمعات، والمحافظة على وحدتها وتماسكها..

ويُعد العمل التطوعي مظهراً من مظاهر تطور المجتمعات ودليل على رقيها، وارتفاع نسبة الوعي فيها، واتساع ثقافتها الاجتماعية..

ويجب أن نتعامل مع المتطوعين بطريقة حضارية، وأن نوفر لهم العناية بالأمور التالية:

١- التعامل معهم بثقة واحترام وتقدير.

٢- تحديد مرجعيتهم على نحو واضح في العمل.

٣- تحديد نوع العمل المطلوب منهم، وإطلاعهم على أهدافه، وأساليبه وكل متعلقاته.

٤- إطلاعهم على نشاطات الجمعية وأهدافها وأعمالها واحتياجاتها وكل ما يتعلق بها.

٥- عدم إهمالهم، واستثمار طاقاتهم بمردود جيد.

٦- إفساح المجال لهم لإبداء آرائهم في الأعمال التي يتطوعون فيها.

٧- عدم تحميلهم ما لا يطيقونه من أعمال.

٨- تقديم الحوافز المادية والمعنوية المشجعة بعد كل إنجاز ناجح يقدمونه.

المطلب العاشر: رعاية التراث الحضا ري.

وتتجه بعض الجمعيات الخيرية إلى التركيز على الأعمال ذات الصلة بحضارة الأمة الإسلامية وتراثها العمراني والفكري.

تقوم هذه الجمعيات بنشاط واسع لمسح غبار السنين عن أحجار مساجدنا المعتقة، وآثارنا الإسلامية الشاهدة على حضارة الأمة وتاريخها المجيد..

وتقوم هذه الجمعيات بإعادة تأهيل المساجد القديمة ترميماً، وتجديد المفروشات، وكذلك تساهم بإعادة تأهيل الآثار الإسلامية القديمة..

ويتدخل الفكر الدعوي في هذا المجال، بحيث يتم استقطاب عدد كبير من المتطوعين للمساهمة في أعمال التأهيل، ويقوم الدعاة بتدريبهم على الأعمال المطلوبة إضافة إلى تأهيلهم دعوياً وتربوياً ولإقامة صلة وثيقة بهم، وأيضاً إقامة صلة وثيقة بين المتبرعين بأموالهم لصالح هذه المشاريع.

وتقيم هذه الجمعيات معارض وندوات ودورات لتنمية ونشر الوعي الثقافي والفكري المتصل بحضارة الأمة. كما تساهم بإنجاز دراسات وبحوث تتعلق بالشؤون الحضارية.

- **تطوير عمل الجمعيات الخيرية والإغاثية:**

ولاستكمال الفائدة، ولتحسين أداء الجمعيات الخيرية والإغاثية، ولكي تحقق أهدافها، وحتى لا تضيع الجهود الكبيرة المبذولة، يجب أن نطور أعمال هذه الجمعيات وفق البرنامج التالي

١- تحديد الأهداف، ومصاحبتها باستمرار، وتطويرها.

٢- يجب أن يكون الهدف الأعلى والأهم هو الرعاية التربوية والدعوية؛ لأنها تصنع الإنسان السوي المتميز الفعال إيجابياً في المجتمع.

٣- وضع الخطط والبرامج وتنفيذها وتقويمها ونقدها وتطويرها..

٤- اصطحاب الاجتهاد والحماسة في العمل لتحقيق أعلى إنتاجية ممكنة.

٥- استخدام أحدث تقانات الإعلام والإعلان للتعريف بالعمل الخيري.

٦- استخدام أحدث تقانات الإدارة، والتركيز على العمل المؤسساتي، والابتعاد عن الفردية في العمل.

٧- التركيز على التخصص في العمل، وتوزيع المسؤوليات.

٨- التأهيل واكتساب المهارات.

٩- تأمين مصادر تمويل دائمة عن طريق الوقف الخيري.

١٠- عدم الإسراف في النفقات الإدارية، والتواضع في المفروشات والضيافة.

١١- الإبداع والابتكار والجدة في المشاريع الخيرية، وعدم الاقتصار على المشاريع التقليدية.

١٢- الثقة الكبيرة في الجمعيات من قِبل الداعمين هي مادة وروح النجاح والتألق.

١٣- إنشاء قاعدة بيانات للمتطوعين والداعمين، ووضع خطة تواصل دائم معهم.

١٤- إنشاء قاعدة بيانات للمستفيدين والعاملين في الجمعية.

١٥- الاستفادة من العمل التطوعي وتعزيزه وتطويره باستمرار، وبخاصة تكليف المستفيدين حسب خبراتهم بعمل تطوعي لصالح الجمعية.

١٦- التنسيق والتكامل مع الجمعيات الأخرى.

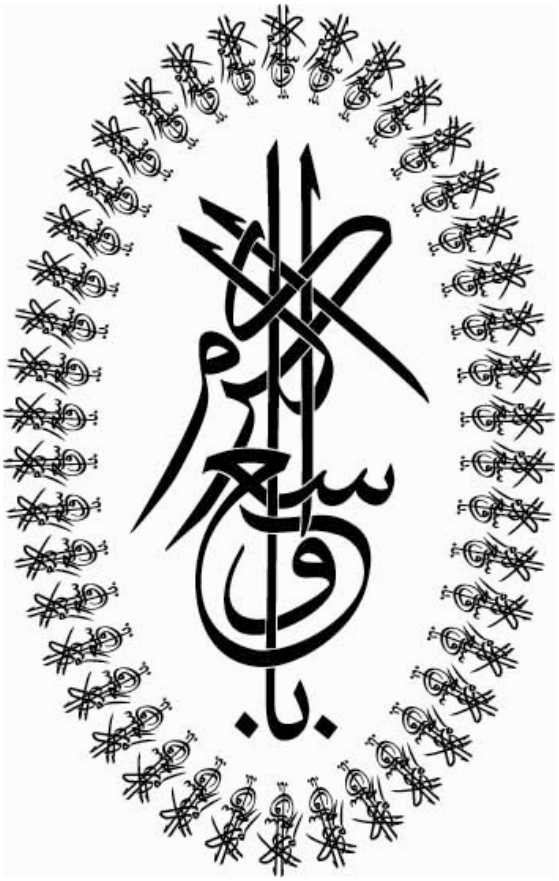

الفصل الثالث

أساليب الدعوة.

المبحث الأول : أسلوب الدعوة بالإقناع عن طريق الاستقراء والاستنتاج.

المبحث الثاني : أسلوب الدعوة بالحوار.

المبحث الثالث : أسلوب الدعوة بضرب الأمثال.

المبحث الرابع : أسلوب الدعوة بالقدوة.

المبحث الخامس : أسلوب الدعوة بالصحبة والملاحظة.

المبحث السادس : أسلوب الدعوة بالقصة.

المبحث السابع : الدعوة بالتوجيه المباشر.

المبحث الثامن : الدعوة بالتوجيه غير المباشر.

المبحث التاسع : أسلوب الدعوة بالترغيب.

المبحث العاشر : أسلوب الدعوة بالثناء.

المبحث الحادي عشر: أسلوب الدعوة بالتنبيه والتحذير.

المبحث الثاني عشر : أسلوب الدعوة بالمكافأة والهدية والخدمة وتفقد الأحوال.

أساليب الدعوة.

على الداعي إلى الله تعالى أن يستخدم الأساليب الدعوية التي تحقق أهدافه في جذب الناس إلى الإسلام، وإقناعهم برسالته ومبادئه، والعمل بمقتضاها، ثم تَبنِّيها والدعوة إليها.

ويوجد أساليب متعددة للدعوة إلى الله تعالى، ومنها: (١)

المبحث الأول
أسلوب الدعوة بالإقناع عن طريق الاستقراء والاستنتاج

المطلب الأول: أهميته.

هو أسلوب دعوي مهم، ذو تأثير عميق على المدعو، وهو أكثر مباشرة، ويعتمد على المنطق والعقل والتفكير، ويستعمل الإقناع المتدرج، من الخاص إلى العام، ومن الجزئي إلى الكلي...، كما أنه يستثير مكامن الضمير الحي والعقل الرشيد..

(١) بما أنه يوجد تشابه وتطابق بين أكثر أساليب الدعوة وأساليب التربية، وبما أن التربية مقصد من مقاصد الدعوة، والتربية جزء منها، فقد جعلت هذا الفصل مشتركاً في بعض الأفكار الواردة في بحث أساليب التربية الواسع، في كتابنا مبادئ في الفكر التربوي الإسلامي، فليرجع إليه من يريد التوسع، وقد أَضفت إليه ما يقتضيه البحث.

المطلب الثاني: نموذج من أسلوب الدعوة بالإقناع عن طريق الاستقراء والاستنتاج في القرآن الكريم:

في هذا النموذج يُحاجُّ سيدنا إبراهيم عليه السلام قومه، ويثبت لهم أن آلهتهم التي اتخذوها من الحجارة لا تضرّ ولا تنفع، ولا تملك من الأمر شيئاً، وأن الإله الحقيقي هو الله تعالى خالق السماوات والأرض، العالم بكل شيء، والقادر على كل شيء.. [1].

المطلب الثالث: الوظائف الدعوية في هذا النموذج:

١- الإقناع بضرورة التفكير؛ للوصول إلى الحقائق.

٢- كيف يعبد إنسان عاقل إلهاً غير عاقل؟!..[2]

٣- يستطيع الإنسان من خلال دراسته العلوم الفلكية الوصول إلى الإيمان بالخالق جلَّ وعلا.

٤- في أسلوب الإقناع يستخدم الداعي فرضيّة صحة أفكار الآخر، ويتقدم باتجاهه تلطُّفاً، ثم ينطلق من ذلك لنقضها عقلياً بالاستقراء والاستنتاج.

٥- ينقض الدّاعي الأفكار على مراحل، فينقض فكرة واحدة ثم ينتقل إلى الأخرى بالتدرج، من الأصغر إلى الأكبر، ومن الأسهل إلى الأصعب.

٦- الدِّين يجب أن تثبتَه الأدلة والبراهين، وليس التقليد، وإلا فإنه ليس بدين.

٧- يمكن تحصيل معرفة الله تعالى باليقين، عن طريق النظر والتفكر والاستدلال في الكون والكائنات.

---

(١) انظر: سورة الأنعام الآيات [٧٤حتى٨٣]، وسورة الأنبياء الآيات [٥١حتى٧٠]، وسورة البقرة الآية [٢٥٨].

(٢) مازال في عالمنا المعاصر حتى الآن، أُناس يفعلون هذا في ديانات الهندوسية والسيخية والبوذية وغيرها.

٨- الداعي لا يخاف إلا الله تعالى، ويشعر بالأمان والطمأنينة؛ لأن الله تعالى معه.

٩- الدُّعاة إلى الله تعالى يجب أن يكونوا من الراشدين، أي المستقيمين على طريق الحق بصلابة، ويتصفوا بكمال العقل، وسداد الفِعل، وحُسن التصرف.

١٠- الدّاعي يقيم حجته من خلال الحوار القائم على الإقناع والاستقراء والاستنتاج.

١١- الربُّ الذي يستحقّ العبادة، هو خالق السماوات والأرض.

١٢- البرهان العمليُّ أوقع في النفس، وأدعى للإقناع، وأشد إثارة للتفكير. ﴿ فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾[سورة الأنبياء].

١٣- الدّاعي إلى الله تعالى يجب أن يمتلك الجرأة، وأن يوطِّن نفسه لتحمّل المشقَّة والأذى في سبيل الله تعالى، وأن يكون واثقاً بوعد الله تعالى بالتغلّب على الباطل.

١٤- الداعي إلى الله تعالى يحرص على الاستفادة من تجمُّع الناس؛ ليصل إلى تبليغ أكبر عدد من الناس، ﴿ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾[سورة الأنبياء]. ويفرح بذلك ولا يخشى الناس.

١٥- الدّاعي إلى الله تعالى يملك حجة قوية تؤثر في نفوس مجادليه، ﴿ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[سورة الأنبياء].

١٦- استخدام الأذى والإضرار بالدعاة، دليلٌ على العجز، وفقْدِ الحجَّة، ومُجانبةِ الحقيقة عند خصومه.

١٧- إرادة الله تعالى لا تخضع للقوانين التي نظَّم الله تعالى بها حياة المخلوقات، والقائمة على الأخذ بالأسباب والمسببات، بل إذا أراد الله تعالى شيئاً يقول له: كن فيكون.

١٨- إذا لم تنفع الحجة التي يستخدمها الداعي المتكبّرين على الحق، المجادلين بالباطل، فعلى الداعي الانتقال إلى حجة أقوى تتصل بنمط المجادل وأسلوبه، فإذا حاججت المجادل بدليل يستند إلى الحقيقة، فجادلك بدليل يستند إلى المجاز، فجادلْه بدليل لا مجاز فيه.﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ ... ﴿٢٥٨﴾ ﴾ [سورة البقرة].

١٩- إن العاقبة للمتقين، والنصر لأولياء الله تعالى، والدُّعاة الصادقين المخلصين.

المطلب الرابع: نموذج من أسلوب الدعوة بالإقناع عن طريق الاستقراء والاستنتاج في السنة النبوية:

كان رسول الله ﷺ يعالج الأمراض النفسية والاجتماعية المنتشرة بين الناس بهذا الأسلوب.

فقد روى أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه أنَّ فَتى شَاباً أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَى. فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ، فَزَجَرُوهُ. وقَالُوا: مَهْ مَهْ .**فَقَالَ** ﷺ: «ادْنُهْ» فَدَنَا مِنْهُ قَرِيباً. قَالَ: فَجَلَسَ. **قَالَ** ﷺ :«أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟!» قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. **قَالَ** ﷺ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ» **قَالَ**:«أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟!» قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. **قَالَ**:« وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ» **قَالَ**:« أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟!» قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. **قَالَ**:« وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ» **قَالَ**: «أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟!» قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. **قَالَ**:« وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ »**قَالَ**:« أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟!» قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. **قَالَ**:« وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ» قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، **وَقَالَ**: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ وَحَصِّنْ فَرْجَهُ» فَلَمْ يَكُنْ بَعْدَ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ[1].

(١) أخرجه أحمد في "مسنده" برقم [٢٢٢١١] (٣٦/ ٥٤٥) ، وهو صحيح.

المبحث الثاني
أسلوب الدعوة بالحوار

المطلب الأول: أهميته.

أسلوب الدعوة بالحوار: من أكثر الأساليب تأثيراً في الدعوة من حيث الإقناع، والتغيير للعادات والسلوك، ومن حيث القدرة على غرس قِيم جديدة. فهو يختصر المسافة النفسيَّة بين الداعي والمدعو، ويكسر حواجز الوهم والخوف، وينتزع مشاعر الاستعلاء، ويعزز مشاعر الانفتاح والمصارحة.

وأسلوب الدعوة بالحوار: له صِلةٌ وتداخلٌ مع أسلوب الدعوة بالإقناع عن طريق الاستقراء والاستنتاج..؛ وذلك لأن الحوار في الأصل يقوم على سؤال وجواب ونقاش.

المطلب الثاني: فن الحوار.

بناءً على خبرتي وتجربتي، أعتقد بأن الحوار يعتمد على قوى ومواهب متعددة، ومنها: قوّة العقل، وقوّة الفكر، وقوّة العلم، وقوّة الشخصية، وقوّة التأثير العاطفي، وقوّة البيان، وسرعة البديهة.

وفنّ الحوار: هو الفن القادر على استخدام ومزج هذه القوى الفاعلة، وحسن الاختيار منها أثناء الحوار.

والمحاور الأنجح: هو الذي يمتلك المحصلة الكبرى من مجموع نِسب هذه القوى والمواهب.

المطلب الثالث: نماذج من أسلوب الدعوة بالحوار في القرآن الكريم:

إن أسلوب الدعوة بالحوار، له مساحة واسعة في القرآن الكريم...ففي القرآن الكريم:

١- يعلِّم الله تعالى نبيه محمداً ﷺ كيف يحاور أهل الكتاب[١].
٢- ويعلّم الله تعالى المؤمنين كيف يحاورون أهل الكتاب [٢].
٣- ويعلم الله تعالى نبيّه محمداً ﷺ كيف يحاور الكافرين[٣].
٤- وفي القرآن الكريم حوار بين الله تعالى وأنبيائه المرسلين[٤].
٥- وفيه حوار بين الله تعالى وملائكته المقربين[٥].
٦- وفيه حوار مع المؤمنين[٦].
٧- وفيه حوار مع الكافرين[٧].
٨- وفيه حوار مع المنافقين[١].

---

(١) انظر: سورة المائدة الآيات [٥٩حتى ٨٦]، وسورة آل عمران الآيات[٦٤حتى١١٥].

(٢) انظر: سورة البقرة الآيات [١٣٥حتى١٤٠]،وسورة العنكبوت الآية [٤٦].

(٣) انظر: سورة يونس الآيات [١٥حتى ٢٠] ،وسورة يونس الآيات [٣١حتى ٦٠].

(٤) انظر: سورة المائدة الآية [١١٤وما بعدها]، وسورة طه الآيات [٩حتى٤٨]وسورة الأعراف الآيات [١٤٣حتى١٤٥].

(٥) انظر: سورة البقرة الآيات [٣٠وما بعدها].

(٦) انظر: سورة آل عمران الآيات [١٣٧وما بعدها]، وسورة المائدة الآيات [٨٧وما بعدها]،سورة الأنفال الآيات [١حتى٢٩]،سورة التوبة الآيات [٢٣وما بعدها]، سورة النساء الآيات [٩٤وما بعدها]،سورة البقرة الآيات [٢١٤وما بعدها.] .

(٧) انظر: سورة النمل الآيات [٥٩وما بعدها]، سورة يونس الآيات [٣١وما بعدها]، سورة المؤمنون الآيات [٧٨وما بعدها]،سورة الأنبياء الآيات [١حتى٤٧].

٩- وفيه حوار مع إبليس اللعين[٢].

١٠- وفيه حوار بين الأنبياء والمرسلين وأقوامهم المكذبين[٣].

١١- وفيه حوار بين أهل الأعراف وأهل الجنة وأهل النار[٤].

١٢- وفيه حوار بين المنافقين والمؤمنين يوم القيامة[٥].

١٣- وفيه حوار بين الكافرين في النار[٦].

١٤- وفيه حوار بين المؤمنين في الجنة[٧].

وهناك أنواع حوارات أخرى في القرآن الكريم لا يتَّسع المجال لإحصائها، وقد اكتفيت بالإشارة في الهامش إلى بعض الأمثلة عن أنواع الحوارات التي ذكرتها أعلاه، ولم أضعها في النص اختصاراً لحجم الكتاب ولسهولة الرجوع إليها في القرآن الكريم.

---

(١) انظر: سورة البقرة الآيات [٨حتى٢٠]،وسورة التوبة الآيات [٤٢حتى٩٨]، سورة النساء الآيات [١٣٧وما بعدها].

(٢) انظر: سورة الأعراف[١٢وما بعدها]،سورة الحجر الآيات [٣٢وما بعدها]،سورة ص الآيات [٧٥وما بعدها].

(٣) انظر: سورة الأعراف الآيات [١٠٣وما بعدها]،وسورة الأنبياء الآيات [٥١وما بعدها]، وسورة النمل الآيات [٤٥حتى٥٨]، سورة الشعراء الآيات [١٠٥وما بعدها]، سورة طه الآيات [٤٩وما بعدها]، سورة الأنعام الآيات [٨٠وما بعدها].

(٤) انظر: سورة الأعراف الآيات [٤٤وما بعدها].

(٥) انظر: سورة الحديد الآيات [١٢وما بعدها].

(٦) انظر: سورة الصافات الآيات [٢٠حتى٣٩]، سورة ص الآيات [٥٥حتى٦٤]، سورة الشعراء الآيات [٩١حتى١٠٣]، سورة سبأ الآية [٣١وما بعدها].

(٧) انظر: سورة الصافات الآيات [٤٠حتى٦١].

المطلب الرابع: من سمات أسلوب الدعوة بالحوار في القرآن الكريم:

١- الحوار الدعوي في القرآن يقوم على المحاكمة العقلية والمعطيات العلمية والتاريخية.

٢- الحوار الدعوي في القرآن يقوم على الدليل والبرهان:

٣- الحوار الدعوي في القرآن يقوم على قواعد الإنصاف واللُّطْف والحقيقة:

ففي سورة طه أمر الله تعالى نبيَّين من أنبيائه موسى وهارون عليهما السلام أن يحاورا فرعون الطاغية بأسلوب ليِّن أملاً في هدايته.. يقول الله تعالى: ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ [سورة طه].

المطلب الخامس: نموذج من أسلوب الدعوة بالحوار في السنة النبوية.

● كان النبي ﷺ يستخدم أسلوب الحوار في دعوة أصحابه، وفي توصيل الأفكار التي يريد أن تصل إليهم، وفي تغيير قناعاتهم وأسلوبهم وفهمهم وتعاطيهم مع الأمور، وكذلك لينتزع من عقولهم ونفوسهم أفكاراً وأخلاقاً واعتقادات ويغرس مكانها أخرى..

■ **نموذج حوار نبوي يتعلق بالتوحيد والاعتقاد:**

يقوم النبي ﷺ في هذا النموذج بمعالجة مظاهر الشرك والوثنية التي انتقلت مع بعض المسلمين من عقائدهم السابقة قبل أن يُسلموا.

يقول عديُّ بن حاتم: أتيتُ النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب.

فقال ﷺ: « يا عديُّ، اطرح هذا الوثن من عنقك » فطرحته ...

فانتهيت إليه وهو يقرأ سورة براءة، فقرأ هذه الآية : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ حتى فرغ منها...

فقلت : ((إنّا لسنا نعبدهم)) .

فقال ﷺ: « أَلَيْسَ يحرِّمون مَا أَحَلَّ اللهُ؛ فَتُحَرِّمُونَهُ ويُحلون ما حرَّم اللهُ؛ فَتَسْتحلُّونَهُ؟ ». **قلت** : بلى ...

قال ﷺ: « فَتِلْكَ عبادتُهُمْ »[1].

ففي هذا الأسلوب الدعوي القائم على الحوار نلاحظ ما يلي:

١-أمر النبي ﷺ عديَّ بن حاتم بطرح الوثن من عنقه، فنفَّذ التوجيه النبوي ونزعَه، وهذا يدل على أنه مسلم ولولا ذلك لما نَزَعه، ولكنه كان قريب عهد بالإسلام، ولم تتعمق مفاهيم الإسلام في قلبه وعقله..

٢-نشأت مشكلة لدى عدي في فهم الآية حول موضوع اتخاذهم الأحبار والرهبان أرباباً من دون الله، وحسب فهم عدي أنهم كانوا لا يعبدونهم كعبادة الله.

٣-فأراد النبي ﷺ أن يحدد قاعدة ثابتة من خلال الحوار، يوضح فيها أن أساس مفهوم الربوبية بالنسبة للمربوب، هو أن الرب هو الذي يحدد الحلال فيحله، والحرام فيحرمه..

(١) أخرجه الطبراني في " معجمه الكبير" برقم [٢١٨](٩٢/١٧)، وهو صحيح.

فإذا تدخل أحد من البشر فأحلّ حراماً أو حرّم حلالاً، فقد أقام نفسه في مقام الربوبية..

فلما سأل النبي ﷺ عدي: « أَلَيْسَ يحرِّمون مَا أَحَلَّ اللهُ؛ فَتُحَرِّمُونَهُ ويُحلون ما حرَّم اللهُ؛ فَتَسْتحلُّونَهُ ؟ » أقرَّ عديٌّ بذلك، وانتبه إلى المراد الذي قصدت إليه الآية الكريمة، وهو أن مجرد طاعة مَن يتجرؤون على تحليل الحرام أو تحريم الحلال، هو شركٌ وعبادةٌ..

وهنا يصل الحوار إلى ختامه ونتيجته، **فيقول النبي** ﷺ:« فَتِلْكَ عبادتُهُمْ »..

المبحث الثالث

أسلوب الدعوة بضرب الأمثال

المطلب الأول: أهميته.

هو أسلوب يهدف إلى إثارة انتباه المستمع إلى أمر يقصد منه تصحيح عقيدة الإنسان.، أو تصويب أفكاره، أو تربيته سلوكياً وأخلاقياً وروحياً واجتماعياً ونفسياً وعقلياً..

وقد ضرَبَ الله تعالى الأمثالَ في القرآن الكريم على نطاق واسع، واعتمدت السنة النبوية الأسلوب نفسه لتحقيق الأهداف التي ذكرناها آنفاً.

المطلب الثاني: نموذج من أسلوب الدعوة بضرب الأمثال في القرآن الكريم.

يقول الله تعالى: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٨﴾ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لَآ

أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [سورة يس].

المطلب الثالث: الوظائف الدعوية في هذا النموذج.

١- ضرورةُ انتشار الدُّعاة في كل أرجاء المعمورة؛ لتبليغ رسالة الله تعالى، وألَّا ينتظروا حتى يجيء الناس إليهم ليبلِّغوهم، قال الله تعالى: ﴿ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ ولم يقلْ: إذ جاؤوا إلى المرسلين.

٢- ضرورة تعزيز الدَّعوة بعددٍ كافٍ من الدُّعاة﴿ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [سورة يس].

٣- يختار الله تعالى البشر لتبليغ رسالته للناس ولا يختار الملائكة، حتى لا يبقى عذر يتعذَّر به المعاندون، إذ كيف يقتدون بالملائكة؟!..، أو يفهمون كفهمهم، أو يعملون كعملهم..فهم من غير جنسهم..، وهذا يسدُّ عليهم أبواب المعاندة والإعراض بحجة المغايرة بالطبيعة والاختلاف..يقول الله تعالى: ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [سورة إبراهيم] ويقول تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [سورة الفرقان] ويقول تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا

عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ ﴾ [سورة الإسراء] ويقول تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [سورة الأنعام] ويقول تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ﴾ [سورة الفرقان].

فالكافرون المعاندون لا يريدون أن يقتنعوا بعقولهم بل يريدون أمراً خارقاً، **والله تعالى يريد أن يقيم الحجة بالعقل والبيان لكل الناس**، وليس بالخوارق التي تزول بزوال الأنبياء، لأن الحجة بالعقل والبيان باقية لكل زمان، فلا يبقى عذر لمتعذّر...

رؤية

الدعوة إلى الله تعالى وسائلها واقعية ومنطقية وقريبة من طبيعة المدعوين بلا تكلُّف

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾

٤- مهمة الدعاة محصورة بالبلاغ المبين:

والبلاغ المبين يجب أن يتوافر فيه:

- الحجج المقنعة الواضحة.
- قدرة المبلِّغ على توصيل المعلومات إلى متلقّي البلاغ.
- قدرة المبلِّغ على الإقناع.
- قدرة المبلِّغ لهذه المعلومات على جعل المتلقي يعمل بمقتضاها.
- قدرة المبلِّغ على توظيف طاقات المتلقي لنشر وتبليغ هذه المعلومات.

- قدرة المبلِّغ على جعل المتلقي يثبت بقوّة على الحقائق التي تلقّاها.

٥- إن تهديد الدُّعاة بالاضطهاد والتعذيب أو تعرضهم لذلك، لا يمنعهم من الاستمرار بدعوتهم والثبات عليها، واختيار الأساليب المناسبة لكل حالة..، فلا توقف، ولا تراجع، ولا وهن، ولا ضعف، ولا خوف، ولا جُبن..

٦- يجب أن تقوم فئة من الناس بمناصرة الدُّعاة بالحجة والبيان، والدفاع عنهم بالقوة والمنعة، وهذا يمنع المعاندين من اضطهادهم ورجمهم ﴿ قَالُواْ يَـٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَـٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ ﴾ [سورة هود].

٧- وإذا كان المناصرون ضعفاء العُدَّة قليلي العدد، فعليهم ألَّا يمنعهم ذلك من مناصرة الحق والدعاة، وعليهم أن يعلنوا هذه النّصرة، ولو أدى ذلك لاضطهادهم معهم، وهذا شرف عظيم لهم جميعاً أن يكونوا أنصار الله والرسالة، وعليهم أن يتحمّلوا الأذى في سبيل الله..، وإذا كان الدعاة يطلبون الحياة لينشروا الدعوة وينصروها، ولا يسعَون للموت، فإنهم إذا قُدر عليهم الموت في سبيل الله فهو أعزُّ أمانيهم...

٨- الدعاة إلى الله تعالى لا يطلبون أجراً ولا تعويضاً على تبليغ رسالة الله تعالى للناس.

٩- الداعي إلى الله يرجو الخير للناس كلهم، بما فيهم المعاندون الذين آذوه وعذّبوه واضطهدوه ﴿ قَالَ يَـٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[سورة يس] ألم يفعل هذا رسول الله ﷺ مع قومه الذين عذبوه ورجموه، **فقال**: « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» [1] **وفي رواية للبيهقي**: «اللهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٣٤٧٧](ص/٦٧٠)، ومسلم في "صحيحه" برقم =

لَا يَعْلَمُونَ »[1] **وقال لقريش بعد فتح مكة**: « يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ فِيكُم؟» قَالُوا :خَيْراً، أَخٌ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ. **قَالَ**: «اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلقاء[2]» [3].

هذا هو منهج الدعاة، وأما الحقد والكراهية والانتقام فليس من منهجهم.

١٠- التضحية في سبيل هداية الخلق، وتعريفهم بالله تعالى؛ ليعبدوه ويحبُّوه..مقامها عظيم عند الله تعالى، ومآلها الجنة مع التكريم.. ﴿ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٧ ﴾ [سورة يس].

المطلب الرابع: نموذج من أسلوب الدعوة بضرب الأمثال في السنة النبوية:

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: **قال رسول الله** ﷺ : «مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا[4] عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنْ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا. فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا

[١٧٩٢](ص/٧٤٥)، واللفظ للبخاري.

(١) أخرجه البيهقي في "شعب الإيمان" برقم [١٣٧٥](٤٥/٣)، وهو ضعيف.

(٢) الطلقاء: جمع طليق : وهو الأسير إذا خلي سبيله، والمراد أهل مكة الذين عفا عنهم رسول الله ﷺ.

(٣) سيرة ابن هشام (٤١٢/٤).

(٤) استهموا :أي اقترعوا ليأخذ كل منهم سهما أي نصيباً .

أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعاً وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ[1] نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعاً»[2].

المطلب الخامس : الوظائف الدعوية في هذا النموذج.

يجب النظر إلى نتائج التصرفات ومآلها للحكم عليها،ولا يكفي حسن النيات، وأحكام الشريعة تطبق على أعمال المسلم وليس على طيب قلبه وسلامة نيته..

حقيقة

إنّ إهمال بعض العاملين في حقل الدعوة الإسلامية والعمل الحركي الإسلامي لفقه المآلات وما يتصل به من فقه مقاصد الشريعة والسياسة الشرعية، أدَّى إلى خسائر كبيرة، وفشل متكرر في مسيرة العمل الإسلامي..، وانعكس هذا على واقع الأمة الإسلامية كأحد عوامل التخلّف، وفقدان الاتجاه الصحيح لإعادة نهضة الأمة وازدهارها..

(١) أخذوا على أيديهم :أي منعوهم من خرق السفينة.

(٢) أخرجه البخاري في"صحيحه"برقم[٢٤٧١] (ص/٤٧١)

المبحث الخامس
أسلوب الدعوة بالصحبة والملاحظة

المطلب الأول: أهميته.

وهو من أعظم أساليب الدعوة تأثيراً ودقَّة ومتابعة. وهو أسلوب دعوي للخواص، ومحصور بأعداد محدودة...

المطلب الثاني: وسائله.

وله وسائل خاصة: كجلسات ذكر الله تعالى، وبرامج التهجد وقيام الليل، والصيام والإفطار معاً، والمخيمات، والرحلات، والأسفار، والزيارات الخاصة، واللقاءات الفردية، أو اللقاءات مع مجموعات صغيرة، وتناول الطعام معاً، والدروس الخاصة،...

المطلب الثالث: ميزاته.

وفي هذا الأسلوب تختلط أنفاس الداعي مع أنفاس المدعوين، في التدريس والحوار والنشاطات المختلفة..، فيطَّلع الداعي على طبائع المدعوين، ونفسياتهم، ومواهبهم، ونقاط قوتهم وضعفهم، ومشاكلهم العامة والخاصّة، وعلاقاتهم مع أُسرهم وجيرانهم ورفاقهم ومحيطهم، ودراستهم، وعملهم، وميولهم، وسلوكهم، وأخلاقهم، وما يحسن منها وما لا يحسن.. ويطَّلع على أَدقِّ تفاصيل حياتهم...

وأسلوب الدعوة بالصحبة والملاحظة.. يتميز بوجود ثقة ومودَّة كبيرة بين الداعي والمدعو.

وتمعَّن فيما جرى مع سيدنا عمر ﷺ، والنبي ﷺ يربيه بالصحبة، ويمسك بيده ويحدثه..

وانظر كيف يستطيع الداعي أن يغير بعمق في شخصية المدعو عن طريق الدعوة بالصحبة مع وجود المودة الكبيرة بين الداعي والمدعو..

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هِشَامٍ قَالَ: ((كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي. **فَقَالَ النَّبِيُّ** ﷺ:«لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ» فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الْآنَ، وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي. **فَقَالَ النَّبِيُّ** ﷺ:«الْآنَ يَا عُمَرُ»[1].

هل لاحظتم عمق العلاقة بين الداعي والمدعو، وتغلغلها في مفاصل كيان المدعو، وقوة تأثير الدعوة بالصحبة عليه ؟!!.

هل تلمستم هذا الدفء الرائع في العلاقة بين الداعي والمدعو بالصحبة ؟!.

إن الصحبة والملاحظة عن قُرب تكشف أدقَّ الخبايا في حياة المدعو، وتساعد على إصلاح نقاط الضعف عنده..

وهو أسلوب متدرج يعالج القضايا بأوقاتها وبشكل انسيابي، ولا يُشعر المدعو بمواقف حادَّة صادمة.

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٦٦٣٢](ص/١٢٦٧).

ويُستخدم هذا الأسلوب على نطاق واسع في حقل الدعوة الإسلامية لتنشئة جيل متميز ومؤهَّل على المستويات كافة، دينية ودنيوية.

المطلب الرابع: شرطه.

وأسلوب الدعوة بالصحبة والملاحظة لا يستطيع أن يقوم به كل داعٍ، بل يحتاج إلى داعٍ متميزٍ، ذي خبرةٍ واسعةٍ، وذي عفَّةٍ وحكمةٍ وتقوى، وذي إنابةٍ ومراقبةٍ وذكرٍ لله تعالى، وينطبق عليه صفات الداعي التي ذكرناها في مواضع كثيرة..

المطلب الخامس: نموذجان من أسلوب الدعوة بالصحبة والملاحظة في السنة النبوية.

عن عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ ﷺ **قَالَ:** ((كُنْتُ فِي حِجْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ [1]، **فَقَالَ لِي:** « يَا غُلَامُ سَمِّ اللَّهَ وَكُلْ بِيَمِينِكَ وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ»[2].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَدَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّى، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَرَدَّ و**قَالَ**: «ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ [3]» فَرَجَعَ يُصَلِّي كَمَا صَلَّى، ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ **فَقَالَ**: «ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ» ثَلَاثاً. فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أُحْسِنُ غَيْرَهُ فَعَلِّمْنِي **فَقَالَ**: «إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنْ الْقُرْآنِ ثُمَّ ارْكَعْ

(١) تطيش في الصحفة : أحركها في جوانب القصعة لألتقط الطعام.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٥٣٧٦](ص/١٠٦٤)، ومسلم في "صحيحه" برقم [٢٠٢٢](ص/٨٣٨)، واللفظ له.

(٣) لم تصل : صلاة صحيحة.

حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعاً[1] ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْدِلَ قَائِماً ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِداً ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِساً وَافْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا»[2].

رؤية

إنها الدعوة بالصحبة والملاحظة، تتابع أدق التفاصيل في حياة المدعو، وتسبر أغوار شخصيته، وتصحح مساراتها، وتنمي مواهبها، وتوظف طاقاتها، والسبب أن هذا الأسلوب في الدعوة يحقق أعلى مستويات الانسجام والمودة بين الداعي والمدعو، فيتقبل كل التوجيهات والملاحظات بسرور...

☆ ☆ ☆

(١) تطمئن راكعاً : تستقر في ركوعك.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٧٥٧](ص/١٥٧)، ومسلم في "صحيحه" برقم [٣٩٧](ص/١٧٠)، واللفظ للبخاري.

المبحث الرابع
أسلوب الدعوة بالقدوة

المطلب الأول: أهميته.

- يعدُّ من أكثر أساليب الدعوة فعالية وتأثيراً، وذلك لأن الدعوة بالقدوة تحتاج إلى وجود انسجام نفسي بين الداعي والمدعو،وهنا تكمن أهمية هذا الأسلوب في الدعوة..

وتزداد فعّالية هذا الأسلوب بازدياد الانسجام النفسي بين الداعي والمدعو، وإذا ما ارتقى هذا الانسجام النفسي إلى المودة والمحبة نكون قد وصلنا إلى أعلى درجات التأثير، وخطونا الخطوة الكبرى نحو تحقيق أهداف الدعوة الإسلامية... ويعدُّ هذا ذروة العمل الدعوي فعالية وتأثيراً، وهذا ما كان عليه حال الداعي الأول سيدنا محمد ﷺ مع أصحابه الكرام، ونزلت الآية الكريمة ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [سورة الأحزاب] لتحقيق معاني وأهداف الدعوة بالقدوة...

حقيقة

الدعوة بالقدوة الممزوجة بالمحبة والانسجام النفسي رفيعة المستوى...تؤدي إلى انطباع المحبِّ بسلوكيات من يحب كلفاً من غير تكلُّف...
فلقد كان أصحاب النبي ﷺ يراقبون جميع تصرفات النبي ﷺ ويقتدون به من غير طلبٍ منه أو إلحاح أو تصريح أو تلميح...

حتى إن بعض أصحاب النبي ﷺ كانوا من غير شعور منهم يمشون كمِشية النبي ﷺ، ويتكلمون بأسلوبه، ويشيرون بحركاتهم كإشارته، ويجلسون كجِلسته، ويأكلون بطريقته..

وكانوا يتعلمون منه الأخلاق الحسنة والشمائل الحميدة، فيصبرون بصبره، ويتشجعون بشجاعته، ويَحْلُمون بحلمه، ويستقيمون باستقامته..، يقول الله تعالى مخاطباً نبيه محمداً ﷺ : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾ [سورة هود].

والدعوة بالقدوة تنطبق على جميع الناس، كباراً وصغاراً، رجالاً ونساءً..، فقد أمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ أن يقتدي بالأنبياء والمرسلين الذين سبقوه، فقال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ ... ﴾ [سورة الأنعام: ٩٠].

المطلب الثاني: ما يُشترط لتحقيق الدعوة بالقدوة.

وهذا النوع من أساليب الدعوة لا يتحقق إلا بشرط وجود الداعي القدوة الصالح الذي يستحق أن يُقتدى به، ولا يجوز أن يقوم بهذا المقام من ليس بأهل للاقتداء به..وإلا فإن النتائج ستكون سلبية جداً، بل وخطيرة، وبخاصة إذا حصل الانسجام النفسي للمدعو مع الداعي غير المؤهّل، وعندئذٍ تنتقل إلى المدعو أمراض وأخطاء وخطايا المنتسب للداعي بنفس القوة والفعالية.

تحذير

على أولياء الأمور أن يحذروا ويدققوا بإمعان في صفات الداعي الذي سيجعلون أبناءهم بين يديه، فهم يتأثرونَ على نحو بالغ بطبائعه وصفاته وأخلاقه وأفكاره...

فكم من ناسٍ وصلوا إلى أعلى مراتب السعادة والنجاح والتميّز من خلال صحبتهم لداعٍ متميز بصفاته السلوكية والتربوية؟!!!..

وكم من ناسٍ غرقوا في دَرَك الشقاء بسبب صلتهم بمنتسب للدعوة سيِّئٍ غير صالح؟!!.

وهذا الأمر يزيدنا اهتماماً وحرصاً على البحث عن الداعي الصالح، فإذا وجدناه فقد حصلنا على الكنز الثمين...يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [سورة التوبة].

وقد قال السابقون: ((لسان الحال أبلغُ من لسان المقال)) وقالوا: ((وحالُ رجل بألف رجل أكبر من قال ألف رجل برجل)).

● ولقد انتشر الإسلام في أنحاء كثيرة من العالم بأسلوب الدعوة بالقدوة من خلال الصفات الحسنة التي كان عليها المسلمون الأوائل، تلك الصفات والسلوكيات القائمة على الاستقامة والفضيلة والمثل العليا التي بهرت غير المسلمين، وجذبتهم إلى الإسلام، فأسلموا عن محبة وقناعة..

وهذا أمرٌ طبيعي؛ لأن السلوك الراقي يثير مكامن الإعجاب والاستحسان والتقدير لدى الناس، فيؤثر في نفوسهم الباطنة، ويسري في سلوكياتهم الظاهرة...

وقل رب زدني علما

المبحث السادس
أسلوب الدعوة بالقصة

المطلب الأول: أهميته.

هو من الأساليب الدعوية التي اعتمدها القرآن الكريم، واعتمدتها السنة النبوية الشريفة؛ وذلك لقوة تأثيرها التربوي بسبب واقعيّتها[1] ، وسعة المجالات التي يمكن أن تعالجها، وتوافر مادّة الجذب والتشويق التي تتميّز بها، مما يدفع المستمع إلى الانسجام مع القصة ومتابعتها، والاهتمام بمادتها، والتفكير بأهدافها، والتفهّم لإشاراتها البعيدة والقريبة، مع تتالي مشاهدها وفصولها، ومن ثَمَّ تستطيع تغيير قناعته حسب أهدافها..

وهذه القصص تهدف إلى تغيير الفكر والسلوك والاعتقاد والأخلاق والعادات في المجتمعات، وصبغها بصبغة الله تعالى، لتتوافق مع أهداف الإسلام ومبادئه وأخلاقه وتشريعاته..

المطلب الثاني: نموذج من أسلوب الدعوة بالقصة في السنة النبوية.

- **قصة أصحاب الأخدود:**

(١) قصص القرآن الكريم والسنة النبوية واقعية حقيقية، وليست من نسج الخيال، وهي نابعة من واقع الناس، وتلامس حياتهم ومشاكلهم اليومية من الناحية الفكرية والسلوكية والاعتقادية..

عَنْ صُهَيْبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ قَالَ لِلْمَلِكِ:" إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَاماً أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ" فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَاماً يُعَلِّمُهُ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ فَأَعْجَبَهُ، فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَالَ:" إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ فَقُلْ حَبَسَنِي أَهْلِي وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ حَبَسَنِي السَّاحِرُ." فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ، فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ آلسَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمِ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟! فَأَخَذَ حَجَراً فَقَالَ:" اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ." فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا، وَمَضَى النَّاسُ، فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ:" أَيْ بُنَيَّ، أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإِنْ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ." وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ، فَقَالَ:" مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي." فَقَالَ:" إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَداً، إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللَّهِ دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ." فَآمَنَ بِاللَّهِ، فَشَفَاهُ اللَّهُ، فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ:" مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟" قَالَ:" رَبِّي "قَالَ:" وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟!" قَالَ: " رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ" فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ، فَجِيءَ بِالْغُلَامِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ:" أَيْ بُنَيَّ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ" فَقَالَ:" إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَداً إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ" فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ فَقِيلَ لَهُ:" ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ" فَأَبَى، فَدَعَا بِالْمِئْشَارِ[1] فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ

(١) المئشار أو المنشار، والمئشار أفصح.

بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ:" ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ" فَأَبَى، فَوَضَعَ الْمِنشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ:" ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ" فَأَبَى، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ:" اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ" فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَقَالَ:" اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ" فَرَجَفَ بِهِمُ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ:" مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟" قَالَ :"كَفَانِيهِمُ اللَّهُ." فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ:" اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ[1] فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاقْذِفُوهُ فَذَهَبُوا بِهِ" فَقَالَ:" اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ" فَانْكَفَأَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ، فَغَرِقُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ:" مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟" قَالَ:"كَفَانِيهِمُ اللَّهُ" فَقَالَ لِلْمَلِكِ:" إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ " قَالَ:" وَمَا هُوَ؟" قَالَ:" تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْماً مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ. ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي." فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ[2]، ثُمَّ قَالَ:" بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ" ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ[3]، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ، فَمَاتَ. فَقَالَ النَّاسُ:" آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ." فَأُتِيَ الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ:" أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ؟! قَدْ وَاللَّهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ." فَأَمَرَ بِالْأُخْدُودِ[4] فِي

(١) قرقور: وهي السفينة.

(٢) كبد القوس: هي مقبضها عند الرمي.

(٣) صُدغه: ما بين عينيه وشحمة أذنه.

(٤) الأخدود: هو الشق العظيم في الأرض.

أَفْوَاهِ السِّكَكِ[1] فَخُدَّتْ، وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ، وَقَالَ:" مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ[2] فِيهَا" أَوْ قِيلَ لَهُ:" اقْتَحِمْ" فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتْ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ:" يَا أُمَّهْ اصْبِرِي فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ."»[3].

المطلب الثالث: الوظائف الدعوية في هذا النموذج.

١- أهميّة طلب العلم ومجالسة العلماء في تغيير أفكار الناس وعاداتهم واعتقاداتهم..

٢- على الداعي إلى الله تعالى أن يُخطط، وله استخدام الحيلة لتحقيق أهدافه النبيلة الخيِّرة التي لا إضرار فيها بالآخرين.

٣- على الداعي إلى الله تعالى أن يدفع الأذى عن الناس، وأن يهتمَّ بشؤونهم، وعليه أن يستعين بالله حتى يتحقق ذلك.

٤- على الداعي إلى الله تعالى أن يبحث عن الحقيقة وأن يعمل بها.

حقيقة

البحث عن الحقيقة والانتصار لها يمكن أن يعرضَ الداعي للابتلاء والامتحان والصعوبات الشديدة، فعليه بالصبر والثبات.

٥- يمكن لطالب العلم المجتهد أن يفُوْقَ معلِّمه.

٦- على الداعي إلى الله تعالى قبل أن يقضي للناس حاجاتهم، أن يوجههم إلى الإيمان بالله تعالى وتوحيده ومحبّته والالتزام بدينه..، ويتخذ من قضاء حوائج

(١) بأفواه السكك: أي أبواب الطرق.

(٢) فأحموه :أي ارموه.

(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم [٣٠٠٥](ص/١٢٠١).

الناس وخدمتهم سبيلاً وأسلوباً لربط الناس بالله تعالى ورسوله ورسالته.

٧- الداعي إلى الله تعالى يثبتُ على الحق، ولا يتزحزحُ عن إيمانه وعقيدته بالله ودينه ودعوته، ولا يخافُ في الله لومةَ لائمٍ، ولا يخشى الشهادة في سبيل الله، بل يطلبها وهي أعزُّ أَمانيه.

٨- لله تعالى خوارق للعادات، يخرقها نُصرةً لأوليائه، فينصرهم نصراً عزيزاً مؤزراً، عندما يفتقدون جميع الأسباب ويُحاط بهم، وهذه ميّزة للمؤمنين على غير المؤمنين، فغير المؤمن تنتهي قدرته عند استنفاد الأسباب، وأما المؤمن فلا نهاية لقدرته على المقاومة والثبات، لأنه إذا انتهت أسبابه الأرضيّة، يأتيه المدد بالأسباب السماويّة.

٩- على الداعي إلى الله تعالى أن يضحّي بنفسه، إذا توقّف إيمان الناس وهداهم على تضحيته، وأن يختار الأساليب التي تحقّق ذلك وفق ضوابط الشريعة الإسلامية.

١٠- الطواغيت لا يستطيعون انتزاع الإيمان من قلوب المؤمنين، مهما طغَوا وبغَوا وعذَّبوا واضطهدوا..والعاقبة للمتقين.

واعبد ربك حتى يأتيك اليقين

المبحث السابع
الدعوة بالتوجيه المباشر

المطلب الأول: أهميته.

يستطيع الداعي أن يعالج بعض القضايا الدعوية على نحوٍ مباشر..فيأمر ويوجّه بأمور محددة، وينهى عن أمور أخرى.. وهذا أسلوب متداول في الدعوة قديماً وحديثاً، وهو الأكثر تداولاً بين الدعاة لسهولته ومباشرته.. ويفيد هذا الأسلوب على نحوٍ كبيرٍ في حال توفر الثقة الكبيرة بين الداعي والمدعو.

المطلب الثاني: نموذجان من أسلوب الدعوة بالتوجيه المباشر في القرآن الكريم:

- **النموذج الأول:**

يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾

(١) المزمل: الملتف بثيابه، وهو النبي ﷺ.
(٢) ترتيلاً: اقرأه بتؤدة وتمهُّل وتبيَّن الحروف.
(٣) قولاً ثقيلاً: قرآناً شاقَّاً مشقة مألوفة على المكلفين.
(٤) ناشئة الليل: صلاة قيام الليل.

هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا[1] وَأَقْوَمُ قِيلًا [2] ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا [3] ﴿٧﴾ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا [4] ﴿٨﴾ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا [5] ﴿١٠﴾ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا ﴿١٤﴾ ﴾ [سورة المزمل].

- **النموذج الثاني:**

يقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ[6] ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ[7] ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ [8] ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾ ﴾ [سورة المدثر].

المطلب الثالث: الوظائف الدعوية في هذين النموذجين:

١- أمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ في سورة المزمل بالتهجد والذكر وتفريغ القلب مما سوى الله تعالى، ثم أمره في سورة المدثر بالدعوة إلى الله تعالى...وفي هذا وظيفة دعوية مهمة للدعاة..

---

(١) أشد وطئاً: مواطئة وموافقة، يوافق السمع فيها القلب على تفهم القرآن والتأثر بروحانيته.

(٢) أقوم قيلا: أبين مقالاً لأن السكون يساعد على حضور القلب.

(٣) سبحاً طويلاً: تقلباً في الأعمال والأشغال.

(٤) تبتل إليه تبتيلاً: تفرَّغ لعبادته ومراقبته، وفرِّغ قلبك مما سواه.

(٥) هجراً جميلاً: هو هجرٌ لا عتاب معه.

(٦) المدثر: المتغطي بثيابه، وهو النبي ﷺ.

(٧) والرجز فاهجر: اهجر جميع المآثم وعبادة الأوثان (أي: اثبت على هجرها).

(٨) ولا تمنن تستكثر: لا تُعطِ شيئاً ثم تطلب أكثر منه.

حقيقة

لا بدَّ للداعي من دخول مدرسة الذكر والتزكية، وتخلية القلب مما سوى الله تعالى، والتعبُّد والتقرب إلى الله ومراقبته..، قبل الدخول في حقل الدعوة الإسلامية..

٢- إذا كان التهجد فرضاً بحق النبي ﷺ فهو بحق الداعي إلى الله تعالى أمر لازم لتحقيق شرط من شروط الدعوة الناجحة والمؤثرة في الناس.

٣- ويلزم الداعي إلى الله تعالى إتقانُ ترتيل القرآن الكريم، مع التغني به، **قَالَ رَسُولُ اللَّهِ** ﷺ: «لَمْ يَأْذَنِ اللَّهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِلنَّبِيِّ أَنْ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ [١]» [٢] وهذا شرط مهم من شروط الدعوة الناجحة والمؤثرة في الناس.

٤- ويلزمه أن يكون من أُولي العزم والقدرة والكفاءة؛ لأن الداعي يتحمل مسؤولية ثقيلة؛ أولاً: بتطبيق تكاليف القرآن، وثانياً: بتبليغها..

٥- ويلزمه أن يجعل جزءاً من الليل، وقتاً مخصصاً لتفرغه للعبادة والأذكار والدعاء؛ لأنه وقتٌ يساعد على جمعية القلب على الله تعالى، وتلقِّي نفحاته وإمداده، بسبب التفرغ من مشاغل النهار وضوضائه، وهدوء الليل وسكينته المساعدة على الخشوع والإخلاص والانقطاع إلى الله تعالى بالكُليَّة..

٦- ويلزمه أن يجعل نهاره مملوءاً بالسعي الطويل لتحصيل العلوم والمعارف،

(١) أَيْ: مَا يَسْتَمِعُ الله تعالى لِشَيءٍ مَا يَسْتمعُ لِنَبِي يتغنَّى بِالقُرآنِ أي يُحسِّن به صَوتَهُ ؛ طلباً لِرِقَّة قلبِه بِهِ لِما يَرجُو فِي ذَلِكَ مِن ثواب ربه ﷻ.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٥٠٢٣](ص/٩٩٨)، ومسلم في "صحيحه" برقم [٧٩٢](ص/٣١٠)، واللفظ لهما.

وأسباب القوة والعزّة الدنيوية، على المستوى الشخصي وعلى مستوى المجتمع الإسلامي..

٧- ويلزمه أن يدخل مدرسة الذكر وتخلية القلب مما سوى الله ﷻ ومراقبته على كل حال.

٨- ويلزمه إفراد الله تعالى بالتوكل عليه، وتفويض أمره إليه..

٩- ويلزمه الصبر على مشاق الدعوة والأذى الذي يمكن أن يلحق به، وأن يُداري السفهاء من أعداء الدعوة ليدفع أذاهم عنها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً..والمداراة محمودة مطلوبة، والمداهنة مذمومة مرفوضة..

١٠- ويلزمه بعد التحقق بالشروط السابقة أن يقوم بقوَّة وعزيمة لتبليغ الناس دعوة الله تعالى، بشروط البلاغ المبين القائم على المعرفة بالله تعالى والتمكن بالعلم الشرعي..

١١- ويلزمه أن يتحقق بالمعرفة بالله تعالى؛ تعظيماً لقدره وكبريائه وجلاله وكماله، وتوحيداً خالصاً لصفاته..

١٢- ويلزمه أن يتحقق بالطهارة المادِّية والمعنويَّة، الظاهرية والباطنية.

١٣- ويلزمه أن يهجر المعاصي والذنوب والشرك الظاهر والخفي..

١٤- ويلزمه عدم المن على الله تعالى وعلى الناس بما يعمل، ولا يستكثر أعماله في خدمة دين الله ..

انتبه

انتبه!! إلى أن أسلوب الدعوة بالتوجيه المباشر، يحتاج من الداعي إلى اللطف بالتوجيه والرفق بالناس، واستخدام الألفاظ الليّنة، والابتعاد عن الألفاظ الجارحة التي تقرع الرأس والنفس قرعاً...

ولا يصلح التوجيه الدعوي المباشر إلا بهذه الشروط لحساسيته، ولأن موضوعاته محدودة ومباشرة للأشخاص، لكيلا يشكِّل صدمة لهم، ولا تنافُراً شخصياً ونفسياً مع الداعي...

المبحث الثامن
الدعوة بالتوجيه غير المباشر

المطلب الأول: أهميته.

ويصلُح هذا الأسلوب من الدعوة لمعالجة موضوع سلبي محدد عند شخص أو مجموعة من الأشخاص، سواء أكانت كبيرة أم صغيرة، فيما إذا كان توجيههم بشكل مباشر حول هذا الموضوع يمكن أن يُشكل صدمة لنفوسهم؛ لأنّ النفوس معتادة الدفاعَ عن مواقفها وتصرفاتها..

أما إذا تمَّ التوجيه على نحو غير مباشر، فإنه يدخل إلى نفوسهم لطيفاً انسيابياً غير صادم لمشاعرهم..، وهذا أجدى وأنفع في العمل الدعوي، ويختاره الدعاة للإبقاء على حبل المودة بينهم وبين الناس فلا يقطعونه..، ولتبقى إمكانية استمرار العملية الدعوية قائمة معهم فلا تُغلق بوجهها الأبواب..

المطلب الثاني: نماذج من أسلوب الدعوة بالتوجيه غير المباشر في السنة النبوية.

كان رسول الله ﷺ يستخدم هذا الأسلوب الدعوي بكثرة، في معالجة قضايا دعوية على مستوى الأفراد والجماعات..، فيربي الناس بتوجيه غير مباشر

من خلال خطابه لهم بصيغ «**ما بال أقوام..**» [١] أو «**ما بال رجال..**» [٢] أو «**ما بال أُناس..**» [٣] أو «**ما بال العامل..**» [٤] أو « **ما بال أحدكم..**» [٥] أو «**يا أيُّها الناس..**» [٦]... وذلك للخروج من الأبواب المحرجة في القضايا الدعوية، والدخول إليها من أبواب أخرى تحقق أهدافها بطريقة أسهل وأسلم...

وبهذا الأسلوب حقق رسول الله ﷺ ما يرغب في دعوة المسلمين إليه، وتوجيههم إليه دون أن يشير إلى أحد، فقد حدَّد الخطأ وعالجه، ولم يحدِّد المخطئ لعدم وجود مصلحة أو فائدة من ذلك، بل إنَّ كثيراً ما يترتب على تحديد المخطئ علانية نتائجُ سلبية على العملية الدعوية، لما فيها من هتك لكرامته..

فعلى الداعي أن يستفيد من هذا الأسلوب المهم في الدعوة، وله في اللغة العربية ما يُغنيه ويكفيه من أساليب المجاز كالاستعارة والتورية والتشبيه والكناية والمعاريض...

فالدعاة يتعرضون أحياناً لقضايا دعوية لا يستطيعون الحديث عنها بألفاظ صريحة مباشرة ممَّا يضطرُّهم إلى اللجوء للأسلوب القرآني والأسلوب النبوي الآخذ بالمجاز في التعبير... كقوله تعالى: ﴿ ...هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ... ﴾ [البقرة: ١٨٧]، وكقوله تعالى: ﴿ ...أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ ... ﴾ [النساء: ٤٣] للتعبير عن الجِماع، وكقول النبي ﷺ للمرأة السائلة عن غُسلها من المحيض: « خُذِي

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٢٧٣٥] (ص/٥٢٦).
(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٢٧٢٩] (ص/٥٢١).
(٣) جزء من حديث أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٢١٥٥] (ص/٤٠٤).
(٤) جزء من حديث أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٧١٧٤] (ص/١٣٦٩).
(٥) جزء من حديث أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم [٥٥٠] (ص/٢٢١).
(٦) جزء من حديث أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٥٨٦١](ص/١١٤٤).

فِرْصَةً مِنْ مِسْكٍ فَتَطَهَّرِي بِهَا ».

فقد روت السيدة عائشة رضي الله عنها أن امرأة سألت النبي ﷺ عَنْ غُسْلِهَا مِنْ الْمَحِيضِ، فَأَمَرَهَا كَيْفَ تَغْتَسِلُ، **قَالَ**: «خُذِي فِرْصَةً مِنْ مِسْكٍ فَتَطَهَّرِي بِهَا» قَالَتْ: كَيْفَ أَتَطَهَّرُ؟ **قَالَ**: « تَطَهَّرِي بِهَا.» قَالَتْ: كَيْفَ؟ **قَالَ**: «سُبْحَانَ اللَّهِ تَطَهَّرِي» فَاجْتَبَذْتُهَا إِلَيَّ فَقُلْتُ تَتَبَّعِي بِهَا أَثَرَ الدَّمِ [1].

إضاءة

الداعي يستخدم أسلوباً راقياً غير صادم وخادش للحياء، ويستعمل الأساليب الدعوية غير المباشرة المؤدية للغرض عن طريق المجاز...

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٣١٤] (ص/٨٢)، ومسلم في "صحيحه" برقم [٣٣٢] (ص/١٥٠)، واللفظ للبخاري.

صلى
رضي الله عنه
فتح

المبحث التاسع
أسلوب الدعوة بالترغيب

المطلب الأول: أهميته.

هو الأسلوب الدعوي الأكثر شيوعاً في العملية الدعوية، والترغيب وعدٌ مصحوب بإغراء لتحصيل مصلحة، وهو أسلوب إيجابي معنوي، يُحرِّض الإنسان على الأفعال والسلوكيات الخيِّرة المحمودة عن طريق التشويق... والإنسان مفطور بطبيعته على التأثر بالحماسة والعاطفة المجيَّشة المثارة، فإذا تمَّ استخدام الترغيب بطريقة فعالة مؤثرة، أعطى نتائج دعوية ممتازة..

وتتوقَّف فعاليَّة أسلوب الدعوة بالترغيب على موهبة الداعي وقدرته وكفاءته...، ويمكن استخدام أسلوب الدعوة بالترغيب لمعالجة كافة الموضوعات، وتصحيح تصوُّر الإنسان لنفسه وللكون والحياة والعقيدة...

المطلب الثاني: نموذج من أسلوب الدعوة بالترغيب في القرآن الكريم:

- **الترغيب في نعيم الآخرة**، وربط ذلك بشروط وأعمال يُطلب تنفيذها...

يقول الله تعالى : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ

وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ [سورة آل عمران].

وأسلوب الدعوة بالترغيب في القرآن الكريم واسعٌ وشاملٌ...

المطلب الثالث نموذج من أسلوب الدعوة بالترغيب في السنة النبوية.

- **الترغيب في الزراعة والإنتاج:**

يقول النبي ﷺ: « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْساً أَوْ يَزْرَعُ زَرْعاً فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ»[1] .

وأسلوب الدعوة بالترغيب في السنة النبوية واسع وشامل..

(١) أخرجه البخاري في" صحيحه" برقم [٢٣٢٠](ص/٤٣٦)، ومسلم في "صحيحه" برقم [١٥٥٣](ص/٦٣٥)، متفق عليه.

المبحث العاشر
أسلوب الدعوة بالثناء

المطلب الأول: أهميته.

الدعوة بالثناء نوع من أنواع التشجيع على الأفعال والسلوكيات الخيِّرة والناجحة... والإنسان يحتاج للتشجيع، ويحتاج للشعور بالنجاح حتى يزداد ثقةً بنفسه وقُدُراته ، فيندفع أكثر باتجاه الأهداف الدعوية المطلوبة..

- **والدعوة بالثناء** تُدخل السرور على نفس المدعو، فتنفتح أسارير نفسه لقبول التوجيهات التي تأتيه لاحقاً فيتقبَّلها قَبولاً حسناً، وتنزل على قلبه ونفسه منزل الاستحسان والرضى، وبذلك يكون أكثر استعداداً لتقبُّل النصائح والتوجيهات...
- **كما أن الدعوة بالثناء** توثِّق علاقة المودة والمحبة بين الداعي والمدعو، وهذا أمر مهمٌّ جداً في نجاح العمل الدعوي..؛ لأن النُّفور وعدم الانسجام النفسي بينهما يُغلق أبواب الاستفادة...
- **والدعوة بالثناء** يجب أن تكون متَّزنة ومعتدلة، فكما أنَّ فقْدَها يُورث النفور، فإنّ كثرتها تُورث الفتور، والمطلوب: لا إفراط ولا تفريط.

المطلب الثاني: التمييز بين الثناء والمديح.

يجب أن نميِّز بين الدعوة بالثناء وبين المديح...

- **من ميِّزات الثناء:**

١- أنه محمود مطلوب.

٢- أن له أهدافاً دعوية محددة، ومقاصد حسنة..

٣- يتحدَّث عن تصرفات وأفعال محددة ناجحة ومفيدة قام بها المدعو، بقصد تشجيعه على الاستمرار بهذه الأعمال المتميِّزة، وأن يزداد فيها تميُّزاً وتألُّقاً وإبداعاً...

٤- يوجَّه الثناء من الداعي أو مَن هو في حُكمه إلى المدعو، فهو محصور بين داعٍ ومدعو.

٥- يوجَّه الثناء -على الأغلب- من جهة أعلى إلى جهة أدنى في السلَّم الدعوي.

٦- لا يُقصد بالثناء المدعو فقط، بل يتوجَّه أيضاً بالدعوة إلى محيطه؛ لإثارته ودفعه لممارسة الأفعال والتصرُّفات الحسنة التي قام بها المدعو.

- **من صفات المديح:**

أما المديح، فيتَّصف بما يلي:

١- أهدافه ليست دعوية، بل هي مَصْلحيَّة على الأغلب، تخدم مصالح مقصودة بذاتها.

٢- لا يتحدّث عن أفعال وتصرُّفات محددة ناجحة ومفيدة، بل يتحدَّث عن أفعال يُبالغ في تضخيمها، أو تصرُّفات يتمُّ اختراعها في الخيال، أو بطولات خارقة وهميَّة، أو عن أفعال سيِّئة تُلبَس لباس الحُسن والكمال.

٣- يوجَّه المديح بقصد المجاملات الكاذبة، أو التَّملُّق من أجل الحصول على مكاسب.

٤- يوجَّه المديح -على الأغلب- من جهة أدنى إلى جهة أعلى في السلَّم الاجتماعي.

٥- يتمُّ التوجه بالمديح إلى الممدوح حصراً..، وليس هناك فائدة يجنيها الناس في محيطه، بل يحصدون الضرر في أغلب الأحيان..

٦- المديح مذموم، ويُنظر إلى فاعله نظرة نقص، وأحياناً نظرة ازدراء؛ لذلك كان النبي ﷺ يذمُّ المدَّاحين، **فيقول**: «إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَّاحِينَ فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ»[1].

المطلب الثالث نماذج من أسلوب الدعوة بالثناء في القرآن الكريم.

أثنى الله تعالى على أنبيائه ...وأثنى على عائلاتهم..، وأثنى على جماعات من المؤمنين...

فقد استخدم القرآن الكريم أسلوب الدعوة بالثناء على نحوٍ واسعٍ، ويُلاحظ أنه بعد أن أثنى الله تعالى على أنبيائه وتحدَّث عن مآثرهم وقصصهم، دعا نبيَّه محمداً للاقتداء بهم، فقال تعالى:﴿ **أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ** ﴾ [سورة الأنعام:٩٠] فاقتدى بهم وأخذ عنهم مآثرهم، فجمع الله تعالى به كل أخلاق الأنبياء ومكارمهم وما أثنى به عليهم في القرآن الكريم.

عَنْ سَعْدِ بْنِ هِشَامٍ قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ-رضي الله عنها- فَقُلْتُ: أَخْبِرِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَتْ: ((كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ)) [2] .

(١) أخرجه مسلم في"صحيحه" برقم [٣٠٠٢](ص/١٢٠١).
(٢) أخرجه أحمد في "مسنده" برقم [٢٥٣٠٢](١٨٣/٤٢)، وهو صحيح.

المطلب الرابع: أسلوب الدعوة بالثناء في السنة النبوية.

إن أعظم عملية دعوية شاملة على مستوى أمة شهدها التاريخ، هي دعوة النبي ﷺ لأمته...والسبب في ذلك هو النقلة التربوية العظيمة التي حققها النبي ﷺ في أمته ومجتمعه وأصحابه..

لقد قام النبي ﷺ بتغيير القِيم التربوية للأمة على نحو عميق وجذري، فنقلها من حالة ضياع وضعف وتشرذم، إلى أمة تصنع التاريخ والحضارة...

من ناحية أخرى، لا يمكن أن تجد داعياً ناجحاً لا يعتمد على أسلوب الدعوة بالثناء، فكيف بك إذا كانت العملية الدعوية تشمل أمَّة بكاملها؟!..

ولقد كان النبي ﷺ يُتقن هذا الأسلوب، ويضع الأشياء في مواضعها..، فهو لا يُوجه الثناء إلى إنسان لا يستفيد دعوياً منه، ولا يستحقه، أو يتضرر منه إذا كان يُخشى عليه من الغرور والعجب.

المطلب الخامس: مقاصد الدعوة بالثناء في السنة النبوية.

وكان النبي ﷺ يستخدم الثناء في أساليبه الدعوية مع أصحابه لمقاصد عدّة، منها:

١- إبراز المثال الحي المحسوس والمنظور للأفعال والتصرفات الخيرة للاقتداء بها.

٢- بعد اكتشاف المواهب والثناء عليها، يقصد إلى تنمية هذه المواهب التي يتميَّز بها أصحابها.

٣- الإعلام عن هذه المواهب ليُستفاد منها.

٤- السعي لتوظيف هذه المواهب في التخصصات التي تناسبها.

٥- إشاعة روح التنافس الإيجابي في المجتمع، والتسابق إلى الخيرات.

فقد كان النبي ﷺ يجالسُ أصحابه، ويصاحبُهم، ويدرسُ شخصياتهم، ويدققُ في مواهبهم، ويختارُ لهم مجالات الاختصاص التي يبرعون فيها أكثر من غيرهم، فيثني عليها تربيةً لهم ولِمن حولهم، وتنبيهاً للمسلمين ليستفيدوا منهم[1].

فكان النبي ﷺ يثني على بعض أصحابه إظهاراً لفضلهم ومحاسنهم، **فيقول**: « أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ ، ألا إن لكل أمة أميناً وإنّ أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح»[2].

فائدة

كان النبي ﷺ يستكشف مواهب أصحابه، ثم يعلنها،ويثني عليها، ثم يوظفها في خدمة العمل الإسلامي ، ويكرِّم أصحابه ، ويُنزلهم منازلهم... فهل يستفيد دعاتنا من هذه الدروس العملية فيقتدون برسول الله ﷺ؟!!..

وكان النبي ﷺ يعالج صفات تحتاج للتغيير عند بعض أصحابه بأسلوب الدعوة بالثناء..

ومن أشهر أحاديثه بهذا الصدد قوله ﷺ بحقِّ عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما– : « نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنْ اللَّيْلِ»[3] فكان بعد

(١) انظر: بحث تكريم النبي ﷺ لأصحابه، في كتاب موسوعة فقه الدعوة والحياة، الجزء الثاني، للمؤلف.

(٢) أخرجه الحاكم في "مستدركه"برقم [٥٨٥٤] (٥١٩/٣)، وهو صحيح.

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [١١٢٢](ص/٢٢٢)، ومسلم في صحيحه برقم [٢٤٧٩](ص/١٠٠٥)، متفق عليه.

ذلك لا ينام من الليل إلا قليلاً.. ففي هذا الحديث غيَّر النبي ﷺ في سلوك عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما– فجعله يلتزم بصلاة التهجد..

وعَنْ خُرَيْمِ بْنِ فَاتِكٍ الْأَسَدِيِّ قَالَ: **قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ** ﷺ :«نِعْمَ الرَّجُلُ أَنْتَ يَا خُرَيْمُ، لَوْلَا خَلَّتَانِ فِيكَ» قُلْتُ: وَمَا هُمَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ **قَالَ**: « إِسْبَالُكَ إِزَارَكَ وَإِرْخَاؤُكَ شَعْرَكَ»[1].

فما أحوج الدعاة والمربين إلى إتقان استخدام أسلوب الدعوة بالثناء؛ ليغرسوا في أجيالنا الثقة بالنفس والإحساس بالقدرة الفاعلة والمنتجة والمؤثرة لتحقيق الإنجازات..وتحفيزهم لاكتشاف مواهبهم واستثمارها، وإخراج المحبطين منهم من دائرة الإخفاق إلى دائرة النجاح والتميُّز.

(١) أخرجه أحمد في "مسنده" برقم [١٨٩٠١](١٩٩/٣١)، وهو حسن.

المبحث الحادي عشر
أسلوب الدعوة بالتنبيه والتحذير

المطلب الأول: أهميته واستخدامه.

وهو يقابل أسلوب الدعوة بالترغيب، وهو أسلوب معنوي يُخاطب المشاعر والعواطف والانفعالات ويثيرها عند الإنسان...، ولا تعني الدعوة بالترهيب: الترعيب والترويع، فليس هناك صِلة بينهما، وإنما الدعوة بالترهيب تعني التنبيه وإثارة مكامن الخوف والحذر في النفس البشرية لتتقي الوقوع في الخطأ...

فالترهيب تنبيه وتحذير وتهديد بعقوبة تترتب على عمل أو تصرُّف سَيِّئ..

ويستخدم أسلوب الدعوة بالترهيب عند استنفاد الأساليب الإيجابية الأخرى أو عند عدم جدواها، ويمكن أيضاً استخدامه من باب التنبيه والتحذير على نحو متوازٍ ومتزن مع الترغيب.

والأفضل التلازم في الدعوة بين الترغيب والترهيب، فكل واحد منهما يمثل أحد جناحي الدعوة اللازمين لتحقيق أهدافها...

فالنفس البشرية تتحرك استجابتها الدعوية بين الترغيب والترهيب، وبين الرجاء والخوف..وهما جناحا الدعوة الناجحة.

المطلب الثاني: نموذج من الأسلوب الدعوي بالتنبيه والتحذير في القرآن الكريم.

- **التحذير من الظلم:**

يقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ ﴾ [سورة إبراهيم].

وأسلوب الدعوة بالترهيب في القرآن الكريم واسع ، ويشمل موضوعات كثيرة..

المطلب الثالث: نماذج من الأسلوب الدعوي بالتنبيه والتحذير في السنة النبوية.

- **التحذير من أن يُخالف العملُ القولَ:**

عن أُسامة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ **يقول**: « يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ أَيْ فُلَانُ مَا شَأْنُكَ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنْ الْمُنْكَرِ قَالَ **كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ وَأَنْهَاكُمْ عَنْ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ**»[1].

وأسلوب الدعوة بالتنبيه والتحذير (الترهيب) في السنة النبوية الشريفة واسع، ويشمل موضوعات كثيرة.

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٣٢٦٧](ص/٦٢٦)، ومسلم في "صحيحه" برقم [٢٩٨٩](ص/١١٩٧)، واللفظ للبخاري.

المبحث الثاني عشر

أسلوب الدعوة بالمكافأة والهدية والخدمة وتفقد الأحوال[1]

المطلب الأول: أهميته.

هو أسلوبٌ دعوي يتمتَّع بخصائص مهمة، وهو أسلوب معنوي، ويُضاف إليه التحفيز المادِّي، **فهو أسلوب معنوي ومادِّي بآن واحد**..

ويُطبَّق هذا الأسلوب على الكبار والصغار..

المطلب الثاني: تطبيقات نبوية.

وقد طبَّق النبي ﷺ هذا الأسلوب في دعوة وتحفيز صحابته الكرام، فقد جعل خالد بن الوليد رضي الله عنه قائداً للجيوش منذ أسلم، وأعطاه أعنَّة الخيل[1].

وكان النبي ﷺ يخدم أصحابه، ويجتهد في قضاء حوائجهم..

إن الشخص الأكثر خدمة للناس من حوله، هو الأوفر حظاً في النجاح في الدعوة إلى الإسلام.

فقد ذكر أحد الدعاة أنه أثناء فترة وجوده للدراسة في ألمانية، قام بتدريس اللغة العربية خدمة لزميل له في الدراسة، وقد مضى على صداقتهما ما يقارب

(١) انظر: السيرة الحلبية، قصة إسلام خالد بن الوليد، (٢/٧٧٦).

السنتين، ولما لاحظ الطالب الألماني إخلاص صديقه المسلم في صداقته وبذل الوقت والجهد في خدمته، وأنه لم يطلب منه عوضاً بل اشترط أن يدرسه مجاناً تعبيراً عن حُسن صحبته، ولما لاحظ أيضاً حسن سلوكه وأدبه وعدم انشغاله بما ينشغل به الشباب عادة من الفسوق والمعاصي..

بعد هذا كله سأله عن سبب تميزه عن بقية الشباب، فأجابه: إنه الإسلام، فطلب منه أن يحدثه عن الإسلام، ويزوده بكتب عنه، وبعد عدة أشهر من الحوار والدراسة، دخل الرجل في الإسلام، وكان المدخل إلى ذلك خدمة بسيطة قدمها الداعي إلى المدعو..

فالهدية والخدمة تفتح مصاريع القلوب نحو المودة والمحبة، وهذا يفتح العقول للفهم والقناعة..

ولقد استطاعت بعض الجماعات الإسلامية أن تؤثر تأثيراً بالغاً في محيطها الاجتماعي، من خلال الخدمات الإنسانية التي قدمتها لذوي الاحتياجات، سواء أكان ذلك على المستوى المالي أم التعليمي أم التأهيلي والتدريبي..

وقد انعكس ذلك، على تعاطف تلك المجتمعات مع العمل الإسلامي وتأييده وحضانته..

الخاتمة

ما أجدر أن ينتشر الإسلام في كل أنحاء العالم، لينعم بالسعادة والسلام والإيمان، وقد احتوى على هذا البحر الزاخر من الحقائق والمبادئ والنفائس!!..

ما أجدره بذلك لو تهيأ له الدعاة الأكفاء، وتهيأت لهم الأسباب التي يحتاجونها لتحقيق هذا الهدف العظيم!!..

إنني أجزم أن هذه الطرائق الحكيمة، والوسائل العظيمة، والأساليب المؤثرة العميقة، لم تتوافر لأي دعوة على امتداد العالم..

وإذا كانت بعض الدعوات حصلت على جزء منها، من خلال التفكير والتبصر والخبرات المتراكمة والتجارب العديدة على مدى عقود من الزمن، فإن الإسلام قدمها لنا جزءاً من ثقافته وآدابه وحكمته ومبادئه وعلومه التي يتقرب بها المسلم إلى ربه ﷻ.

إن إنقاذ العالم من أزماته الأخلاقية والروحية والقِيْمِيَّة والاجتماعية والسياسية والبيئية، والأخطار المهلكة لجنون التسلح بأسلحة التدمير الشامل..، متوقفٌ على جهود دعاة الإسلام، وهم لا يحتاجون إلى بذل جهد كبير في إقناع الناس بحقائق الإسلام؛ لأن حقائقه وحدها قادرةٌ على التعبير عن نفسها وإقناع الناس بها، كما تستطيع الأزهار والرياحين إقناع الناس بطيب رائحتها، من غير حاجة إلى أحد.

سؤال

أين هم الدعاة الذين يستطيعون إيصال البلاغ المبين بحقائق الإسلام إلى الناس، كما يوصل بائع الورد باقة من الزهور والرياحين إليهم، طيبة كما خلقها الله تعالى من غير تشويه أو تزوير؟!!..

تمَّ بعون اللّه تعالى إنجاز هذا الكتاب بعنوان

مبادئ
في فكر الدعوة الإسلامية

من سلسلة
(دراسات وأبحاث)

نسأل اللّه تعالى المعونة والسداد لإخراج بقية أجزائها...

وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم...

وأن ينفعنا وينفع بها المسلمين...

وأن يجعل فيها بركاته، وأنظار سيد المرسلين...

والحمد للّه رب العالمين...

الفهارس

فهرس الأحاديث الشريفة

فهرس الفوائد والحقائق

فهرس الأشعار

فهرس المصادر والمراجع

فهرس المحتويات

فهرس الأحاديث

الرقم	الحديث	الصفحة
١	«أبردْ» حتى رأينا فيء التلول ----------	١٥٧
٢	أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ -------	١٨٩
٣	أَبْشِرِي يَا عَائِشَةُ فَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ بَرَاءَتَكِ---------	١٩٠
٤	أَبُو بَكْرٍ فِي الجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الجَنَّةِ----------	١٨٤
٥	أَتُرَاهُ مُرَائِياً..عليكم هدياً قاصداً----------	١٤٧
٦	اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقَّةِ تَمْرَةٍ----------	٩٨
٧	اثْبُتْ حِرَاءُ فَلَيْسَ عَلَيْكَ إِلاَّ نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ --	١٨٢
٨	أَجِبْ عَنِّي اللَّهُمَّ أَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ----------	٣٥٣
٩	أجيبوا الداعي، ولا تردُّوا الهدية، ولا تضربوا المسلمين--	١٣٩
١٠	إذا أرادَ اللهُ بالأميرِ خيراً جعلَ له وزيرَ صدقٍ-------	٢٩٦
١١	إِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ فَأَبْرِدُوا بِالصَّلَاةِ----------	١٥٦
١٢	إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَّاحِينَ فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ------	٤١٥
١٣	إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْكُتْ----------	١٢٣
١٤	إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس----------	١٢٣
١٥	إذا فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني (يخاطب ثقيف)----	٢٢٥
١٦	إذا ماتَ الإنسانُ انقطعَ عنه عملُه إلا من ثلاث----	٦٢
١٧	أرأيتَكُمْ لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير	٤٦-٢٢٤
١٨	ارْجِعْ فَصَلِّ؛ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ----------	٤٤-٣٩٥
١٩	أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في أمر الله عمر---	٤١٧
٢٠	الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ----------	١٤١
٢١	أعطها إياه بنخلة في الجنة ...كم من عذق رداح----	١٨٠
٢٢	أعظم النساء بركة أيسرهن صداقاً----------	١٦١

٢٣	اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا	١٢٥
٢٤	افعل ولا حرج----------	١٦٠
٢٥	أفَلا أخْبَرْتَهُم أنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَ بِأَسماءِ أَنْبِيَائِهِمْ	٢٧١
٢٦	آكلُ كما يأكلُ العبدُ، وأجلسُ كما يجلسُ العبدُ----	١٩٥
٢٧	أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ...كل عتل جواظ مستكبر----	٢٠٥
٢٨	ألا تسمعون؟ إن الله لا يعذبُ بدمع العين ولا بحزن	١٣٦
٢٩	أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ لَمْ يَخْفَ عَلَيَّ مَكَانُكُمْ ولكني خشيت أن	١٥٦
٣٠	أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَوْ نِسَاءِ	١٨٥
٣١	أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله--------	١٨٤
٣٢	أَمَّا كَسْرُ أَوْثَانِكُمْ بِأَيْدِيكُمْ فَسَنُعْفِيكُمْ مِنْهُ--------	١٦٤
٣٣	أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَلَفَحَتْكَ النَّارُ أَوْ لَمَسَّتْكَ النَّارُ-----	١٢٥
٣٤	أَمَّا هَذَا فَقَدْ مَلأَ يَدَهُ مِنَ الْخَيْرِ----------	٤٥
٣٥	أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ	٤٩
٣٦	إنَّ أثقلَ ما وضع في ميزان المؤمن يوم القيامة خلق	٩٩
٣٧	إنَّ الحلال بيِّنٌ، وإنَّ الحرام بيِّنٌ----------	١٦١
٣٨	إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ------	١٤٨
٣٩	إنَّ الرائدَ لا يكذب أهله، والله لو كذبت الناس جميعاً ما	٢٢٤
٤٠	إن الرِّفقَ لا يكون في شيء إلا زانَه----------	٩١
٤١	إن الله تعالى زوى لي الأرض----------	١٨٨
٤٢	إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ في الأمر كله----------	٩١
٤٣	إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يحب الرفق ويعطي على الرفق--------	٩١
٤٤	إن الله عفو يحب العفو----------	١١٤
٤٥	إِنَّ اللَّهَ عَنْ تَعْذِيبِ هَذَا نَفْسَهُ لَغَنِيٌّ----------	١٤٨
٤٦	إِنَّ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيّاً فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ----	٣٧
٤٧	إِنَّ اللَّهَ قَدْ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ، وَالنِّسْيَانَ--------	١٥٧

٤٨	إن الله كتب الإحسانَ على كلِّ شيءٍ----------	١٣٤
٤٩	إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ-------	٣٧
٥٠	إنَّ المؤمنَ إذا لقيَ المؤمنَ فسلَّم عليه، وأخذَ بيده،	١٢٨
٥١	أن النبيَّ ﷺ كان يزورُ الأنصار ويسلِّمُ على صبيانهم	٢٠١
٥٢	إِنَّ خَيْرَ دِينِكُمْ أَيْسَرُهُ، إِنَّ خَيْرَ دِينِكُمْ أَيْسَرُهُ------	١٤٦
٥٣	أن رسول الله ﷺ ليضع رأسه تواضعاً لله---------	١٩٤
٥٤	إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ لاَ يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ مَا نَافَحْتَ عَنِ اللَّهِ	٣٥٢
٥٥	إِنَّ زَاهِراً بَادِيَتُنَا وَنَحْنُ حَاضِرُوهُ----------	١٣٨
٥٦	أَنَّ فَتى شَاباً أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي	٣٧٦
٥٧	إنَّ فيك خصلتين يحبهما الله: الحِلمُ والأناةُ-------	١٢٥
٥٨	إنَّ من أحبِّكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة	١٠٠
٥٩	إِنَّ مِنْ الْبَيَانِ لَسِحْراً----------	٢٣٤
٦٠	إِنَّ مِنْ الشِّعْرِ حِكْمَةً----------	٣٥٢
٦١	إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقاً----------	٩٨
٦٢	إِنَّ مِنْ يُمْنِ الْمَرْأَةِ تَيْسِيرَ خِطْبَتِهَا----------	١٦٠
٦٣	إن هَذَا اخْتَرَطَ عَلَيَّ سَيْفِي وَأَنَا نَائِمٌ فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ فِي	١١٣
٦٤	إنَّ هذه الصلاةَ لا يصلحُ فيها شيءٌ من كلامِ الناس--	٩٢
٦٥	أَنَّ وَفْدَ ثَقِيفٍ قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَنْزَلَهُم	١٦٤
٦٦	أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ----------	٣٥٤
٦٧	إِنَّا يَوْمَ الْخَنْدَقِ نَحْفِرُ فَعَرَضَتْ كُدْيَةٌ شَدِيدَةٌ-------	٢٠١
٦٨	الأَنَاةُ مِنَ اللهِ وَالعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ----------	٦٨
٦٩	أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ -	١٤٨
٧٠	انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ، حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ---------	١٩
٧١	إنما العلمُ بالتعلُّمِ، وإنما الحلمُ بالتحلُّم----------	٦٠
٧٢	إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون----------	١٩٨

٧٣	إنما خيرني الله...وسأزيده على السبعين----------	١١٢
٧٤	إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ----------	٢٥٠
٧٥	إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ -أي من القرآن الكريم- سُورَةٌ	٣٢
٧٦	إنما يحرم على النار كل هين لين قريب سهل-------	٩١
٧٧	إنه ريحانَتي من الدنيا، وإن ابني هذا سيدٌ، وعسى----	٢٠٠
٧٨	إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ-------	١٢٣
٧٩	إِنِّي لَأَقُومُ فِي الصَّلَاةِ أُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فِيهَا---------	٩٣
٨٠	اهْجُهُمْ - أَوْ هَاجِهِمْ - وَجِبْرِيلُ مَعَكَ----------	٣٥٣
٨١	أَوْثَقُ عُرَى الإِسْلامِ : الْوَلايَةُ فِي اللهِ ، وَالْحُبُّ فِي اللهِ---	١٤٢
٨٢	إياكم والفحش، فإنَّ الله لا يحب الفحش ولا التفحش-	٩٩
٨٣	باسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، أمَّا بَعْدُ..-----	٤٦
٨٤	بَـايِعُونِي عَلَـى أَنْ لَا تُـشْرِكُوا بِاللَّـهِ شَـيْئاً وَلَا تَـسْرِقُوا وَلَا	٨١
٨٥	البذاءُ من الجفاء، والجفاءُ في النار----------	٩٩
٨٦	بسم اللهِ الرَّحْمَن الرَّحيم منْ مُحَمَّدٍ النَّبي إلى الأسقُفُ أبي	٢٧٠
٨٧	بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هذا ما كتب محمد النبي رسولُ	٢٦٩
٨٨	بَشِّر المشَّائين في الظُّلَمِ إلى المساجد بالنور التام-----	١٨٣
٨٩	بَشَّرَ النَّبِيُّ ﷺخَدِيجَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ، بِبَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ---	١٨٥
٩٠	بَشِّرَا وَيَسِّرَا وَعَلِّمَا وَلَا تُنَفِّرَا----------	١٥١
٩١	بَشِّروا ولا تُنَفِّروا----------	١٧٨
٩٢	بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ----------	١٤٥
٩٣	بل أرجو أن يُخرِجَ الله من أَصلابِهم مَنْ يَعبدُ الله وحده لا	٢٢٥
٩٤	بَلْ عَبْدًا رَسُولاً----------	١٩٥
٩٥	«بل هو من أهل الجنة »(قالها بحق ثابت بن قيس بن	١٨٦
٩٦	بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً----------	٦٠
٩٧	بئس ابن العشيرة وأخو العشيرة----------	٢٨٣

٩٨	بِئْسَ أَخُو الْقَوْمِ وَابْنُ الْعَشِيرَةِ----------	٢٨٣
٩٩	بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ----------	٢٠٥
١٠٠	تُبَايِعُونِي عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ----	٨٢
١٠١	تبسمُك في وجه أخيك صدقةٌ----------	١٣٠
١٠٢	تبسمُك في وجه أخيك صدقةٌ لك----------	١٣٤
١٠٣	تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ.----------	٢٠٦
١٠٤	تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ،--	٤٤
١٠٥	تَهَادَوْا، فَإِنَّ الْهَدِيَّةَ تُذْهِبُ وَغَرَ الصَّدْرِ----------	١٣٨
١٠٦	التؤدةُ في كلِّ شيءٍ خيرٌ إلا في عَمَلِ الآخرةِ-------	٧٤
١٠٧	ثلاث منجيات: خشية الله تعالى في السر والعلانية،	٢٤٤
١٠٨	...ثم يجلس عند بعيره فيضع ركبته فتضع صفية-----	٢٠٣
١٠٩	جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ----	٣٤٧
١١٠	الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ---------	١٨٥
١١١	حسين مني وأنا من حسين----------	٢٠٠
١١٢	خُذِي فِرْصَةً مِنْ مِسْكٍ فَتَطَهَّرِي بِهَا----------	٤٠٩
١١٣	خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فِي غَدَاةٍ بَارِدَةٍ وَالْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ	٢٠٢
١١٤	خَلِّ عَنْهُ، فَلَهُوَ أَسْرَعُ فِيهِمْ مِنْ نَضْحِ النَّبْلِ-------	٣٥٣
١١٥	دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَسَمِعْتُ خَشَفَةً فَقُلْتُ مَا هَذِهِ الْخَشَفَةَ،	١٨٨
١١٦	دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ----------	١٦٢
١١٧	دَعُوهُ، وَهَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلاً مِنْ مَاءٍ---------	١٥٢
١١٨	الدِّينُ النَّصِيحَةُ----------	١٨
١١٩	ذاكَ جِبْرِيلُ أَتَانِي فَقَالَ:" مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِكَ لَا يُشْرِكُ	٥٠
١٢٠	ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ	١٠٩
١٢١	الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ مَاهِرٌ بِهِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ –	٣٣٩
١٢٢	الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل-----	٢٤٨

١٢٣	رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ وَإِذَا اشْتَرَى وَإِذَا اقْتَضَى--	١٦١
١٢٤	سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا----------	١٤٦
١٢٥	سَيَتَصَدَّقُونَ وَيُجَاهِدُونَ إِذَا أَسْلَمُوا----------	١٦٤
١٢٦	صَلِّ قَائِماً فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِداً----------	١٥٨
١٢٧	عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، جَعَلَ النَّبِيُّ وَالنَّبِيَّانِ يَمُرُّونَ مَعَهُمْ	١٨٦
١٢٨	عَلَّمَنِي رَسُولُ ﷺ وَكَفِّي بَيْنَ كَفَّيْهِ التَّشَهُّدَ كَمَا يُعَلِّمُنِي	١٢٨
١٢٩	فإنما أنا عبدٌ----------	٢٠٤
١٣٠	فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد----------	٤٦
١٣١	فَلْيُبَلِّغ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ---	٦٠
١٣٢	فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي----------	٥٨
١٣٣	فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله----------	٢٢٣
١٣٤	فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من أن	٦١
١٣٥	قال: الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ----------	١٤٥
١٣٦	قَتْلُ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ زَوَالِ الدُّنْيَا-------	٣٧
١٣٧	قَدِمَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ الْمَدِينَةَ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ فِي	١٢٧
١٣٨	قل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله---------	٤٥-١٥٩
١٣٩	قل يا أبا الوليد أسمع----------	٢٧٧
١٤٠	قُلْتُ لِأَنَسٍ ﷺ أَكَانَتْ الْمُصَافَحَةُ فِي أَصْحَابِ النَّبِيِّ--	١٢٧
١٤١	كان أصحاب النبي ﷺ إذا تلاقوا تصافحوا-------	١٢٧
١٤٢	كان النبي ﷺ إذا فقد الرجل من إخوانه ثلاثة أيام----	١٣٧
١٤٣	كان النبي ﷺ إذا لقي الرجل لا ينزع يده--------	١٢٨
١٤٤	كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْأَيَّامِ كَرَاهَةَ السَّآمَةِ	٩٣-٢٣٥
١٤٥	كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَذْكُرُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ.--------	٥٤
١٤٦	كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَنْقُلُ التُّرَابَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ حَتَّى أَغْمَرَ	٢٠١-٣٥٣
١٤٧	كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ----------	٤١٥

١٤٨	كان رسول الله ﷺ يأتي ضعفاء المسلمين، ويزورهم---	١٩٥
١٤٩	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحِبُّ الْفَأْلَ الْحَسَنَ وَيَكْرَهُ الطِّيَرَةَ--	٨٧
١٥٠	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحَدِّثُنَا أَنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ ----	٣١٥
١٥١	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَيُثِيبُ عَلَيْهَا------	١٣٨
١٥٢	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ الذِّكْرَ، وَيُقِلُّ اللَّغْوَ-------	١٣٣-١٩٧
١٥٣	كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ------	٣٧٦
١٥٤	كَانَ يَخِيطُ ثَوْبَهُ وَيَخْصِفُ نَعْلَهُ----------	١٩٩
١٥٥	كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ----------	١٩٨
١٥٦	كلُّ معروفٍ صدقةٌ----------	١٣٠
١٥٧	الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ----------	٩٧
١٥٨	كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ...ثم أمر له	١٢٠
١٥٩	لاَ تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئاً وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ	١٣٠
١٦٠	لَا تُزْرِمُوهُ دَعُوهُ----------	٩٢-١٥٣
١٦١	لَا تُشَدِّدُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَيُشَدَّدَ عَلَيْكُمْ---------	١٥٠
١٦٢	لا تُصاحبْ إلا مؤمناً ولا يأكلْ طعامَك إلا تقي----	٢٥٠
١٦٣	لا تُطروني كما أطرتِ النَّصارى ابنَ مريمَ---------	٢٠٣
١٦٤	لَا تَغْضَبْ----------	١٢٣
١٦٥	لَا حُلُّوهُ لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ-----	١٥٠
١٦٦	لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ	٣٩٤
١٦٧	لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ---	٢٠٥
١٦٨	لأَبْعَثَنَّ مَعَكُم رَجُلاً أميناً حَقَّ أَمِينٍ----------	٢٧١
١٦٩	لتفتحن القسطنطينية ولنِعم الأمير أميرها ولنِعم الجيش	١٨٨
١٧٠	لتفتحن لكم الشام ثم لتقسمن كنوز فارس والروم----	١٨٨
١٧١	لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ	١١٠
١٧٢	لكن عند الله لست بكاسد----------	١٣٨

١٧٣	لَلَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ رَجُلٍ نَزَلَ مَنْزِلًا وَبِهِ مَهْلَكَةٌ---	٣٧
١٧٤	لَمْ يَأْذَنِ اللَّهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِلنَّبِيِّ أَنْ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ---	٤٠٥
١٧٥	لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً----------	١١٠
١٧٦	اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ----------	٢٢٣
١٧٧	اللّهُمّ إِلَيْك أَشْكُو ضَعْفَ قُوّتِي، وَقِلّةَ حِيلَتِي-------	٢٢٦
١٧٨	اللهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ----------	٣٨٦
١٧٩	اللهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة----------	١٩٩
١٨٠	اللَّهُمَّ فَقِهْهُ فِي الدِّينِ وعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ----------	٥١
١٨١	اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ	٩٠-١٥٣
١٨٢	لَوْ دُعِيتُ إِلَى ذِرَاعٍ أَوْ كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ----------	١٩٧
١٨٣	لولا أن أشق على أمتي----------	١٥٥
١٨٤	لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ----------	١٢٤
١٨٥	ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش البذيء---	٩٩
١٨٦	لَيْسَ مِنْ الْبِرِّ الصَّوْمُ فِي السَّفَرِ----------	١٥١
١٨٧	ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله------	٢٠٣
١٨٨	ما أنا بِطَارِدٍ المؤمنين----------	١٩٦
١٨٩	مَا أَنْتُمَا بِأَقْوَى مِنِّي وَلَا أَنَا بِأَغْنَى عَنْ الْأَجْرِ مِنْكُمَا---	٢٠٢
١٩٠	ما بال أحدكم يقوم مستقبل ربه فيتنخع أمامه-----	٤٠٨
١٩١	مَا بَالُ أَقْوَامٍ يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله---	٢٣٦-٤٠٨
١٩٢	ما بال العامل نبعثه فيأتي يقول: هذا لك وهذا لي----	٤٠٨
١٩٣	ما بال أُناس يشترطون شروطاً ليس في كتاب الله.----	٤٠٨
١٩٤	ما بال رجال يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله---	٤٠٨
١٩٥	مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ	١٤٥
١٩٦	مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئاً قَطُّ بِيَدِهِ----------	١٠٢
١٩٧	مَا قَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ وَجِدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا عَلَيّ فِي أَنْفُسِكُمْ-	٤٢

١٩٨	ما كان إلا بشراً من البشر----------	١٩٩
١٩٩	ما كان الحياء في شيء إلا زانه----------	٩٩
٢٠٠	ما مِنْ جُرْعَةٍ أعظَمُ أجراً عندَ اللهِ مِنْ جُرْعَةِ غيْظ----	١١٨
٢٠١	مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ------	١٧٤
٢٠٢	مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْساً أَوْ يَزْرَعُ زَرْعاً---------	٤١٢
٢٠٣	ما مِن مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غُفِرَ لهما قبل أن	١٢٨
٢٠٤	مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ----------	١١٣
٢٠٥	مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الْحَيِّ	٥٦
٢٠٦	مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ---	١٩-٣٨٧
٢٠٧	مَعَاذَ الله أنْ أعْبُدَ غَيْرَ الله، أوْ آمُرَ بِعِبَادَةِ غَيْرِهِ، مَا بِذَلِكَ	٢٦٦
٢٠٨	من استعاذ بالله فأعيذُوهُ ومن سأل بالله فأعطوه-----	١٣٩
٢٠٩	مَنْ تَعَظَّمَ فِي نَفْسِهِ أَوْ اخْتَالَ فِي مِشْيَتِهِ---------	٢٠٦
٢١٠	مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ-----	٢٠٦
٢١١	من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه	٦١
٢١٢	مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ----------	١٨
٢١٣	مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى	١٧٩
٢١٤	مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنَفِّذَهُ----------	١١٨
٢١٥	من محمد النبي إلى الأسقف أبي الحارث والأساقفة	٢٧٠
٢١٦	من نفَّس عن مؤمنٍ كربةً من كرب الدنيا نفَّس الله عنه	١٣٥
٢١٧	من يُحرَم الرفقَ يُحرَم الخيرَ----------	٩١
٢١٨	من يُرِدِ اللهُ به خيراً يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ----------	٦١
٢١٩	من يردهم عنا وله الجنة أو هو رفيقي في الجنة------	١٨٣
٢٢٠	مَنْ يَضْمَنْ لِي وَاحِدَةً وَلَهُ الْجَنَّةُ----------	١٨٢
٢٢١	مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟!----------	١١٣
٢٢٢	من ينطلق بصحيفتي هذه إلى قيصر وله الجنة------	١٨١

٢٢٣	مَنْ يُنْفِقُ نَفَقَةً مُتَقَبَّلَةً----------	١٨٢
٢٢٤	مَنْ يُؤْوِينِي مَنْ يَنْصُرُنِي حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي وَلَهُ الْجَنَّةُ.--	١٨١
٢٢٥	الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُم------	٥٩
٢٢٦	الْمُـؤْمِنُ الْقَـوِيُّ خَيْـرٌ وَأَحَـبُّ إِلَى اللَّـهِ مِـنَ الْمُـؤْمِنِ	١٩٢
٢٢٧	المؤمن مرآة أخيه إذا رأى فيها عيبا أصلحه-------	٢٠٩
٢٢٨	المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ، والمؤمنُ أخو المؤمنِ----------	٢٠٩
٢٢٩	نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَرْكَبُونَ ثَبَجَ	١٨٩
٢٣٠	نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا شَيْئاً فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَ--------	١٨-٦٠
٢٣١	نِعْمَ الرَّجُلُ أَنْتَ يَا خُرَيْمُ، لَوْلَا خَلَّتَانِ فِيكَ--------	٤١٨
٢٣٢	نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنْ اللَّيْلِ-------	٤٤- ٤١٧
٢٣٣	هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ----------	١٠١ -١٤٧
٢٣٤	هوِّنْ عليك، فإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل	١٩٤
٢٣٥	وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ----------	١٤٩
٢٣٦	والذي نفس محمد في يده لولا أن أشقَّ على المؤمنين--	١٥٥
٢٣٧	وَالَّـذِي نَفْـسِي بِيَـدِهِ لَتَـأْمُرُنَّ بِـالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَـوُنَّ عَـنِ	١٩
٢٣٨	وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبْلُغُوا----------	١٥٤
٢٣٩	والله لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا-----	٣٥٤
٢٤٠	وَاللَّهِ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرُ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى	٦٨
٢٤١	وَإِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا----------	١٩٢
٢٤٢	وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّين----------	١٤٧
٢٤٣	وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ وَالْمُتَزَاوِرِينَ	٣٠٩
٢٤٤	وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ	١٦١
٢٤٥	ولا تواضع أحد لله إلا رفعه الله----------	١٩٢
٢٤٦	وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ----------	٥٨
٢٤٧	وما أدري ما يفعل بي؟!----------	٤٩

٢٤٨	وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ قَطُّ------	١٢٢
٢٤٩	ومنْ سلكَ طريقاً يَلْتمسُ فيه عِلْماً سهَّلَ الله له به طريقاً	٦١
٢٥٠	وَيْلَكَ مَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ----------	١٢١
٢٥١	يا أبا عمير، ما فعل النُّغَير؟!----------	٢٠٠
٢٥٢	يَا أَيُّهَا النَّاسُ خُذُوا مِنْ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ-------	١٥٤-٤٠٨
٢٥٣	يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ----------	١٧٨
٢٥٤	يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا ضَلَّ مَنْ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ	١٢٢
٢٥٥	يَا عَائِشَةُ، ارْفُقِي إنما يَحْرُمُ على النار كلُّ هيِّنٍ ليِّنٍ قريبٍ	٩١
٢٥٦	يَا عَائِشَةُ، ارْفُقِي فإن الله إذا أراد بأهل بيت-------	٩١
٢٥٧	يَا عَائِشَةُ، مَتَى عَهِدْتِنِي فَحَّاشاً----------	٨٧
٢٥٨	يا عديُّ، اطرح هذا الوثن من عنقك----------	٣٨٠
٢٥٩	يا غلام، سَمِّ الله ، وكلْ بيمينك، وكلْ مما يليك-----	٣٩٥
٢٦٠	يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ فِيكُم---------	٣٨٧
٢٦١	يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ---------	٤٢٠
٢٦٢	يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ يَتَحَنَّثُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِي	٥٤
٢٦٣	يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا وَبَشِّرَا وَلَا تُنَفِّرَا وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا----	١٧٨
٢٦٤	يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا----------	٣٥-١٥١
٢٦٥	يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا وَسَكِّنُوا وَلَا تُنَفِّرُوا----------	٣٥
٢٦٦	يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ----------	١٧٩
٢٦٧	يقول الله سبحانه: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري----	٢٠٦
٢٦٨	يَمُوتُ عَبْدُ اللَّهِ وَهُوَ آخِذٌ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى---------	١٨٧

فهرس الفوائد والحقائق [1]

مرتبة حسب ورودها في صفحات الكتاب

إن عملية المراجعة والنقد الذاتي عملية بناء ونمو وتجديد..، ورفضها ومحاربتها عملية هدم وضمور وجمود..

١٠ ----------

من أهم صفات الأمة الإسلامية أنها أمة الدعوة إلى الله تعالى..أمة يجتهد كل فرد فيها بتعريف الناس بالإسلام، ودلالتهم عليه، وتحبيبهم وإقناعهم به..

هل رأيت أمة كل أفرادها يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فيصنعون الأمة الفاضلة والعالم الفاضل؟!!..

إنهم المسلمون... فأين المسلمون من هذا الواجب؟!!

١٧ ----------

لا بدَّ من إيقاظ الإيمان أولاً في القلب، فإذا انتعشت القلوب بالإيمان الحي هان على أصحابها الاستجابة لأحكام الإسلام، بل ينتقل هؤلاء من حال الاستجابة إلى حال السرور واللذة بتطبيق الأحكام، ولما كان تطبيق الأحكام يحتاج إلى صبرٍ وجَلَدٍ وقَرَ الإيمان العميق في القلب ما يحتاجه هذا الإنسان لتحمل المشقة.

٣١ ----------

ولنا أن نتساءل بعد أن وثقنا هذه القاعدة وأكَّدناها:

ما بال بعض الدعاة الذين يذهبون للدعوة في الغرب عامة، لا يبذلون الجهد الكبير في تطبيق هذه القاعدة؟!..

لماذا يستعجلون الدعوة إلى الأصول من الأحكام بل إلى الفروع من الأحكام، ولماَّ يستقر الإيمان في القلوب، ولم تتذوق حلاوتَه الأرواح؟!!..

٣٣ ----------

وإنني أسأل: أيهما يستحق العناية أكثر وبذل جهد أكبر ؟!..

بيان حكم المصافحة بعد الصلاة وعدد ركعات التراويح، أم بيان حكم تخلُّف الأمة عن القيام بواجب تأمين كافة الاختصاصات العلمية والتكنولوجية والزراعية والصناعية... التي تتوقف عليها نهضة الأمة!!..

٣٥ ----------

(١) فوائد وحقائق من أفكار المؤلف.

إن الله تعالى جبل نفوس الناس على الخوف والرجاء، فمن أدرك من الدعاة هذه الفطرة وتعامل معها حسب منهج الله تبارك وتعالى، استطاع أن يحقق أفضل النتائج..

وهذا أسلوبٌ ترتاح له النفوس، وتنجذب له القلوب، فتتعظ وتنصلح وتجتهد..

٣٧ ----------

يجب مراعاة صفات وخصائص وطباع وعقول المدعوين ومخاطبتهم على قدر عقولهم..

٣٨ ----------

إن خطاب الداعي مادة وأسلوباً يجب أن يراعي أحوال المدعوين وتباينهم في الجوانب النفسية والإيمانية والعقلية والعلمية والاجتماعية والأخلاقية ومدى استجابتهم، **وكذلك** مراعاة زمانهم ومكانهم..

٤٦ ----------

على الداعي ألا يتوقف عند أحوال المدعوين من الطاعة والمعصية، فإن الحال يتغير، ولا يعلم أحد بما يُختم للناس، فهو من علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله تعالى.

٤٨ ----------

وكان الأولى بهؤلاء القضاة المكفرين أن يلتزموا بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وسنة الخلفاء المهديين من بعده، وإجماع أهل السنة والجماعة، فلا يكفِّرون المسلمين، ولا يستبيحون دماءهم؛ لأنهم بفعلهم هذا قد وقعوا فيما نَهوا عنه، وحكموا على المسلمين بما لم يحكم الله ورسوله عليهم، فوقعوا بشر جهلهم.

٥٢ ----------

إن في الذكر والمراقبة والشعور بمعيَّة الله حياةً... وإن في الغفلة عن الله تعالى موت القلب، وموت الصفات الربانية عند الداعي، وإذا غفل القلب عجز عن الوصول إلى مقام المعرفة بالله تعالى... فكيف يدعو إلى الله تعالى من هو جاهل به؟!!..

٥٥ ----------

والدعاة الربانيون هم الذين يمتلكون العقل الراشد والحكمة، والفهم والعلم بشرع الله تعالى، والخلق الحسن، وقد تزكت نفوسهم، وطهُرت قلوبهم، وصَفَت أرواحهم فاستقاموا على الأدب مع الله تعالى، وهم وحدهم الذين يُؤخذ عنهم ويُقتدى بهم، ويُطاعون بالمعروف، وبهؤلاء تستقيم الحياة، وتتحقق النجاحات، وتنتشر قِيَم ومبادئ الدعوة إلى الله تعالى.

٥٥ ----------

إن تحصيل مقام الربانية والدخول في مدرسة الذكر والأخذ بالتقوى والورع والأدب مع الله، ومراعاة نظره على كل حال، واجب حتميٌّ على كل من يريد العمل في مجال الدعوة إلى الله ..

٥٦ ----------

فإذا أردت أن تكون داعياً ناجحاً **فعليك** أن تتخلص من الغفلة، وتدخل في **مدرسة الربانيين** الذاكرين، ليكون الذكر غذاءً **لقلبك** فلا يموت، وليكون العلم والحكمة غذاءً **لعقلك** فينمو،

وعندها تصبح داعياً تمتلـــك حياة القلب والعلم والحكمة والعقل والعمل.. فتحيا وتُحيي، وتتزكى وتُزكي، وتترقَّى وتُرقي، وتقدم السعادة لكل من حولك..

٥٧

العلم بلا روح كمن يقدم للناس صورة الطعام والثمار.. فهي لا تُسمن ولا تغني من جوع، بل إن العلم بلا روح خطير على المعلم والمتعلم..

٥٧

الداعي الناجح هو الذي لا ينعزل عن مجتمعه، بل يتفاعل معه إيجابياً، لإصلاحه وتغييره نحو العمل بالقيم والمبادئ الإسلامية..

٥٩

لا يمكن أي يقوم بالدعوة جاهل..لأن الدعوة إلى الله تعالى هي دعوة الناس إلى علوم ومعارف وأحكام ومبادئ وأفكار وقيم وأعمال دعا الله تعالى الناس ليأخذوها ويتحققوا بها..

٥٩

الداعي إلى الله لا يحكم حكماً، ولا يُبرم أمراً، ولا يروي حادثة، ولا ينقل رواية، إلا بعد التحقق بعيداً عن الشك والشبهة..

٦٢

التربية العلمية في الإسلام ترفض التقليد الأعمى، وتحرر العقول من القيود ومن كل ما يعطل الفكر، وتدعو إلى البحث العلمي وتوثيق الحقائق بالدليل عبر التحقق وإعمال العقل، وتحث على التجديد والتطوير، ونبذ الجهالة والخرافات والأباطيل، وترك كل ما لا يصلح ولا يصحّ...

٦٢

العقل لا يحقق ما يُرجى منه إن لم يكن ساجداً في محراب الإيمان بالله تعالى، ليكون عقلاً نافعاً، لا عقلاً خبيثاً مؤذياً...

٦٣

كل شيء ينقص بكثرة الاستعمال، إلا العقل فإنه يزيد..

٦٥

إن طلبَ الثمار قبل نضجها يُضيعها، فتخسر الأصل ولا تحصل على الثمرة..

٦٧

إن الله تعالى لا يعجل لعجلتنا، وله ﷻ في الحياة سُننٌ وقوانينُ لا بدَّ أن تمضيَ، وتأخذَ وقتها وحقها، ولكل أمرٍ أجلٌ مسمى، ولله تعالى حِكَمٌ تغيب عن الناس ولا يدركونها..، فيجب على الداعي مراعاتها والخضوع لها، والالتزام بسنن الله وقوانينه في الكون..

٦٩

على الداعي ألا يستعجلَ في اتخاذ القرارات التي تحتاج إلى دراسة إلا بعد دراستها، وتدبُّر عواقبها.. إن عدم تدبُّر عواقب التصرفات التي صدرت عن بعض الدعاة أدَّى إلى عواقب كارثيَّة على الدعوة وشبابها، وما زال بعض الدعاة يكررون أخطاءهم الفادحة في هذا الموضوع الخطير..

٧١ ----------

اليأس والإيمان لا يجتمعان في قلب المؤمن.. فما بالك بالداعي إلى الله تعالى؟!..

٧٥ ----------

إن طريق الدعوة إلى الله طريق الربانيين من أهل العزائم، الأقوياء والواثقين والمتفائلين... ولا مكان فيه للضعفاء والمترددين والفاترين والواهنين واليائسين..

٧٧ ----------

إن الداعي الرباني لا ييأس؛ لأن الدعوة وأهدافها ملأت عليه حياته بكل ألوانها وتقلباتها..في صحته ومرضه..ويسره وعسره.. ونشاطه ومكرهه..ورخائه وشدته..

٧٨ ----------

لا بد أن تَمُرَّ الدعوة في مراحل من الشدائد والصعوبات والإحباطات، ويطوِّق الضيق عنق الداعي وصدره، فإذا استنفدت الجهود والطاقات المخلصة، جاء الفرج والفرح بنصر الله تعالى.

٧٨ ----------

الداعي كريماً على الناس حتى يطمع في أموالهم، فإذا فعل استخفوا به وازدروه وتركوه.. فالداعي في خيرٍ عظيمٍ مادام الناس لا يستغنون عن عمله وفضله، ومادام هو مستغنياً عن متاعهم.

٧٩ ----------

إن نجاح الدعوة إلى الإسلام مؤكد بوعد الله تعالى.﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [سورة الصافات].

ولكن لا يتحقق النجاح بالأماني بل يتحقق بالكفاح والعمل والجهد والبذل، إن وعد الله تعالى لن يتخلف، ولكنه لن يتحقق أبداً على أيدي أناس لا يستحقونه..

٨٠ ----------

على الداعي ألا يُستفزَّ من قِبل أعداء الدعوة، فيستدرجوه إلى ما فيه هلاكه وهلاك الدعوة..فالصعوبات مهما عظمت لا تسوّغ للداعي الخروج عن قواعد العمل الدعوي الحكيم الذي يحقق الأهداف..

وعلى الداعي أن يقررَ خططه وخطواته وأن يقودَها بنفسه، وألا تكونَ أعماله الدعوية وخطواته صادرة عن ردود أفعال على صعوبات، أو أن تكون استجابة لتحريضات سلبية أو عاطفية خارجة عن برنامجه وخططه..

٨٠ ----------

إن الداعي الرباني لا ييأس ..ولديه قدرة على الإبداع والابتكار بما يُناسب الزمان والمكان والإمكان..

إن الداعي الحقيقي يستحيل إيقافه عن دعوته، فلديه قدرة فائقة على إيجاد البديل، ففي عقله وخياله شبكة عنكبوتية من طُرق الدعوة التي يمكن سلوكها..

فإذا ما سُدَّ في وجهه طريقٌ، اخترق السدود عبر الطرق الأخرى..ومهما غُلِّقت الأبواب وتكاثرت السدود فإن دعوة الإسلام لا تموت.

٨٣ ----------

إن تعاظم الصعوبات والتحديات في طرق الدعوة، تُوَاجه بالثبات ووضْع الخطط المناسبة وتطويرها مع تطور الأحداث، وبمرونة وإبداع يتفوق على خداع واختراع أعداء الدعوة لوسائل الحرب على الدعوة والدعاة.

٨٤ ----------

إنَّ في اليأس والقنوط موتاً..

وإنَّ في التفاؤل والأمل حياة متجددة..

٨٥ ----------

حتى يستطيع الداعي تحقيقَ آماله وأهدافه، فعليه أن ينظر إلى واقع الدعوة ومستقبلها نظرة متفائلة واقعية، نظرة تعترف بالصعوبات وتحللها وتدرسها وتضع لها الحلول، وبذات الوقت تثق بالنجاح وتحقيق الأهداف..

٨٦ ----------

إنَّ الداعيَ مطالب بمداراة الناس حتى يتمكَّن من تبليغهم رسالة الإسلام، والارتقاء بهم عقلياً وروحياً وأخلاقياً..

٨٨ ----------

المداراة طلبُ المودَّات، واكتساب الأنصار، وإصلاح الطبائع.. ومداراة الناس والتحبب إليهم دليل على حكمة الدعاة.

٨٩ ----------

على الداعي إلى الله تعالى أن يدعو الناس بالرفق لا بالشدة، وأن يعلِّمهم باللين لا بالعنف والفظاظة، وأن يصحبهم باللطف لا بالغلظة، وألا يتصرف معهم بطريقة تنفرهم من الدين، وألا يكلِّفهم ما لا يطيقون..

٩٠ ----------

والداعي إلى الله تعالى بالكلمة الطيبة وحُسن الخلق، يكثر أحباؤه وأصفياؤه، ويقل أعداؤه، وتسهل مهامه، وتتحقق غاياته، وتتوسَّع نجاحاته، وتتساقط الحواجز أمامه، فيتجاوز صعابه.

٩٩ ----------

على الداعي ألا يستخفَّ بتقديم الهدية حسب الإمكان إلى إخوانه، وعليه ألا ينظر إلى تواضع الهدية، بل عليه النظر إلى أثرها في قلب من أُهديت إليه، فبالمحبة والمودة تعظم قيمة الأشياء مهما صغرت، وبالكراهية والعداوة تصغر قيمة الأشياء مهما عظمت.

١٣٨----------

على الداعي أن يكون آلفاً ومألوفاً، فإذا تحقق له ذلك، انتصر بالألفة على أعاديه وحاسديه، فسلمت منهم فتوحه ونعمته ودعوته، وصفت أيامه، ونجحت أعماله، وجمع شمله، وامتنعت ذلته..

١٤٠----------

الحكمة في الدعوة إلى الله لا تحل حراماً ولا تحرم حلالاً...

ولكنها تضع الأشياء في مواضعها...

١٦٧----------

إن التبشير من أهم الأساليب الناجحة في الدعوة إلى الله تعالى؛ لأنه يدخل السرور على قلب المبشّر، فتنفتح أسارير نفسه لتقبُّل العظات والمعارف والعلوم والآداب والأحكام...، كما تنفتح أبواب المودة والراحة النفسية بين الداعي والمدعو.

١٦٨----------

إن الدعاة لا يملكون في عملهم وعلاقاتهم مع المدعوين إلا سلطان الحب والمودة والخدمة والكلمة المبشرة الطيبة التي تستجلب قلوب الناس إلى دين الله تبارك وتعالى.

١٩٠----------

لا يمكن للداعي أن ينجح في دعوته إذا كان مُصاباً بمرض الغضب، فالدعوة والغضب لا يجتمعان أبداً ..، لأن الغضب يُولِّد العداوة والبغضاء والأحقاد والنزاعات بين الداعي والناس...

١٢٤----------

إن المحاضرات والدروس والمواعظ وحدها لا تصنع دعوة إلى الله تعالى...

إن المشاركة الوجدانية من قِبل الداعي في كل ما يتعلق بشؤون إخوانه مشفوعة بالإخلاص والاستعانة بالله تعالى... هي التي يُعوَّل عليها في نجاح الدعوة الإسلامية وانتشارها...

١٣٧----------

إن محمداً رسول الله ﷺ مع مقامه النبوي العالي كان يتعامل مع الضعفاء أحسن المعاملة: يجالسهم، ويؤنسهم، ويلاطفهم، ويزورهم، ويشاركهم أفراحهم وأتراحهم، كان رسول الله ﷺ يهتم بالضعيف تكريماً لإنسانيته عملاً بقول الله تعالى:﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴿٧٠﴾﴾ [سورة الإسراء]، فكل من يحمل صفة إنسان يجب أن يحترَم لإنسانيته بصرف النظر عن حَسَبه أو نَسَبه أو غناه أو فقره أو مركزه... هذه هي رسالة رسول الله ﷺ للإنسانية.

١٩٦----------

يا للدهشة!! لم يمنع مقامُ النبوة ومسؤوليةُ قيادة الأمة رسول الله ﷺ من ملاعبةِ حفيده أمام الناس، يلاحق الطفل وهو يفر منه هنا وهناك، ورسول الله ﷺ - فداه أمي وأبي- يضاحكه، ثم يمسك به بلطف ويعتنقه ويقبله أمام الناس.

فهل تخصِّص وقتاً لملاعبة **أطفالك** ؟!

٢٠٠

علينا إذا التقينا الآباء ومعهم أولادهم ألاّ نهمل الأولاد وكأنهم غير موجودين، يجب أن نهتمَّ بهم، ونستقبلهم، ونكرمهم كما كان يفعل رسول الله ﷺ.

٢٠١

إذا كان النبي الرسول المعصوم ﷺ أمره ربه بالتواضع وخفض الجناح، وهو المشهود له بالخلق العظيم، فكيف بغيره من الدعاة غير المعصومين؟!!..

أليس الدعاة أولى بهذا الخلق من غيرهم؟!!..

٢٠٤

إن الدعاة الذين يتكبرون ويفتخرون ويعجبون بأنفسهم ليسوا على شيء، ولم يَرِحُوا - يشمُّوا- رائحةَ المعرفة، بسبب غفلة قلوبهم عن الله تعالى.

٢٠٧

على الداعي الحكيم أن يصاحب الصالحين المتواضعين الذين صفت وزكت نفوسهم وطهرت أرواحهم، وتعلقت قلوبهم بمولاهم، فإذا وُجِدوا فإنهم كنز ثمين لا يقدَّر، وقليل ما هم..

٢٠٩

تحتاج الدعوة إلى الله تعالى إلى الكلمة الحجة المؤثرة المغيرة للنفوس والقلوب، ولهذا وجب على الداعي أن يكون ذا حجة قوية، وبيان مؤثر، وروح راقية، ونفس مزكاة، حتى يكون تأثيره في إحياء القلوب الميتة والأرواح أكبر.

أما إذا كان الداعي صاحب نفس ناقصة يعجز عن تزكيتها، فهو عن تزكية النفوس أعجزُ...والناقص لا يكمل الناقص...

فمقام الدعوة الحقيقي للكمَّلِ من الدعاة القادرين بتوفيق الله تعالى على تكميل الناقصين من الناس الذين ينقصهم العلم والحكمة والتزكية، وهذا كله يحتاج إلى الصبر.

٢١٣

إن **إقبالك بوجهك** على **أخيك** بابتسامة وبشاشة، يُذهب الضغائن، ويزيد في الود والمحبة، وكما مر معنا، كان رسول الله ﷺ لا يصرف وجهه عن الرجل حتى يكون هو الذي يصرفه.

١٣١

إن الإنسان بطبيعته يحبُّ من أحسن إليه، ويكره ويُبغض من أساء إليه.

١٣٤

الداعي إلى الله تعالى يستقصي حاجات إخوانه، ويسعى في قضائها، ويخدمهم بكل طاقاته، ويُحسن إليهم ما استطاع إلى **ذلك** سبيلاً..

١٣٥----------

إن حسن النيات وحده لا يكفي في عمل الدعوة إلى الله تعالى، بل لا بد من انضباط العمل الدعوي سلوكاً وقولاً وتطبيقاً بضوابط الشريعة المطهرة.

٢٣٣----------

فالعبرة ثمرة البصيرة، فإذا تبصر الإنسان اعتبر، ومن عَدِمَ العبرة فلا بصيرة له.

٢٤٦----------

إن صحبة الأشخاص المتميزين ستؤثّر **فيك** إيجابياً؛

لأن الطباع يأخذ بعضها من بعض، ولسوف تنتقل **إليك** هذه الخصال الحميدة، حتى تصبحَ جزءاً لا يتجزَّأ من **شخصيتك**، فهذه الصحبة تدريب وتأهيل غير مباشر تتقبله النفس برضا وسرور.

٢٤٩----------

هناك من الأصحاب من يضحي بنفسه من أجل **سعادتك**، وهناك من الأصحاب من يضحي **بك** من أجل مصلحته وأهوائه..

٢٥٠----------

كم من إنسان ناجح ومتميز علمياً وأخلاقياً واجتماعياً كان من وراء ما حققه صاحب صالح وصديق متميز..

٢٥١----------

فالإعراض عن الدعاة وعدم قبول المواعظ والتذكير، دليلٌ على شقاء الإنسان وظلمه لنفسه، فمن وجد في سلوكه شيئاً من هذا ، فليسرع إلى الإنابة إلى الله تعالى، وإصلاح ما أفسد..

٢٥٢----------

أستطيع أن أجزم بلا مبالغة أن الصحبة هي العامل الأهم تأثيراً على حياة الإنسان وسلوكه واتجاهاته ومستقبله..فالصحبة تأهيل وتدريب غير مباشر تتقبله النفس برضا وسرور.

٣٠٦----------

إن خير وسيلة للحفاظ على التزام واستمرار المدعوين في الدعوة..

وخير وسيلة لإطلاق وتنمية مواهب المدعوين في أعمال الدعوة..

وخير وسيلة لحجب المدعوين عن الفتور أو الانحراف الفكري أو السلوكي..

هي إغراق أوقاتهم بالعمل الدعوي، وهذا أمر مهم جداً يجب أن ينتبه إليه الدعاة...

٣٠٨----------

إن تزكية النفوس جزء لا يتجزأ من التربية الروحية، وعلى الدعاة الاستحياء من نظر الله تعالى إليهم، ومحاسبة نفوسهم، وعدم تركها لهواها، وأن يأخذوها بالمجاهدة والعزائم، وعليهم أن يراقبوا الله تعالى مع أنفاسهم وفي سلوكهم وأعمالهم لتكون موافقة لآداب وأخلاق الذاكرين، النقية قلوبهم، والمطهرة نفوسهم، وعليهم مصاحبة أهل التزكية والمحبة، والاستفادة من توجيهاتهم ونصائحهم وأنظارهم..

٣١٢ ----------

إن غياب المحاكمات العقلية والتفكير الموضوعي الحكيم في حياة الناس، وتغلب الأهواء والتجييش العاطفي، وعدم الأخذ بالأسباب بالعمل والإعداد والاستعداد لكل أمر، يعرِّض المسلمين لكوارث مدمرة مؤكدة..

٣١٤ ----------

إنّ إهمال بعض العاملين في حقل الدعوة الإسلامية والعمل الحركي الإسلامي لفقه المآلات وما يتصل به من فقه مقاصد الشريعة والسياسة الشرعية، أدَّى إلى خسائر كبيرة، وفشل متكرر في مسيرة العمل الإسلامي..، وانعكس هذا على واقع الأمة الإسلامية كأحد عوامل التخلّف، وفقدان الاتجاه الصحيح لإعادة نهضة الأمة وازدهارها..

٣٨٨ ----------

الدعوة بالقدوة الممزوجة بالمحبة والانسجام النفسي رفيعة المستوى...تؤدي إلى انطباع المحبِّ بسلوكيات من يحب كلفاً من غير تكلُّف...

فلقد كان أصحاب النبي ﷺ يراقبون جميع تصرفات النبي ﷺ ويقتدون به من غير طلبٍ منه أو إلحاح أو تصريح أو تلميح...

٣٨٩ ----------

على أولياء الأمور أن يحذروا ويدققوا بإمعان في صفات الداعي الذي سيجعلون أبناءهم بين يديه، فهم يتأثرونَ على نحو بالغ بطبائعه وصفاته وأخلاقه وأفكاره...

٣٩٠ ----------

إنها الدعوة بالصحبة والملاحظة، تتابع أدق التفاصيل في حياة المدعو، وتسبر أغوار شخصيته، وتصحح مساراتها، وتنمي مواهبها، وتوظف طاقاتها، والسبب أن هذا الأسلوب في الدعوة يحقق أعلى مستويات الانسجام والمودة بين الداعي والمدعو، فيتقبل كل التوجيهات والملاحظات بسرور...

٣٩٦ ----------

البحث عن الحقيقة والانتصار لها يمكن أن يعرضَ الداعي للابتلاء والامتحان والصعوبات الشديدة، فعليه بالصبر والثبات.

٤٠٠ ----------

لا بدَّ للداعي من دخول مدرسة الذكر والتزكية، وتخلية القلب مما سوى الله تعالى، والتعبُّد والتقرب إلى الله ومراقبته..، قبل الدخول في حقل الدعوة الإسلامية..

---- ٤٠٥

انتبه!! إلى أن أسلوب الدعوة بالتوجيه المباشر، يحتاج من الداعي إلى اللطف بالتوجيه والرفق بالناس، واستخدام الألفاظ الليّنة، والابتعاد عن الألفاظ الجارحة التي تقرع الرأس والنفس قرعاً...

ولا يصلح التوجيه الدعوي المباشر إلا بهذه الشروط لحساسيته، ولأن موضوعاته محدودة ومباشرة للأشخاص، لكيلا يشكّل صدمة لهم، ولا تنافُراً شخصياً ونفسياً مع الداعي...

---- ٤٠٦

الداعي يستخدم أسلوباً راقياً غير صادم وخادش للحياء، ويستعمل الأساليب الدعوية غير المباشرة المؤدية للغرض عن طريق المجاز...

---- ٤٠٩

كان النبي ﷺ يستكشف مواهب أصحابه، ثم يعلنها،ويثني عليها، ثم يوظفها في خدمة العمل الإسلامي، ويكرِّم أصحابه ، ويُنزلهم منازلهم...

فهل يستفيد دعاتنا من هذه الدروس العملية فيقتدون برسول الله ﷺ؟!!..

---- ٤١٧

أين هم الدعاة الذين يستطيعون إيصال البلاغ المبين بحقائق الإسلام إلى الناس، كما يوصل بائع الورد باقة من الزهور والرياحين إليهم، طيبة كما خلقها الله تعالى من غير تشويه أو تزوير؟!!..

---- ٤٢٣

فهرس الأشعار

مرتبة حسب ورودها في صفحات الكتاب

يَـــزِينُ الْفَـــتَى فِي النَّـــاسِ صِـــحَّةُ عَقْلِـــهِ وَإِنْ كَـــانَ مَحْظُـــوراً عَلَيْـــهِ مَكَاسِبُـــهْ
يَـــشِينُ الْفَـــتَى فِي النَّـــاسِ قِلَّـــة عَقلـــهِ وَإِنْ كَرُمَـــــتْ أَعْرَاقُـــــهُ وَمَنَاسِبُـــــهْ
يَعِـــيشُ الْفَـــتَى بِالْعَقْـــلِ فِي النَّـــاسِ إِنَّـــهُ عَلَـــى الْعَقْـــلِ يَجْـــرِي عِلْمُـــهُ وَتَجَارِبُـــهْ
وَأَفْـــضَلُ قَـــسْمِ اللَّـــهِ لِلْمَـــرْءِ عَقْلُـــهُ فَلَـــيْسَ مِـــنْ الأَشْـــيَاءِ شَـــيءٌ يُقَارِبُـــهْ
إِذَا أَكْمَـــلَ الرَّحْمَـــنُ لِلْمَـــرْءِ عَقْلَـــهُ فَـــقَدْ كَمُلَـــتْ أَخْلاَقُـــهُ وَمَآرِبُـــهْ

٦٤----------

ومـــا بقيـــت مـــن الـــلذات إلا محادثـــةُ الرجـــال ذوي العقـــول
وقـــد كنـــا نعـــدهم قليـــلاً فقـــد صـــاروا أقـــلّ مـــن القليـــل

٦٦----------

يـــا صـــاحبَ الهـــمِّ إن الهـــمَّ منفـــرج أبـــشر بخيـــرٍ فـــإنَّ الفـــارج الله
اليـــأس يقطـــع أحيانـــا بـــصاحبه لا تيـــأسن فـــإن الـــصانع الله
الله يُحـــدث بعـــد العـــسر ميـــسرة لا تجزعـــنَّ فـــإن المانـــع الله
إذا ابتليـــت فثـــق بـــالله وارض بـــه إن الـــذي يكـــشف البلـــوى هـــو الله
إذا قـــضى الله فاستـــسلم لقدرتـــه فمـــا تـــرى حيـــلة فيمـــا قـــضى الله
والله مالـــكَ غـــيرَ الله مـــن أحـــدٍ فحـــسبك الله في كـــلٍ لـــك الله

٧٧----------

ولـــربَّ نـــازلة يـــضيق بهـــا الفـــتى ذرعـــاً وعنـــد الله منـــها المخـــرج
ضـــاقت فلمـــا اســـتحكمت حلقاتهـــا فرجـــت وكنـــت أظـــن أنهـــا لا تفـــرج

٧٩----------

إذا الحادثـــــاتُ بلغْـــــنَ المـــــدى وكـــــادت لهـــــنَّ تـــــذوبُ المهـــــج
وحـــــلَّ الـــــبلاءُ وقـــــلَّ الوفـــــا فعنـــــد التَّنـــــاهي يكـــــونُ الفـــــرج

٨٤----------

دع المقـــــادير تـــــجري في أعنتهـــــا ولا تبيتَـــــنَّ إلا خالـــــي البالـــــي
مـــا بـــين غمـــضةِ عـــينٍ وانتباهَتِهـــا يغيّـــرُ اللهُ مـــن حـــالٍ إلى حـــالِ

.

٨٤----------

إذا اشتملـــت علـــى اليـــأسِ القلـــوبُ وضـــاقَ بمـــا بـــه الـــصدرُ الرحيـــبُ
وأوطنـــتِ المكـــارهُ واطمـــأنَّـــت وأرســـت في أماكنهـــا الخـــطوب
ولم تَـــرَ لانْكـــشافِ الـــضرِّ وجهـــاً ومـــا أجـــدى بحيلتـــهِ الأريـــبُ
أتـــاكَ علـــى قنـــوطٍ منـــك غـــوثٌ يَـــمُنُّ بـــه اللطيـــفُ المـــستجيبُ
وكـــلُّ الحادثـــاتِ وإن تناهَـــت فموصـــولٌ بهـــا فـــرجٌ قريـــبُ

٨٥----------

الرفـــق ممـــن ســـيلقى الـــيُمْن صـــاحبُه والخُـــرْق منـــه يكـــون العنـــفُ والزلـــلُ

٩٦----------

الـــرفق أيمـــن شـــيء أنـــت تتبعـــه والخـــرق أشـــأم شـــيء يقـــدم الـــرجلا
وذو التثبـــت مـــن حمـــد إلى ظَفَـــر مـــن يركـــب الرفـــق لا يـــستحقب الـــزَّلا

٩٦----------

مَـــنْ يَـــدَّعي الحلْـــمَ أَغْـــضِبْهُ لِتعْرِفَـــه لا يُعْـــرَفُ الحلْـــمُ إلا ســـاعةَ الغـــضَبِ.

١١٧----------

لا تَحْـــسَبَنَّ الحلـــمَ منـــكَ مَذَلَّـــةً إنَّ الحليـــمَ هـــوَ الأَعَـــزُّ الأمْنَـــعُ

١١٨----------

يـــا مـــن ترفـــع بالدنيـــا وزينتهـــا لـــيس الترفـــع رفـــع الطـــين بالطيـــن
إذا أردت شريـــف القـــوم كلـــهم فـــانظر إلى ملـــك في زي مـــسكين
ذاك الـــذي عظمـــت في النـــاس همتـــه وذاك يـــصلح للدنيـــا وللديـــن

١٣١----------

الْـــقَ بالبِـــشْرِ مَـــنْ لقيـــتَ مـــن النـــا سِ جميعـــاً، ولاقهـــم بالطَّلاقـــة
تَجْـــنِ منهـــم بـــه جنـــيَّ ثـــمار طيـــب طعمـــه، لذيـــذ المذاقـــة
ودَعْ التيـــهَ والعـــبوسَ عـــن النـــا سِ، فـــإنَّ العبـــوسَ رأسُ الحماقـــة
كلمـــا شئْـــتَ أنْ تُـــعادي عادَيْـــ تَ صـــديقاً، وقـــد تَعِـــزُّ الـــصداقة

١٣٢----------

ولـــيس أخـــي مَـــنْ ودَّني رأْيَ عينـــه ولكـــن أخـــي مَـــنْ ودَّني وهـــو غائـــبُ

١٣٣----------

أحـــسنْ إلى النـــاسِ تـــستعبدْ قلوبَـــهم فطالمـــا اســـتعبدَ الإنـــسانَ إحـــسانُ
وكـــنْ علـــى الـــدهرِ معوانـــاً لـــذي أمـــلٍ يرجـــو نـــداكَ فـــإنَّ الحـــرَّ مِعْـــوانُ
أحـــسن إذا كـــان إمكـــان ومقـــدرة فلـــن يـــدوم علـــى الإحـــسان إمكـــان

١٣٤----------

إنَّ الهديـــــــــةَ حلـــــــــوةٌ كالـــــــسحرِ تختلـــــــبُ القلوبـــــا
تـــــدني البعيـــــدَ مـــــن الـــــهوى حتـــــــــى تُـــــــصيّره قريبـــــا
وتُعيـــــد مـــــضطغن العـــــدا وةِ بعـــــد بغـــــضتهِ حبيبـــــا
تنفـــــي الـــــسخيمة مـــــن ذوي الـــــشحناء وتمتحـــــقُ الـــــذنوبا

١٣٩----------

هـــدايا النـــاسِ بعـــضهمُ لبعـــض تولِّـــد في قلـــوبهمُ الوصـــالا
وتـــزرعُ في الـــضميرِ هـــوىً وودا وتكـــسوك المهابـــةَ والجـــلالا
مـــصايدُ للقلـــوبِ بغيـــر لَغْـــبٍ وتمنحـــك المحبـــةَ والجمـــالا

١٤٠----------

يـــا مـــن تـــرفـــع بالدنيـــا وزينتهـــا لـــيس الترفـــع رفـــع الطـــين بالطيـــن
إذا أردت شريـــف القـــوم كلـــهم فـــانظر إلى ملـــك في زي مـــسكين
ذاك الـــذي عظمـــت في النـــاس همتـــه وذاك يـــصلـــح للدنيـــا وللـــديـــن

١٩٣----------

تواضـــع إذا مـــا نلـــت في النـــاس رفعـــة فـــإن رفيـــع القـــوم مـــن يتواضـــع

١٩٣----------

وَاللَّـــهِ لَـــوْلَا اللَّـــهُ مَـــا اهْتَـــدَيْنَا وَلَا تَـــــــصَدَّقْنَا وَلَا صَـــــــلَّيْنا

فَأَنْزِلَـــــنْ سَكِيـــــةً عَلَينـــــا وَثَبِّـــــتِ الْأَقْـــــدَامَ إِنْ لَاقَيْنَـــــا

إِنَّ الْأُلَى قَـــــدْ بَغَـــــوْا عَلَيْنَـــــا إِذَا أَرَادُوا فِتـــــــــنَةً أَبَيْنَـــــــــا

---------- ٢٠١-٣٥٤

اللَّهُـــمَّ إِنَّ الْخَيْـــرَ خَيْـــرُ الْآخِـــرَهْ فَـــاغْفِرْ لِلْأَنْـــصَارِ وَالْمُهَـــاجِرَهْ

----------٢٠٢

نَحْـــنُ الَّـــذِينَ بَـــايَعُوا مُحَمَّـــدَا عَلَـــى الْجِهَـــادِ مَـــا بَقِينَـــا أَبَـــدَا

----------٢٠٢

التِّـــيهُ مفـــسدةٌ للـــدينِ منقَـــصةٌ للعقـــلِ مهتكـــةٌ للعـــرضِ فانتبـــهِ

----------٢٠٨

إذا لم يكـــن بـــدٌّ مـــن الـــصبر فاصـــطبر علـــى الحـــق ذاك الـــصبر حمـــدٌ عواقبـــهْ

----------٢٢٢

أخـــو البـــشرِ محبـــوبٌ علـــى حُـــسْنِ بِـــشرِهِ ولـــن يعـــدم البغـــضاءَ مَـــن كـــان عابـــساً

لقـــد أسمعـــت لـــو ناديـــت حيَّـــاً ولكـــن لا حيـــاة لمـــن تنـــادي

----------٢٤١

ومـــا نظـــرت إلى الأيـــام معتـــبراً إلاّ وَأعطـــاكَ كَنـــزَ العِـــبرَةِ النّظَـــرُ

٢٤٦----------

فَـــلا تَـــصحَـــب أخـــا الجهـــل وإيـــــــــــاك وإيـــــــــــاه

فكـــــم مـــــن جاهِـــــلٍ أَردى حَليمـــــاً حيـــــنَ آخـــــاهُ

يُقـــــاسُ المَـــــرءُ بِالمـــــرَءِ إذا مـــــا هُـــــوَ ماشـــــاهُ

وَلِلـــــشَـــيءِ مِـــــن الـــــشَـــيءِ مَقـــــاييسٌ وَأَشبـــــاهُ

وَلِلقَلـــــبِ عَلـــــى القَلـــــبِ دَليـــــلٌ حيـــــنَ يَلقـــــاهُ

٢٤٩----------

إذَا كُنْـــتَ في قَـــومٍ فـــصَاحِب خِيَـــارَهُم وَلا تَـــصْحَب الأَرْدَى فَتـــرْدَى مـــع الـــرَّدِيْ

عَـــنِ الَمْـــرءِ لا تَـــسأَلْ وسَـــلْ عَـــنْ قَرينـــهِ فكُـــلُّ قَـــرِيـــنٍ بالمـــقَارَنِ يَقتَـــدي

٢٤٩----------

خَلُّـــوا بَـــنِي الْكُفَّـــارِ عَـــنْ سَـــبِيلِهِ الْيَـــوْمَ نَـــضْرِبْكُمْ عَلَـــى تَنْزِيلِـــهِ

ضَـــرْباً يُزِيـــلُ الْهَـــامَ عَـــنْ مَقِيلِـــهِ وَيُـــذْهِلُ الْخَلِيـــلَ عَـــنْ خَلِيلِـــهِ

٣٥٣----------

فهرس المصادر والمراجع

(١) القرآن الكريم.

(٢) أحكام القرآن ، أحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي - بيروت [١٤٠٥هـ] .

(٣) إحياء علوم الدين، للإمام حجة الإسلام أبي حامد الغزالي، دار الخير-دمشق-بيروت، الطبعة الرابعة [١٤١٧هـ-١٩٩٧م].

(٤) أَخْلاقُ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ، لأَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الآجُرِّيِّ الْبَغْدَادِيِّ، (المتوفى سنة: ٣٦٠ هـ) ،تَحْقِيقُ وَتَعْلِيقُ: أَبُو مُحَمَّدٍ أَحْمَدُ شِحَاتَه الأَلْفِيُّ السَّكَنْدَرِيُّ، دُار الصَّفَا والْمَرْوَةِ — الإِسْكَنْدَرِيَّةِ، الطَّبْعَةُ الأُولَى [١٤٢٦ هـ -٢٠٠٥ م .]

(٥) آداب البحث والمناظرة، محمد أمين الشنقيطي، دار ابن تيمية-القاهرة.

(٦) أدب الدنيا والدين، للإمام أبي الحسن الماوردي، (المتوفى سنة: ٤٥٠هـ)، مؤسسة الرسالة ناشرون-بيروت، الطبعة الأولى[٢٠٠٤م].

(٧) الأشباه والنظائر . للإمام العلامة تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى،[١٤١١ هـ - ١٩٩١م]

(٨) الْأَشْبَاهُ وَالنَّظَائِرُ عَلَى مَذْهَبِ أَبِيْ حَنِيْفَةَ النُّعْمَانِ، الشَّيْخ زَيْنُ الْعَابِدِيْنَ بْنِ إِبْرَاهِيْمِ بْنِ نُجَيْمٍ (٩٢٦-٩٧٠هـ) دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان[١٤٠٠هـ-١٩٨٠م]

(٩) الأشباه والنظائر،عبد الرحمن بن أبي بكر،جلال الدين السيوطي،المتوفى(٩١١هجرية)،دار الكتب العلمية-بيروت،سنة النشر(١٤٠٣هجرية).

(١٠) إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، (المتوفى سنة: ٧٥١هـ)، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر- القاهرة، [١٣٨٨ هـ/١٩٦٨م]

(١١) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن قيم الجوزية، تحقيق : محمد حامد الفقي دار المعرفة — بيروت الطبعة الثانية ،[١٣٩٥هـ — ١٩٧٥م]

(١٢) أفكار وأساليب لتجديد نهضة الأمة الإسلامية، سماحة العلامة الشيخ أحمد كفتارو، إعداد ودراسة: محمد غسان الجبَّان الجنيدي الحسيني، بالتعاون مع قسم الدراسات والنشر في مجمع الشيخ أحمد كفتارو، بيت الحكمة- دمشق، الطبعة الأولى، [٢٠١٢م]

(١٣) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم للعلامة القاضي أبي الفضل عياض اليحصبي (المتوفى سنة: ٥٤٤ هـ).

(١٤) أيها المسوفون الوقت ضيق، تأليف: محمد غسان الجبَّان الجنيدي الحسيني، دار العصماء-دمشق، الطبعة السابعة [٢٠١٢م].

(١٥) البداية والنهاية، للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي،(المتوفى سنة :٧٧٤ هـ). مكتبة المعارف- بيروت.

(١٦) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهاء الزركشي، (المتوفى: ٧٩٤هـ)، تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية- عيسى البابي الحلبي وشركائه، الطبعة : الأولى، [١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧م].

(١٧) تاج العروس من جواهر القاموس المؤلف : محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

(١٨) التبيان في آداب حملة القرآن، للإمام أبي زكريا يحيى النووي، مكتبة دار التراث – القاهرة، [١٩٩٢م]

(١٩) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي المؤلف : محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا ، دار الكتب العلمية - بيروت.

(٢٠) تفسير أبي السعود،المعروف بإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، محمد بن محمد العمادي أبو السعود،(المتوفى٩٨٢هجرية)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٢١) تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، القاضي أبو سعيد عبد الله بن عمر ابن محمد الشيرازي البيضاوي، (المتوفى سنة: ٧٩١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان،الطبعة الأولى، [١٤٠٨هـ-١٩٨٨م].

(٢٢) تفسير الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية في علم التفسير، لمحمد بن علي الشوكاني، دار الفكر- بيروت.

(٢٣) تفسير الطبري. جامع البيان عن تأويل آي القرآن،لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (المتوفى سنة ٣١٠هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والتوزيع والنشر والإعلان- القاهرة، الطبعة الأولى، [١٤٢٢هـ-٢٠٠١م].

(٢٤) تفسير الفخر الرازي. المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، للإمام محمد الرازي فخر الدين، (المتوفى سنة:٦٠٤هـ)، دار الفكر- بيروت، الطبعة الأولى، [١٤٠١هـ-١٩٨١م].

(٢٥) تفسير القرآن العظيم .للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، (المتوفى سنة:٧٧٤هـ)، تحقيق : مصطفى السيد محمد و محمد السيد رشاد و محمد فضل العجماوي وعلي أحمد عبد الباقي وحسن عباس قطب، مؤسسة قرطبة مكتبة أولاد الشيخ للتراث ، مصر- الجيزة.

(٢٦) تفسير القرطبي. الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، (المتوفى سنة: ٦٧١هـ)، تحقيق: د.عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة -لبنان، الطبعة الأولى[١٤٢٧هـ -٢٠٠٦م].

(٢٧) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د وهبة الزحيلي، دار الفكر- دمشق، دار الفكر المعاصر- بيروت،[١٤١٤هـ-١٩٩٨م].

(٢٨) تفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، [١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م].

(٢٩) تفسير،الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود ابن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(٣٠) تفسير،اللباب في علوم الكتاب، المؤلف: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى : ٧٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية — بيروت، الطبعة الأولى [١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م].

(٣١) جامع الترمذي ،تصنيف أبي عيسى محمد بن عيسى بن سَورة الترمذي ، (المتوفى سنة ٢٧٩ هـ)، بيت الأفكار الدولية للنشر - الرياض.

(٣٢) الجامع الصغير وزوائده والجامع الكبير، الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي[٨٤٩ - ٩١١ هـ]، جمع وترتيب عباس أحمد صقر، أحمد عبد الجواد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت.

(٣٣) الجامع لشعب الإيمان، للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، (المتوفى سنة:٤٥٨هـ)، تحقيق: مختار أحمد الندوي و د.عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد - الرياض،الطبعة الأولى، [١٤٣٢هـ-٢٠٠٣م].

(٣٤) حياة الصحابة، الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي، تحقيق:د. بشار محمود عواد، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، [١٤٢٠هـ -١٩٩٩م].

(٣٥) دعاة لا قضاة، حسن إسماعيل الهضيبي، الطبعة الثانية [١٣٩٨هـ -١٩٧٨]، دار السلام- بيروت.

(٣٦) دليل الفالحين شرح رياض الصالحين، محمد بن علان الصديقي الشافعي، مطبعة السعادة القاهرة، [١٩٢٨م].

(٣٧) ديوان الإمام الشافعي ، دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة ، [١٩٩٥م.]

(٣٨) ديوان الإمام علي بن أبي طالب ﷺ، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة- بيروت، الطبعة الثالثة، [٢٠٠٥م].

(٣٩) ديوان الشريف محمد بن أحمد الملقب بالرضي، المطبعة الأدبية – بيروت، [١٣٠٧هـ].

(٤٠) الذريعة إلى مكارم الشريعة، لأبي القاسم الحسن بن محمد بن المفضل، المعروف بالراغب الأصفهاني، (المتوفى ستة: ٥٠٢هـ)، تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار السلام - القاهرة، الطبعة الأولى، [١٤٢٨هـ -٢٠٠٧م].

(٤١) ذكر الله تعالى طريقك إلى السعادة والنجاح والتفوق، محمد غسان الجبَّان الجنيدي الحسيني، دار العصماء-دمشق، الطبعة ا لخامسة [٢٠١٢م].

(٤٢) الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، لابن قيم الجوزية ،دار الكتب العلمية – بيروت،[١٣٩٥هـ – ١٩٧٥ م].

(٤٣) الروض الداني إلى المعجم الصغير للطبراني، تحقيق: محمد شكور الحاج أمرير، المكتب الإسلامي –بيروت، الطبعة الأولى [١٤٠٥هـ-١٩٨٥م].

(٤٤) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، للإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حبان البستي، (المتوفى سنة: ٣٥٤هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ورفاقه، مؤسسة الريان- بيروت، الطبعة الأولى، [١٩٩٨م].

(٤٥) زاد المعاد في هدي خير العباد المؤلف : محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى : ٧٥١هـ) مؤسسة الرسالة- بيروت و مكتبة المنار الإسلامية - الكويت، الطبعة السابعة والعشرون ،[١٤١٥هـ -١٩٩٤م]

(٤٦) الزهد،للإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني(المتوفى٢٤١هجرية)،دار الكتب العلمية- بيروت،الطبعة الأولى[١٩٨٣م].

(٤٧) سبل السلام شرح بلوغ المرام، للإمام محمد الصنعاني، (المتوفى سنة:١١٨٢هـ)، دار الكتاب العربي- بيروت، الطبعة السادسة، [١٩٩١م].

(٤٨) السحر الحلال في الحكم والأمثال،أحمد الهاشمي،دار الكتب العلمية – بيروت.

(٤٩) سنن ابن ماجه، تصنيف أبي عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه القزويني، (المتوفى سنة:٢٧٣هـ)، بيت الأفكار الدولية – الرياض .

(٥٠) سنن أبي داود ، تصنيف أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ،(المتوفى سنة ٢٧٥هـ) ، بيت الأفكار الدولية للنشر – الرياض.

(٥١) السنن الكبرى، للإمام أبي عبد الرحمن محمد بن شعيب النسائي، (المتوفى سنة: ٣٠٣هـ)، أشرف عليه: شعيب الأرنؤوط، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة بيروت – لبنان، الطبعة الأولى [١٤٢١هـ-٢٠٠١].

(٥٢) سيرة ابن هشام، عبد الملك بن هشام، تحقيق :مصطفى السقا و إبراهيم الأبياري و عبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة – بيروت ، د.ط/د.ت..

(٥٣) السيرة الحلبية ، تأليف علي برهان الدين الحلبي، مكتبة المصطفى البابي الحلبي . القاهرة ، الطبعة الأولى [١٩٦٤م].

(٥٤) السيرة النبوية للإمام أبي الفداء إسماعيل ابن كثير (المتوفى سنة ٧٧٤هـ)، تحقيق:مصطفى عبد الواحد ،دار المعرفة – بيروت[١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م].

(٥٥) شرح صحيح البخاري ،لابن بطال أبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، (المتوفى سنة: ٤٤٩هـ)، تحقيق : أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد – السعودية، الطبعة الثانية [١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م]

(٥٦) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض أبي الفضل عياض بن موسى ابن عياض اليحصبي (المتوفى سنة: ٥٤٤هـ)، تحقيق: طه عبد الؤوف سعد، مكتبة الصفا القاهرة، الطبعة الأولى [١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م].

(٥٧) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان تأليف الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، (المتوفى سنة: ٧٣٩هـ)، تحقيق:شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة-بيروت، الطبعة الثانية [١٤١٤هـ-١٩٩٣م]

(٥٨) صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة الدليل – السعودية ،الطبعة الرابعة [١٤١٨هـ-١٩٩٧م]

(٥٩) صحيح البخاري ، تصنيف الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، (المتوفى سنة ٢٥٦هـ)، اعتنى به : أبو صهيب الكرمي ، بيت الأفكار الدولية للنشر – الرياض [١٤١٩هـ - ١٩٩٨م] .

(٦٠) صحيح مسلم ، تصنيف الإمام الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (المتوفى سنة ٢٦١هـ)، اعتنى به : أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية للنشر – الرياض [١٤١٩هـ – ١٩٩٨م].

(٦١) صحيح مسلم بشرح الإمام النووي ،المطبعة المصرية بالأزهر،الطبعة الأولى، [١٣٤٧هـ – ١٩٢٩ م]

(٦٢) صفة الصفوة، للإمام جمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي، (المتوفى سنة: ٥٩٧هـ)، تحقيق: محمد الفاخوري، دار المعرفة– بيروت، الطبعة الثالثة [١٤٠٥هـ –١٩٨٥م].

(٦٣) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن قيم الجوزية،تحقيق: د.علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة—الرياض الطبعة الثالثة،[١٤١٨هـ].

(٦٤) كتاب الطبقات الكبير لمحمد بن سعد بن منيع الزهري، (المتوفى سنة :٢٣٠هـ)، تحقيق: د.محمد علي عمر، مكتبة الخانجي – القاهرة، الطبعة الأولى [١٤٢١هـ–٢٠٠١م].

(٦٥) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، لابن قيم الجوزية، تحقيق : زكريا علي يوسف، دار الكتب العلمية – بيروت.

(٦٦) العقد الفريد، تأليف: أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة، [١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م].

(٦٧) علم الاجتماع الإسلامي،زيدان عبد الباقي،مطبعة السعادة– القاهرة،[١٩٨٤م].

(٦٨) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني الحنفي، (المتوفى سنة:٨٥٥هـ)، تحقيق: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية– بيروت، الطبعة الأولى [١٤٢١هـ –٢٠٠١م].

(٦٩) عيون الأخبار، لعبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية، [١٩٩٦م].

(٧٠) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (المتوفى سنة: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عبد العزيز بن باز، محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب، دار المعرفة – بيروت.

(٧١) الفروق أنوار البروق في أنواء الفروق، للعلامة أحمد بن إدريس عبد الرحمن الصنهاجي المشهور بالقرافي، (المتوفى سنة: ٦٨٤هـ)، تحقيق: د. محمد أحمد سراج، ود.علي جمعة محمد، دار السلام القاهرة، الطبعة الأولى [١٤٢١هـ –٢٠٠١م].

(٧٢) الفِقْهُ الإسلاميُّ وأدلَّتُهُ الشَّامل للأدلّة الشَّرعيَّة والآراء المذهبيَّة وأهمّ النَّظريَّات الفقهيَّة وتحقيق الأحاديث النَّبويَّة وتخريجها ،أ.د. وَهْبَة الزُّحَيْلِيّ الناشر : دار الفكر – دمشق، الطَّبعة الرَّابعة.

(٧٣) قصيدة عنوان الحكم، لعلي بن محمد بن الحسين البستي أبو الفتح، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة الأولى [١٩٨٤م] .

(٧٤) قواعد الأحكام في مصالح الأنام ، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي (المتوفى سنة: ٦٦٠ هـ)، تحقيق: محمود بن التلاميد الشنقيطي ، دار المعارف بيروت – لبنان.

(٧٥) مبادئ في الفكر الاقتصادي الإسلامي، محمد غسان الجبّان الجنيدي الحسيني، دار أفنان– دمشق، الطبعة الأولى [٢٠١٢م].

(٧٦) مبادئ في الفكر التربوي الإسلامي، محمد غسان الجبَّان الجنيدي الحسيني، دار أفنان– دمشق، الطبعة الأولى [٢٠١٢م].

(٧٧) المحاسن والأضداد، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري، مكتبة الخانجي – القاهرة ،الطبعة : الثانية، [١٤١٥ هـ – ١٩٩٤م]

(٧٨) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، للإمام المحقق ابن قيم الجوزية، (المتوفى سنة:٧٥١هـ)، تحقيق:محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي – بيروت [١٣٩٢هـ-١٩٧٢م]

(٧٩) مراجعات في الفكر والعمل الدعوي، محمد غسان الجبّان الجنيدي الحسيني، الطبعة الأولى.

(٨٠) المسألة الاجتماعية بين الإسلام والنظم البشرية،عمر عودة الخطيب،مؤسسة الرسالة– بيروت،الطبعة السادسة[١٩٨٢م].

(٨١) المستدرك على الصحيحين، للإمام الحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري ، دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى [١٤١٧هـ-١٩٩٧م].

(٨٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل، (المتوفى سنة ٢٤١هـ)، تحقيق : الشيخ شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى [١٤١٦هـ-١٩٩٥م].

(٨٣) مسند الدارمي المعروف بسنن الدارمي ، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني ، دار المغني– الرياض، دار ابن حزم . بيروت، الطبعة الأولى[٢٠٠٠م]

(٨٤) المطالب العالية بزوائد الثمانية ،للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، (المتوفى سنة:٨٥٢هـ) ، تحقيق: د.سمير بن سليمان بن عبد الله العمران و د.سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشتري، دار العاصمة – الرياض، دار الغيث–الرياض، الطبعة الأولى [١٤١٩هـ–١٩٩٨م].

(٨٥) المعجم الأوسط، للحافظ القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، (المتوفى سنة:٣٦٠هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة [١٤١٥هـ – ١٩٩٥م].

(٨٦) المعجم الكبير، للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، (المتوفى سنة ٣٦٠هـ)، تحقيق:حمدي عبد المجيد السلفي ،مكتبة ابن تيمية – القاهرة.

(٨٧) المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، لعبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، دار الفكر– بيروت،الطبعة الأولى[١٤٠٥هـ].

(٨٨) المعجم الوسيط، (إبراهيم مصطفى ، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار) ، مجمع اللغة العربية. القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة، [٢٠٠٤م].

(٨٩) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل الراغب (المتوفى سنة ٥٠٢هـ) ،تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة – لبنان.

(٩٠) مواطنون لا ذميون،فهمي الهويدي،دار الشروق– القاهرة،الطبعة الثالثة،[١٩٩٩م].

(٩١) الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي، دراسة وتحقيق: أبو عبيدة مشهور ابن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى[١٤١٧هـ –١٩٩٧م].

(٩٢) الموسوعة الفقهية الكويتية، إصدار وزارة الأوقاف الكويتية.

(٩٣) موسوعة فقه الدعوة والحياة في شمائل وسيرة وحقوق سيدنا محمد ﷺ رسول الله، محمد غسَّان الجبَّان الجنيدي الحسيني، دار العصماء –دمشق، الطبعة الأولى [١٤٣٣هـ–٢٠١١م].

(٩٤) نهج البلاغة ، من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، شرح الشيخ: محمد عبده، دار الكتاب العربي – سورية.

(٩٥) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين محمد ﷺ ، الشيخ محمد الخضري بك، تحقيق: حمدي زمزم، دار الإيمان [١٩٨٨م].

(٩٦) نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقي الأخبار، للشيخ الإمام المجتهد العلامة الرباني قاضي قضاة القطر اليماني محمد بن علي بن محمد الشوكاني، (المتوفى سنة: ١٢٥٥ هـ)، دار الجيل بيروت – لبنان.

(٩٧) الوصايا (للدعاة)، محمد غسان الجبَّان الجنيدي الحسيني، الطبعة الأولى.

(٩٨) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت.

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
مقدمة ----------	٥
. تمهيد----------	١٥
المطلب الأول: وجوب الدعوة.----------	١٦
المطلب الثاني: مقاصد الدعوة. ----------	٢١
الفصل الأول: طرائق الدعوة	٢٣
تمهيد ----------	٢٤
المبحث الأول: طريقة الدعوة بالحكمة. ----------	٢٧
المطلب الأول:تعريف الحكمة. ----------	٢٩
المطلب الثاني:من قواعد الحكمة في الدعوة. ----------	٣١
القاعدة الأولى: من الحكمة في الدعوة: تعليم الإيمان قبل الأحكام. ------	٣١
القاعدة الثانية: من الحكمة في الدعوة: تقديم الأصول على الفروع. ------	٣٤
القاعدة الثالثة: من الحكمة في الدعوة: التوازن بين الترغيب والترهيب------	٣٥
القاعدة الرابعة: من الحكمة في الدعوة: مراعاة أحوال المدعوين. --------	٣٨
القاعدة الخامسة: من الحكمة في الدعوة: أن نكون دعاة، لا قضاة. ------	٤٧
القاعدة السادسة: من الحكمة في الدعوة: الربانية، لا الرهبانية. --------	٥٣
القاعدة السابعة: من الحكمة في الدعوة: العلم، لا الجهل. ----------	٥٩
القاعدة الثامنة: من الحكمة في الدعوة: العقلانية، لا الحماقة. ----------	٦٣
القاعدة التاسعة: من الحكمة في الدعوة: التأني، لا الاستعجال. --------	٦٦
القاعدة العاشرة: من الحكمة في الدعوة: التفاؤل والأمل، لا اليأس والقنوط . –	٧٤
القاعدة الحادية عشرة: من الحكمة في الدعوة: المداراة، لا المداهنة. ------	٨٧
القاعدة الثانية عشرة: من الحكمة في الدعوة: اللين واللطف والرفق، ------	٩٠
القاعدة الثالثة عشرة: من الحكمة في الدعوة: الكلمة الطيبة، لا الخبيثة. ----	٩٦

القاعدة الرابعة عشرة: من الحكمة في الدعوة: العفو والصفح---------- ١٠١
القاعدة الخامسة عشرة: من الحكمة في الدعوة: الحلم، لا الغضب. ------ ١١٤
القاعدة السادسة عشرة: من الحكمة في الدعوة: التودد والتحبب، لا الاستعداء. ١٢٦
القاعدة السابعة عشرة: من الحكمة في الدعوة: التيسير، لا التعسير. ------ ١٤٣
القاعدة الثامنة عشرة: من الحكمة في الدعوة: التبشير، لا التنفير. -------- ١٦٨
القاعدة التاسعة عشرة: من الحكمة في الدعوة: التواضع ---------- ١٩٠
القاعدة العشرون: من الحكمة في الدعوة: الصبر، لا الجزع. ---------- ٢١٠
المبحث الثاني: طريقة الدعوة بالموعظة الحسنة: ---------- ٢٢٧
المطلب الأول: تعريفها. ---------- ٢٢٩
المطلب الثاني: أنواعها. ---------- ٢٢٩
المطلب الثالث: فوائدها. ---------- ٢٣٠
المطلب الرابع: شروطها. ---------- ٢٣٢
المطلب الخامس: تحسين أدائها. ---------- ٢٣٧
المطلب السادس: شروط مهمة تُعين على الاستفادة منها. ---------- ٢٣٧
المبحث الثالث: طريقة الدعوة بالحوار والمجادلة بالتي هي أحسن. ---------- ٢٥٣
المطلب الأول: حاجة الدعاة إليها. ---------- ٢٥٥
المطلب الثاني: حقيقتها. ---------- ٢٥٦
المطلب الثالث:أنواعها. ---------- ٢٥٦
المطلب الرابع:على من تجب، وعلى من تُحظر؟!.---------- ٢٥٧
المطلب الخامس:فوائدها. ---------- ٢٥٨
المطلب السادس:شروطها. ---------- ٢٥٨
المطلب السابع:نماذج من حوارات ومجادلات ومناظرات النبي ﷺ مع النصارى. ---- ٢٦٥
المطلب الثامن:من فقه هذا الحوار. ---------- ٢٧١
المطلب التاسع: نماذج من حوارات ومجادلات ومناظرات النبي ﷺ مع المشركين. ---- ٢٧٦
المطلب العاشر: من فقه هذا الحوار. ---------- ٢٧٨

المطلب الحادي عشر: نماذج من حوارات ومجادلات ومناظرات الأنبياء مع أقوامهم -- ٢٧٩
أولاً: حوار نوح عليه السلام مع قومه، وفقه هذا الحوار. ---------- ٢٧٩
ثانياً: حوار إبراهيم عليه السلام مع قومه، وفقه هذا الحوار. ---------- ٢٨٥
ثالثاً: حوار موسى عليه السلام مع قومه، وفقه هذا الحوار. ---------- ٢٩٢
المطلب الثاني عشر:سمات حوارات ومجادلات ومناظرات الأنبياء مع أقوامهم. ----- ٣٠٠

الفصل الثاني: وسائل الدعوة **٣٠٣**

المبحث الأول: وسيلة الدعوة عن طريق الاتصال الفردي. ---------- **٣٠٥**
المطلب الأول:أهميتها. ---------- ٣٠٥
المطلب الثاني:من ميزاتها. ---------- ٣٠٥
المبحث الثاني: وسيلة الدعوة في إطار الأسرة التربوية ، ---------- **٣٠٩**
المطلب الأول: أهميتها. ---------- ٣٠٩
المطلب الثاني: برنامج التربية الروحية. ---------- ٣١٠
المطلب الثالث: برنامج التربية الأخلاقية. ---------- ٣١٣
المطلب الرابع: برنامج التربية القيمية. ---------- ٣١٣
المطلب الخامس: برنامج التربية العقلية (الحكمة). ---------- ٣١٤
المطلب السادس: برنامج التربية العلمية والتحصين الفكري. ---------- ٣١٥
المطلب السابع: برنامج التربية الاجتماعية. ---------- ٣١٧
المطلب الثامن: برنامج التربية الوطنية. ---------- ٣١٨
المطلب التاسع: برنامج التربية العملية. ---------- ٣٢١
المطلب العاشر: برنامج النشاطات الدعوية. ---------- ٣٢٣
المبحث الثالث: وسيلة الدعوة العامة (الجماهيرية). ---------- **٣٢٥**
المطلب الأول: الخطابة. ---------- ٣٢٦
المطلب الثاني: الدروس العامة. ---------- ٣٢٧
المطلب الثالث: المحاضرات. ---------- ٣٢٨
المطلب الرابع:المناظرة والجدال والحوار. ---------- ٣٣٠

المطلب الخامس: برامج الإعلام: ---------- ٣٣٠
أولاً: البرامج التلفزيونية. ---------- ٣٣١
ثانياً: شبكات التواصل. ---------- ٣٣١
ثالثاً: المواقع الإلكترونية. ---------- ٣٣١
المبحث الرابع: وسيلة الدعوة من خلال العمل التعليمي: ---------- ٣٣٣
المطلب الأول: التعليم العام. ---------- ٣٣٣
المطلب الثاني: التعليم الشرعي. ---------- ٣٣٥
المطلب الثالث: الدورات العلمية: ---------- ٣٣٦
أولاً:دورات تحفيظ القرآن الكريم. ---------- ٣٣٦
ثانياً: دورات العلوم التخصصية. ---------- ٣٤٥
أ-دورات علوم شرعية. ---------- ٣٤٥
ب-دورات علوم عامة. ---------- ٣٤٦
المبحث الخامس: وسيلة الدعوة من خلال النشاطات الفكرية: ---------- ٣٤٧
المطلب الأول: الكتابة والتأليف. ---------- ٣٤٧
المطلب الثاني:القراءة والمطالعة. ---------- ٣٤٨
المطلب الثالث: الندوات الفكرية. ---------- ٣٤٩
المبحث السادس: وسيلة الدعوة من خلال النشاطات الثقا فية: ---------- ٣٥١
المطلب الأول: المقالة. ---------- ٣٥١
المطلب الثاني:القصة والرواية. ---------- ٣٥٢
المطلب الثالث: الشعر والإنشاد. ---------- ٣٥٢
المطلب الرابع: المسرح والتمثيل. ---------- ٣٥٤
المبحث السابع: وسيلة الدعوة من خلال النشاطات الاجتماعية والخيرية والإغاثية: -- ٣٥٥
المطلب الأول:التأهيل والتدريب. ---------- ٣٥٥
المطلب الثاني: المنح الدراسية. ---------- ٣٥٧
المطلب الثالث: مساعدة الشباب على الزواج. ---------- ٣٥٨

المطلب الرابع: مراكز رعاية المسنين وذوي الاحتياجات الخاصة. ---------- ٣٦٠
المطلب الخامس: مراكز رعاية الأسرة. ---------- ٣٦٠
المطلب السادس:مراكز رعاية الأيتام. ---------- ٣٦١
المطلب السابع: مراكز الرعاية الصحية. ---------- ٣٦٤
المطلب الثامن: مراكز رعاية الفقراء والمساكين. ---------- ٣٦٤
المطلب التاسع: الدعوة من خلال استقطاب المتطوعين. ---------- ٣٦٥
المطلب العاشر: رعاية التراث الحضاري. ---------- ٣٦٧

الفصل الثالث: أساليب الدعوة. ٣٧١

المبحث الأول: أسلوب الدعوة بالإقناع عن طريق الاستقراء والاستنتاج: -------- ٣٧٣
المطلب الأول: أهميته. ---------- ٣٧٣
المطلب الثاني: نموذج من أسلوب الدعوة بالإقناع عن طريق الاستقراء والاستنتاج في -- ٣٧٤
المطلب الثالث: الوظائف الدعوية في هذا النموذج. ---------- ٣٧٤
المطلب الرابع: نموذج من أسلوب الدعوة بالإقناع عن طريق الاستقراء والاستنتاج في -- ٣٧٦
المبحث الثاني: أسلوب الدعوة بالحوار. ---------- ٣٧٧
المطلب الأول: أهميته. ---------- ٣٧٧
المطلب الثاني: فن الحوار. ---------- ٣٧٧
المطلب الثالث: نماذج من أسلوب الدعوة بالحوار في القرآن الكريم. ---------- ٣٧٨
المطلب الرابع: من سمات أسلوب الدعوة بالحوار في القرآن الكريم. ---------- ٣٧٩
المطلب الخامس: نموذج من أسلوب الدعوة بالحوار في السنة النبوية. ---------- ٣٨٠
المبحث الثالث: أسلوب الدعوة بضرب الأمثال. ---------- ٣٨٣
المطلب الأول: أهميته. ---------- ٣٨٣
المطلب الثاني:نموذج من أسلوب الدعوة بضرب الأمثال في القرآن الكريم. -------- ٣٨٣
المطلب الثالث: الوظائف الدعوية في هذا النموذج. ---------- ٣٨٤
المطلب الرابع: نموذج من أسلوب الدعوة بضرب الأمثال في السنة النبوية-------- ٣٨٧
المطلب الخامس: الوظائف الدعوية في هذا النموذج. ---------- ٣٨٨

المبحث الرابع: أسلوب الدعوة بالقدوة. ---------- **٣٨٩**
المطلب الأول: أهميته. ---------- ٣٨٩
المطلب الثاني:ما يُشترط لتحقيق الدعوة بالقدوة. ---------- ٣٩٠
المبحث الخامس: أسلوب الدعوة بالصحبة والملاحظة---------- **٣٩٣**
المطلب الأول: أهميته. ---------- ٣٩٣
المطلب الثاني: وسائله. ---------- ٣٩٣
المطلب الثالث: ميزاته. ---------- ٣٩٣
المطلب الرابع: شرطه. ---------- ٣٩٥
المطلب الخامس: نموذجان من أسلوب الدعوة بالصحبة والملاحظة في السنة النبوية. -- ٣٩٥
المبحث السادس: أسلوب الدعوة بالقصة. ---------- **٣٩٧**
المطلب الأول: أهميته. ---------- ٣٩٧
المطلب الثاني: نموذج من أسلوب الدعوة بالقصة في السنة النبوية. ---------- ٣٩٧
المطلب الثالث: الوظائف الدعوية في هذا النموذج. ---------- ٤٠٠
المبحث السابع: أسلوب الدعوة بالتوجيه المباشر. ---------- **٤٠٣**
المطلب الأول: أهميته. ---------- ٤٠٣
المطلب الثاني: نموذجان من أسلوب الدعوة بالتوجيه المباشر في القرآن الكريم. ----- ٤٠٣
المطلب الثالث: الوظائف الدعوية في هذين النموذجين. ---------- ٤٠٤
المبحث الثامن: أسلوب الدعوة بالتوجيه غير المباشر. ---------- **٤٠٧**
المطلب الأول: أهميته. ---------- ٤٠٧
المطلب الثاني: نماذج من أسلوب الدعوة بالتوجيه غير المباشر في السنة النبوية. ---- ٤٠٧
المبحث التاسع: أسلوب الدعوة بالترغيب. ---------- **٤١١**
المطلب الأول: أهميته. ---------- ٤١١
المطلب الثاني: نموذج من أسلوب الدعوة بالترغيب في القرآن الكريم. ---------- ٤١١
المطلب الثالث: نموذج من أسلوب الدعوة بالترغيب في السنة النبوية. ---------- ٤١٢
المبحث العاشر: أسلوب الدعوة بالثناء. ---------- **٤١٣**

المطلب الأول: أهميته. ---------- ٤١٣
المطلب الثاني: التمييز بين الثناء والمديح. ---------- ٤١٣
المطلب الثالث: نماذج من أسلوب الدعوة بالثناء في القرآن الكريم. ---------- ٤١٥
المطلب الرابع: أسلوب الدعوة بالثناء في السنة النبوية. ---------- ٤١٦
المطلب الخامس: مقاصد الدعوة بالثناء في السنة النبوية. ---------- ٤١٦
المبحث الحادي عشر: أسلوب الدعوة بالتنبيه والتحذير. ---------- ٤١٩
المطلب الأول: أهميته واستخدامه. ---------- ٤١٩
المطلب الثاني: نموذج من الأسلوب الدعوي بالتنبيه والتحذير في القرآن الكريم. ---- ٤٢٠
المطلب الثالث: نماذج من الأسلوب الدعوي بالتنبيه والتحذير في السنة النبوية. ---- ٤٢٠
المبحث الثاني عشر: أسلوب الدعوة بالمكافأة والهدية والخدمة وتفقد الأحوال. --- ٤٢١
المطلب الأول: أهميته. ---------- ٤٢١
المطلب الثاني: تطبيقات نبوية. ---------- ٤٢١
الخاتمة. ---------- ٤٢٣
الفهارس: ---------- ٤٢٥
١- فهرس الأحاديث الشريفة. ---------- ٤٢٦
٢- فهرس الفوائد والحقائق. ---------- ٤٢٧
٣- فهرس الأشعار. ---------- ٤٤٧
٤- فهرس المصادر والمراجع. ---------- ٤٥٣
٥- فهرس المحتويات. ---------- ٤٦١

إلهي
أنت مقصودي ورضاك مطلوبي

المؤلف في سطور*

محمد غسان بن خليل الجبَّان الجنيدي الحسيني

- الجبّان شهرةً، الجنيدي لقباً، الحسيني نسباً.
- ولد بدمشق في جوار جامع بني أمية الكبير عام ١٩٤٧م، وهو من ذرية الشيخ سليمان الجنيدي، ومن أسرة يتصل نسبها إلى الإمام الحسين ﷺ.
- التحق بمدرسة علم الدعوة والتزكية والحكمة عام ١٩٦١م، التي أسّسها الشيخ أحمد كفتارو رحمه الله تعالى ... ودَرَس هذه العلوم على يديه.. كما دَرَس العلوم الشرعية على يد عدد من علماء دمشق...
- حصل على إجازة في التدريس الديني والوعظ والإرشاد من سماحة الشيخ أحمد كفتارو عام ١٩٧٦م..
- عمل في حقل الدعوة الإسلامية والتدريس الديني، أكثر من خمسةٍ وأربعين عاماً، وتربّى على يديه مئاتٌ من الدعاة، وأعدادٌ كبيرة من شباب الدعوة الإسلامية ...
- حائز على درجة البكالوريوس في العلوم الفيزيائية والكيميائية من جامعة دمشق عام ١٩٧٢م..
- عمل في التعليم الرسمي.
- أسس وأدار عدداً من مشاريع العمل الخيري.
- أسس وأدار عدداً من مؤسسات التعليم الشرعي للمرحلتين: الجامعية والدراسات العليا ..
- عضو مجلس أمناء معهد الشام العالي للعلوم الشرعية واللغة العربية والدراسات والبحوث الإسلامية.
- باحث ومؤلف.

* انظر: موسوعة الأُسر الدمشقية ، للدكتور: محمد شريف الصواف،(١/٣٤٥وما بعدها).

كتب للمؤلف

- **سلسة السِير والتراجم:**

١- العلامة الشيخ أحمد كفتارو –أفكار وأساليب لنهضة الأمة الإسلامية- [الطبعة الأولى].

٢- العالِم الرباني الشيخ محمد بشير الباني- قبسٌ من حياته وأفكاره- (بالاشتراك) . [الطبعة الأولى] .

- **سلسلة مجالس التقرب إلى الله تعالى:**

١- ذكر الله تعالى –طريقك إلى السعادة والنجاح والتفوق- [الطبعة الخامسة].

٢- أيها المسوفون الوقت ضيق. [الطبعة السابعة].

- **موسوعة فقه الدعوة والحياة « في شمائل وسيرة وحقوق سيدنا محمد رسول الله ﷺ »**

١- الأصول في معرفة حقوق الرسول ﷺ [مرحلة الإعداد].

٢- كمال رحمته ﷺ .[الطبعة الثانية].

٣- كمال حكمته ﷺ .[مرحلة الإعداد].

٤- أجزاء أخرى. [مرحلة الإعداد].

- **سلسلة دراسات وأبحاث:**

١- مبادئ في الفكر التربوي الإسلامي. [الطبعة الأولى].

٢- مبادئ في الفكر الاقتصادي الإسلامي [الطبعة الأولى].

٣- مبادئ في فكر الدعوة الإسلامية [الطبعة الأولى].

٤- مراجعات في الفكر والعمل الإسلامي الدعوي [الطبعة الأولى].

٥- الوصايا (للدعاة) [الطبعة الأولى].

٦- خصائص الرسالة الإسلامية [مرحلة الإعداد].

هذا الكتاب

إن من أهم خصائص رسالة النبي ﷺ، أن الدعوة إليها وإقناع الناس بها، وتبنيها سلوكاً وعملاً والتزاماً ودعوة، ونشرها في كل أنحاء الأرض، كل ذلك جزء لا يتجزأ من أهدافها الكبرى في بناء عالم متحضر يسوده الإيمان والأمن والسلام والرخاء والرحمة والأخوة الإنسانية..

ولا يصلح للدعوة إلى الله إلا الدعاة المخلصون... إن الدعاة الصادقين أصحاب الإنجازات الكبيرة في تاريخ الدعوة، هم الذين أوتوا قلوباً منوّرة مؤثرة حيّة تتسع للحلم والصبر والتحمّل... وبصيرة نافذة تستشرف المستقبل وتتدبر العواقب، وألسنة متصلة بالقلوب تنطق بالحكمة وقوة البيان والبرهان فيستقر كلامهم في القلوب .. يقتنع الناس بكمال أخلاقهم واستقامتهم قبل أن يقتنعوا بقوة حجتهم .. قلوبهم حيّة بالله تعالى .. تفيض بالحياة على من حولها من موتى القلوب فتحيا بالله تعالى .. إنهم الربانيون من الدعاة....

ومع أن العالم يشهد في تاريخنا المعاصر صحوةً إسلاميةً مباركةً، بجهود الآلاف من الدعاة الربانيين على مدى عقود من الزمن.. إلا أنها تحتاج منا لجهود كبيرة تُبذل في اتجاهين:

الاتجاه الأول: دعم هذه الصحوة ورفدها بكل أسباب النجاح، وتنمية مواطن قوتها وتألقها، والارتقاء بمستوى أدائها.

والاتجاه الثاني: ترشيدها، وتصويبها، ومعالجة مواطن الضعف والخلل ومكامن العلل فيها.

إن هذا الكتاب جهد متواضع لتحقيق هذه الأهداف ....

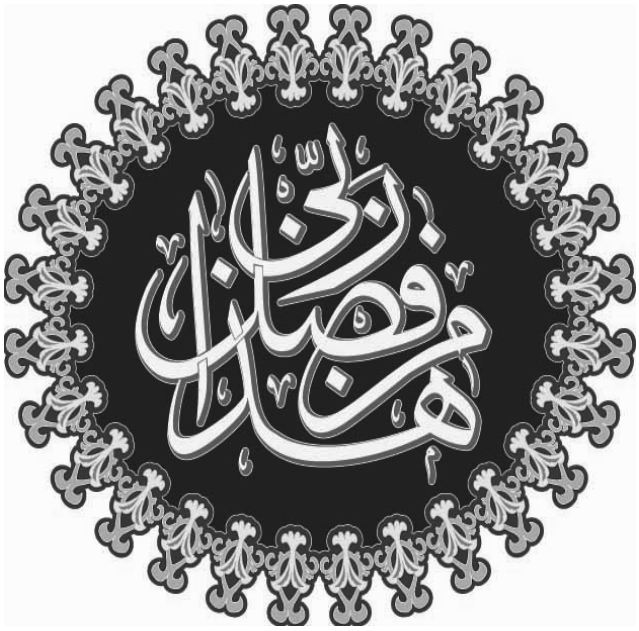

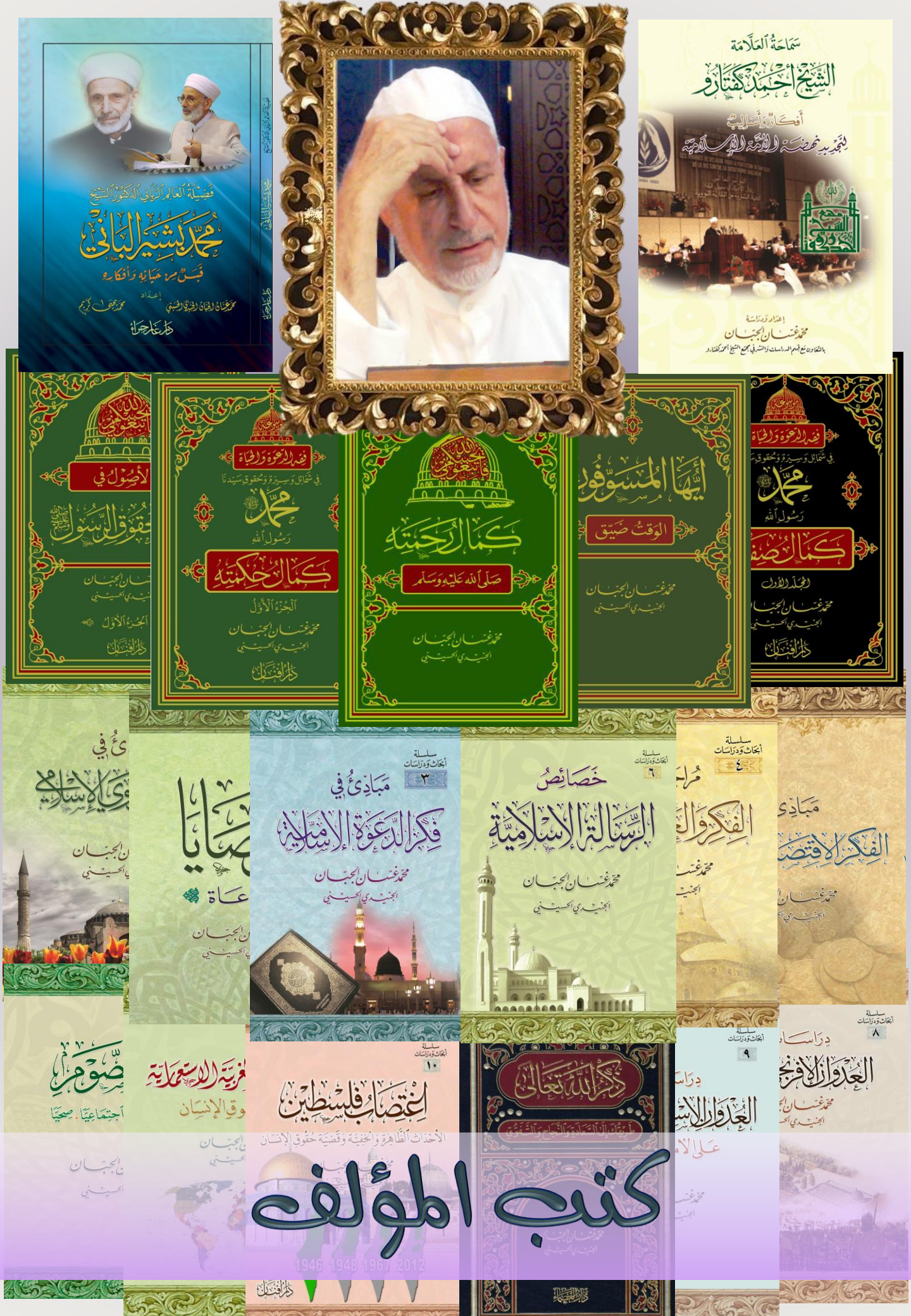
سماحة العلامة
الشيخ أحمد كفتارو
أفكار وأساليب
لتجديد نهضة الأمة الإسلامية
إعداد ودراسة
محمد غسان الجبان
بالتعاون مع قسم الدراسات والنشر في مجمع الشيخ أحمد كفتارو
فضيلة العالم الرباني الدكتور الشيخ
محمد بشير البانى
من حياته وأفكاره
إعداد
محمد عفاف الطحان
محمد محي كريم
دار عمار حران
كمال رحمته
صلى الله عليه وسلم
محمد غسان الجبان
الجنيدي الحسيني
أيها المسوفون
الوقت ضيق
محمد غسان الجبان
الجنيدي الحسيني
فقه الدعوة والحياة
في شمائل وسيرة وحقوق سيدنا
محمد
رسول الله
كمال رحمته
الجزء الأول
محمد غسان الجبان
الجنيدي الحسيني
دار الفتح
الأصول في
حقوق الرسول
محمد غسان الجبان
الجنيدي الحسيني
الجزء الأول
دار الفتح
فقه الدعوة والحياة
في شمائل وسيرة وحقوق
محمد
رسول الله
كمال صفة
المجلد الأول
محمد غسان الجبان
الجنيدي الحسيني
دار الفتح
سلسلة أبحاث ودراسات ٣
مبادئ في
فكر الدعوة الإسلامية
محمد غسان الجبان
الجنيدي الحسيني
سلسلة أبحاث ودراسات ٦
خصائص
الرسالة الإسلامية
محمد غسان الجبان
الجنيدي الحسيني
سلسلة أبحاث ودراسات ٤
سلسلة أبحاث ودراسات ٨
سلسلة أبحاث ودراسات ٩
سلسلة أبحاث ودراسات ١٠
اغتصاب فلسطين
الأحداث الظاهرة والخفية وقضية حقوق الإنسان
ذكر الله تعالى
1946 1948 1967 2012
كتب المؤلف